تُرجمت روايات ستيڤن كينغ إلى 36 لغة وبيع منها أكثر من 300 مليون نسخة!

Stephen King

ستيڤن كينغ

بُعيدَ الغُروبْ

JUST AFTER SUNSET

قصص قصيرة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

بُعيدَ الغرُوبْ

JUST AFTER SUNSET

قصص قصيرة

ستيفن كينغ

Stephen King

ترجمة

بسام شيحا

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
JUST AFTER SUNSET
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
POCKET BOOKS - New York
A Division of Simon & Schuster, Inc.
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

الطبعة الأولى
1435 هـ – 2014 م

ردمك 978-614-01-1024-3

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت – هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت – هاتف 786233 (1-961+)

المحتويات

مقدمة

ذات يـوم مـن العـام 1972، وصلت إلـى المنـزل قادماً مـن العمل، فوجدت زوجتي جالسـة بجانب مائدة المطبخ وأمامها مقص يستخدم في الحدائق. كانت تبتـسم، الأمر الذي أوحى لي بأنها لم تكن في ورطة كبيرة، لكنها في المقابل قالت لي إنها تريد محفظتي. وهذا لم يرق لي.

مع ذلك، أعطيتها إياها. فتَّشت داخلها قليلاً، ثم أخرجت منها بطاقة اعتمـاد تكسـاكو لتعبئة البنزيـن – مثل هـذه الأشـياء كانت تُعطى بصـورة روتينية للأزواج الشبان في ذلك الحين – ثم مزّقتها إلى ثلاثة أجزاء كبيرة. وعندما اعترضْتُ على فعلتها قائلاً لها إنّ البطاقـة كانت مفيدة جداً، حيث كنـا نتمكـن دائماً مـن دفع القسـط الأدنى فـي نهاية كل شـهر علـى الأقل (وأحيانـاً أكثر مـن ذلك)، هزت رأسـها وقالـت إن الفائدة كانـت أكبر من قدرة اقتصادنا الأسري الهش على تحمُّلها.

قالت: "من الأفضل إزالة الإغراء. لقد سبقْتُك ومزَّقت بطاقتي".

كانت محقة في فعل ذلك، وذكية أيضاً، لأننا في ذلك الوقت كنا في بداية العشرينيات من عمرينا، وكنا نملك طفلين نرعاهما، وكنا من الناحية المادية بالكاد قادريْن على إبقاء رأسينا فوق سطح الماء. كنت أدرِّس اللغة الإنكليزية في مدرسة ثانوية، وأعمل في مصبغة صناعية في الصيف، حيث كنت أغسـل شراشـف بعض الموتيلات، وفي بعض الأحيان أقود شـاحنة لتوصيل الطلبـات إلى تلـك الموتيلات نفسـها. أما تابي فقـد كانت تعتني بالطفلين في النهار، وتكتب القصـائد عندمـا يغفوان، وتعمل نوبة كاملة في مطعم دانكيـن دونـاتـس بعـد عودتي إلى المنـزل من المدرسـة. كان دخلنا المشـترك يكفي لدفع الإيجار وشـراء البقالة والحفّاضات لطفلنا الرضيـع.

ولكنه، ليس كافياً لدفع تكاليف الهاتف، حيث تخلّينا عنه بالطريقة نفسها التي تخلينا فيها عن بطاقة تكساكو. وكان يبقى لدينا ما يكفي من النقود لشراء الكتب بين الحين والآخر – كلانا لم نكن نستطيع العيش بدونها – ودفع تكاليف عادتيَّ السيئتين (شراب الشعير، والسجائر).

أما ما يتبقى من دخلنا فقد كان يذهب عادةً لأشياء مثل تصليح السيارة، أو فواتير الأطباء، أو ما كنا ندعوه أنا وتابي "براز الأطفال": دمى، بعض كتب ريتشارد سكاري المثيرة للجنون. وهناك دخل ضئيل إضافي كان يأتي غالباً من القصص القصيرة التي كنت أبيعها للمجلات الخاصة بالرجال مثل كافالير، وديود، وآدم. في تلك الأيام، لم يكن الأمر يتعلق بكتابة الأدب، وأي نقاش "للقيمة الدائمة" لأعمالي الأدبية كان يُعتبَر من باب الكماليات؛ مثل بطاقات تكساكو سالفة الذكر. كانت القصص، عندما تُباع (ولم تكن تُباع دائماً)، تمثّل ببساطة نقوداً مكتشَفةً تبعث السرور في النفس. كنت أنظر إليها كسلسلة من أوعية البيناتا [*piñatas*، وهي أوعية ورقية تُصنَع بأشكال متنوعة وتوضَع فيها سكاكر أو هدايا صغيرة، تُعلَّق في السقف وتُضرَب وتُكسَر بواسطة عصيٍّ من قبل أشخاص معصوبي الأعين خلال مناسبات أميركية لاتينية تقليدية] أضربها ليس بعصا وإنما بمخيلتي. أحياناً كانت تنكسر فتكشف عن بضع مئات من الدولارات، وفي أحيان أخرى، لم تكن تكشف عن أي شيء.

من حسن حظي – وصدِّقني عندما أقول إنني عشت حياة محظوظة إلى حدٍّ كبير، وبطرق أكثر من هذه الطريقة – كان عملي يمثل متعتي في الحياة. كنت أبني معظم تلك القصص بسهولة ويسر فائقين، حيث كانت تأتي واحدة تلو الأخرى مثل الأغاني الضاربة من محطة الروك التي كانت دائماً تبث أغانيها في غرفة الغسيل حيث كنت أكتبها.

كنت أكتب تلك القصص بسرعة ونشاط، ونادراً ما كنت أعود إليها بعد التدقيق الأول، ولم يخطر ببالي قطّ أن أتساءل من أين كانت تأتي، أو

كيف كانت بنية القصة القصيرة تختلف عن بنية الرواية، أو كيف يتعامل الكاتب مع مسائل تطور الشخصية وخلفية القصّة والإطار الزمني. كنت أعتمد بالكامل على حدسي، وعلى ثقة طفولية بالنفس. كل ما كنت أهتم به هو أنها كانت تأتي. لم يخطر في ذهني قطّ أن كتابة القصص القصيرة مهارة هشة، مهارة يمكن أن تُنسى إن لم تُمارَس بصفة دائمة تقريباً. لم تكن تبدو هشة بالنسبة إليّ في ذلك الحين، بل إن معظم تلك القصص كانت تبدو كالبولدوزرات.

الكثير من الروائيين الذين تحقق رواياتهم أفضل المبيعات في أميركا لا يكتبون القصص القصيرة. أشك في أن المسألة تتعلق بالمال، لأن الكتّاب الناجحين مالياً ليسوا بحاجة للتفكير في هذا الجانب. لعل السبب يكمن في أنه عندما يتقلّص عالم الروائي المتخصّص إلى ما دون، لنقل، سبعين ألف كلمة، فإن ضرباً من رهاب الأماكن الضيقة يبدأ بالتطور. أو ربما لأن مهارة الاختزال تضيع مع الزمن. هناك الكثير من الأشياء التي تشبه قيادة الدراجة الهوائية، لكن كتابة القصص القصيرة ليست واحدة منها؛ إذ يمكن أن تنساها.

خلال الثمانينيات والتسعينيات، كتبت عدداً – كان يقل باستمرار – من القصص القصيرة. والقصص التي كتبتها كانت تزداد طولاً (يوجد بعض منها في هذا الكتاب). لم تكن هذه مشكلة. ولكن، كانت هناك أيضاً قصص قصيرة لم أكتبها بسبب وجود رواية ما كان يجب علي إنهاؤها. وهنا كانت المشكلة. كنت أشعر بتلك الأفكار في مؤخرة دماغي تصرخ طالبة مني تدوينها. بعضها كُتبت في نهاية المطاف، لكن الأخرى – ويؤسفني قول ذلك – ماتت وتبددت كالغبار.

والأسوأ من كل ذلك هو تلك القصص التي لم أعد أعرف كيف أكتبها. كان الأمر مرعباً. كنت واثقاً بأنني كنت سأقدر على كتابتها في غرفة الغسيل تلك، على الآلة الكاتبة المحمولة الصغيرة من طراز أوليفيتي

التي كانت تابي تمتلكها. ولكن، مع تقدمي في السن، ورغم انصقال موهبتي وتطور أدواتي - حاسوب الماكنتوش الذي أكتب عليه الليلة، على سبيل المثال - وازدياد سعري، فإن تلك القصص كانت تتملّص مني. أذكر أنني عانيت من مشكلة في كتابة واحدة منها، ففكّرت في صانع سيوف مسنّ ينظر بعجز إلى نصل سيف توليديٍّ (نسبة إلى مدينة توليدو الإسبانية) جميل قائلاً في سرّه: "كنت في ما مضى أعرف كيف أصنع هذه الأشياء".

وذات يوم، منذ ثلاث سنوات أو أربع، تلقيت رسالة من كاترينا كينيسون التي كانت محررة السلسلة السنوية "لأفضل القصص القصيرة الأميركية" (خلَفَتها منذ ذلك الحين هايدي بيتلور التي أهدي إليها هذا الكتاب). سألتني الآنسة كينيسون إن كنت مهتماً بمراجعة مجموعة العام 2006. لم أكن بحاجة للتفكير في الأمر مطوّلاً، فوافقت على الفور لأسباب كثيرة، منها إيثارية حتى، لكنني سأكون كاذباً إن لم أعترف بأن المصلحة الذاتية لعبت دوراً. فكّرت في أنني إذا قرأت ما يكفي من القصص القصيرة، وغمرت نفسي في أفضل ما ستقدّمه المجلات الأدبية الأميركية، فإنني قد أكون قادراً على استعادة السهولة التي كانت تفلت من بين يدي. ليس لأنني كنت بحاجة لتلك الشيكات لشراء واقي صدمات جديد لسيارة مستعملة، أو هدية في ذكرى مولد زوجتي، ولكن لأنني لم أكن أرى فقداني مقدرتي على كتابة قصص قصيرة مقايضة عادلة مع محفظة ملأى ببطاقات الاعتماد.

قرأت آلاف القصص خلال السنة التي أمضيتها كمحرر ضيف، لكنني لن أتطرق إلى هذا الأمر هنا؛ إذا كنتَ مهتماً، فاشترِ الكتاب واقرأ المقدمة (وستمتّع نفسك أيضاً بعشرين قصة قصيرة جميلة، وهذا ليس بقليل). المهم في الأمر هو أن الإثارة تملّكتني من جديد، وبدأت كتابة القصص كما كنت أفعل في السابق. كنت آمل حدوث ذلك، لكنني

لم أجرؤ على التصديق أنه سيحدث حقاً. وكانت أولى تلك القصص الجديدة "ويلا"، وهي أيضاً القصة الأولى في هذا الكتاب.

هل هذه القصص نافعة؟ آمل ذلك. هل ستساعدك على إمضاء رحلة طيران مملة (إذا كنت تقرأ)، أو رحلة طويلة في السيارة (إذا كنت تستمع للقرص المدمج)؟ أرجو ذلك حقاً، لأنه عندما يحصل ذلك، فإنه ضرب من السحر.

أحببت كتابة هذه القصص، وأرجو أن تستمتع أنت في قراءتها. آمل أن تأخذك بعيداً. وطالما أنني أذكر كيف أفعل ذلك، فلن أتوقف أبداً.

آه، وهناك أمر آخر. أعرف أن بعض القراء يحبون سماع شيء ما حول كيف أو لماذا كُتبت بعض القصص. إذا كنت واحداً من أولئك الناس، فستجد "ملاحظاتي" في نهاية الكتاب. ولكن، إذا اتجهت مباشرة إلى هناك قبل قراءة القصص نفسها، فيجب أن تخجل من نفسك.

والآن، دعني أبتعد عن طريقك. ولكن، قبل أن تذهب، أريد أن أشكرك على المجيء. هل كنت سأقوم بما أقوم به إن لم تأتِ؟ أجل، بالتأكيد؛ لأنني أشعر بالسعادة عندما تتساقط الكلمات وتتجمع معاً، وتأتي الصورة ويقوم الأشخاص الخياليون بأشياء تسعدني. ولكن، معك يكون الأمر أفضل، أيها القارئ الدائم.

معك يكون الأمر أفضل دائماً.

ساراسوتا، فلوريدا

25 شباط 2008

ويلا

إنك لا ترى ما هو موجود أمام عينيك مباشرةً قالت له هذا من قبل، مع أنه كان يرى في بعض الأحيان. صحيح أنه كان يعتقد أنه يستحق شيئاً من توبيخها، لكنه لم يكن أعمى كلياً في الوقت نفسه. بينما كان الغروب يتحول إلى اللون البرتقالي الداكن فوق سلسلة جبال ويند ريفر، تلفّت ديفيد حوله في أرجاء المحطة، فوجد أن ويلا قد اختفت. قال لنفسه إنّه لم يكن واثقاً، بيد أن هذا الرأي كان صادراً عن رأسه فقط، إلا أنّ معدته المنقبضة كانت واثقة بما يكفي.

ذهب ليبحث عن لاندر التي كان يحبها قليلاً، والتي وصفها بالشجاعة عندما قالت إن شركة أمتراك كانت مليئة بالحضارة لتركها إياهم مقطوعين بتلك الطريقة.

صرخت هيلين بالمر في وجه ديفيد عندما مرّ بجانبها: "تفوح رائحة تشبه رائحة بسكويت مملح رطب هنا!". كانت قد وجدت طريقها إلى المقعد في الزاوية – كما كانت تفعل دائماً – في نهاية المطاف. كانت المرأة راينهارت تعتني بها في ذلك الحين، مانحةً زوجها بعض الراحة، فابتسمتْ لديفيد.

سألها ديفيد: "هل رأيت ويلا؟".

هزت المرأة راينهارت رأسها دون أن تفارق البسمة وجهها.

انفجرت السيدة بالمر بغضب شديد: "لدينا سمك على العشاء!".

تلفّت بعض الأشخاص حولهم. "أولاً، شيء واحد، ثم آخر!".

"اهدئي يا هيلين". قالت المرأة راينهارت. ربما كان اسمها الأول سالي، لكن ديفيد كان يعتقد أنه كان سيتذكر اسماً كهذا، لأنه لم يعد هناك الكثيرون ممن يسمّون بهذا الاسم في تلك الأيام. كان العالم آنذاك ينتمي لصاحبات أسماء آمبر وآشلي وتيفاني. ويلا أيضاً كان اسماً آخر مهدداً بالانقراض. مجرد التفكير في ذلك جعل معدته تنقبض ثانيةً.

"تحب البسكويت المملح!". بصقت هيلين. "إنه بسكويت مملح قذر قديم!".

كان هنري لاندر جالساً على مقعد تحت الساعة، واضعاً ذراعه حول كتفي زوجته. رفع رأسه وهزّه قبل أن يتمكن ديفيد من طرح سؤاله: "إنها ليست هنا. آسف. ذهبت إلى البلدة إذا كنتَ محظوظاً، أو رحلت إلى الأبد إن لم تكن كذلك". ثم صنع بيده علامة طلب التوصيلة على الطرق العامة.

لم يصدق ديفيد أن خطيبته يمكن أن تطلب توصيلة على الطريق العام باتجاه الغرب وحدها بهذه الطريقة. لكنه تأكد بأنها ليست هناك. في الحقيقة، لقد عرف ذلك قبل أن يحصي الرؤوس، وخطرت في ذهنه عبارة من كتاب قديم أو قصيدة قديمة حول الشتاء: صرخة غياب، غياب في القلب.

كانت المحطة عبارة عن مستطيل خشبي ضيّق، وكان الناس فيها إما يسيرون في أرجائها بدون أن يقصدوا اتجاهاً معيّناً أو يجلسون على المقاعد تحت الأضواء المشعة. كانت أكتاف الذين يجلسون على المقاعد تتميز بتلك الانحناءة الخاصة التي تراها فقط في أماكن كهذه؛ حيث يكون الناس بانتظار إصلاح شيء ما تعطّل كي يستكملوا الرحلة التي انقطعت. قلة من الناس كانوا يقصدون أماكن مثل كراوهارت سبرينغس، في وايومينغ، عمداً.

قالت روث لاندر: "لا تلحق بها يا ديفيد. سيحلّ الظلام، وهناك

الكثير من الحيوانات في هذه المنطقة. وليس فقط القيوط. يقول بائع الكتب ذاك الذي يعرج إنه رأى بعض الذئاب على الجانب الآخر من الخط الحديدي، حيث توجد محطة الشحن".

قال هنري: "بيجرز. هذا هو اسمه".

قالت روث: "لا يهمني إن كان اسمه جاك د. ريبير. المهم أنك لست في كنساس الآن يا ديفيد".

"ولكن، إذا ذهبْتُ -".

قال هنري لاندر مقاطعاً: "لقد ذهبَت عندما كان الوقت لا يزال نهاراً". وكأن ضوء النهار سيمنع ذئباً (أو دباً) من مهاجمة امرأة تمشي وحدها. على حد علم ديفيد، إنه قد يمنعه حقاً. لكنه كان مصرفي استثمار وليس خبيراً في الحياة البرية؛ ومصرفي استثمار شاباً أيضاً.

"إذا جاء القطار البديل وهي ليست هنا، فقد تفوّته". لم يكن في ما يبدو قادراً على إيصال هذه الفكرة البسيطة إلى رؤوسهم.

رفع هنري حاجبيه وقال: "هل تقول لي إنكما إذا فوّتما القطار معاً، فإن هذا يمكن أن يحسّن الأمور؟".

إذا فاتهما القطار معاً، فإما سيركبان حافلة ما، أو ينتظران القطار التالي معاً. لا بد أن هنري وروث لاندر كانا يعرفان ذلك؛ أو ربما لا. ومن غيره كان يكترث لويلا؟ إن غابت عن النظر في السهوب الفسيحة، فمَنْ غير ديفيد ساندرسون سيفكّر فيها؟ لا، بل كان هناك كره حقيقي لها. تلك الساقطة أورسولا ديفيس أخبرته مرةً أنه لو أسقطت أم ويلا الحرف "ا" من نهاية اسمها، "لأصبح الاسم مناسباً لها تماماً".

قال ديفيد: "سأذهب إلى البلدة وأبحث عنها".

تنهّد هنري ثم قال: "يا بني، هذه حماقة كبيرة".

"لا يمكننا الزواج في سان فرانسيسكو إذا بقيتْ وحدها في كراوهارت سبرينغس". قال ديفيد محاولاً المزاح.

كان دادلي يمشي بجانبهم في ذلك الحين. لم يكن ديفيد يعرف إذا كان دادلي اسمه الأول أو كنيته. كل ما كان يعرفه هو أنه كان مديراً تنفيذياً في شركة ستابلز، وأنه كان في طريقه إلى ميسولا من أجل حضور نوع من اجتماع إقليمي. كان في العادة رجلاً هادئاً جداً، ولهذا السبب كانت ضحكة يي - هوو التي أطلقها أكثر من مستغرَبة؛ كانت صادمة. "إذا جاء القطار وفوَّتماه، فبإمكانكما إيجاد قاضٍ والزواج هنا. وعندما تعودان إلى الشرق مجدداً، قولا لأصدقائكما إنكما تزوجتما على طريقة الغرب الحقيقي؛ تحت وابل من الرصاص. يي - هوو أيها الشريك".

قال هنري: "لا تفعل ذلك. لن نبقى هنا لوقت طويل".

"هل أتركها هنا إذاً؟! هذا جنون".

بدأ المشي حتى قبل أن يتمكن لاندر أو زوجته من الرد. كانت جورجيا أندرسون تجلس على مقعد قريب وتراقب ابنتها التي تقفز بمرح فوق أرض المحطة المبلّطة القذرة بثوبها الأحمر. لم يكن يبدو على بامي أندرسون أنها تتعب. حاول ديفيد أن يتذكر إذا كان قد رآها نائمة منذ أن خرج القطار عن السكة عند وصلة ويند ريفر، ومنذ أن تجمّعوا هنا مثل طرد منسي في مكتب الرسائل الميتة [تلك التي لا تستطيع خدمة البريد إيصالها؛ إما لأن العنوان غير واضح، أو لأن الشخص المرسَل إليه يرفض استلامها]. ربما شاهدها مرة، عندما كان رأسها في حضن أمها. لكنها قد تكون ذكرى مزيفة، لاعتقاده أن الأطفال في سن الخامسة يُفترَض بهم أن يناموا كثيراً.

كانت بامي تقفز من بلاطة إلى أخرى بحركة استعراضية، كما لو أنها كانت تستخدم ألواح البلاط كلعبة مربعات ضخمة. وكان ثوبها الأحمر يتراقص فوق ركبتيها الممتلئتين. وكانت تنشد بصوت عالٍ ورتيب: "كنت أعرف رجلاً، اسمه داني. تعثَّر وسقط، على مؤخرته". كنت أعرف رجلاً، اسمه ديفيد. تعثَّر وسقط، على مؤخرته". ثم تضحك وهي تشير إلى

ديفيد.

"بامي، توقفي". قالت جورجيا أندرسون ثم ابتسمت لديفيد وأبعدت شعرها بيدها عن جانب وجهها. لقد رأى أنها حركة تدل على تعب لا يُوصَف، وفكر في سرّه أن أمامها طريقاً طويلاً جداً مع بامي مفرطة النشاط، وخاصة مع غياب السيد أندرسون.

سألها: "هل رأيت ويلا؟".

"رحلت". قالت مشيرةً إلى الباب الذي توجد فوقه لافتة كُتب عليها: إلى العربة، إلى سيارات الأجرة، اتصل مسبقاً من الهاتف المجاني من أجل الغرف الشاغرة في الفنادق.

في تلك اللحظة، كان بيجرز قادماً نحوه وهو يعرج. عندما وصل إليه، قال: "لو كنت مكانك لتجنبت العراء؛ ما لم تكن مسلحاً ببندقية قوية. توجد ذئاب. لقد رأيتها".

لم ينتظر بيجرز – البائع – جواباً من ديفيد، فقفل راجعاً في الاتجاه الطولي للمحطة. ازداد ظله طولاً، ثم قصر تحت وهج أضواء النيون المشعة، ثم راح يزداد طولاً من جديد.

كان فيل بالمر مستنداً على عمود الباب ذي اللافتة التي تشير إلى العربة وسيارات الأجرة. كان رجل تأمين متقاعداً. وكان وزوجته متجهين إلى بورتلاند للمكوث لبعض الوقت عند ابنهما الأكبر وزوجته، لكنه كان قد أسرَّ لديفيد وويلا بأن هيلين ربما لن تعود إلى الشرق مجدداً. كانت مصابة بالسرطان إلى جانب الزهايمر. شبَّهت ويلا الوضع بتذكرتين بسعر تذكرة واحدة. وعندما قال لها ديفيد إنّ في كلامها بعض القسوة، نظرت إليه وهمّت بالتفوّه بشيء ما، ثم صمتت واكتفت بهز رأسها.

عندئذ سأله بالمر، كما كان يفعل دائماً: "مرحباً يا صديقي، هل لديك عقب سيجارة؟".

فأجابه ديفيد – كما كان يفعل دائماً – أيضاً: "أنا لا أدخن، يا سيد

بالمر".

فأكمل بالمر بالجملة المعتادة: "إنني أختبرك فقط، أيها الولد".

عندما خرج ديفيد إلى المنصة الإسمنتية حيث كان المسافرون الذين نزلوا من القطار ينتظرون العربة لتقلهم إلى كراوهارت سبرينغس، عبس بالمر وقال: "إنها ليست فكرة جيدة يا صديقي الشاب".

أطلق شيء ما – لعله كلب كبير، لكنه ربما لم يكن كذلك – عواء من الجانب الآخر من محطة القطار، حيث كانت الأعشاب البرية تصل حتى السكة الحديدية. انضم صوت آخر إلى الأول مشكلاً هارموني معه، ثم تبددا معاً.

"أترى ما أعنيه أيها الأحمق؟". قال بالمر، ثم ابتسم كما لو أنه هو من افتعل ذينك العواءين كي يبرهن صحة ما كان يقوله.

التفت ديفيد، فراحت سترته الخفيفة ترفرف في الهواء القوي، وبدأ ينزل درجات السلّم بسرعة قبل أن يغيّر رأيه. وفي الحقيقة، كانت الدرجات الأولى فقط صعبة، لكنه بعد ذلك، لم يعد يفكّر إلا في ويلا.

صاح بالمر: "ديفيد"، لم يكن يمزح الآن، "لا تفعل".

"لم لا؟ لقد فعلَتْ ذلك هي أيضاً. وإضافة إلى ذلك، توجد ذئاب. إذا كانت ذئاباً حقاً".

"بالطبع إنها ذئاب. و – لا، إنها ربما لن تقترب منك. لا أعتقد أنها جائعة في مثل هذا الوقت من السنة. ولكن، لا حاجة بكما لقضاء وقت لا يعلم مدته إلا الله في مكان مجهول وناءٍ لمجرد أنها تفتقد إلى مرح المدينة".

"يبدو أنك لا تفهم. إنها فتاتي".

"سأخبرك حقيقة قاسية يا صديقي. إذا كانت حقاً تعتبر نفسها فتاتك، فلماذا فعلت ما فعلته؟ ألا تعتقد ذلك؟".

في البداية لم يقل شيئاً، لأنه لم يكن متأكداً مما كان يعتقده. ربما

لأنه غالباً لم يكن يرى ما هو موجود أمام عينيه مباشرة. هذا ما قاله له ويلا. لكنه أخيراً التفت لينظر إلى فيل بالمر المستند إلى عمود الباب فوقه، ثم قال: "أعتقد أنه لا يجب عليك أن تترك خطيبتك وحدها وسط مكان مجهول وناء. هذا ما أعتقده".

"أتمنى لو أن واحداً من تلك الذئاب البرية يقرر فعلاً أن يعض مؤخرتك المدينية. ربما ذلك سيجعلك تفكّر في عقلك. ويلا الصغيرة تلك لا تكترث لأحد إلا نفسها، والجميع يرى هذه الحقيقة إلا أنت".

"إذا مررتُ بجانب أحد مخازن نايت أول أو سيفين إليفين، هل تريدني أن أشتري لك علبة سجائر؟".

"لم لا". قال بالمر. وعندما كان ديفيد يمشي فوق عبارة "منطقة عدم وقوف سيارات الأجرة" المطلية على الشارع الفارغ الذي لا يملك رصيفاً على أي من جانبيه، صاح بالمر: "ديفيد!".

التفت ديفيد.

"العربة لن تعود إلا غداً، والبلدة تبعد ثلاثة أميال. هذا ما كُتب على الجدار الخلفي لغرفة الاستعلام. أي ستة أميال، ذهاباً وإياباً. ومشياً على القدمين، سيستغرق ذلك منك ساعتين، وهذا بدون حساب الوقت الذي قد تستغرقه في البحث عنها".

رفع ديفيد يده للدلالة على أنه سمع، لكنه واصل مسيره. كانت الريح آتية من جهة الجبل، وكانت باردة، لكنه أحب الطريقة التي كانت ترفرف فيها ثيابه وتمشط شعره إلى الخلف. في البداية، بحث عن الذئاب، فمسح بناظريه أحد جانبي الطريق ثم الآخر، وعندما لم يرَ شيئاً، عادت أفكاره إلى ويلا. وفي الحقيقة، كان ذهنه يركز على القليل سواها منذ أن رآها للمرة الثانية أو الثالثة.

كانت تفتقد إلى مرح المدينة؛ كان بالمر محقاً تماماً في ذلك، لكن ديفيد لم يكن يصدق أنها لم تكن تكترث لأحد إلا نفسها. الحقيقة

هي أنها ستمت من الانتظار مع مجموعة من الأشخاص المسنّين الذين يشتكون ويئنون لأنهم سيتأخرون عن هذا الأمر أو ذاك. صحيح أن البلدة هناك لم تكن تعِدُ بالكثير، لكنها بالتأكيد كانت تمثل فرصة للمرح بالنسبة إليها، وتلك الإمكانية كانت أكبر من احتمال أن ترسل شركة أمتراك قطاراً خاصاً لنقلهم أثناء غيابها.

وإلى أين بالتحديد كانت ستذهب للبحث عن المرح؟

كان متأكداً من أنه لم يكن هناك ما يمكن أن تسميه نوادي ليلية في كراوهارت سبرينغس، حيث إنّ محطة القطار كانت مجرد كوخ طويل أخضر طُليت على جانبه كلمات "وايومينغ "و"ولاية المساواة" بالأحمر والأبيض والأزرق. ولكن، إذا لم تكن هناك نوادٍ ليلية أو صالات ديسكو، فمن المؤكد وجود مقاهٍ، وفكّر ديفيد في أنها ستقبل بأن تقصد واحداً منها.

حلَّ الليل، وانتشرت النجوم في السماء من الشرق إلى الغرب مثل حصيرة مزركشة. وقبع نصف بدر في المنتصف ملقياً ضوءاً يشبه ضوء غرف المرضى على تلك القطعة من الطريق العام والأرض المفتوحة على جانبيه. كانت الريح تصفر تحت إفريز سقف المحطة، لكنها هناك كانت تصدر صوت همهمة غريبة جعلته يفكّر في أنشودة بامي أندرسون عندما كانت تلعب لعبة المربعات.

مشى مصغياً السمع علّه يسمع صوت قطار قادم خلفه. لكنه لم يسمع هذا الصوت، فما سمعه عندما توقفت الريح كان صوت كليك - كليك - كليك خفيفاً ولكنه مسموع جيداً. التفت فرأى ذئباً يقف على بعد عشرين خطوة خلفه فوق خط العبور السريع على الطريق 26. كان بحجم عجل تقريباً، وفروُه كثيفاً مثل قبعة روسية. تحت ضوء النجوم بدا فروه أسود، وعيناه صفراوين كلون بول غامق. رأى الذئب ديفيد ينظر إليه فتوقف، وفغر فاه، وبدأ يلهث. كان الصوت يشبه صوت محرك صغير.

لم يكن لديه وقت للخوف. أخذ خطوة نحوه وصفَّق يديه ثم صرخ: "ابتعد من هنا! اذهب، الآن!".

لفَّ الذئب ذيله وهرب، تاركاً خلفه كومة من البراز الساخن على الطريق 26. ابتسم ديفيد ابتسامة عريضة، لكنه منع نفسه من الضحك بصوت عالٍ. كان يعتقد أن هذا يمكن أن يجلب الحظ السيئ. كان يشعر بالخوف، وفي الوقت نفسه، بشعور غريب بالسكينة. فكَّر في تغيير اسمه من ديفيد ساندرسون إلى مخيف الذئاب. كان هذا الاسم سيليق تماماً بمصرفي استثمار.

ثم ضحك قليلاً – لم يتمكَّن من منع نفسه – ودار ليسير مجدداً في اتجاه كراوهارت سبرينغس. هذه المرة، سار وهو ينظر من فوق كتفه إلى يمينه ويساره، لكن الذئب لم يعد. الذي عاد إحساس أكيد بأنه سيسمع زعيق القطار الخاص القادم كي يقل الآخرين. لا بد أن الجزء من قطارهم الذي كان لا يزال موجوداً على السكة عند الوصلة قد أُزيل الآن، وسرعان ما سيستأنف الأشخاص الموجودون هناك في المحطة سفرهم مجدداً؛ آل بالمر، وآل لاندر، ويجرز الأعرج، وبامي الراقصة، والباقون جميعاً.

ليكن. سوف تحتفظ أمتراك بأمتعتهما في سان فرانسيسكو. من المؤكد أنه يمكن الوثوق بها إلى هذا الحد. وهو وويلا يمكنهما إيجاد محطة الحافلات. لا بد أن الكلب السلوقي اكتشف ولاية وايومينغ.

وجد أمامه علبة شراب فراغ يركلها لبعض الوقت. ثم ركلها بشكل منحرف فخرجت من الطريق واستقرت فوق الأعشاب. وبينما كان يفكِّر في ما إذا كان سيلحق بها أم لا، سمع موسيقا ضعيفة؛ جيتار إيقاع وزعيق جيتار كهربائي ذي دوّاسات، وهو ما كان يبدو بالنسبة إليه دائماً مثل قطرات من الدموع، حتى في الأغنيات الفرحة.

إنها موجودة هناك، تستمع إلى تلك الموسيقا. ليس لأنه المكان الأقرب الذي يعزف الموسيقا، ولكن لأنه المكان الصحيح. كان واثقاً من

ذلك. وهكذا، ترك علبة الشراب واتجه صوب صوت الجيتار. بعد ذلك، جاء صوت قرع الطبول. وبينما كان يمشي رأى سهماً من النيون الأحمر تحت لافتة كُتب عليها الرقم 26 فقط. حسناً، لم لا؟ فهذا هو الطريق 26 في نهاية الأمر. كان الاسم منطقياً بشكل مثالي لمقهى رعاة بقر.

كان المقهى يملك ساحتين لإيقاف السيارات، واحدة أمامه مرصوفة تعجُّ بالشاحنات الصغيرة (بيك - أب) والسيارات؛ معظمها أميركية ومعظمها تبلغ من العمر خمس سنوات على الأقل. والساحة الموجودة في الجهة اليسرى كانت مفروشة بالحصى. في هذه الساحة، كانت مجموعة من الشاحنات الكبيرة المخصصة للمسافات الطويلة تقف تحت أنوار مصابيح النيون والصوديوم اللامعة بلونها الأبيض المائل إلى الزرقة. في تلك الأثناء، أصبح بوسع ديفيد سماع الإيقاع والجيتارات الرئيسة، وقراءة ما كُتب على اللافتة المعلقة فوق الباب: ليلة واحدة فقط... الخارجون عن السكة (ديليرز)... 5 دولارات الكلفة الإضافية.

الخارجون عن السكة، فكر في سرّه. حسناً، لا بد أنها وجدت المجموعة المناسبة.

كان ديفيد يملك خمسة دولارات في محفظته، لكن مدخل المشرب 26 كان فارغاً. أما وراءها فكانت هناك ساحة رقص من الخشب القاسي مزدحمة بأزواج يرقصون على أنغام موسيقا هادئة؛ معظمهم يرتدون سراويل جينز، وينتعلون جزمات رعاة بقر، ويمسكون مؤخرات بعضهم كلما غاصت الفرقة عميقاً في أغنية "أيام ضائعة وليالٍ ضائعة". كانت أغنية صاخبة وحزينة - بقدر معرفة ديفيد في الموسيقا - ومؤداة بشكل مثالي. داهمته روائح الشراب والعرَق وكولونيا بروت وعطر وال - مارت مثل لطمة في الأنف. كانت الضحكات والأحاديث - وحتى صرخة يي - هوو من الجانب البعيد من ساحة الرقص - تبدو مثل أصوات تُسمَع في كابوس تراه بشكل متكرر في كل منعطف حاسم في حياتك؛ كابوس

تكون فيه غير مستعد لامتحان هام جداً، وكابوس تكون فيه عارياً أمام الملأ، وكابوس السقوط، وكابوس تركض فيه مسرعاً نحو زاوية مغلقة في مدينة غريبة وأنت واثق بأن مصيرك يقبع في الجانب البعيد.

فكَّر ديفيد في إعادة دولاراته الخمسة إلى محفظته، لكنه بعد ذلك انحنى داخل حجرة التذاكر ورماها على الطاولة هناك، والتي كانت خالية إلا من علبة لاكي سترايك قابعة فوق كتاب ذي غلاف ورقي لدانيل ستيل. ثم دخل القاعة الرئيسة المزدحمة.

تحوَّلت فرقة "الخارجون عن السكة" إلى موسيقا أشد فرحاً، فبدأ الشبان من الراقصين يقفزون مثل أولاد في عرض لرقص البانك. وإلى يسار ديفيد، بدأ نحو دستتَيْن من الأزواج الأكبر سناً بأداء رقصة الصف. نظر ثانيةً فأدرك أنه لم يكن هناك سوى مجموعة واحدة تؤدي رقصة الصف، إذ كان الجدار البعيد عبارة عن مرآة، ما كان يجعل ساحة الرقص تبدو أكبر من حجمها الحقيقي بمقدار الضعف.

انكسرت كأس، فصاح المغني الأساسي: "أنت تدفع أيها الشريك!"، بينما كانت الفرقة تعلن عن فترة استراحتها، فهلَّل الراقصون لحذاقته الطريفة التي بدت لامعة تماماً - فكَّر ديفيد في داخله - إذا كنت تركض مسرعاً على طريق الشراب السريع.

كان المشرب على شكل حدوة حصان عُلِّق فوقه مجسَّم نيوني طبق الأصل لسلسلة ويند ريفر رينج الجبلية ملوَّن بالأحمر والأبيض والأزرق في وايومينغ، يبدو أنهم يحبون حقاً ألوانهم هنه. وهناك لافتة نيونية بألوان مشابهة مكتوب عليها: أنت هنا أيها الشريك؟ ورُسم على جانب المشرب الأيمن شعار شراب بادويزر وعلى جانبه الأيمن شعار شراب كوورز. كان عدد الأشخاص الذين ينتظرون خدمتهم أربعة، وكان هناك ثلاثة عمّال يرتدون قمصاناً بيضاء وصدرات حمراء، ويستخدمون خلاطات الكوكتيل بحركات خاطفة كما لو أنها مسدسات.

كان المكان فسيحاً جداً – لا بد أنه كان يحوي خمسمائة شخص – لكنه لم يكن قلقاً قطّ بشأن إيجاد ويلا. قوايَ السحرية تعمل، قال ديفيد لنفسه بينما كان يقطع إحدى زوايا ساحة الرقص. بدا وكأنه كان يرقص هو نفسه أيضاً أثناء تجنبه عدداً من الرجال والنساء من رعاة البقر الذين يدورون حول بعضهم بحركات راقصة.

بعد ساحة الرقص، كانت هناك صالة جلوس مظلمة ومقسّمة إلى مقصورات صغيرة ذات مساند ظهر عالية، معظمها كانت تحتشد بمجموعات مكونة من أربعة أشخاص؛ غالباً مع إبريق أو اثنين لتزويدهم بالشراب. كانت انعكاساتهم على المرآة تحوّل كل مجموعة رباعية إلى مجموعة من ثمانية أشخاص. واحدة فقط من تلك المقصورات لم تكن ممتلئة. كانت ويلا جالسة وحدها، مرتدية ثوباً عالي الرقبة مزركشاً بالزهور جعلها تبدو غريبة عن المكان الذي يعج بسراويل وتنانير مصنوعة من الجينز وقمصان ذات أزرار لؤلؤية. كما أنها لم تطلب لنفسها أي شيء تشربه أو تأكله. كانت الطاولة خالية تماماً.

لم تره في البداية. كانت تراقب الراقصين. كان لونها مشرقاً مع غمازتين عميقتين على جانبي فمها. كانت تبدو غريبة كلياً عن ذلك المكان، لكنه لم يشعر نحوها بحب يفوق الحب الذي أحسّه في تلك اللحظة. تلك هي ويلا عندما تكون على وشك الابتسام.

"هاي، ديفيد". قالت بينما كان يجلس بجانبها. "تمنيت أن تأتي. وظننت أنك ستفعل. أليست الفرقة رائعة؟ إنهم صاخبون جداًا". اضطرت تقريباً للصراخ كي يسمعها، لكنه لاحظ بوضوح أنها كانت مستمتعة بذلك أيضاً. ثم عادت لتنظر مجدداً إلى الراقصين.

قال ديفيد: "إنهم ممتازون". وكانوا كذلك بالفعل. لقد أحس بأنه يتفاعل معهم رغم القلق الذي عاد إليه. فبعد أن وجدها، أحس بالقلق مجدداً من تفويت ذلك القطار الخاص اللعين. "المغني الأساسي يبدو

مثل باك أوينز".

نظرت إليه مبتسمة: "صحيح؟ من يكون باك أوينز؟".

"ليس مهماً. علينا العودة إلى المحطة. أعني، ما لم تكوني راغبةً بالبقاء هنا ليوم آخر".

"ربما هذا ليس سيئاً تماماً. يعجبني هذا المكان. أوووه. احذرا".

طارت كأس بشكل مقوَّس عبر ساحة الرقص، متلألئة لبرهة باللونين الأخضر والذهبي تحت المؤثرات الضوئية للمسرح، ثم تحطمت في مكان ما بعيد عن نطاق النظر. علت الهتافات وبعض التصفيق؛ ويلا أيضاً كانت تصفق. شاهد ديفيد رجلين مفتولي العضلات، كُتِبَت على قميصيهما قصيري الأكمام كلمتا "أمن" و"سكينة" يتجهان نحو المكان الذي أُطلق منه الصاروخ.

"هذا واحد من الأماكن التي يمكنك الاعتماد فيها على رؤية أربعة عراكات بالقبضات في ساحة إيقاف السيارات قبل الحادية عشرة ليلاً، وغالباً شجار حر للجميع في الداخل قبل العرض الأخير".

ضحكت مشيرةً إليه بإبهاميها وسبابتيها مثل مسدسين، وقال: "جميل! أريد أن أشاهد ذلك!".

"وأنا أريد أن نعود. إذا أردت الذهاب إلى نادٍ ليلي في سان فرانسيسكو، فسآخذك. هذا وعد".

مطَّت شفتها السفلى إلى الأمام، وأعادت شعرها الأشقر الرملي إلى الخلف بحركة سريعة، ثم قالت: "لن يكون الأمر مشابهاً. وأنت تعرف ذلك. في سان فرانسيسكو، إنهم ربما يشربون... لا أعرف... شراباً نباتياً".

هذا الكلام جعله يضحك. مثل فكرة مصرفي استثمار يُدعى مخيف الذئاب، كانت فكرة الشراب النباتي غنية. لكن القلق كان موجوداً تحت الضحكة. في الواقع، هل كان يُغذّي الضحكة؟

قال المغني الأساسي وهو يمسح جبينه: "سوف نأخذ استراحة

قصيرة ثم نعود. اشربوا جميعاً الآن. وتذكّروا أنا توني فيلانوفا، ونحن ديليريلز [الخارجون عن السكة]".

"هذه إشارة لنا كي نخرج من هنا". قال ديفيد وأمسك بيدها ودار ليخرج من المقصورة، لكنها بقيت في مكانها، دون أن تترك يده أيضاً. فعاد ليجلس مجدداً؛ شاعراً بشيء من الخوف. عرف في تلك اللحظة كيف تشعر السمكة عندما تدرك أنها لا تستطيع التخلص من الخطّاف المتين، وأنه مقدَّرٌ لها أن تصعد إلى الضفة حيث ستقلب قلبتها الأخيرة. كانت تنظر إليه بعينيها الزرقاوين القاتلتين مع غمازتيها العميقتين. ويلا على وشك الابتسام، زوجته المستقبلية التي تقرأ الروايات في الصباح والشعر في الليل وتعتقد أن الأخبار التلفزيونية... ماذا كانت تسميها؟ أشياء عابرة.

"انظرْ إلينا"، قالت ثم أدارت رأسها.

نظر إلى المرآة الجدارية على يسارهما فرأى زوجاً جميلاً من الساحل الشرقي، عالقاً في وابومينغ. بثوبها الوردي، كانت تبدو أجمل منه، لكنه خمَّن أنها ستكون كذلك على الدوام. أشاح ببصره عن ويلا في المرآة لينظر إلى ويلا الحقيقية رافعاً حاجبيه.

قالت: "لا. انظرْ مرة أخرى". كانت الغمازتان لا تزالان ظاهرتين، لكنها كانت جدّية الآن؛ جدية بقدر استطاعتها في ذلك الجو الاحتفالي. "وفكّرْ في ما قلته لك".

كان على وشك أن يقول لها - أخبرتني الكثير من الأشياء وأنا أفكّر فيها جميعاً - لكنه كلام عشاق؛ عذب وبدون معنى. نظر مجدداً، بتمعُّن هذه المرة، لكنه لم يرَ أحداً في المرآة. كان ينظر إلى المقصورة الفارغة الوحيدة في المقهى 26. التفت إلى ويلا مذهولاً.

"ألم تتساءل كيف يمكن لأنثى جميلة أن تكون هنا وحدها في هذا المكان الهائج؟".

هز رأسه نافياً. ثمة أشياء قليلة لم يتساءل بشأنها، على الأقل حتى ذلك الحين. مثل، متى كانت آخر مرة تناول فيها شيئاً من الطعام أو الشراب؟ أو ما كانت الساعة في تلك اللحظة؟ أو متى كان الوقت نهاراً؟ بل إنه لم يكن يعرف بالضبط ما حدث لهما. كان يعرف فقط أن "القبطان الشمالي" خرج عن السكة الحديدية، وأنهما موجودان هنا الآن، بالصدفة، ويستمعان لفرقة موسيقية ريفية غربية تُدعى –

قال: "ركلت علبة... في طريقي إلى هنا ركلت علبة".

"أجل. ورأيتنا في المرآة عندما نظرت لأول مرة، أليس كذلك؟ الملاحظة ليست كل شيء، وإنّما الملاحظة والتوقُّع معاً". غمزته بعينها ثم انحنت مقتربة منه. انضغط صدرها على الجزء الأعلى من ذراعه بينما كانت تقبّل وجنته، وكان الشعور جميلاً؛ حتماً إنه شعور حي. "مسكين يا ديفيد. أنا آسفة. لكنك كنت شجاعاً لتاتي. لم أعتقد حقاً أنك ستفعل ذلك، هذه هي الحقيقة".

"ينبغي علينا أن نعود ونخبر الآخرين".

زمّت شفتيها وقالت: "لماذا؟".

"لأن –".

كان هناك رجلان يعتمران قبعتي رعاة بقر يقودان امرأتين ضاحكتين ترتديان سروالين من الجينز وقميصين غربيي الطراز نحو المقصورة. عندما اقتربوا منهما، ظهر على وجوههم جميعاً ملامح الحيرة نفسها – ليس خوفاً تماماً – ثم قفلوا راجعين إلى المشرب. إنهم يشعرون بنا؟ فكّر ديفيد في داخله.

"لأنه الشيء الصحيح الذي ينبغي علينا فعله".

ضحكت ويلا بشيء من السأم ثم قالت: "إنك تذكّرني بالرجل العجوز الذي كان يبيع الشوفان المجروش في التلفزيون".

"حبيبتي، إنهم يعتقدون أننا ننتظر قطاراً ليأتي ويقلّنا".

"حسناً، ربما هناك قطار!". صُدم من قوتها المفاجئة. "لعله القطار الذي يغنّون عنه دائماً، قطار الحقيقة، القطار المتجه إلى المجد، القطار الذي لا يحمل أي متسكعين ليليين...".

"لا أظن أن أمتراك يسير إلى السماء". كان يأمل أن يدفعها للضحك بقوله هذا، لكنها نظرت إلى يديها بتجهُّم تقريباً. عندئذ انتابه حدس مفاجئ، فقال: "هل هناك شيء آخر تعرفينه؟ شيء يجب أن نخبرهم به؟ يوجد شيء ما، أليس كذلك؟".

"لا أعرف لماذا ينبغي علينا أن نكترث في حين أنه يمكننا ببساطة البقاء هنا". قالت بنبرة فيها شيء من الوقاحة. ويلا هذه جديدة عليه تماماً. "قد تكون قصير النظر قليلاً يا ديفيد، لكنك أثبت على الأقل. أنا أحبك من أجل هذا". قبّلته ثانيةً.

قال: "يوجد ذئب أيضاً. صفّقت بيدي ففزع وهرب. إنني أفكّر في تغيير اسمي إلى مخيف الذئاب".

حدّقت إليه لبرهة بفم مفتوح، ما أتاح لديفيد بعض الوقت للتفكير: كان علي الانتظار حتى نموت كي أدهش المرأة التي أحب. ثم رمت نفسها على مسند الظهر المبطّن وانفجرت ضاحكةً. أسقطت نادلة تَصادفَ مرورها بجانبهما صينية ممتلئة بعلب الشراب، فأصدر ارتطامها بالأرض قعقعة عالية، وراحت تشتم بألفاظ نابية.

صاحت ويلا: "مخيف الذئاب! أريد أن أدعوك بهذا الاسم في الفراش! أوه، أوه يا مخيف الذئاب، أنت ضخم جداً! أنت مشعر جداً!".

كانت النادلة تنظر إلى الفوضى المزبدة أسفلها، ولا تزال تشتم مثل بحار في إجازة على اليابسة. لكنها بقيت بعيدة عن تلك المقصورة الفارغة الوحيدة.

قال ديفيد: "هل تعتقدين أننا ما زلنا قادرين على فعل ذلك؟ أعني القيام بعلاقة حميمة؟".

مسحت ويلا عينيها الدامعتين وقالت: "الملاحظة والتوقع، تذكَّر. معاً يمكنهما نقل الجبال". أخذت يده مجدداً. "ما زلت أحبك، وأنت ما زلت تحبني، أليس كذلك؟".

"ألستُ مخيف الذئاب؟". كان بوسعه المزاح، لأنه في داخله لم يكن يصدق أنه ميت. نظر إلى المرآة فشاهد صورتيهما منعكستين عليها، وبعد ذلك شاهد نفسه فقط. كانت يده غير ممسكة بشيء. ثم اختفيا تماماً؛ كلاهما. مع ذلك... كان لا يزال يتنفس ويشم رائحة الشراب والعطر.

جاء مساعد نادل من مكان ما، وكان يساعد النادلة في تنظيف الفوضى. سمع ديفيد النادلة تقول: "شعرت كما لو أنني تعثَّرت". هل هذه هي الأشياء التي تسمعها في ما بعد الحياة؟

قالت ويلا: "أظن أنني سأعود معك، لكنني لن أبقى في تلك المحطة المملة، مع أولئك الأشخاص المملين بوجود هذا المكان".

"حسناً".

"من هو باك أوينز؟".

"سأخبرك عنه، وعن روي كلارك أيضاً. ولكن، أخبريني أولاً ماذا تعرفين غير ذلك؟".

"معظمهم لا أكترث لهم، باستثناء هنري لاندر. إنه لطيف، وكذلك زوجته".

"فيل بالمر ليس سيئاً أيضاً".

غضَّنت أنفها وقالت: "فيل الممل".

"ماذا تعرفين يا ويلا؟".

"سوف ترى بنفسك، إذا نظرتَ حقاً".

"ألن يكون الأمر أبسط، إذا قل -".

من الواضح أنها لن تفعل. رفعت نفسها إلى أن لامس فخذاها

الطاولة، وأشارت بيدها قائلةً: "انظر! الفرقة تعود!".

كان القمر لا يزال في منتصف السماء عندما كان ديفيد وويلا يمشيان على الطريق راجعين، متشابكي اليدين. لم يكن ديفيد يعرف كيف يمكن لذلك أن يحدث – لقد بقيا هناك واستمعا لأغنيتين من المجموعة التالية – لكنه كان لا يزال هناك يجوب السماء السوداء المزركشة بنجوم متلألئة. كان الأمر محيِّراً. ولكن، كان هناك ما يحيِّره أكثر من هذا.

"ويلا، في أي عام نحن؟".

فكَّرتْ في الأمر قليلاً. كانت الريح تُطيِّر ثوبها كما تفعل مع ثوب أي امرأة حية. "لا أذكر بالضبط... أليس هذا غريباً".

"بالنظر إلى أنني لا أستطيع أن أتذكر آخر مرة أكلت فيها وجبة ما أو شربت فيها كأساً من الماء، ليس غريباً جداً. إذا توجَّب عليك التخمين، فماذا ستقولين؟ بسرعة، بدون تفكير".

"عام ألف وتسعمائة... وثمانية وثمانين؟".

أومأ رأسه موافقاً. كان سيقول 1987 لو كان السؤال موجَّهاً له. "كانت هناك فتاة ترتدي قميصاً قصير الكمَّيْن كُتِبت عليه عبارة مدرسة كراوهارت سبرينغس الثانوية، الصف 03. فإذا كانت كبيرة بما يكفي لتتواجد في مقهى على الطريق خارج البلدة –".

"فإن 03 لا بد أنها تعني منذ ثلاث سنوات على الأقل".

"هذا ما كنت أفكّر فيه"، صمت قليلاً ثم أضاف، "لا يمكن أن يكون 2006، ويلا، أليس كذلك؟ أعني القرن الواحد والعشرين؟".

قبل أن تتمكن من الإجابة، سمعا صوت وقع حوافر على الأسفلت "كليك – كليك – كليك". هذه المرة كانت لأكثر من حيوان واحد؛ هذه المرة كانت هناك أربعة ذئاب تمشي خلفهما على الطريق العام. كان الأضخم فيها – الذي يقف أمام البقية – هو الذئب الذي صادفه ديفيد أثناء

قدومه إلى كراوهارت سبرينغس. كان قادراً على تميز ذلك الفرو الأسود الكثّ في أي مكان. كانت عيناه أشد لمعاناً الآن، وكان هناك نصف بدر يطوف في كل عين منهما مثل مصباح مغمور بالمياه.

صاحت ويلا بشيء من الإثارة: "إنها ترانا! ديفيد، إنها ترانا!". نزلت على ركبة واحدة فوق خط العبور السريع المتقطع باللون الأبيض، وأصدرت صوتاً يشبه الصوت الذي يستخدمه رعاة الماشية عند سوق قطعانهم، ثم قالت: "هنا، هنا! تعال يا فتى!".

"ويلا، لا أعتقد أنها فكرة حسنة".

لم تعره انتباهاً؛ واحدة من صفات ويلا الطبيعية. كانت ويلا تملك أفكاراً خاصة بها حول الأشياء. فهي التي أرادت السفر من شيكاغو إلى سان فرانسيسكو بالقطار لأنها - حسبما قالت - كانت تريد أن تعرف ما هو شعور المرء عند القيام بعلاقة حميمة في القطار؛ وخصوصاً إذا كان القطار سريعاً ويهتز قليلاً.

"تعال، أيها الفتى الضخم، تعال إلى أمك!".

جاء الذئب الرمادي، ولحقته زوجته وجرواهما. وما إن مدَّ خطمه (وكل تلك الأسنان اللامعة) نحو اليد النحيلة الممتدة حتى ملأ نور القمر كامل عينيه لوهلة، محولاً إياهما إلى اللون الفضي. ولكن، قبل أن يلمس خطمه يدها، أطلق الذئب سلسلة من العواءات الثاقبة، وقذف نفسه إلى الخلف بشدة؛ لدرجة أنه وقف للحظة على قائمتيه الخلفيتين لاكماً الهواء بمخالبه الأمامية، وظهر الفرو الأبيض الذي يغطي بطنه. وتفرّق البقية. ثم نفّذ الذئب الكبير الثقافة في الهواء، وراح يركض إلى الأرض المعشوشبة على يمين الطريق، وهو يلفّ ذيله، ودون أن يوقف عواءه. ولحقته بقية الذئاب.

وقفت ويلا ونظرت إلى ديفيد بحزن شديد فطر قلبه، فنظر إلى الأرض. ثم قالت: "ألهذا السبب أخرجتني إلى الظلمة في حين أنني كنت

أستمع إلى الموسيقا؟ لتريني ما أنا عليه الآن؟ وكأنني لم أكن أعلم!".

"ويلا، أنا آسف".

"ليس بعد، لكنك ستكون كذلك". أخذت يده مجدداً. "تعال يا ديفيد".

نظر إليها وقال: "ألست غاضبة مني؟".

"قليلاً، لكنك كل ما أملكه الآن، وأنا لن أدعك تذهب".

بعد فترة قصيرة من رؤية الذئاب، شاهد ديفيد علبة بادويزر مستلقية على قارعة الطريق. كان واثقاً تقريباً من أنها العلبة نفسها التي ركلها أمامه إلى أن انحرفت وخرجت عن الطريق. ها هي من جديد، في وضعيتها الأصلية نفسها... لأنه لم يركلها على الإطلاق، بالطبع. الملاحظة ليست كل شيء - هذا ما قالته ويلا - وإنّما الملاحظة والتوقع معاً.

ركل العلبة خارج الطريق، وعندما اجتازا تلك البقعة، نظر وراءه فرآها مستلقية في مكانها حيث شاهدها أول مرة؛ منذ أن رماها راعي بقر ما من نافذة شاحنته الصغيرة؛ ربما أثناء توجهه إلى المقهى 26. تذكَّر أنه في برنامج هي هو - ذلك البرنامج القديم من بطولة باك أوينز وروي كلارك - كانوا يسمّون الشاحنة الصغيرة كاديلاك راعي البقر.

"لماذا تبتسم؟". سألته ويلا.

"سأخبرك لاحقاً. يبدو أنه سيكون لدينا الكثير من الوقت".

وقفا خارج محطة قطار كراوهارت سبرينغس متشابكي اليدين في ضوء القمر مثل هانسل وجريتيل خارج منزل السكاكر. بالنسبة إلى ديفيد، كان الطلاء الأخضر للمبنى الطولاني يبدو رمادياً في ضوء القمر، ورغم أنه كان يعرف أن كلمات "وايومينغ" و"ولاية المساواة" كانت مطبوعة بالأحمر والأبيض والأزرق، إلا أنها لم تكن تبدو كذلك على الإطلاق. لاحظ صفحة من الورق مغلَّفة بالبلاستيك لحمايتها من عناصر الطبيعة،

مثبتة على أحد الأعمدة على جانب السلّم العريض الذي يؤدي إلى الأبواب الدوّارة. كان فيل بالمر لا يزال مستنداً هناك.

قال بالمر: "مرحباً يا صاحبي، هل لديك عقب سيجارة؟".

أجابه ديفيد: "لم أمرّ بجانب أي مخزن".

قال بالمر: "ألم يكونوا يبيعون السجائر حيث كنت يا حلوة؟". كان بالمر من الرجال الذين يدعون أي امرأة في عمر معين "يا حلوة".

أجابته ويلا: "أعرف أنهم كانوا يبيعون السجائر، لكنني كنت سأقع في مشكلة إن حاولت شراءها".

"أتريدين أن تقولي لي السبب يا حلوة".

"لماذا برأيك؟".

لكن بالمر شبك ذراعيه فوق صدره ولم يقل شيئاً. من مكان ما في الداخل، صاحت زوجته: "لدينا سمك على العشاء! أولاً شيء واحد ثم آخر! أكره رائحة هذا المكان! إنها شبيهة برائحة بسكويت مملح!".

قال ديفيد: "نحن أموات يا فيل. هذا هو السبب. الأشباح لا يمكنها شراء السجائر".

نظر بالمر إليه لعدة ثوانٍ، وقبل أن يضحك، لاحظ ديفيد أنه كان يعرف ذلك منذ وقت طويل: "لقد سمعت الكثير من الأسباب لعدم إحضار شيء طلبه شخص ما، لكنني أظن أن هذا يفوز بالجائزة".

"فيل –".

من الداخل: "سمك على العشاء! اللعنة!".

قال بالمر: "اعذراني أيها الولدان. إنه نداء الواجب". ودخل إلى المبنى. التفت ديفيد إلى ويلا، معتقداً أنها ستسأله عما كان يتوقعه غير ذلك، لكنه وجدها تنظر إلى الإعلان الموضوع على جانب السلّم.

قالت: "انظر إلى ذلك. قل لي ماذا ترى؟".

في البداية لم يرَ شيئاً؛ لأن القمر كان يعكس ضوءه على البلاستيك

الحامي. اقترب خطوة، ثم واحدة إلى اليسار؛ مزيحاً ويلا من طريقه كي يتمكن من فعل ذلك.

"في الأعلى مكتوب: ممنوع الإغواء بأمر من شريف مقاطعة سبليت، ثم بخط دقيق - إلخ، إلخ، إلخ - وفي الأسفل -".

وكزته ويلا بمرفقها بقوة، ثم قالت: "توقف عن العبث وانظر إليها يا ديفيد. لا أريد أن أبقى هنا طوال الليل".

التفت بعيداً عن المحطة وحدّق إلى السكة الحديدية اللامعة في ضوء القمر. خلفها، كانت هناك صخرة بيضاء ذات قمة مسطحة؛ إنها تلة صخرية مسطحة، أيها الشريك، كما في أفلام جون فورد القديمة.

نظر مرة أخرى إلى الإعلان، وتساءل كيف أخطأ في قراءة كلمة تجاوز فقرأها إغواء. مصرفي استثمار كبير مثل مخيف الذئاب ساندرسون يرتكب هذا الخطأ!

قال ديفيد: "الإعلان يقول ممنوع التجاوز بأمر من شريف مقاطعة سبليت".

"جيد جداً. وتحت إلخ - إلخ - إلخ، ماذا هناك؟".

في البداية، لم يتمكن من قراءة السطرين السفليين على الإطلاق، لأنهما كانا أشبه برموز غير مفهومة، ربما لأن عقله - الذي لم يكن يريد تصديق أي من هذا - لم يتمكن من إيجاد ترجمة غير مسيئة. لذا التفت إلى السكة الحديدية مرة أخرى ولم يندهش تماماً لدى رؤيته أنها لم تعد لامعة في ضوء القمر، بل كانت صدئة والأعشاب نامية بين عوارضها الخشبية. وعندما التفت مجدداً وجد المحطة مكاناً مهجوراً خرباً نوافذه مغطاة بقطع من الخشب، ومعظم ألواح السقف منزوعة. واختفت عبارة "منطقة عدم وقوف سيارات الأجرة" من الأسفلت الذي كان متداعياً ومليئاً بالحفر. كان لا يزال قادراً على رؤية "وايومينغ" و"ولاية المساواة" على جانب المبنى، لكن الكلمات أصبحت مثل أشباح حينئذ.

مثلاً، فكّر ديفيد في داخله.

قالت ويلا: "تابع". ويلا التي تملك أفكاراً خاصة بها حول الأشياء، ويلا التي كانت ترى ما هو موجود أمام عينيها وتريدك أن ترى أيضاً، حتى لو كانت رؤيتها قاسية. "هذا امتحانك الأخير. اقرأ ذينك السطرين في الأسفل، وبعدها يمكننا الذهاب إلى ذلك الاستعراض على الطريق".

تنهّد ثم قال: "هذا العقار مصادر. حُدِّد الهدم في حزيران ٢٠٠٦".

"إنك تنال علامة أ. والآن دعنا نذهب لنرى إذا كان هناك من يريد مرافقتنا إلى البلدة والاستماع إلى الخارجين عن الطريق. سأطلب من بالمر أن ينظر إلى الجانب المضيء؛ صحيح أننا لا نستطيع شراء السجائر، ولكن بالنسبة إلى أشخاص مثلنا ليست هناك كلفة إضافية".

ولكن، لم يكن هناك من يريد الذهاب إلى البلدة.

سألت روث لاندر ديفيد: "ماذا تعني؟ إننا أموات! لماذا تريد أن تقول أمراً مريعاً كهذا؟". ما قتله (إذا جاز التعبير) ليس نبرة العتاب في صوتها، وإنما تلك النظرة في عينيها قبل أن تضع رأسها على كتف سترة هنري القطنية. لأنها هي أيضاً كانت تعرف.

قال ديفيد: "روث، إنني لا أقول لك ذلك كي أزعجك –".

صاحت بصوت مختنق: "إذاً توقف!".

رأى ديفيد أن الجميع باستثناء هيلين كانوا ينظرون إليه بغضب وعدائية. كانت هيلين تهز برأسها وتتمتم بين زوجها وامرأة راينهارت التي كان اسمها الأول سالي – ربما. كانوا يقفون تحت أضواء النيون المشعة في مجموعات صغيرة، لكن هذه الأضواء المشعة اختفت عندما رمش بعينيه. حينئذ أصبح المسافرون المنتظرون مجرد شخصيات باهتة تقف في ضوء القمر المتكسِّر الذي نجح في التسلل من النوافذ المغطاة بالألواح الخشبية. لم يكن هنري لاندر وزوجته يجلسان على مقعد، بل

كانا جالسين على أرض مغبرَّة بالقرب من مجموعة صغيرة من قوارير الكوكايين الزجاجية الفارغة - أجل، يبدو أن الكوكايين تمكَّن من إيجاد طريقه حتى إلى بلد جون فورد - وكانت هناك دائرة باهتة على أحد الجدران ليست بعيدة عن الزاوية حيث كانت هيلين تقرفص وتتمتم. بعد ذلك، رمش ديفيد بعينيه فعادت أضواء النيون المشعة، وكذلك الساعة الكبيرة، التي كانت تحجب تلك الدائرة الباهتة.

قال هنري لاندر: "أعتقد أنه من الأفضل لكما أن تذهبا الآن يا ديفيد".

قالت ويلا: "أصغِ إلي لدقيقة يا هنري".

التفت هنري إليها، فرأى ديفيد بسهولة الكره في ملامحه. أي إعجاب كان هنري يكنُّه لويلا ذات يوم اختفى في تلك اللحظات.

"لا أريد أن أصغي. إنك تزعجين زوجتي".

"صحيح". قال شاب سمين يعتمر قبعة كُتب عليها بحارة سياتل. كان ديفيد يعتقد أن اسمه أوكيي؛ وهو اسم إيرلندي فيه تلك الفاصلة العليا، في كل الأحوال. "اسكتي أيتها الفتاة!".

انحنت ويلا نحو هنري، فتراجع مبتعداً عنها قليلاً، كما لو كانت رائحة نَفَسها بشعة. "السبب الوحيد وراء سماحي لديفيد بإعادتي إلى هنا هو أنهم سيدمرون هذا المكان! هل يمكنك أن تقول كرة الهدم الحديدية يا هنري؟ من المؤكد أنك ذكي بما يكفي لكي يستوعب عقلك هذه الفكرة".

صاحت روث بصوت مختنق: "اجعلها تسكت!".

اقتربت ويلا أكثر. كانت عيناها تشعَّان في وجهها الصغير الجميل. "وعندما تغادر كرة الهدم الحديدية وتنقل الشاحنات الحطام الذي كان في السابق محطة القطار هذه - محطة القطار القديمة هذه - أين ستكونون؟".

قال هنري: "دعينا وشأننا من فضلك".

"هنري، كما قالت فتاة الكورس لكبير رجال الدين: الإنكار ليس نهراً في مصر".

تقدَّمت أورسولا ديفيس التي كانت تكره ويلا منذ البداية، ثم قالت: "اغربي عن وجوهنا أيتها الساقطة المزعجة".

دارت ويلا حول نفسها قائلةً: "ألا يفهم أحد منكم الأمر؟ أنتم أموات، جميعنا أموات. وكلما طال بقاؤكم في مكان واحد، صعُب عليكم الذهاب إلى مكان آخر!".

قال ديفيد: "إنها على حق".

"صحيح. وإذا قالت إن القمر جبن، فهل ستقول بروفولوني [نوع من الجبن الإيطالي المدخَّن]". قالت أورسولا، وهي في الأربعينيات من عمرها، وطويلة القامة وجميلة بصورة عدائية. "اعذرْ فظاظتي، لكنها سيطرة عليك حيث لم يعد الأمر مضحكاً".

أطلق دادلي ضحكته الباغتة مجدداً، وبدأت امرأة راينهارت تشهق.

"أنتما تزعجان المسافرين أيها الاثنان". كان هذا راتنر، جامع التذاكر قصير القامة ذو الوجه الاعتذاري الذي لم يكن يتكلم إلا نادراً. رمش ديفيد مجدداً فغابت أضواء النيون المشعة، وأصبحت المحطة مضاءة بوهج القمر لوهلة أخرى، ووجد أن نصف رأس راتنر قد اختفى، فيما تحول نصفه الآخر إلى لون أسود فاحم.

صاحت ويلا: "إنهم سيهدمون هذا المكان، ولن يكون لديكم مكان آخر لتذهبوا إليه! اللعنة... ولا أي مكان!". مسحت دموعاً غاضبة على خديها بقبضتي يديها. "لماذا لا تأتون إلى البلدة معنا؟ سنريكم الطريق. على الأقل، هناك أناس... وأضواء... وموسيقا".

قالت بامي أندرسون: "ماما، أريد أن أسمع بعض الموسيقا".

قالت أمها: "هشش".

قال بيجرز: "لو كنا موتى لعرفنا".

"لقد أوقع بك يا بني". قال دادلي غامزاً ديفيد بعينه. "ماذا حدث لنا؟ كيف متنا؟".

قال ديفيد: "أنا... لا أعرف". ثم نظر إلى ويلا فرفعت كتفيها وهزت رأسها.

قال راتر: "أترون؟ إنه خروج عن السكة. هذا يحدث... حسناً، كنت سأقول دائماً، ولكن هذا غير صحيح؛ حتى هنا حيث نظام السكك الحديدية بحاجة لقدر كبير من العمل، ولكن بين الحين والآخر، في إحدى نقاط الوصل –".

قالت بامي: "لقد سقطنا إلى الأسفل". نظر ديفيد إليها. نظر بإمعان، فشاهد جثة صلعاء محترقة تلبس خرقة باقية من ثوب متعفن. "إلى الأسفل والأسفل والأسفل. ثم –" ضمّت يديها الصغيرتين الوسختين معاً، ثم نفضتهما إلى الأعلى والجانبين مع صوت مدوٍّ هادر من فمها، في إشارة يقوم بها أي طفل للدلالة على حدوث انفجار.

بدت وكأنها كانت تريد أن تقول شيئاً آخر، ولكن قبل أن تتمكن من فعل ذلك، صفعتها أمها على وجهها بقوة كافية لإظهار أسنانها في تكشيرة وجيزة وإخراج البصاق من زاوية فمها. حدّقت بامي قليلاً إلى أمها غير مصدّقة، ثم انفجرت في بكاء رتيب أشد إيلاماً حتى من أنشودتها التي كانت تغنيها وهي تلعب لعبة المربعات.

"ماذا نعرف عن الكذب يا باميلا؟". صاحت جورجيا أندرسون وهي تمسك بالطفلة من أعلى ذراعها، فانغرست أصابعها في لحم الفتاة لدرجة أنها كادت أن تختفي.

قالت ويلا: "إنها لا تكذب! لقد خرجنا عن السكة وسقطنا في الوادي! أنا أتذكر الآن، وأنتم كذلك! أليس هذا صحيحاً؟ هذا بادٍ على وجوهكم! على وجوهكم اللعينة!".

دون أن تنظر إلى ناحيتها، رفعت جورجيا أندرسون إصبعها الوسطى

في وجه ويلا. وهزت يدها الأخرى بامي إلى الأمام والخلف. رأى ديفيد طفلة تميل إلى جهة، وجثة محترقة تميل إلى الجهة الأخرى. ما الذي احترق؟ تذكَّر في تلك اللحظة السقوط، ولكن ما الذي احترق؟ لم يستطع التذكُّر، ربما لأنه لم يكن يريد ذلك.

صرّحت جورجيا أندرسون: "ما الذي نعرفه عن الكذب؟".

تمتمت الطفلة وهي تبكي: "إنه خطأ يا ماما!".

جرّتها الأم إلى الظلام والطفلة لا تزال تبكي بشكل رتيب.

ساد الصمت لوهلة بعد غيابهما - الجميع كانوا يصغون للطفلة وهي تُجَرُّ إلى المنفى - ثم التفتت ويلا إلى ديفيد وقالت: "هل اكتفيت؟".

"أجل. لنذهب".

"لا تدعا قبضة الباب تجمعكما". نصحهما بيجرز بسرور مجنون، وضحك دادلي بصوت عالٍ.

ترك ديفيد ويلا تقوده نحو الباب المزدوج، حيث كان فيل لا يزال مستنداً إلى إحدى عارضتيه شابكاً ذراعيه على صدره. أفلت ديفيد يده من يد ويلا وتوجّه إلى هيلين بالمر التي كانت تجلس في الزاوية، وتهز نفسها إلى الأمام والخلف. رفعت عينيها، ونظرت إليه بعينين مظلمتين محتارتين وقالت بصوت أعلى من الهمس بقليل: "لدينا سمك على العشاء".

"لا أعرف بشأن ذلك، لكنك كنت محقة بشأن رائحة المكان؛ بسكويت مملح قديم قدر". التفت إلى الخلف فرأى الباقين جميعاً ينظرون إليه وإلى ويلا في ضوء القمر الباهت الذي كان يمكن أن يكون ضوء نيون مشع إذا كنت تريد ذلك بشدة كافية. "إنها الرائحة التي تفوح من الأمكنة عندما تُغلَق لمدة طويلة، كما أظن".

قال فيل بالمر: "من الأفضل لك أن ترحل من هنا يا ابن العم. لا احد يريد أن يشتري ما تبيعه".

"ألا تظنني أعرف ذلك؟". قال ديفيد، ثم لحق بويلا إلى الظلام

المُنار بضوء القمر. من خلفه، مثل همس ريح حزينة، سمع هيلين بالمر تقول: "أولاً، شيء واحد، ثم آخر".

بعودتهما إلى المقهى 26 تكون المسافة التي قطعاها في تلك الليلة تسعة أميال، بيد أن ديفيد لم يكن متعباً على الإطلاق. افترض أن الأشباح لا تتعب، مثلما لا تجوع أو تعطش. وعلاوة على ذلك، كانت الليلة مختلفة، حيث كان القمر بدراً كاملاً حينئذ، يشع مثل دولار فضي في كبد السماء. كانت ساحة إيقاف السيارات الواقعة أمام المقهى 26 فارغة، في حين كانت الساحة الجانبية المفروشة بالحصى تضم بضع شاحنات واقفة بصمت، وواحدة تهدر بنعاس ومصابيحها الليلية متوهجة. كُتب على اللافتة الموضوعة على المدخل هذه المرة: عطلة نهاية الأسبوع القادمة صقور الليل اجلب حبيبتك اصرف نقودك.

قالت ويلا: "هذا ظريف. هل ستجلبني يا مخيف الذئاب؟ ألست حبيبتك؟".

"أجل أنت حبيبتي وسأجلبك. السؤال هو ماذا نفعل الآن؟ لأن المقهى مغلق".

"سندخل على أي حال، بالطبع".

"سيكون الباب مقفلاً".

"ليس إذا كنا لا نريده أن يكون مقفلاً. الملاحظة، أتذكر؟ الملاحظة والتوقع".

تذكّر بالفعل، وعندما حاول فتح الباب، انفتح. كانت رائحة غرفة المقهى لا تزال عالقة، لكنها مختلطة الآن مع رائحة لطيفة لمنظف بعطر الصنوبر. كان المسرح فارغاً، والكراسي موضوعة على المشرب وقوائمها بارزة نحو الأعلى، لكن المجسّم النيوني لسلسلة ويند ريفر رينج الجبلية كان لا يزال مضاءً؛ إما لأن الإدارة تركته على هذا الحال أو لأن ويلا

وديفيد كانا يريدانه كذلك. والاحتمال الأخير بدا مرجحاً أكثر. كانت ساحة الرقص الفارغة تبدو واسعة جداً، وخاصة بوجود المرآة الجدارية التي ضاعفت مساحتها.

أخذت ويلا نفساً عميقاً ثم قالت: "أشم رائحة الشراب والعطر. رائحة قوية جداً. إنها جميلة".

"أنت جميلة".

التفتت إليه وقالت: "فلتقبّلني إذاً يا راعي البقر".

قبّلها هناك على حافة ساحة الرقص. تبعاً لما كان يشعر به، فإن العلاقة الحميمة لم تكن مستبعدة على الإطلاق.

قبّلته على جانبيْ فمه ثم تراجعت خطوة وقالت: "ضع ربع دولار في جهاز الموسيقا من فضلك. أريد أن أرقص".

توجّه ديفيد إلى جهاز الموسيقى، ثم وضع ربعاً واختار D19، أيام ضائعة وليالٍ ضائعة، نسخة فريدي فيندر. في الخارج، في ساحة إيقاف السيارات، رفع تشيستر داوسون - الذي كان قد قرر النوم هناك عدة ساعات قبل استئناف رحلته إلى سياتل - رأسه معتقداً أنه سمع موسيقا، لكنه قال لنفسه إن ذلك كان جزءاً من حلم كان يراه، وعاد للنوم مجدداً.

رقص ديفيد وويلا على مهل فوق ساحة الرقص الفارغة. تارةً كانا يظهران في المرآة وتارةً لا.

"ويلا -".

"اسكت قليلاً. حبيبتك تريد أن ترقص".

سكت ديفيد، ودس وجهه في شعرها، وترك الموسيقا تأخذه. فكّر في أنهما قد يبقيان هنا، وبأن الناس قد يرونهما بين الحين والآخر. لربما سيُشاع بين الناس أن المقهى 26 مسكون. ولكن، ربما لا، لأن الناس لا يفكّرون في الأشباح كثيراً عندما يشربون، إلا إذا كانوا يشربون وحدهم. وعند الإغلاق، في بعض الأحيان، قد ينتاب عامل المشرب

والنادلة الأخيرة (تلك المسؤولة عن توزيع الإكراميات) شعور غير مريح بأنهما مراقَبان. وفي أحيان أخرى، قد يسمعان موسيقا حتى بعد أن تكون الموسيقا قد توقفت، أو يريان حركة في المرآة القريبة من ساحة الرقص أو تلك الموجودة في قاعة الجلوس؛ غالباً بطَرَف العين. رغم أن ديفيد كان يعتقد أنه كان يمكن أن ينتهي بهما المطاف في أمكنة أفضل، إلا أن المقهى 26، بشكل عام، لم يكن سيئاً؛ فالناس موجودون باستمرار - حتى الإغلاق - وهناك الموسيقا أيضاً.

تساءل: ماذا سيحل بالآخرين عندما تمزق كرة الهدم الحديدية وهمهم؟ وهي ستفعل ذلك بالتأكيد. وبعد وقت ليس بطويل، تخيَّل فيل بالمر يحاول حماية زوجته الباكية المرعوبة من الحطام الساقط الذي لن يكون قادراً على إيذائها لأنها لم تكن موجودة هناك أساساً. تخيَّل بامي أندرسون منكمشةً بين ذراعي أمها الزاعقة. تخيَّل راتنر - وهو جامع التذاكر ذو الصوت الناعم - يقول بصوت لا يمكن سماعه في ظل هدير الماكينات الصفراء الضخمة: ما عليكم إلا أن تهدأوا يا جماعة. وتخيَّل بائع الكتب، بيجرز، وهو يحاول الهرب بساقه العرجاء فيترنح ويسقط أخيراً، بينما كرة الهدم تتأرجح والبلدوزرات تهدر، وفي نهاية المطاف يتداعى العالم حوله.

كان يحب أن يتخيل أن قطارهم سيأتي قبل حدوث ذلك - أن توقُّعهم المشترك سيجعله يأتي - لكنه لم يكن يصدق ذلك حقاً. بل إنه تخيَّل أن الصدمة وحدها قد تبددهم ببساطة مثل لهيب شمعة في نفحة ريح قوية، لكنه لم يصدق ذلك أيضاً. كان بوسعه رؤيتهم بوضوح شديد، بعد رحيل البلدوزرات وشاحنات التحميل، يقفون بجانب السكك الحديدية الصدئة غير المستخدمة في ضوء القمر، والريح تعصف قادمةً من سفح الجبل، تئن حول الهضبة الصخرية المنخفضة، وتلفح الأعشاب الملتصقة بالأرض. كان بوسعه أن يتخيلهم متجمعين حول بعضهم في

منطقة جبلية تحت مليار نجمة، منتظرين قطارهم.

"هل تشعر بالبرد؟". سألته ويلا.

"لا. لماذا؟".

"كنت ترتجف".

"لعل إوزة مشت فوق قبري". أغمض عينيه، وراحا يرقصان معاً على الأرضية الفارغة. في بعض الأحيان، كانا يظهران في المرآة، وعندما كانا يغيبان عن الرؤية، لم تكن هناك إلا أغنية ريفية تصدح في قاعة فارغة مضاءة بسلسلة جبلية نيونية.

الفتاة الهاربة

- 1 -

الركض السريع وحده يمكن أن ينفع

بعد موت الطفلة الرضيعة، بدأت إميلي تركض بانتظام. في البداية، كانت تركض حتى نهاية الطريق الفرعي المؤدي إلى المنزل، حيث كانت تقف لتستريح قليلاً، وهي منحنية الظهر ومتشبثة بساقيها فوق الركبتين بقليل، وبعد ذلك تابع الركض إلى نهاية تجمع الأبنية الملاصقة لمنزلها، ومن ثم إلى متجر كويك - بيك الواقع أسفل الهضبة. هناك كانت تشتري خبزاً أو زبدة نباتية، وربما قطعة كيك بالشوكولاته محشوة بالكريما، أو قطعة من كعكة دائرية الشكل. في البداية كانت تعود مشياً، لكنها لاحقاً أصبحت تقطع طريق العودة ركضاً أيضاً. وفي نهاية المطاف، تخلّت عن الأطعمة الخفيفة التي دأبت على تناولها؛ بالرغم من أن تحقيق ذلك كان صعباً على نحو مثير للدهشة. لعلها لم تكن تدرك أن السكّر يخفف الحزن. على أي حال، كان على الأطعمة الخفيفة أن تختفي. وهذا ما حدث. كان الجري كافياً.

سألها هنري: "ماذا تقول الدكتورة ستاينر حول الأمر؟".

"تقول الدكتورة ستاينر حرّكي مؤخرتك، دعي تلك الإندروفينات تنطلق". لم تخبره بأنها لم تتحدث عن مسألة الركض أمام الدكتورة

ستاينر، بل إنها لم ترها منذ جنازة آمي. "تقول الدكتورة إنها يمكنها أن تعد لك برنامجاً إذا شئت".

لطالما كانت إميلي قادرة على خداع هنري؛ حتى بعد وفاة آمي. يمكننا أن ننجب طفلة أخرى، هذا ما قالته له بعد وفاة الطفلة، وهي جالسة بجانبه على السرير حيث كان مستلقياً وقد صالب كاحليه والدموع تنهمر على خديه.

أراحته هذه الكلمات، ولكن لن يكون هناك طفل آخر أبداً بوجود خطر إيجاد ذاك الطفل شاحباً ومتصلباً في سريره. لن تتكرر أبداً محاولات الإنعاش القلبية الرئوية غير المثمرة، ولا الاتصال برقم الطوارئ 911 حيث يقول عامل المقسم: أخفضي صوتك سيدتي، لا يمكنني فهمك. ولكن، لم يكن هنري بحاجة لمعرفة ذلك، وهي كانت ترغب بمواساته وتخفيف ألمه؛ في البداية على الأقل. كانت تعتقد أن العزاء هو عمود الحياة. لعلها ستقدر في نهاية الأمر على إيجاد بعض العزاء لنفسها أيضاً. لكنها، حينئذ، لم تكن تعرف إلا شيئاً واحداً، ألا وهو أنها أنجبت طفلة معتلة. هذا لب القضية. وهي لن تخاطر بإنجاب طفل آخر.

بعد ذلك، بدأت تعاني من نوبات صداع حادة جداً. ولهذا السبب قصدت طبيباً؛ ليس الدكتورة سوزان ستاينر، بل الدكتور مينديز طبيبهم العام. وصف لها مينديز دواء يُدعى زوميغ. كانت قد استقلت الباص للوصول إلى العيادة العائلية حيث كان مينديز يعمل، لكنها ركضت إلى الصيدلية لتبتاع دواءها. وبعد الصيدلية ركضت إلى المنزل – وكانت المسافة تبلغ ميلين – وعندما وصلت إلى المنزل أحسّت بما يشبه شوكة فولاذية مغروسة في أعلى خاصرتها، بين الأضلاع والإبط. لم تدع هذا يقلقها؛ لأن هذا الألم كان من النوع الذي يزول، فضلاً عن أنها كانت تشعر بالإرهاق وبأنها قادرة على النوم لمدة طويلة.

وهذا ما فعلته، طوال فترة بعد الظهر، على السرير نفسه حيث تكوَّنت آمي وحيث بكى هنري. وعندما استيقظت، رأت دوائر ضبابية تطوف في الهواء؛ وهي إشارة أكيدة على أنها ستُصاب بأحد صداعات إم الشهيرة، كما كانت تحب أن تسميها. تناولت واحداً من أقراصها الجديدة، وما أثار دهشتها - وحتى صدمتها - أن الصداع طوى ذيله وابتعد بهدوء. أولاً نحو مؤخر رأسها، وبعد ذلك اختفى. قالت لنفسها إنه كان ينبغي أن يكون هناك قرص كهذا من أجل التخلص من الشعور الناجم عن وفاة طفل.

كانت تعتقد أنها تحتاج لاستكشاف حدود تحمُّلها، وظنّت أن عملية الاستكشاف ستكون طويلة. كان هناك معهد تعليمي يحوي مضماراً للجري، ليس بعيداً جداً عن المنزل، فبدأت تقصده بسيارتها في الصباح الباكر، بعد توجُّه هنري إلى العمل مباشرةً؛ هنري الذي لم يكن يفهم أهمية الركض. أما الهرولة، فنعم بالتأكيد؛ الكثير من النساء يهرولن. أزيلي الكيلوغرامين الزائدين من الشحم عن مؤخرتك المترهلة، واحرقي تلك الشحوم المتمثلة بالسنتيمترات الخمسة من خصرك المتهدل. لكن إم لم تكن تملك كيلوغرامين زائدين على مؤخرتها، فضلاً عن أن الهرولة لم تعد كافية، حيث أصبحت مضطرة للركض، وبسرعة. الركض السريع وحده يمكن أن ينفع.

كانت تركن سيارتها بجانب المضمار وتركض؛ إلى أن لا يعود بوسعها الركض أكثر، وإلى أن تصبح كنزتها القطنية عديمة الكمَّين مبللةً بالكامل بالعرق، وتمشي بتثاقل، وأحياناً تتقيأ من شدة الإعياء.

اكتشف هنري الأمر. شاهدها شخص ما هناك تركض وحدها في الثامنة صباحاً وأخبره. دار نقاش بينهما حول الموضوع، ثم تحوّل النقاش إلى جدال مهدد للزواج.

قالت: "إنها هواية".

"قالت جودي أندرسون إنك ركضت حتى سقطت أرضاً. خشيتُ أن تكوني قد أصبت بنوبة قلبية. هذه ليست هواية يا إم، وليست ولعاً؛ بل إنها هوس".

ثم رمقها بنظرة تأنيب. صحيح أنها لن تلتقط الكتاب وترميه به إلا بعد بضع دقائق، لكن هذا هو الذي أفقدها القدرة على التحمُّل. تلك النظرة المؤنِّبة.

غير أنها حاولت مرة ثانية أن تكون عقلانية بخصوص شيء كانت تعرف في صميم قلبها أنه لم يكن يملك أي أساس عقلاني. هناك تفكير سحري، وهناك فعل سحري أيضاً؛ كالركض على سبيل المثال.

قالت: "عدّاءو الماراثون يركضون إلى أن يسقطوا أرضاً".

"هل تخططين للركض في ماراثون؟".

"ربما". لكنها التفتت ونظرت عبر النافذة إلى الشارع الفرعي المؤدي إلى منزلهما. كان يناديها. كان الشارع الفرعي يفضي إلى الرصيف، والرصيف كان يفضي إلى العالم.

"لا، لن تركضي في سباق ماراثون. ليست لديك أي خطط تتعلق بالمشاركة في ماراثون".

فكّرت في سرّها: هذا هو جوهر هنري، الجوهر اللعين لهنري. خلال سنوات زواجهما الست، كان هنري على الدوام مدركاً على نحو مثالي لما كانت تفكر فيه وتشعر به وتخطط له.

لقد واسيتك، قالت في داخلها – لم تكن غاضبة بعد لكنها بدأت تشعر بالغضب – كنتَ مستلقياً هناك على السرير تبكي، وأنا كنت أواسيك.

"الركض رد فعل سيكولوجي كلاسيكي على الألم الذي تشعرين به". كان يقول ذلك بالطريقة الجدية نفسها، "إنه يُدعى الإبطال. ولكن، يا عزيزتي، إذا كنت لا تشعرين بألمك، فإنك لن تكوني قادرةً أبداً على –".

هنا أمسكت بأقرب شيء إلى يدها؛ والذي صادف أنه نسخة ورقية الغلاف من كتاب "ابنة حافظ الذكرى"، الذي حاولت قراءته لكنها سرعان ما نبذته، فتلقاه هنري، وكان الآن قد أنهى قراءة ثلاثة أرباعه، كما تدلّ مؤشرة الكتاب. رمته عليه فأصابه في الكتف. حدَّق هنري فيها بعينين جاحظتين مصدومتين، ثم حاول أن يمسك بها. ربما كي يعانقها فقط. ولكن، من يدري؟ من يدري أي شيء حقاً؟

لو أنه حاول الإمساك بها قبل لحظة فقط، لربما أمسكها من ذراعها أو رسغها أو حتى من طرف قميصها. لكن لحظة الصدمة تلك عطَّلته فأخطأها عندما بدأت تركض، مبطئةً خطواتها فقط كي تلتقط محفظتها التي تُثبَّت على الحزام من على الطاولة القريبة من الباب الأمامي. قطعت الشارع الفرعي، ثم اتجهت إلى الرصيف، ومن هناك إلى الهضبة، حيث دفعت منذ مدة ليست بعيدة عربة أطفال مع أمهات أخريات أصبحن الآن يتحاشينها. هذه المرة لم تكن تنوي التوقف قطّ أو حتى التمهُّل. ركضت إميلي نحو العالم مرتدية سروالاً قصيراً وقميصاً قصير الكمَّيْن كُتِبت عليه عبارة "أنقذوا المشجعة" ومنتعلة حذاءً رياضيًّا. وضعت المحفظة حول خصرها وأحكمت تثبيتها بينما كانت تركض مسرعةً على الهضبة. وكيف كانت تشعر؟

بالابتهاج والحيوية؛ إنّه ابتهاج صرف.

ركضت إلى مركز المدينة – الذي يبعد ميلَيْن في اثنتين وعشرين دقيقة – دون أن تتوقف؛ حتى عندما كانت الإشارة حمراء، حيث كانت تهرول في المكان. مرَّ بها شابان يافعان يركبان سيارة موستانغ فاخرة عند الزاوية بين شارعيْ مين وإيستيرن. صفَّر أحدهما فرفعت إم إصبعها في وجهه، فضحك الشاب وهلَّل بينما كانت الموستانغ تزيد من سرعتها عبر شارع مين.

لم تكن تحمل الكثير من النقود معها، لكنها كانت تملك بطاقتي

اعتماد، وأهمّهما أميركان إكسبرس، لأنها كانت تمكّنها من الحصول على شيكات مسافر.

أدركت أنها لن تعود إلى المنزل؛ لبعض الوقت على الأقل. وعندما أثار هذا الإدراك شعوراً بالارتياح لديها - وربما حتى إثارة وجيزة - بدلاً من الحزن، أحسّت أن الأمر لن يكون مؤقتاً.

توجّهت إلى فندق موريس كي تستخدم الهاتف، لكنها قررت لدى وصولها أن تحجز غرفة. سألت موظف الاستقبال إن كانوا يقدّمون خدمة لليلة واحدة فقط، فأجابها بالإيجاب. أعطته بطاقة أميركان إكسبرس.

قال الموظف وهو ينظر إلى سروالها الرياضي القصير وقميصها الرياضي: "يبدو أنك لن تحتاجي إلى حمّال".

"كنت مستعجلة عندما غادرت".

"فهمت". قالها بنبرة تدل على أنه لم يفهم على الإطلاق. أخذت المفتاح منه ومشت بسرعة عبر حجرة الاستقبال الواسعة نحو المصاعد، كابحةً الدافع للركض.

- 2 -

يبدو كأنك تبكين

أرادت أن تشتري بعض الملابس؛ تنورتيْن وقميصيْن وسروالاً من الجينز وسروالاً قصيراً آخر، لكنها كانت تريد أن تجري اتصاليْن قبل التسوق: أحدهما مع هنري، والآخر مع والدها المقيم في تالاهاسي. قررت الاتصال بوالدها أولاً. لم تستطع أن تتذكر رقم مكتبه في المرآب، لكنها كانت تحفظ رقم هاتفه الخلوي. ردّ من الرنة الأولى. كان بوسعها سماع هدير محركات في الخلفية.

"إم! كيف حالك؟".

كان ينبغي للإجابة عن هذا السؤال أن تكون صعبة، لكنّها لم تكن

كذلك. "أنا بخير بابا، لكنني في فندق موريس. أظن أنني تركت هنري".

"بشكل دائم أو كبالون اختبار؟". بدا أنه لم يكن متفاجئاً؛ كان يتقبّل الأشياء بانفتاح، وكانت تحب هذه الميزة لديه. خفت صوت هدير المحركات تدريجياً، ثم اختفى تماماً. تخيّلته وهو يدخل مكتبه، ويغلق الباب، وربما يلتقط صورتها الموجودة على طاولة مكتبه الفوضوية.

"لا يمكنني اتخاذ أي قرار في الوقت الحالي. ولكن، لا يبدو الوضع جيداً الآن".

"ما هو السبب؟".

"الركض".

"الركض؟".

تنهّدت وقالت: "ليس تماماً. أتعرف كيف يكون الأمر أحياناً متعلقاً بأمر آخر، أو أشياء أخرى كثيرة؟".

"الطفلة". لم يدعُها والدها آمي منذ وفاتها. أصبحت الآن دائماً الطفلة وحسب.

"والطريقة التي أتعامل فيها مع الأمر. وهي ليست الطريقة التي يريدني هنري أن أتبعها. خطر لي أنني أود معالجة الأمور بطريقتي الخاصة".

"هنري رجل طيب"، قال أبوها، "ولكن، لديه طريقته الخاصة في النظر إلى الأشياء. لا شك في ذلك".

انتظرت ليكمل.

"ماذا يمكنني أن أفعل؟".

أخبرته فوافق. كانت واثقة أنه سيفعل، ولكن ليس قبل أن يصغي إليها حتى تفرغ من حديثها. وكان الإصغاء هو الجزء الأهم، ورستي جاسون بارعٌ في هذا الجانب. إنه لم يرتقِ من كونه مجرّد واحد من ثلاثة ميكانيكيين في المرآب إلى ربما واحد من أهم أربعة أشخاص في جامعة

تالاهاسي (وهي لم تسمع ذلك منه قطّ، فهو لم يقل شيئاً من هذا القبيل لها أو لأي شخص آخر) بعدم الإصغاء.

قال: "سأرسل ماريبت لتنظف المنزل".

"بابا لست بحاجة لفعل ذلك. بوسعي التنظيف".

"أنا أريد هذا. ثمة حاجة لإجراء تنظيف شامل. ذلك المنزل الملعون مغلق منذ نحو سنة. لم أعد أذهب إلى فيرميليون كثيراً منذ وفاة أمك. يبدو أنني دائماً أستطيع إيجاد أشياء إضافية للقيام بها هنا".

لم تعد أم إميلي أيضاً تُدعى ديرا بالنسبة إليه، فمنذ الجنازة (نتيجة إصابتها بسرطان في المبيض) أصبحت أمك وحسب.

كانت إم على وشك أن تقول: هل أنت واثق من أنك لا تمانع؟ لكن هذا النوع من الكلام يُقال لغريب عندما يُقدم لك خدمة، أو لنوع آخر من الآباء.

"هل أنت ذاهبة إلى هناك لتركضي؟". أحسّت من صوته أنه يبتسم. "هنالك الكثير من الشواطئ لتركضي عليها، وطريق طويل أيضاً؛ كما تعرفين جيداً. ولن تحتاجي لوكز الناس بمرفقك للابتعاد عن طريقك، فبين الآن وتشرين الأول تكون فيرميليون في أهدأ حالاتها".

"إنني ذاهبة إلى هناك لأفكّر. و– أظن – لأنهي حزني".

"إذاً، هذا حسن. هل تريدين أن أحجز لرحلتك؟".

"بوسعي فعل ذلك".

"بالتأكيد. إمي، هل أنت بخير؟".

"أجل".

"تبدين وكأنك تبكين".

"قليلاً". مسحت وجهها. "لقد حدث كل شيء بسرعة كبيرة".

"هنري لن يأتي إلى الفندق ويزعجك، أليس كذلك؟".

سمعتْ تردداً خفيفاً قبل اختياره كلمة يزعجك، فابتسمت بالرغم

من دموعها التي كانت قد أوشكت على النفاد على أي حال. "إن كنت تسأل إذا كان سيأتي ويضربني... هذا ليس أسلوبه".

"قد يجد الرجل أسلوباً مختلفاً عندما تقرر زوجته هجره فجأة؛ لتركض فقط".

"ليس هنري. إنه ليس من الرجال الذين يسببون المشاكل".

"هل أنت واثقة من أنك لا تريدين المجيء إلى تالاهاسي أولاً؟".

ترددتْ قليلاً. جزء منها كان يريد فعل ذلك، ولكن –

"أريد تمضية بعض الوقت وحدي؛ قبل أي شيء آخر". ثم كررت ما قالته سابقاً: "كل هذا حدث بسرعة كبيرة". رغم أنها تعتقد أنه كان يتراكم منذ وقت ليس بقصير. ولعله موجود في الحمض الوراثي للزواج.

"حسن. أحبك إمي".

"أحبك أيضاً بابا. شكراً" – بلعت لعابها – "كثيراً".

لم يسبب هنري أي مشكلة. بل إنه لم يسألها عن المكان الذي كانت تتصل منه. قال هنري: "ربما لست وحدك من تريد تمضية بعض الوقت بمفردها. لعل هذا سيكون لصالحنا".

قاومت دافعاً – بدا لها طبيعياً وسخيفاً في آن واحد – لشكره. لكن الصمت بدا الخيار الأفضل. وما قاله تالياً جعلها تشعر بالسعادة لأنها اختارته.

"بمن اتصلت للمساعدة؟ ملك مرأب السيارات؟".

هذه المرة، شعرت بدافع لسؤاله إن كان قد اتصل بأمه أم لا. لكن العين بالعين لم يحل أي مشكلة في أي وقت.

قالت بهدوء: "إنني ذاهبة إلى فيرميليون كي؛ إلى منزل أبي هناك".

"الكوخ القوقعة". أحست بأنه يسخر. إن المنازل المكونة من ثلاث غرف فقط وبدون مرأب لم تكن جزءاً من نظام معتقدات هنري.

قالت إم: "سأتصل بك عندما أصل إلى هناك".

سادت فترة صمت طويلة. تخيَّلته واقفاً في المطبخ، سانداً رأسه على الجدار، ممسكاً بقوة بقبضة الهاتف لدرجة تجعل مفاصل أصابعه بيضاء، مقاوماً نفسه كي لا يغضب؛ بسبب السنوات الست، الجيدة في معظمها، التي قضياها معاً. أملتْ بأن ينجح في مسعاه، إذا كان ذلك هو ما كان يجري بالفعل.

عندما تحدّث تالياً، بدا صوته هادئاً ولكنه سئم. "هل تملكين بطاقتي اعتمادك؟".

"أجل. ولن أفرط في استخدامهما. لكنني أريد حصتي من –" سكتت وهي تعض شفتها. كادت أن تدعو ابنتهما الميتة بالطفلة، وهذا لم يكن صائباً. لعله كذلك بالنسبة إلى أبيها، ولكنه ليس كذلك بالنسبة إليها. ثم استأنفت حديثها.

"حصتي من نقود جامعة آمي. لا أعتقد أن هناك الكثير، ولكن –".

"هناك أكثر مما تعتقدين". بدا وكأنه بدأ ينزعج مجدداً. لم يشرعا في توفير النقود مع ولادة آمي، ولا حتى عندما حملت بها إم، بل منذ أن بدآ محاولة الإنجاب. والمحاولة عمليةٌ دامت أربع سنوات، حيث إنهما كانا قد بدآ يناقشان فكرة علاجات الخصوبة، أو حتى التبنّي، عندما حملت إم أخيراً. "تلك الاستثمارات لم تكن جيدة وحسب، بل كانت مباركة من السماء؛ خصوصاً أسهم البرمجيات. لقد أدخلتنا شركة مورت في الوقت المناسب وأخرجتنا في اللحظة الذهبية. إمي، إنك لا تريدين أن تأخذي البيض من ذلك العش".

عاد مجدداً ليخبرها بما يريد أن تفعله.

"سأعطيك العنوان حالما أملكه. افعلْ ما تشاء بحصتك، ولكن حوِّل حصتي إلى شيك مضمون".

"ما زلت تركضين". رغم أن نبرة صوته الأستاذية الانتقادية جعلتها

تتمنى لو أنه كان قريباً منها كي ترميه بكتاب آخر - بغلاف جلدي سميك هذه المرة - إلا أنها حافظت على صمتها.

وأخيراً، تنهّد ثم قال: "اسمعي يا إم. سأبتعد عن المكان لبضع ساعات. تعالي وخذي ثيابك أو اي شيء آخر. وسأترك لك بعض النقود على طاولة التبرُّج".

أحست بالإغراء لوهلة، ولكن خطر لها أن ترك النقود على طاولة التبرج هو ما يفعله الرجال عندما يذهبون إلى إحدى العاهرات.

"لا. أريد أن أبدأ من الصفر".

"إم". صمت هنري طويلاً. خمّنت إم أنه يغالب عواطفه، وهذه الفكرة جعلت عينيها تدمعان مجدداً. "هل هذه نهايتنا يا عزيزتي؟".

"لا أعرف". قالت وهي تجاهد للحفاظ على صوتها متوازناً، "من المبكر جداً معرفة ذلك".

"إذا توجّب عليّ التخمين، فسأخمن نعم. هذا اليوم يثبت شيئين. أولهما أن المرأة التي تتمتع بصحة جيدة يمكنها الركض لمسافة طويلة".

"سأتصل بك".

"والآخر هو أن الأطفال الأحياء كالغراء بالنسبة إلى الزواج. أما الأموات فهم كالحمض".

كان هذا الكلام أشد إيلاماً من أي شيء آخر كان يمكن أن يقوله، لأنه شبّه الطفلة بشيء بشع. وهذا ما لم تكن إم قادرة على قوله قطّ.

"سأتصل بك". ثم أقفلت الخط.

- 3 -

"فيرميليون كي" ترقد دائخةً ومهجورة

هكذا ركضت إميلي أوينزبي حتى نهاية الشارع الفرعي الخاص بمنزلها، ثم إلى الهضبة نحو متجر كويك - بيك، وبعد ذلك إلى مضمار كلية كليفلاند ساوث جونيور. وركضت إلى فندق موريس. لقد خلعت الزواج كما تخلع امرأة صندلها من قدميها عندما تقرر الركض بسرعة حقاً. وبعد ذلك، ذهبت إلى فورت مايرز في فلوريدا، وهناك استأجرت سيارة وقادتها جنوباً نحو نابلز. كانت "فيرميليون كي" ترقد دائخةً ومهجورة تماماً تحت وهج شمس حزيران الحارقة. كان هناك طريق يمتد لمسافة ميلين بمحاذاة شاطئ فيرميليون من الجسر المتحرك إلى مدخل الطريق الفرعي المؤدي إلى الكوخ القوقعة؛ منزل أبيها غير المطلي. كان يبدو من الخارج وكأنه جزء من حي فقير، بسقف أزرق، وأباجورات زرقاء متقشرة، لكنه مكيَّف ومريح من الداخل.

عندما أطفأت محرك السيارة التي كانت تقودها، وكانت من طراز أفيس نيسان، لم تسمع سوى ارتطام الأمواج بالشاطئ الخالي. ومن مكان قريب، سمعت صوت طير قلق يصيح أو - أو ! أو - أو ! بشكل متكرر.

وضعت إم رأسها على المقود وبكت لخمس دقائق؛ مخرجةً كل التوتر والرعب اللذين شهدتهما خلال نصف العام الفائت، أو محاولةً فعل ذلك على أي حال. لم تكن تسمع شيئاً ضمن مجال سمعها سوى صوت ذلك الطائر. وعندما فرغت أخيراً من البكاء، خلعت قميصها ومسحت كل شيء: المخاط والعرق والدموع. ثم سارت نحو المنزل، ساحقةً الأصداف وقطع المرجان تحت حذائها الرياضي. عندما انحنت لتأخذ المفتاح من علبة أقراص السوكريتس (من أجل الحلق الملتهب) المخبأة تحت الدمية الجميلة بقبعتها الحمراء الباهتة، تذكَّرت أنها لم

تُصَب بأي نوبة صداع منذ ما يزيد عن أسبوع. وهذا أمر جيد، بما أن دواءها زوميغ كان على بعد أكثر من ألف ميل.

بعد خمس عشرة دقيقة، كانت تركض على الشاطئ، مرتدية سروالاً قصيراً وواحداً من قمصان والدها القديمة.

خلال الأسابيع الثلاثة التالية، أصبحت حياتها تتميز ببساطة مطلقة. كانت تحتسي القهوة وعصير البرتقال على الفطور، وتأكل صحن سَلَطة خضراء ضخماً على الغداء، وتلتهم منتجات شركة ستوفر المتخصصة بالأطعمة المجمّدة على العشاء؛ وهي عادةً معكرونة مع الجبن أو شرائح لحم بقر مجفف على خبز محمَّص، وهو ما كان والدها يدعوه "براز على قرميدة". في الصباح، عندما يكون الجو منعشاً، كانت تركض حافية القدمين على الشاطئ، بالقرب من الماء حيث يكون الرمل ثابتاً وخالياً تقريباً من الأصداف. وفي العصر، حين يكون الجو حاراً وممطراً بشكل متكرر، كانت تركض على الطريق المظلل في معظمه. عندما كان المطر ينهمر، كانت تتابع ركضها، مبتسمةً غالباً، وضاحكة أحياناً. وعندما تصل إلى المنزل، كانت تخلع ثيابها المبللة في المدخل وتضعها في الغسالة التي كانت تبعد - بشكل ملائم تماماً - ثلاث خطوات عن الحمام.

في البداية، كانت تركض ميلين على الشاطئ وميلاً على الطريق. وبعد ثلاثة أسابيع، أصبحت تقطع ثلاثة أميال على الشاطئ وميلين على الطريق. كان رستي جاكسون يحب أن يدعو منزله المخصص لقضاء العطلات "الكوخ العشبي الصغير" تيمُّناً بأغنية قديمة. وكان يقع في أقصى النهاية الشمالية، ولم يكن هناك ما يشبهه في فيرميليون كي؛ إذ إنّ كل ما عداه كان مملوكاً من قبل الأغنياء ومفرطي الثراء. وفي أقصى النهاية الجنوبية - حيث توجد ثلاثة منازل ضخمة فاخرة - كانت منطقة فاحشي الثراء. في بعض الأوقات، كانت إم تصادف شاحنات مليئة

بأدوات العناية بالأراضي تمرّ بجانبها أثناء جولاتها على الطريق، ولكن نادراً ما كانت تصادف سيارة. جميع المنازل التي كانت تمر بجانبها كانت مغلقة، والممرات الفرعية المؤدية إليها مقفلة بسلاسل حديدية، وكانت ستبقى على هذه الحال على الأقل حتى تشرين الأول؛ عندما يبدأ المالكون بالعودة. بدأت إم تطلق أسماء على المنازل التي كانت تمر بها: المنزل ذو الأعمدة اسمه تارا، وذاك المسوَّر بسياج حديدي عالٍ اسمه كلوب فيد، والمنزل الكبير المختبئ خلف جدار إسمنتي رمادي بشع اسمه الحصن. أما المنزل الصغير الوحيد المحجوب تقريباً بواسطة أشجار النخيل القصيرة (بالميتو) أو ما يُدعى بنخيل المسافر، فكان اسمه ترول هاوس، لأنها تخيَّلت أن قاطنيه في الموسم كانوا يعيشون على كعك ترول هاوس.

على الشاطئ، كانت أحياناً ترى متطوعين من منظمة مراقبة السلاحف، ولم يمض وقت طويل حتى بدأت تحيهم بأسمائهم. وهم كانوا يحيّونها بالمقابل "يو، إم!" عندما كانت تمر بجانبهم أثناء الركض. ما عداهم، نادراً ما صادفت أحداً آخر، باستثناء مروحية طارت مرة على علو منخفض فوقها. مدّ الراكب رأسه ولوَّح لها، فلوحت له بالمقابل، حاميةً وجهها بقبعتها التي تحمل شعار جامعة ولاية فلوريدا.

كانت تبضع من مركز بابليكس للتسوق الذي يبعد خمسة أميال شمالاً على الطريق الدولي 41. وفي طريق عودتها بالسيارة إلى المنزل، غالباً ما كانت تتوقف عند متجر بوبي تريكيت للكتب المستعملة، والذي كان أكبر بكثير من منزل والدها. من هناك اشترت قصص ألغاز قديمة لريموند تشاندلر وإد ماكبين. كانت أوراق تلك القصص بنية داكنة على الأطراف وصفراء من الداخل، ورائحتها عذبة وتبعث على الحنين مثل سيارة الفورد القديمة التي رأتها ذات يوم تسير على الطريق 41 مع كرسيي حدائق مثبتين على سقفها ولوح تزلج مائي مهترئ بارز من صندوقها. لم

تكن هناك حاجة مطلقاً لشراء أي من كتب جون د. ماكدونالد لأن أباها كان يملك المجموعة الكاملة مصطفة في مكتبته البرتقالية.

بحلول نهاية شهر تموز أصبحت تركض ستة أميال وأحياناً سبعة أميال في اليوم، فأصبح ثدياها مجرد نتوءين صغيرين، وأوشكت مؤخرتها على الاختفاء. وملأت رفّين من رفوف مكتبة أبيها الفارغة بكتب تحمل عناوين من قبيل: مدينة ميتة، وستة أشياء ميتة. لم تكن تشغّل التلفزيون في الليل قطّ؛ ولا حتى لمعرفة حالة الطقس. وكذلك الأمر بالنسبة إلى حاسوب أبيها الشخصي. ولم تشترِ صحيفة قط.

كان أبوها يتصل بها كل يومين، لكنه توقف عن سؤالها عمّا إذا كانت تريده أن يأتي، بعد أن أخبرته بأنها ستطلب منه القدوم عندما تكون مستعدة لرؤيته. قالت له إنها ليست ميّالة للانتحار (وهذا صحيح)، ولا حتى مكتئبة (وهذا ليس صحيحاً)، وإنها كانت تأكل. وهذه المعلومات كانت جيدة بما يكفي لرستي. لطالما كانا صادقين في علاقتهما. إضافة إلى ذلك، كانت تعرف أنه في الصيف يكون مشغولاً جداً؛ إذ إنّ كل ما لم يكن بالإمكان فعله أثناء وجود الأولاد في الحرم الجامعي (والذي كان يسميه دائماً المصنع) كان ينبغي إنجازه بين 15 حزيران و15 أيلول، عندما لا يكون هناك أحد سوى طلاب فصل الصيف، وأي مؤتمر أكاديمي تتمكن الإدارة من الظفر به.

علاوة على ذلك، كان يملك صديقة اسمها ميلودي. لم تكن إم تحب الذهاب إلى منزله - لأن ذلك كان يشعرها بالغرابة - لكنها كانت تعرف أن ميلودي تسعد والدها، ولهذا السبب كانت تسأله عنها دوماً. وكانت إجابته على هذا السؤال ثابتة على الدوام: "جيدة. ميل رائعة مثل درّاقة".

اتصلت مرة واحدة بهنري، وهنري اتصل بها مرة واحدة. في تلك الليلة عندما اتصل بها، كانت إم واثقة بأنه كان ثملاً. سألها مجدداً إذا

كانت علاقتهما قد انتهت فأخبرته مرة أخرى بأنها لم تكن تعرف، لكنها كذبة.

في الليل، كانت تنام مثل امرأة في غيبوبة. في البداية، راودتها كوابيس سيئة؛ استعادةٌ متكررةٌ للصباح الذي وجدا فيه آمي ميتة. وفي بعض تلك الكوابيس، كانت ترى طفلتها سوداء مثل حبة فريز متعفنة. وفي كوابيس أخرى - وتلك أسوأ - كانت ترى آمي وهي تحاول التنفس بصعوبة بالغة فتنقذها بإجراء عملية تنفس اصطناعي. كانت تلك الكوابيس أسوأ لأنها كانت تستيقظ على الحقيقة المرَّة مجدداً؛ وهي أن ابنتها ميتة. في أحد تلك الكوابيس الأخيرة، استيقظت أثناء عاصفة رعدية، فانزلقت عارية من السرير إلى الأرض وهي تبكي. سندت مرفقيها على ركبتيها، ووجهها على راحتيها فانفرج فمها في تكشيرة بينما كان البرق يلتمع فوق الخليج راسماً نماذج زرقاء على الحائط.

ومع الجهد الإضافي الذي كانت تبذله - مستكشفةً تلك الحدود الخيالية للتحمُّل - اختفت تلك الكوابيس، أو أصبحت تجري بعيداً عن عين ذاكرتها. ورغم أن كل يوم كان يشبه بصورة أساسية اليوم الذي سبقه، إلا أن كل يوم أصبح يبدو مثل شيء جديد بدلاً من كونه امتداداً لشيء قديم. وذات يوم، استيقظت لتدرك أن موت آمي بدأ يتحوّل إلى شيء حدث وانتهى بدلاً من شيء يحدث باستمرار.

قررت أن تطلب من أبيها القدوم لزيارتها؛ وكذلك ميلودي إذا أراد ذلك. ستعدّ لهما غداءً لذيذاً. وبوسعهما البقاء إلى اليوم التالي إذا شاءا (يا له من عرض! إنه بيته!). وبعد ذلك بدأت تفكّر في ما تريد فعله بخصوص حياتها الواقعية؛ الحياة التي ستستأنفها بعد وقت قصير على الطرف الآخر من الجسر المتحرك؛ ما هي الأشياء التي ستحتفظ بها؟ وما هي الأشياء التي سترميها؟

ليس رجلاً لطيفاً جداً

في عصر أحد الأيام، في بداية شهر آب، أخبرها ديك هوليس بأن لديها صحبة في الجزيرة؛ كان يدعوها الجزيرة وليس كي.

كان ديك رجلاً ذابلاً في الخمسين من عمره، أو ربما في السبعين. كان طويلاً ونحيلاً، ويعتمر قبعة مهترئة من القش تبدو مثل صحن حساء مقلوب. من السابعة صباحاً وحتى السابعة مساءً، كان يشرف على الجسر المتحرك بين فيرميليون كي والبر الأساسي. ومن الاثنين حتى الجمعة. وفي عطل نهاية الأسبوع، كان "الولد" يستلم المهمة (هذا الولد في الثلاثين من عمره تقريباً). في بعض الأيام، عندما كانت إم تصل إلى الجسر المتحرك وترى الولد بدلاً من ديك جالساً على كرسي الخيزران القديم نفسه خارج المبنى المجاور للبوابة، يقرأ مجلة ماكسيم أو بابيولار ميكانيكس بدلاً من صحيفة نيويورك تايمز، كانت تُفاجأ بأن السبت جاء من جديد.

ولكن، في هذا اليوم كان ديك هو الموجود. كانت القناة بين فيرميليون والبر الأساسي – التي يسميها ديك الحنجرة – مهجورة وقاتمة تحت السماء الملبّدة. كان هناك مالك حزين يقف على القضيب الحديدي للجسر المتحرك – من جانب الخليج – إما متأملاً أو باحثاً عن سمكة.

"صحبة!" قالت إم. "ليست لدي أي صحبة".

"لم أقصد الأمر على هذا النحو. لقد عاد بيكيرينغ الذي يقيم في 366، وجلب واحدة من بنات إخوته". جاءت علامة الاقتباس للكلمتين الأخيرتين من قلبة عيني ديك الزرقاوين، لكن زرقتهما كانت باهتة لدرجة

أنهما كانتا تبدوان كما لو أنهما عديمتا اللون.

قالت إم: "لم أرَ أحداً".

"لا. لقد عبرا في سيارته المرسيدس الحمراء الكبيرة منذ ساعة تقريباً، ربما عندما كنت تربطين شريط حذائك". انحنى إلى الأمام فوق جريدته فتغضنت على بطنه المسطح. لاحظت أنه حلَّ نصف الكلمات المتقاطعة. "ابنة أخ أو أخت في كل صيف. دائماً شابة". توقف لبرهة ثم أكمل: "أحياناً يُحضر اثنتين؛ واحدة في آب وواحدة في أيلول".

"لا أعرفه. ولم أرَ أي مرسيدس حمراء". ولم تكن تعرف كذلك أي منزل يعود للرقم 366، إذ نادراً ما كانت تنتبه لصناديق البريد الخاصة بكل منزل. بالطبع، باستثناء 219، فصندوق البريد ذاك كان يتميز بصف من الطيور المنحوتة فوق قمته. والمنزل خلفه كان يُدعى، بالطبع، بيردلاند (أرض الطيور).

قال ديك: "هذا أفضل". هذه المرة، بدلاً من قلب عينيه، غضَّن ديك زاويتي فمه كما لو كان يتذوق شيئاً كريهاً. "إنه يجلبهنّ إلى هنا بالمرسيدس، ثم يعيدهن إلى سانت بطرسبورغ في قاربه. يخت أبيض كبير. لقد عبر هذا الصباح". قام بالحركة السابقة نفسها عند زاويتي فمه. في تلك اللحظة، هدر الرعد من مكان بعيد. "كي تستكشف البنات المنزل، وبعد ذلك يذهبن في جولة جميلة على الشاطئ، ثم لا نرى بيكيرينغ ثانيةً حتى كانون الثاني، عندما يصبح الطقس بارداً في شيكاغو".

ظنت إم أنها رأت شيئاً أبيض بديعاً راسياً على الشاطئ أثناء جولتها الصباحية هناك لكنها لم تكن واثقة.

"بعد يوم أو اثنين من الآن – ربما أسبوع – سيرسل شخصين، واحد منهما سيعيد المرسيدس إلى المكان الذي يركنها فيه؛ بالقرب من مطار خاص في نابلز، بتصوري".

قالت إم: "لا بد أنه ثري". كان هذا أطول حوار أجرته مع ديك،

وكان مثيراً للاهتمام، لكنها بدأت تهرول في المكان بالرغم من ذلك. جزئياً، لأنها لم تكن ترغب بأن تُصاب بالتعضيل. ولكن، غالباً، لأن جسدها كان يدعوها للجري.

"إنه ثري مثل سكرووج ماكداك، لكنني أعتقد أن بيكيرينغ ينفق ثروته. وبما بطرق لم يكن يتخيلها العم سكرووج. لقد صنعها من شيء ما يتعلق بالكمبيوتر". قلبة العينين ذاتها. "ألا يفعلون ذلك كلهم؟".

"أظن ذلك". قالت وهي لا تزال تهرول في المكان. نحنح الرعد حنجرته بصوت أقوى بقليل هذه المرة.

"أعرف أنك متلهفة للانطلاق، لكنني أتحدث معك لهدف معين". طوى جريدته ووضعها بجانب كرسي الخيزران العتيق، ثم وضع فنجان قهوته فوقها كثقّالة ورق. "إنني لا أتحدث في العادة بشكل سيئ عن سكان الجزيرة – الكثيرون منهم أثرياء، ولن أبقى لوقت طويل إن فعلت ذلك – لكنك تروقين لي يا إمي. إنك تهتمين بشؤونك فقط، لكنك لست متعجرفة على الإطلاق. واحب اباك أيضاً. أنا وهو كنا نحتسي الشراب معاً بين الحين والآخر".

"شكراً". قالت بتأثر. ثم خطرت لها فكرة فسألته مبتسمةً: "هل طلب منك والدي أن تراقبني؟".

هز ديك رأسه ثم قال: "لا. إنه لا يفعل ذلك أبداً. ليس هذا أسلوب ر. ج. ومع ذلك، فهو كان سيقول لك الشيء ذاته الذي سأخبرك إياه؛ جيم بيكيرينغ ليس رجلاً لطيفاً جداً. سأبقى بعيداً عنه لو كنت مكانك. إذا دعاك لشرب كأس أو حتى فنجان قهوة معه ومع بنت أخته الجديدة، فارفضي. وإذا دعاك للتجوال معه على متن يخته، فارفضي حتماً".

"لست مهتمة بالتجول في أي مكان. ومن الأفضل أن أعود قبل أن يبدأ المطر بالانهمار".

"لا تظني أنه سينهمر قبل الخامسة على الأقل. ومع ذلك، إذا كنت

مخططاً، فأعتقد أنك ستكونين بخير على أي حال".

ابتسمت مرة ثانية وقالت: "وأنا أيضاً. بعكس الرأي الشائع، إن النساء لا يذبْن في المطر. سأخبر أبي بأنك ترسل له تحياتك".

"افعلي ذلك". انحنى ليأخذ جريدته، ثم توقف ونظر إليها من تحت قبعته المضحكة. "بالمناسبة، كيف تبلين؟".

"أفضل. أفضل في كل يوم". التفتت وبدأت تركض عائدةً إلى الكوخ العشبي الصغير. رفعت يدها مودِّعةً ديك، وعندما فعلت ذلك طار مالك الحزين الذي كان واقفاً على الجسر المتحرك، وتجاوزها حاملاً سمكة في منقاره الطويل.

تبيَّن لها أن الرقم 366 كان يعود لمنزل الحصن الذي رأت أن بوابته كانت مفتوحة للمرة الأولى منذ مجيئها إلى فيرميليون. أو هل كانت مفتوحة عندما عبرت بجانبه نحو الجسر المتحرك؟ لم يكن بوسعها التذكُّر، لكنها كانت تضع ساعة ذات مؤشر رقمي كبير من أجل توقيت أدائها. لعلها كانت تنظر إليها عندما عبرت بجانب المنزل.

كادت أن تتجاوزه دون أن تبطئ من سرعتها – أصبح الرعد أقرب الآن – لكنها لم تكن ترتدي تنورة جلدية فاخرة ذات ملمس مخملي بألف دولار من جيل أندرسون، وإنما مجرد سروال قصير وقميص رياضي يحمل شعار نايكي. علاوة على ذلك، ماذا قالت لديك؟ النساء لا يذبن في المطر. وهكذا، أبطأت ثم انعطفت واسترقت النظر. كان فضولاً بسيطاً.

خمَّنت أن المرسيدس المركونة في الباحة كانت من طراز SL 450، لأن أباها كان يمتلك واحدة مثلها؛ رغم أن سيارته كانت تبدو قديمة جداً، في حين أن هذه بدت جديدة تماماً. كانت حمراء بلون التفاح المغطّس بالكراميل، وكان هيكلها لامعاً حتى تحت السماء الملبَّدة بالغيوم. كان

الصندوق الخلفي مفتوحاً. وهناك خصلة من شعر أشقر طويل تتدلى منه. وهناك دم على الشعر.

قعقع الرعد مجدداً. هذه المرة فوق الرأس مباشرة. كانت الباحة فارغة إلا من السيارة (والشقراء في الصندوق الخلفي). ويبدا المنزل مهجوراً أيضاً. كل نوافذه وأبوابه كانت مغلقة. كان أكثر شبهاً بحصن عسكري من أي وقت مضى. حتى أشجار النخيل التي كانت تتمايل حوله لم تجعله ألطف. كان كبيراً جداً، وغير مريح، ورمادياً جداً. كان منزلاً بشعاً.

ظنت إم أنها سمعت أنيناً فركضت عبر البوابة والباحة نحو الصندوق المفتوح دون أن تفكّر في الأمر. نظرت إلى الفتاة فعرفت أنها لم تصدر أي أنين. كانت عيناها مفتوحتين، وجدها مطعوناً في ما يبدو أنه عشرات المواضع، ورقبتها مذبوحة من الأذن إلى الأذن.

من هول الصدمة، ظلت إم واقفة تنظر إلى الفتاة دون حركة، وحتى دون تنفس. وبعد ذلك، خطر لها أن هذه الفتاة كانت فتاة ميتة مزيفة، دمية سينمائية. رغم أن عقلها وتفكيرها المنطقي كانا يخبرانها أن هذا هراء، إلا أن الجزء المتخصص في التبرير المنطقي من دماغها كان يومئ موافقاً بشكل لا إرادي. بل كان يختلق قصة لدعم الفكرة. ديك لم يكن يحب بيكيرينغ، ولا اختيار بيكيرينغ للصحبة النسائية؟ حسناً، احذري ماذا؟ وبيكيرينغ أيضاً لم يكن يحب ديك! هذه ليست سوى مزحة مقصودة. سيعود بيكيرينغ عبر الجسر المتحرك تاركاً عن قصد صندوق سيارته الخلفي مفتوحاً، وشعر هذه الشقراء المزيفة يرفرف في الهواء، و-

ولكن، ثمة روائح نتنة تنبعث من الصندوق الخلفي الآن. إنها روائح براز ودماء. مدّت إم يدها ولمست أحد خدّي الفتاة تحت واحدة من العينين المحدّقتين. كان بارداً، لكنه جلد بشري. يا إلهي، كان جلداً بشرياً!

سمعت صوتاً خلفها، وقع أقدام. وعندما همّت بالالتفات، هبط شيء ما على رأسها. لم تشعر بالألم، لكنها رأت ضوءاً أبيض لامعاً بدا

وكأنه يثب على العالم حولها. وبعد ذلك، غمر الظلام العالم.

- 5 -

بدا وكأنه يحاول أداء لعبة دبدبة الفأر معها

عندما استيقظت، وجدت نفسها مثبتة على كرسي بواسطة شريط لاصق [مخصص لإصلاح الأنابيب المعطوبة لفترة مؤقتة] في مطبخ كبير ومليء بأدوات فولاذية مريعة: حوض جلي، برّاد، غسالة صحون، وفرن بدا وكأنه كان فرناً في مطبخ مطعم. كانت الجهة الخلفية من رأسها ترسل موجات بطيئة وطويلة من الألم إلى مقدمة رأسها، كل واحدة منها كان لسان حالها يقول: أصلحي هذه! أصلحي هذه!

كان هناك رجل طويل ونحيل يرتدي سروالاً قصيراً خاكياً وقميص جولف أحمر واقفاً بجانب حوض الجلي. كانت مصابيح النيون المشعة المثبتة في المطبخ تبث ضوءاً لا يرحم، حيث تمكّنت إم من مشاهدة التجاعيد عند زاوية إحدى عينيه والشيب الخفيف على أطراف شعره القصير. قدّرت إم عمره بنحو خمسين عاماً. كان يغسل ذراعه في الحوض. تبيّن أنه كان يعاني من جرح عميق تحت المرفق بقليل.

التفت إليها بسرعة، مثل حيوان مفترس، ما جعل معدتها تنقبض. كانت عيناه زرقاوين، لكن زرقتهما كانت أشد وضوحاً بكثير من زرقة عيني ديك هوليس. لكنها لم ترَ فيهما أي شيء يوحي بأن صاحبهما عاقل، فهوى قلبها أكثر. على الأرض – اللون الرمادي البشع نفسه كما في خارج المنزل، لكنه بلاط بدلاً من الإسمنت – شاهدت خطاً شفافاً قاتماً بعرض عشرين سنتمتراً تقريباً. ظنّت إم أنه دم. كان من السهل عليها أن تتخيّل الفتاة الشقراء تخلّف هذا الأثر بينما كان بيكيرينغ يجرُّها من قدميها عبر الغرفة إلى مكان مجهول.

قال: "أنت مستيقظة. جيد. رائع. أتظنين أنني أردت قتلها؟ لم أكن أريد قتلها. كانت تضع سكيناً في جوربها اللعين! قرصتها من ذراعها، هذا كل شيء". بدا أنه كان يفكّر في ما قاله للتو، وبينما كان يفعل ذلك، راح يجفف الجرح العميق المليء بالدم القاتم أسفل مرفقه بحشوة من المناديل الورقية. "حسناً، ولكن، كل الفتيات يتوقّعن ذلك، أو ينبغي عليهن أن يتوقعن ذلك. إنها تدعى مداعبات".

جسّد علامتي الاقتباس بواسطة الإصبعين الأولى والثانية من كلتا يديه في كلتا المرتين. بالنسبة إلى إم، بدا أنه كان يحاول أداء لعبة دبدبة الفأر معها. وبدا أنه كان مجنوناً أيضاً. في الحقيقة، لم يكن ثمة أي شك في ما يتعلق بحالته العقلية. جلجل الرعد فوقهما مصدراً صوتاً عالياً مثل قطعة أثاث ساقطة. انتفضت إم في كرسيها، لكن الرجل الواقف بجانب المغسلة ذات الحوض المزدوج لم يرمش للصوت. بدا كما لو أنه لم يسمع. مطّ شفته السفلى إلى الأمام.

"وهكذا أخذتها منها، وبعد ذلك فقدت صوابي. أعترف بذلك. يعتقد الناس أنني السيد الهادئ، وأنا أحاول العيش وفقاً لهذا التصوُّر. حقاً. أحاول أن أعيش وفقاً لذلك. لكن أي رجل يمكن أن يفقد صوابه. هذا ما لا يفهمونه. أي رجل. في ظل ظروف معيّنة".

انهمر المطر بشدة على نحو مفاجئ.

"من يمكن أن يفترض منطقياً أنك موجودة هنا؟".

"الكثير من الناس". هذه الإجابة خرجت من فمها بدون تردد.

وصل إلى منتصف الغرفة كالبرق. أجل كالبرق، من دون مبالغة. كان في لحظة بجانب المغسلة، وفي اللحظة التالية أصبح بجانبها وصفع وجهها بقوة كافية لانبثاق بقع بيضاء أمام عينيها. اندفعت هذه البقع في أرجاء الغرفة جارّة مذنبات لامعة وراءها. استدار وجهها جانباً بفعل الصفعة، وطار شعرها وارتطم بخدّها، وأحسّت بالدماء تتدفق من فمها مع

انفجار شفتها السـفلى. وانشـقّت البطانة الداخلية بواسطة أسـنانها محدثة شـقاً عميقـاً. وفـي الخـارج، كان المطـر ينهمر بقوة. سـوف أمـوت وهي تُمطر، قالت إم في داخلها. بيد أنها لم تصـدّق ذلك؛ ربما مثل كل من وجد نفـسه في مثل هذه الحالة.

"من يعرف؟". صرخ في وجهها وهو منحنٍ فوقها.

"الكثير من الناس". خرجت هذه الكلمات "الكثير من الناش" غير واضحة لأن شـفتها السـفلى كانت تتورَّم. أحسَّـت بالدم يسـيل على ذقنها مثل جـدول صغير. غيـر أن ذهنهـا كان لا يزال معافـى؛ بالرغـم من الألم والخوف. كانـت تعـرف أن فرصتها الوحيـدة للنجاة تكمن فـي جعل هذا الرجل يعتقد أنه لن يفلت بفعلته إن قتلها. بالطبع، لم يكن ليفلـت إن أطلق سراحها أيضـاً، لكنها ستـتعامل مع هذا الأمر لاحقاً. كل كابوس على حدة.

قالت ثانيةً بتحدٍ: "الكثـير من الناش".

اندفع كالبرق إلى الحـوض، وعندما عاد إليها كان يحمل سـكيناً في يده؛ سـكيناً صغيـرة. على الأرجح، كانت السـكين نفسـها التي أخرجتها الفتاة الميتة من جوربها. وضع رأس السـكين على جفنها السـفلي وضغط إلى الأسـفل. في تلك اللحظة، فقدت سيطرتها على مثانتها دفعةً واحدة.

لوهلة ارتسـم تعبير من الاشـمئزاز على وجه بيكيرينـغ، وفي الوقت نفسـه بدا مبتهجاً. جزء من عقل إم تسـاءل كيف يمكن لشـخص أن يبدي عاطفتيـن متناقضتين فـي الوقت نفسـه. رجع نصـف خطوة إلـى الخلف، لكن رأس السـكين لم يتحرك من مكانه. كان لا يـزال يضـغط تحت جفنها السـفلي رافعاً مقلة عينها برفق نحو الأعلى في محجرها.

"جميل. فوضى أخرى يجب تنظيفها. لكنها ليست غير متوقعة. لا. وكما قال الرجل، هنالك مكان أوسـع في الخارج مما هو في الداخل. هذا ما قالـه الرجل". ضحـك بيكيرينـغ مطلقـاً عواءً واحـداً خاطفاً، ثـم انحنى نحوها وحدَّق بعينيه الزرقاوين الزاهيتين في عينيهـا البنيتيـن الفاتحتين، ثم

قال: "أخبريني عن شخص واحد يعرف أنك موجودة هنا. لا ترددي. لا ترددي. إذا ترددت، فسأعرف أنك تكذبين وسأقتلع عينك من محجرها وألقيها في حوض المغسلة. بوسعي فعل ذلك. إذاً، أخبريني، الآن".

"ديك هوليس". كانت كذبة بالطبع، وكذبة سيئة أيضاً، لكنها مجرد رد فعل، فهي لم تكن تريد أن تُقتلَع عينها.

"من غيره؟".

لم يخطر لها أي اسم آخر، وهي صدَّقته عندما قال إنّ التردد يمكن أن يكلِّفها عينها اليسرى، فصرخت في وجهه: "لا أحد، هل رضيت؟". من المؤكد أن ديك كان كافياً، إلا إذا كان مجنوناً لدرجة أن -

أبعد بيكيرينغ السكين عنها أخيراً. أحسّت إم بأن نقطة صغيرة من الدم كانت تتكون هناك، رغم أن رؤيتها المحيطية لم تكن قادرة على رؤية تلك النقطة. لكنها لم تكترث. كانت سعيدة لأنها لا تزال تمتلك رؤية محيطية.

قال بيكيرينغ: "حسناً، حسناً، جيد. لا بأس. جيد". رجع إلى الحوض ورمى السكين الصغيرة فيه، فبدأت تشعر بالارتياح. ثم فتح دُرجاً بجانب الحوض، وأخرج سكيناً أكبر من الأولى؛ سكين لحّام طويلة ومدببة.

"حسناً". عاد إليها. لم تستطع رؤية أي بقعة دم عليه. ولا بقعة واحدة. كيف يمكن أن يكون ذلك ممكناً؟ كم مضى على وجود تلك الشابة في الخارج؟

"حسناً، حسناً". مرّر أصابع يده غير الممسكة بالسكين عبر شعره القصير. "من هو ديك هوليس؟".

"حارس الجسر المتحرك". قالت بصوت مرتعش. "لقد تحدثّنا حولك. لهذا السبب توقفت لألقي نظرة إلى الداخل". ثم خطرت لها فكرة جيدة. "لقد رأى الفتاة! ابنة أختك، هكذا سمّاها!".

"صحيح، صحيح، تعود الفتيات دائماً بالقارب، هذا كل ما يعرفه، هذا كل ما يعرفه في العالم. أليس الناس فضوليين دائماً! أين سيارتك؟ أجيبي بسرعة وإلا ستحصلين على شيء خاص جديد؛ بتر ثدي سريع، ولكن ليس بدون ألم".

"الكوخ العشبي!". قالت بدون تفكير.

"وما هذا؟".

"إنه المنزل الصغير في نهاية الكي. إنه منزل والدي". خطرت لها فكرة جيدة أخرى، فقالت: "إنه يعرف أنني هنا!".

"أجل، أجل". بدا وكأن هذه المعلومة لم تثر اهتمامه. "أجل، حسناً. صحيح، شيء عظيم. هل تقولين إنك تعيشين هنا؟".

"أجل...".

نظر إلى سروالها القصير الذي أصبح الآن أزرق غامقاً. "عدّاءة، هل أنت عدّاءة؟". لم تُجبه على هذا السؤال، لكنه لم يكترث على أي حال. "أجل، أنت عدّاءة. هذا صحيح. انظري إلى هاتين الساقين. انحنى إلى مستوى الخصر - كما لو أنه يقابل فرداً من عائلة ملكية - وقبّل فخذها تحت طرف سروالها القصير بقليل مصدراً صوت قبلة عالية. وعندما استقام، لاحظت بفزع أن مقدمة سرواله كانت تبرز؛ هذا ليس جيداً.

"أنت تركضين إلى هناك ثم تعودين". قال محرّكاً نصل السكين على شكل قوس مثلما يفعل قائد أوركسترا بعصاه. في الخارج، استمر المطر بالانهمار. وسيستمر على هذا النحو أربعين دقيقة، وربما ساعة، وبعد ذلك ستشرق الشمس من جديد. تساءلت إم إن كانت ستعيش لتراها. ومع أنها لم تكن تعتقد ذلك، ولكن كان من الصعب عليها التصديق، بل في الحقيقة، كان الأمر مستحيلاً.

"تركضين في اتجاه ما ثم تعودين؛ ذهاباً وإياباً. أحياناً، تقضين بعض الوقت مع ذلك الرجل العجوز صاحب قبعة القش، لكنك لا تقضينه مع

أي شخص آخر". صحيح أنها كانت خائفة، ولكن ليس لدرجة تمنعها من إدراك أنه لم يكن يتحدث معها. "صحيح. ليس مع أي شخص آخر. لأنه لا يوجد أحد هنا. وإذا شاهدك أي من زارعي الأشجار أو جزّازي العشب الذين يعملون هنا عندما تقومين بجولتك في فترة بعد الظهر، فهل سيتذكّرونك؟ هل سيتذكرونك حقاً؟".

كان النصل يتحرك جيئة وذهاباً. نظر إلى رأس السكين، كما لو أنه كان يعتمد عليه في الإجابة.

ثم قال: "لا، لا، وسأقول لك لماذا. لأنك مجرد أجنبية ثرية أخرى تليب مؤخرتها؛ مثل أولئك الموجودين في كل مكان. ترينهم كل يوم، إنهم مجانين الصحة. تضطرين لركلهم كي يفسحوا لك الطريق. وإذا لم يكونوا يركضون، فعلى الدراجات الهوائية. فلتَدْعي يا ليدي جين، ولكن أسرعي. إنني مستعجل، مستعجل جداً، جداً".

رفع السكين إلى مستوى كتفه، وزمَّ شفتيه وهو على وشك توجيه ضربة قاتلة. بالنسبة إلى إم، أصبح العالم بأكمله واضحاً بشكل مفاجئ. قالت في سرّها: أنا قادمة يا أمي. انتظريني يا طفلتي.

لكنه توقَّف عندئذ وتلفَّت حوله، كما لو أنه سمع أحداً يتكلم. فقال: "أجل"، وبعد ذلك، "صحيح؟" ومن ثم، "صحيح". كانت هناك جزيرة مغطاة قمّتها بالفورمايكا في منتصف الغرفة من أجل إعداد الطعام. رمى السكين عليها بدلاً من غرزها في جسد إميلي.

"اجلسي هنا. لن أقتلك. لقد غيرت رأيي. الإنسان يمكن أن يغير رأيه. لم أحصل على شيء من نيكول إلا حفرة في الذراع".

كانت هناك لفافة من الشريط اللاصق على الجزيرة. أخذها ثم ركع أمامها كاشفاً مؤخرة رأسه وقفا رقبته. في عالم أفضل، وأكثر عدلاً، كانت ستشبك يديها الاثنين معاً وتهوي بهما على مؤخر رقبته تلك، بيد أن يديها كانتا موثقتين عند الرسغين بذراعي الكرسي المصنوعين من خشب

القيقب الثقيل. وكان جذعها مقيداً بظهر الكرسي بمزيد من الشريط اللاصق، عند الخصر وتحت الصدر مباشرةً، مشكّلاً ما يشبه المشدّ السميك. وكانت ساقاها مقيدتين بباقي الكرسي عند الركبتين، وتحتهما مباشرة وعند ربلتي الساقين، وكذلك عند الكاحلين. كان حريصاً تماماً.

ومع أن قوائم الكرسي كانت ملصقة بالأرض، إلا أنه راح يضع المزيد من الطبقات، أولاً أمامها، ثم خلفها. وعندما أنهى، كان قد أفرغ لفافة الشريط اللاصق كلها. وقف ووضع اللفافة الفارغة المصنوعة من الورق المقوّى على جزيرة الفورمايكا. ثم قال: "ها قد أنهيت. ليس الأمر سيئاً. لا بأس. كل شيء جاهز. أنت انتظري هنا". لا بد أنه وجد شيئاً مضحكاً في ما رآه، لأنه أرجع رأسه إلى الخلف وأطلق واحدة أخرى من ضحكاته القصيرة التي تشبه العواء. "لا تسامي وتهربي، هل أنت موافقة؟ أنا بحاجة للذهاب والاهتمام بصديقك العجوز المتطفل، وأريد القيام بذلك بينما السماء لا تزال تمطر".

هرع نحو باب تبيّن أنه باب خزانة، وأخرج منها معطفاً أصفر واقياً من المطر. "كنت أعرف أنه موجود في مكان ما هنا. الجميع يثقون في شخص يرتدي معطفاً واقياً من المطر. لا أعرف لماذا. إنها مجرد واحدة أخرى من الحقائق المحيّرة. حسناً يا صديقتي، اجلسي بثبات". أطلق واحدة أخرى من ضحكاته التي بدت مثل نباح كلب بوودل غاضب، ثم رحل.

- 6 -

لا تزال 9:15

عندما سمعت إم صوت إغلاق الباب الأمامي بقوة وعرفت أنه غادر المنزل فعلاً، بدأ ذلك السطوع الغريب للعالم بالتحول إلى اللون الرمادي، فأدركت أنها على وشك فقدان الوعي. لم يكن بوسعها تحمُّل ذلك. إذا كانت هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة، ورأت والدها هناك،

فكيف ستفسر لرستي جاكسون أنها بدَّدت آخر دقائق لها على الأرض في حالة فقدان للوعي؟ فهو سيشعر بخيبة أمل كبيرة.

بدأت إم تجرش بطانة فمها الداخلية المجروحة على أسنانها بشكل مقصود، ثم عضَّتها متسببة بنزيف دم في فمها، فعاد السطوع إلى العالم من جديد. وتضخَّم صوت الريح وهطول المطر مثل صوت موسيقا غريبة.

كم من الوقت تملك؟ كان منزل "الحصن" يبعد ربع ميل عن الجسر المتحرك. وبما أنه أخذ المعطف المطري، وبما أنها لم تسمع صوت تشغيل المرسيدس، فقد وجدت نفسها مضطرة للاعتقاد أنه كان يركض. كانت تعرف أنها ربما لم تسمع صوت محرك السيارة بسبب المطر والرعد، لكنها لم تكن تعتقد أنه سيستقلّ سيارته، لأن ديك هوليس كان يعرف المرسيدس الحمراء، وكان يكره الرجل الذي يقودها، وعلى هذا الأساس، فإن السيارة الحمراء قد تجعله حذراً. وكانت إميلي تعتقد أن بيكرينغ يعرف ذلك. صحيح أنه مجنون - أحياناً، كان يتحدث مع نفسه، لكنه في بعض الأحيان كان يتحدث مع شخص كان يستطيع رؤيته في حين أنها لم تكن قادرة على ذلك، شريك غير مرئي في الجريمة - إلا أنه لم يكن غبياً. وكذلك ديك، بالطبع، لكنه كان وحيداً في المبنى المجاور للبوابة. ولم تكن هناك سيارات تعبر، ولا قوارب تنتظر العبور أيضاً. ليس في هذا المطر الشديد.

وإضافة إلى ذلك، كان متأخراً.

"لدي ربما خمس عشرة دقيقة". قالت إم للغرفة الفارغة، أو ربما لبقعة الدم المتخثرة على الأرض. على الأقل، إنه لم يكمّم فمها. ولماذا يكبِّد نفسه هذا العناء؟ لن يكون هناك من يسمع صراخها؛ ليس في هذا الحصن الإسمنتي المربع البشع. تخيّلت أنها حتى لو صرخت بأعلى صوتها في منتصف الطريق، فلن يسمعها أحد. حتى إن الجنائنيين المكسيكيين سيكونون مختبئين الآن، وجالسين في كابينات شاحناتهم

يحتـــون القهوة ويدخّنون.

"خمـس عشـرة دقيقة كحد أقصى".

أجل. ربما. وبعد ذلك، سـيعود بيكيرينغ ويغتصبها، كما كان يخطط لاغتصاب نيكول. هـي و"بنات أخته" الأخريات. تُـرى، كم كان عددهن؟ لم تكن إم تعرف، لكنها كانت واثقة أنها لم تكن محاولته الأولى.

خمـس عشرة دقيقة، وربما عشر دقائق فقط.

نظرت إلى قدميهـا. لم تكونـا ملتصـقتين بالأرض بواسـطة الشـريط اللاصق، لكن قوائم الكرسـي كانت ملتصقة بالأرض. ولكن، مع ذلك...

أنت عذاءة، هذا صحيح. انظري إلى هاتين الساقين.

إنهمـا سـاقان جيدتـان، بـل ممتازتـان، وهـي لم تكـن بحاجـة لمن يقبّلهما كي تدرك ذلك؛ وخاصة إذا كان شـخصاً معتوهاً مثل بيكيرينغ. لم تكن تعـرف إذا كانتا جيدتين بالمقيـاس الجمالي، أو بالنـــبة إلى الجاذبية الجنسـية، أما بالنـــبة إلى المقيـاس النفعي، فقـد كانتا جيدتـين جـداً. لقد حملتاها لمسـافة طويلة منذ ذلك الصـباح الذي وجدت فيه، هي وهنري، آمي ميتة فـي سـريرها. لا شـك أن بيكيرينغ يملك ثقـة كبيرة في الشـريط اللاصـق. لعله رآه يُستخدَم من قبَل عشـرات القتلة المعتوهين في عشرات الأفلام، ولـم تُعطـه أي مـن "بنـات أخته" أي سـبب للشـك فـي فعاليته. ربما لأنه لم يمنحهـن أي فرصة، وربما من شـدة رعبهن. ولكـن، ربما... وخاصة في يوم رطب، في منزل غير مُهوّى ورطب لدرجة أنها كانت تشم رائحة العفونة...

انحنـت إم إلـى الأمـام بقـدر ما سـمح لهـا الشـريط اللاصـق الذي يقيدها بالكرسـي، وبشكل تدريجي بدأت تشـد عضلات فخذيها وسـاقيها. أوشكت على الاقتراب من التقلص الأقصى، وكادت أن تفقد الأمل عندما سـمعت صوتاً؛ كان الصـوت منخفضـاً في البداية، لكنـه أصبح أعلى في ما بعد. كان الشـريط ملفوفاً في طبقات متقاطعة؛ ما جعله متيناً إلى حد كبير،

لكنه مع ذلك كان يتحرر من الأرض. ولكن ببطء. يا الله، ببطء شديد!

أرخت عضلاتها وهي تلهث، والعرق ينضح من جبينها، ومن تحت إبطيها، وبين ثدييها. كانت تريد المحاولة ثانيةً، لكن خبرتها في الركض حملتها تنتظر وتسمح لقلبها الخافق بسرعة بإخراج حمض اللاكتيك من عضلاتها. إذا لم تفعل ذلك، فإن محاولتها الثانية ستكون أقل قوة وأقل فعالية. بيد أن الانتظار كان صعباً؛ صعباً جداً. لم تكن تعرف كم من الوقت استغرقت. كانت هناك ساعة على الحائط - على شكل شمس، ومصنوعة من الفولاذ غير القابل للصدأ (على ما يبدو مثل كل الأشياء في هذا المطبخ المريع والقاسي؛ باستثناء كرسي القيقب المقيدة إليه) - لكنها كانت متوقفة عند الساعة 9:15. لعل بطاريتها فارغة.

حاولت البقاء ساكنة إلى أن تنتهي من العدّ حتى الثلاثين (مع قول "ديلايتفُل ميزي" بعد كل رقم)، لكنها تمكنت فقط من الصبر حتى الرقم سبعة عشر، ثم شدت عضلاتها مجدداً مع الدفع إلى الأمام بكل ما أوتيت من قوة. هذه المرة، كان الصوت فورياً وأعلى. شعرت بالكرسي يبدأ بالارتفاع عن سطح الأرض. قليلاً، لكنه كان يرتفع حتماً.

شدَّت إم مجدداً. كان رأسها راجعاً إلى الخلف، وأسنانها مكشوفة، وأوتار رقبتها بارزة، وكانت هناك دماء تسيل على ذقنها من شفتها المتورمة. أصبح الصوت أعلى، لكنها سمعت أيضاً صوت تمزُّق خفيفاً.

شعرت بألم مفاجئ في ساقها اليمنى التي تصلَّبت قليلاً. ظلّت إم تشد هنيهة - في نهاية المطاف، كانت حياتها على المحك - لكنها بعد ذلك توقفت واسترخت ضمن قيودها من جديد، تلهث طلباً للهواء... وهي تعدُّ.

"واحد، ديلايتفُل ميزي. اثنان، ديلايتفُل ميزي. ثلاثة...".

كان بوسعها ربما تحرير الكرسي من الأرض بالرغم من ذلك الشد العضلي. كانت شبه واثقة من قدرتها على فعل ذلك. ولكن، إذا تحررت

من الكرسي على حساب حدوث تقلص عضلي في باطن ساقها اليمنى (وهو ما أصيبت به عدة مرات في المكان نفسه، وفي مرتين منها ضرب التقلص العضلة بقوة؛ لدرجة أنه حوَّلها إلى ما يشبه الحجر)، فإنها ستفقد وقتاً أطول مما كسبته، وستكون أيضاً لا تزال مقيدة بالكرسي اللعين، أو ملصقة بالكرسي اللعين.

كانت تعرف أن الساعة على الحائط متوقفة، لكنها نظرت إليها على أي حال؛ إنّه رد فعل لا إرادي. كانت لا تزال 9:15. هل وصل إلى الجسر المتحرك الآن؟ انتابها أمل مفاجئ: سيطلق ديك بوق الإنذار، وعندها سيبتعد خائفاً. هل يمكن أن يحصل شيء كهذا؟ كانت تعتقد أن بيكيرينغ يشبه الضبع، بمعنى أنه لا يكون خطراً إلا عندما يكون واثقاً من أنه يملك اليد العليا. ولعله - مثل أي ضبع - لم يكن قادراً على تصوُّر عدم امتلاكه اليد العليا.

أصغت السمع، فسمعت صوت الرعد وانهمار المطر الثابت، ولكن ليس صوت دوي البوق المثبّت بجانب مقصورة حارس الجسر المتحرك.

شدّت ثانيةً بكل قوتها فتحرر الكرسي على الفور. ترنّحت، وتأرجحت، وكادت أن تسقط وترتطم - وجهها أولاً - بالفرن. لكنها استندت إلى الجزيرة المغطاة بالفورمايكا في منتصف المطبخ، ما حال دون حدوث ذلك. كان قلبها ينبض بسرعة فائقة، حيث إنها لم تستطع تمييز دقات فردية، بل كانت تسمع طنيناً ثابتاً في صدرها وأعلى رقبتها. لو أنها سقطت، لكانت قد أصبحت مثل سلحفاة مستلقية على ظهرها. لن تكون لديها أي فرصة للنهوض مجدداً.

لا بأس، فكرت في داخلها. هذا لم يحدث.

لكنها تصوّرت نفسها مستلقية على الأرض بالرغم من ذلك، وبوضوح جهنمي؛ مستلقية هناك بصحبة الدم المتخثر الذي خلّفه شعر نيكول، مستلقية هناك في انتظار عودة بيكيرينغ كي يمتّع نفسه قبل إنهاء

حياتها. ومتى سيعود؟ بعد سبع دقائق؟ أم خمس؟ أم ثلاث دقائق فقط؟

نظرت إلى الساعة. كانت لا تزال على حالها، 9:15.

جلست هناك محنية الظهر تلهث بشدة. كانت سكين الجزّار ملقاة على سطح الجزيرة، لكنها لم تكن قادرة على بلوغها بيديها المقيدتين بمراعي الكرسي. وحتى لو تمكّنت من الإمساك بها، فماذا بعد؟ لم يكن باستطاعتها فعل أي شيء بها.

نظرت إلى الفرن وتساءلت إذا كان باستطاعتها إشعال إحدى فتحات إشعاله. لو كان بوسعها فعل ذلك، لربما...

خطر لها تصوّرٌ جهنميٌّ آخر: عند محاولتها إحراق الشريط اللاصق، ستلتقط ثيابها النار بدلاً من الشريط. لا، لن تجازف بفعل ذلك. لو أن أحداً يعطيها أقراص دواء معينة (أو حتى رصاصة في الرأس) ليعفيها من احتمال التعرّض للاغتصاب والتعذيب والموت - يُرجّح أن الاعتداء سيكون بطيئاً، وستسبقه أعمال تشويه شنيعة - لربما كانت ستمكن من التغلب على صوت أبيها الممانع (لا تستسلمي أبداً يا إمي. الأشياء الجيدة تكون دائماً قريبة في مكان ما هنا أو هناك). لكن المجازفة باحتمال الإصابة بحروق من الدرجة الثالثة في مختلف أنحاء نصف جسدها العلوي، والاستلقاء نصف مشوية على الأرض في انتظار عودة بيكيرينغ، بل بالتضرّع إلى الله كي يعود ويخلّصها من بؤسها غير واردة.

لا. لن تفعل هذا. ولكن، ماذا يبقى لها غير ذلك؟ كانت تشعر بالوقت يتبدد. كانت الساعة على الحائط لا تزال تشير إلى 9:15، لكنها اعتقدت أن إيقاع المطر خفت قليلاً. الفكرة ملأت قلبها رعباً، فحاولت إبعادها لأن الذعر يمكن أن يقتلها.

كان استعمال السكين أمراً مستحيلاً، كما كان إشعال النار غير مقبول، فماذا يبقى لها؟

الجواب كان واضحاً: الكرسي. لم يكن هناك أي كرسي آخر في

المطبخ، باستثناء ثلاثة كراسي عالية بدون مساند تشبه كراسي المشارب. خمّنت بأنه جلب هذا الكرسي من غرفة طعام تمنّت ألا تشاهدها. هل أوثق نساء أخريات - "بنات أخت" أخريات - على كراسي قيقب حمراء ثقيلة تخص طاولة غرفة طعام؟ ربما على هذا الكرسي بالذات؟ في صميم قلبها، كانت واثقة بأنه فعل ذلك، وبأنه كان يثق في هذا الكرسي رغم أنه خشبيّ وليس معدنياً. ما نجح مرةً لا بد أنه سينجح ثانيةً. كانت متأكدة بأنه كان يفكّر في هذه الطريقة؛ مثل ضبع أيضاً.

كانت بحاجة لتحطيم السجن الذي يحجز حريتها. تلك هي الطريقة الوحيدة، وأمامها بضع دقائق فقط لفعل ذلك.

- 7 -

ربما هذا سيؤلم

كانت قريبة من الجزيرة الموجودة في منتصف المطبخ، لكن سطحها كان بارزاً قليلاً، مشكّلاً ما يشبه الشفة، وهي لم تثق بها. كانت تريد سطحاً أعرض من هذه الشفة الناتئة للضرب عليها. ولهذا السبب بدأت بالتحرك نحو البرّاد الذي كان أيضاً من الفولاذ غير القابل للصدأ... وكبيراً.

بدأت تتحرك حاملةً معها الكرسي المقيدة إليه من الخلف والمؤخرة والساقين. كان تقدُّمها بطيئاً إلى درجة مؤلمة. كانت كمن يحاول المشي مع كفن غريب مقيد بظهرها ومصمم ليناسب هيكل الجسد. وقد يكون كفنها بالفعل، إذا سقطت على الأرض. أو إذا كانت لا تزال تضرب الكرسي على البراد دون أي طائل عند رجوع صاحب البيت.

ترنّحت مرةً، وأوشكت على السقوط - على وجهها - وتمكّنت من الحفاظ على توازنها بقوة الإرادة وحدها. عاد الألم إلى باطن ساقها مهدداً مرة أخرى بالتطور إلى تقلص عضلي مؤلم يمكن أن يحوّل ساقها اليمنى

إلى ساق عديمة النفع. حاولت السيطرة على هذه المشكلة بالإرادة أيضاً، مغمضةً عينيها لفعل ذلك. سال العرق على وجهها غاسلاً دموعاً جافة لم تذكر أنها ذرفتها.

كم مرَّ من الوقت؟ كم؟ كان المطر قد خفت أكثر. سرعان ما ستبدأ بسماع تقطُّر المطر بدلاً من انهماره. ربما كان ديك يخوض عراكاً، وربما كان يملك مسدساً في درج طاولة مكتبه العتيقة الفوضوية، وربما أطلق النار على بيكرينغ بالطريقة التي تطلق فيها النار على كلب مسعور. هل يمكن أن تسمع صوت طلقة مسدس من مكانها هنا؟ لم تكن تظن ذلك لأن الريح كانت لا تزال تعصف بقوة شديدة. من الأرجح أن يتمكن بيكرينغ – الذي يصغر ديك بعشرين سنة، والذي يتمتع بصحة جسدية أفضل بكثير – من انتزاع أي سلاح يمكن أن يشهره ديك، ومن استخدامه ضد الرجل العجوز.

حاولت تبديد كل هذه الأفكار، لكن ذلك كان أمراً صعباً. كان صعباً، رغم عبثية هذه الأفكار. تحركت إلى الأمام بعينين لا تزالان مغمضتين ووجه شاحب – متورم عند الفم – ومشدود إلى الأسفل بفعل الجهد. أول خطوة طفل، ثاني خطوة طفل. هل يمكنني أن أخطو ست خطوات طفل أخرى؟ أجل، يمكنني فعل ذلك. ولكن، عند الخطوة الرابعة، ارتطمت ركبتاها – المثنيتان تقريباً إلى حد القرفصة – بمقدمة البراد.

فتحت إم عينيها غير مصدِّقة أنها تمكنت من قطع تلك المسافة الشاقة بأمان؛ مسافة يمكن لشخص غير مقيّد أن يقطعها بثلاث خطوات عادية، لكنها كانت بمثابة رحلة سفاري بالنسبة إليها؛ رحلة سفاري لعينة.

لم يكن لديها وقت لتضيعه في تهنئة نفسها. ليس فقط لأنها قد تسمع صوت فتح الباب الأمامي في أي لحظة، ولكن لأنها كانت تعاني من مشاكل أخرى. كانت عضلاتها مشدودة، وكانت ترتعش من محاولة

المشي بوضعية الجلوس. كانت تشعر بنفسها مثل هاوٍ غير رياضي يحاول القيام بوضعية يوغا تانترا فائقة الصعوبة. وإذا لم تفعل ما تريد فعله في الحال، فقد لا تكون قادرة على فعله على الإطلاق. وإذا كان الكرسي قويًّا كما كان يبدو -

لكنها أبعدت هذه الفكرة من رأسها.

"ربما هذا سيؤلم". قالت وهي تلهث. "تعرفين هذا، أليس كذلك؟". كانت تعرف بالفعل، لكنها تعتقد أن بيكيرينغ ربما يخبئ لها أشياء أشد إيلاماً بما لا يقاس.

"أرجوك". قالت وهي تدور حول نفسها كي تصبح في وضعية جانبية مع البراد. إذا كان هذا تضرّع فقد خطر لها أن توجهه إلى ابنتها الميتة. "أرجوك". قالت ثانيةً وهي تفتل نفسها جانبياً عند الوركين بقوة؛ ضاربةً الطفيلي المربوط بها بواجهة البراد.

لم تتفاجأ كما تفاجأت حينما تحرر الكرسي من الأرض وكادت تسقط على وجهها - بعد الارتطام بالفرن - ولكن إلى حد قريب جداً من تلك المفاجأة. لقد سمعت صوت تصدُّع عالياً من مسند الكرسي، ومال المقعد بشكل جانبي، في حين ظلتِ القوائم وحدها ثابتة.

صرخت في المطبخ الخالي: "إنّه متعفن! هذا الشيء اللعين متعفن!". ربما ليس تماماً، ولكن - بارك الله في طقس فلوريدا - من المؤكد أنه لم يكن قويًّا كما كان يبدو. أخيراً، ضربة حظ صغيرة... ولكن، ماذا لو جاء بيكيرينغ الآن، بعد أن حصلت على هذه الفرصة؟ ظنّت إميلي أنها ستفقد عقلها.

كم من الوقت مضى الآن؟ كم مضى على غيابه؟ لم تكن لديها أي فكرة. لطالما امتلكت ساعة دقيقة إلى حد معقول في رأسها، لكنها الآن أصبحت معطلة تماماً مثل تلك الساعة المعلقة على الحائط. كان فقدان القدرة على إدراك الزمن مرعباً على نحو خاص. تذكَّرت ساعتها الرقمية

الكبيرة فنظرت إلى معصمها، لكن الساعة كانت قد اختفت. لم تبقَ سوى رقعة شاحبة تدل على أن الساعة كانت موجودة في ذلك المكان. لا بد أنه أخذها.

أوشكت على ضرب الكرسي بالبراد ثانيةً، عندما خطرت لها فكرة أفضل. كان مقعد الكرسي متحرراً جزئياً من الكرسي؛ الأمر الذي منحها أفضلية إضافية. شدّت ظهرها كما فعلت بفخذيها وساقيها عندما كانت تحاول تحرير الكرسي من الأرض، لكنها هذه المرة عندما شعرت بألم منذر بالخطر أسفل ظهرها؛ عند قاعدة العمود الفقري، لم تتوقف للاستراحة والانتظار ومن ثم إعادة الكرّة. لأنها لم تكن تملك متسعاً من الوقت يتيح لها الانتظار أكثر. كان باستطاعتها تصوُّره عائداً إلى المنزل، وهو يركض في منتصف الطريق المهجور، وقدماه تثيران رذاذاً من ماء المطر خلفهما، والمعطف الأصفر يخفق في الهواء... وهو يحمل في يده أداة ما؛ ربما قضيب تثبيت العجلات الذي أخذه من صندوق السيارة الخلفي الملطخ بالدماء.

شدّت إم ظهرها إلى الأعلى، فازداد الألم الذي تشعر به في أسفل ظهرها، لكنها سمعت صوت التمزُّق ثانيةً بينما كان الشريط اللاصق يتحرر؛ ليس من الكرسي، بل من نفسه، من طبقاته المتشابكة. كان ينحلّ. وكلمة ينحلّ لم تكن مفرحة مثل كلمة يتحرر، لكنها كانت جيدة مع ذلك.

أرجحت وركيها وركلت الكرسي بالبراد مجدداً، مطلقة صرخة بذل جهد. هذه المرة لم يتحرك الكرسي، بل ظل متعلقاً بها مثل بطلينوس. أرجحت وركيها مجدداً، بقوة أكبر، مع صرخة أعلى. سمعت صوت تكسُّر، ومال الكرسي إلى اليمين عند الظهر والوركين.

تأرجحت مجدداً... ومجدداً... ومجدداً ضاربةً الكرسي بالبراد. بكت ثانيةً. انشق سروالها القصير من الخلف ومال نحو وركها، ووركها نفسها كانت تنزف؛ اعتقدت أنها أصيبت بشظية خشب متكسرة.

أخذت نَفَساً عميقاً، محاولةً تهدئة نبض قلبها المتسارع، وضربت نفسها مع سجنها الخشبي في البراد مرة أخرى، وبكل ما أوتيت من قوة. هذه المرة ضربت ذراع وعاء الثلج الأوتوماتيكي محررةً مكعبات الثلج التي كانت كامنةً في مخبئها فتناثرت على الأرض. سمعت صوت تكسُّر آخر، ثم تحررت ذراعها اليسرى. نظرت إليها بعينين مذهولتين. كانت ذراع الكرسي لا تزال معلقة بساعدها الأيسر. وكان هيكل الكرسي مائلاً نحو ذلك الجانب، ومعلّقاً بها بواسطة لفّات رمادية طويلة من الشريط اللاصق. صحيح أنها لم تتحرر بعد، ولكن أصبح بإمكانها الآن استخدام السكين. كل ما عليها فعله هو العودة إلى الجزيرة في منتصف المطبخ والحصول عليها.

"لا تدعسي على المكعبات الثلجية". قالت لنفسها بصوت متهدج بدا – لأذنيها على الأقل – مثل صوت طالبة تخرُّج مجتهدة أنهكت نفسها في الدراسة إلى درجة أوصلتها إلى حافة الانهيار العصبي. "هذا وقت سيئ جداً للتزحلق".

تجنّبت المكعبات، لكنها عندما انحنت لتمسك بالسكين أصدر ظهرها صريراً تحذيرياً. ارتطم الكرسي الذي أصبح أكثر تفككاً بكثير الآن لكنه لا يزال مربوطاً بجذعها بذلك المشد المصنوع من الشريط اللاصق (وعند الرجلين أيضاً)، بطرف الجزيرة، لكنها لم تكترث للأمر. أمسكت بالسكين بيدها اليسرى المحررة حديثاً وبدأت تحزّها على الشريط الذي يقيد ذراعها اليمنى، وهي تلهث وتلقي نظرات خاطفة بين الحين والآخر إلى الباب الدوّار [باب يمكن فتحه من الجهتين] الذي يفصل المطبخ عن الغرفة التي تجاوره؛ خمّنت أنها غرفة الطعام وصالة الاستقبال. عبر ذلك الطريق خرج، وعبره سيعود على الأرجح. عندما أصبحت يدها اليمنى حرة، نزعت ذراع الكرسي المكسورة التي كانت لا تزال معلقة بساعدها الأيسر ورمتها على الجزيرة.

"توقفي عن الالتفات ترقُّباً لقدومه. قومي بعملك وحسب". كانت نصيحة جيدة، ولكن يصعب اتباعها عندما تعلم أن موتك يمكن أن يأتي عبر ذلك الباب، وبعد وقت قصير جداً.

بدأت تحزّ طبقات الشريط اللاصق تحت أسفل صدرها. كان ينبغي ان يكون هذا العمل بطيئاً وحذراً، ولكن ليس في حالتها تلك؛ الأمر الذي تسبب بجرحها نفسها برأس السكين مرات متكررة. كان بوسعها الشعور بالدماء تسيل على جلدها.

كانت السكين حادة، ولهذا الأمر جانبان، أحدهما سيئ والآخر جيد. الجانب السيئ يكمن في أن تلك الجروح المتكررة كانت تقع أسفل عظم القص مباشرةً. أما الجانب الجيد فهو أن الشريط اللاصق كان ينشق بدون عناء كثير، طبقة بعد طبقة. وأخيراً انشق الشريط من الأعلى إلى الأسفل، وتراخى الكرسي أكثر من جهة ظهرها. وبدأت العمل على الرباط العريض المحيط بخصرها. أصبح بإمكانها الآن الانحناء أكثر، ما جعل عملها أسرع وأقل إيذاءً لجسدها. شقت كل الرباط أخيراً، وهوى ظهر الكرسي إلى الخلف. لكن قائمتي الكرسي كانتا لا تزالان مقيدتين بساقيها، ومالتا فجأة وضغطتا على ساقيها فنتأت أوتار الكعب مثل كوابل مزروعة تحت الجلد مباشرة. كان الألم فظيعاً، فراحت تئن على نحو يدعو للشفقة.

مدّت يدها اليسرى وضغطت على الكرسي باتجاه ظهرها مخففةً ذلك الضغط الفظيع على ساقيها. كانت ترفع ذراعها بزاوية حادة جداً ومؤذية، لكنها واصلت ضغط الكرسي على جسدها بينما كانت تدور كي تواجه الفرن مجدداً. وبعد ذلك، أرجعت نفسها إلى الوراء مستخدمةً الجزيرة لتخفيف الضغط، ثم انحنت إلى الأمام، وهي تلهث وتبكي (رغم أنها لم تكن تدرك ذلك)، وبدأت تحزّ الشريط الذي يربط كاحليها. لقد تسببت كل محاولاتها السابقة بإرخاء هذه العصابات والعصابات الأخرى

التي تربطها بالكرسي اللعين، ما جعل عملها أسرع من ذي قبل، وأقل إيذاء أيضاً من ذي قبل؛ رغم أنها نجحت في إحداث جرح لا بأس به على ساقها اليمنى؛ كما لو أن جزءاً مجنوناً منها عاقبها على التوقف عن العمل عندما كانت تحاول دفع الكرسي لتحريره من الأرض.

كانت تعمل على شق الشريط الذي يقيد ركبتيها - آخر اللّفات المتبقية - عندما سمعت الباب الأمامي يُفتَح ثم يُغلَق. "عدت إلى البيت يا عزيزتي!". صاح بيكيرينغ بابتهاج. "هل افتقدتني؟".

تجمّدت إم وهي محنية الظهر وشعرها متدلٍّ على وجهها، وقد تطلّبت منها العودة إلى الحركة مجدداً كل ما بقي لديها من إرادة. لا وقت للدقة الآن. أدخلت نصل سكين الجزّار تحت حافة الشريط اللاصق الرمادي الذي يقيِّد ركبتها اليمنى، متجنبةً بصورة عجائبية غرز رأس السكين في عظمة الركبة، ثم سحبته إلى الأعلى بكل قوتها.

في الصالة، سمعت إم صوت مفتاح يدور في قفل؛ قفل كبير، بدا ذلك واضحاً من الصوت. يبدو أن بيكيرينغ لم يكن يريد أي مقاطعة، ربما لأنه كان يعتقد أنه عانى من مقاطعات كافية ليوم واحد. بدأ يمشي في الصالة. لا بد أنه كان ينتعل حذاء رياضياً (لم تلاحظ ذلك من قبل) لأنها سمعت صوت احتكاكه المميز بالأرض.

كان يصفر لحن أغنية "أوه سوزانا".

انشقّ الشريط الذي يقيد ركبتها اليمنى من الأسفل إلى الأعلى، فسقط الكرسي واصطدم بطاولة الجزيرة مصدراً صوت ارتطام صاخباً، وأصبحت الآن مقيدة فقط من ركبتها اليسرى. لوهلة توقف صوت وقع الخطوات خلف الباب الدوار - أصبح قريباً جداً الآن - ثم تحوّل المشي إلى ركض. وبعد ذلك، حدث كل شيء بسرعة فائقة.

ضرب الباب بيديه الاثنتين فانفتح بقوة مصدراً صوت خبطة مدوية. كانت يداه لا تزالان ممدودتين عندما دخل المطبخ مسرعاً،

وكانتا فارغتين؛ لم يكن يحمل القضيب الحديدي الذي تخيّلته. كان كُمّا المعطف الأصفر الواقي من المطر مرفوعين إلى منتصف ذراعيه، ووجدت إم وقتاً للتفكير: هذا صغير جداً عليك أيها الساقل. أي زوجة كانت ستقول لك ذلك، لكنك لا تملك زوجة، أليس كذلك؟

كانت قبعة المعطف متدلية على ظهره. كان شعره أشعث أخيراً – ولكن، ليس كثيراً لأنه كان قصيراً جداً – وكان ماء المطر يقطر على جانبي وجهه وفوق عينيه. يبدو أنه أدرك كل شيء في نظرة واحدة، فصرخ قائلاً: "أيتها الساقطة المزعجة". ثم ركض حول الجزيرة ليمسك بها.

ضربته بالسكين فأصابته في المنطقة الواقعة بين إصبعه الأولى والثانية من يده اليمنى المبسوطة محدثةً شقاً عميقاً هناك. تدفق الدم على الأرض، وصرخ بيكيرينغ من الألم والدهشة؛ غالباً من الدهشة حسب ظنها، لأن الضباع لا تتوقع أن تنقضّ ضحاياها عليها.

مدّ يده اليسرى وأمسك بمعصمها وفتله. سمعت صرير شيء ما، أو ربما انخلاع شيء ما. على أي حال، انبثق الألم في ذراعها مثل البرق. حاولت التمسك بالسكين، لكنها لم تستطع، فطارت السكين عالياً عبر الغرفة. وعندما ترك معصمها، هَوَت يدها اليمنى إلى الأمام مبسوطة الأصابع.

هجم عليها فدفعته إم إلى الخلف مستخدمةً كلتا يديها، ومتجاهلة الألم الجديد الصادر عن رسغها الملتوي. فعلت ذلك بالفطرة فقط، لأن تفكيرها المنطقي كان سيقول لها إن الدفع لن يوقف ذلك الشخص، بيد أن تفكيرها المنطقي كان منكمشاً في إحدى زوايا رأسها، غير قادر على فعل أي شيء إلا الرجاء والتمنّي.

كان أثقل منها، لكنها كانت تسند مؤخرتها على الشفة البارزة من سطح الجزيرة، فتراجع إلى الخلف مترنّحاً، وعلى وجهه نظرة ذهول كانت ستبدو هزلية في ظروف أخرى، ثم دعس إما على مكعب ثلج واحد

أو على بضعة مكعبات منه. لوهلة، بدا مثل شخصية كارتونية - راكض الطريق، ربما - تركض بأقصى سرعتها محاولةً البقاء على قدميها. لكنه دعس على المزيد من المكعبات (رأتها تدور وتلمع على الأرض)، وسقط على الأرض بقوة فارتطم مؤخر رأسه ببرّاده المطعوج حديثاً.

رفع يده الدامية وهو ينظر إليها، ثم قال: "لقد جرحتني. أيتها الساقطة، أيتها الساقطة الغبية، انظري إلى هذا، لقد جرحتني. لماذا جرحتني؟".

حاول الوقوف على قدميه، فإذا به يدعس على مكعبات ثلج أخرى، وهوى على الأرض ثانيةً. دار وهو يستند على ركبة واحدة محاولاً الوقوف بهذه الطريقة، وبذلك أصبح ظهره في مواجهتها. أمسكت إم بذراع الكرسي المكسور الملقاة على سطح الجزيرة، ولا تزال تتدلى منها بقايا محززة من الشريط اللاصق. وقف بيكيرينغ على قدميه والتفت نحوها، وكانت إميلي تنتظر. هوت بذراع الكرسي على مقدمة رأسه مستخدمة كلتا يديها؛ يدها اليمنى لم ترغب بالانطباق لكنها أرغمتها على فعل ذلك. جزء يتعلق بالرغبة في البقاء داخلها حثّها على الإمساك بقوة بذراع القيقب الأحمر، لعلمها أن ذلك سيضاعف قوة الضربة. فما تمسكه كان ذراع كرسي، وليس مضرب بيسبول.

كان هناك صوت ارتطام. ليس عالياً مثل صوت الباب عندما ضربه ودخل المطبخ، لكنه كان عالياً بما يكفي، ربما لأن المطر كان قد أصبح أخف. لوهلة، لم يحدث أي شيء آخر، ولكن بعد ذلك بدأ الدم يسيل من بين شعره القصير وينساب على جبهته. حدّقت في عينيه، فنظر إليها بالمقابل بعينين دائختين غير مصدّقتين.

"لا تفعلي ذلك". قال بضعف، ومد يده ليأخذ ذراع الكرسي منها.

"أجل". قالت ثم هوت بها مجدداً، هذه المرة من الجانب، موجهةً ضربة جانبية بكلتا اليدين؛ أفلتت يدها اليمنى في اللحظة الأخيرة، لكن

اليسرى بقيت متشبثة بذراع الكرسي بقوة. ارتطمت نهاية ذراع الكرسي – المثلّمة من منطقة الكسر – بصدغه الأيمن، فانبثق الدم على الفور هذه المرة، بينما كان رأسه يميل مع الضربة جانباً إلى كتفه اليسرى. انسابت قطرات لامعة على خدّه قبل أن تسقط على البلاط الرمادي، مصدرة صوت تربيت خفيفاً.

"توقفي". قال بصوت أجش وهو يلوّح في الهواء بيد واحدة. بدا مثل رجل غريق يتوسل لإنقاذه.

"لا". قالت ثم هوت بذراع الكرسي على رأسه ثانيةً.

صرخ بيكيرينغ وراح يمشي بترنح، برأس محني نحو الأسفل، محاولاً وضع الجزيرة بينهما. داس على مكعبات ثلج أخرى فانزلق، لكنه نجح هذه المرة في الحفاظ على توازنه، بالحظ فقط، لأنه كان بحاجة ماسة للبقاء واقفاً على قدميه.

لوهلة، كادت تتركه يذهب، معتقدةً أنه سيهرب عبر الباب الدوار. وهذا ما كانت ستفعله ربما، لو لم يُخيَّل إليها أنها تسمع صوت أبيها يقول لها بهدوء شديد، في رأسها: "إنه يسعى وراء السكين يا حبيبتي".

قالت بصوت مزمجر هذه المرة: "لا. لا، لن تفعل".

حاولت الركض حول الجانب الآخر من الجزيرة كي تسبقه، لكنها لم تستطع الركض؛ ليس وهي تجرُّ بقايا الكرسي المكسور خلفها مثل كرة وسلسلة لعينة. كان الكرسي لا يزال ملتصقاً بركبتها اليسرى. ارتطم الكرسي بالجزيرة، ثم ارتد على مؤخرتها، كما لو أنه يحاول الدخول بين ساقيها وإيقاعها. بدا الكرسي وكأنّه يقف إلى جانبه.

وصل بيكيرينغ إلى السكين التي كانت مستلقية عند أسفل الباب الدوار، ثم سقط عليها مثل محاولة عرقلة في كرة القدم الأميركية للتغطية على كرة ضائعة. وصلت إم إليه في لحظة شروعه بالالتفات، وضربته بذراع الكرسي مرة بعد مرة بعد مرة، وهي تزعق، مدركةً في جزء ما من

عقلها أنها لم تكن ثقيلة بما يكفي، وأنها هي نفسها لم تكن تولّد القوة التي كانت تريد توليدها. كان بوسعها ملاحظة أن رسغها الأيمن – الذي بدأ يتورّم – كان يواجه العنف الذي لحق به كما لو أنه يتوقّع النجاة في ذلك اليوم.

انهار يكيرينغ فوق السكين ورقد بجمود، فيما تراجعت إلى الخلف قليلاً وهي تلهث، وبدأت تلك المذنبات البيضاء الصغيرة بالطواف في مختلف أنحاء نطاق رؤيتها.

بدأ الرجلان يتحدثان داخل عقلها. لم يكن هذا أمراً غير مألوف لديها، ولم يكن دائماً غير مرّحب به. أحياناً، وليس دائماً.

هنري: "اجلبي تلك السكين اللعينة واغرزيها بين لوحي كتفيه".

رستي: "لا يا حبيبتي. لا تقتربي منه. هذا ما يتوقعه منك. إنه يدّعي فقدان الوعي".

هنري: "أو في مؤخر عنقه. هذا جيد أيضاً. عنقه النتن".

رستي: "إن دسّ يدك تحته أشبه بإدخال يدك في آلة رزم القش يا إمي. لديك خياران. اضربيه حتى الموت –".

هنري الذي بدا متردداً لكنه اقتنع: "– أو اهربي".

حسناً، ولِمَ لا؟

كان هناك دُرج في تلك الجهة من الجزيرة. فتحته بسرعة، راجية أن تجد سكيناً أخرى، أو الكثير منها: سكاكين تقطيع، سكاكين مخصصة لصنع شرائح لحم، سكاكين مسننة للخبز. بالنسبة إليها، كانت ستختار سكين زبدة لعينة. لكنها رأت مجموعة مرتبة من أدوات الطبخ البلاستيكية؛ مجرفتين، ومغرفة، وملعقة بلاستيكية كبيرة مليئة بالثقوب. وكانت هناك أيضاً أدوات صغيرة أخرى، لكن الأداة التي بدت لها أشد خطراً من الأدوات الأخرى هي مقشّرة البطاطا.

"اسمعني". قالت بصوت خشن لأن حلقها كان جافاً. "لا أريد أن

الملك، لكنني سأفعل إذا اضطررتني للقيام بذلك. لدي شوكة لحم هنا. إذا حاولت أن تلتفت فأغرزها في مؤخر عنقك وسأضغط عليها إلى أن تخرج من الأمام".

هل صدّقها؟ هذا سؤال. كانت واثقة بأنه أزال كل السكاكين باستثناء تلك الموجودة تحته عمداً. ولكن، هل يمكن أن يكون واثقاً من أنه أزال كل الأدوات الحادة الأخرى؟ معظم الرجال لا يعرفون ماذا يوجد في أدراج مطابخهم - كانت تعرف ذلك من حياتها مع هنري، وقبل ذلك من حياتها مع أبيها - لكن بيكيرينغ لم يكن واحداً من معظم الرجال، ولم يكن مطبخه شبيهاً بمعظم المطابخ. في الحقيقة، كان أكثر شبهاً بغرفة عمليات. مع ذلك، استناداً إلى حدة الدوخة التي كان يعاني منها (هل كان دائخاً؟) ونظراً إلى أنه لا بد يعرف أن فقدان الوعي يمكن أن يتسبب بقتله، اعتقدت أن خدعتها يمكن أن تنجح. ولكن، هناك سؤال آخر: هل كان يسمعها أساساً؟ أو يفهمها إذا كان يسمعها؟ الخداع لا يمكن أن ينجح إذا كان الشخص الذي تحاول خداعه لا يدرك المخاطر.

لكنها لم تكن لتقف هناك وتفكّر في كل ذلك، فهذا أسوأ شيء يمكن أن تفعله. انحنت دون أن تبعد عينيها عن بيكيرينغ، ثم دسّت أصابعها تحت آخر عصبة من الشريط اللاصق تقيّدها بالكرسي. لم تشأ أصابع يدها اليمنى أن تعمل، لكنها أرغمتها، كما أن جلدها المبلل بالعرق ساعدها. دفعت أصابعها نحو الأسفل فبدأ الشريط يتحرر. كانت تظن أن العملية ستكون مؤلمة، حيث خلّف الشريط عصبة حمراء لامعة على عظمة ركبتها (لسبب ما طافت كلمة جوبيتير بشكل عشوائي في ذهنها)، لكنها لم تعد تشعر بالألم. انسلخ الشريط بأكمله وانزلق إلى كاحلها، مجعداً وملفوفاً على نفسه. هزّت قدمها ومشت خطوة إلى الخلف فقط على الأرض وأصبحت حرة تماماً. كان رأسها ينبض بعنف؛ إما من الجهد المضني الذي بذلته أو من الضربة التي أصابت رأسها عندما كانت تنظر

إلى الفتاة الميتة في الصندوق الخلفي لسيارته المرسيدس.

قالت: "نيكول. كان اسمها نيكول".

بدت تسمية الفتاة الميتة كما لو أنها أعادت إم إلى نفسها. أصبحت الآن فكرة محاولة استعادة سكين الجزار من تحته ضرباً من الجنون. كان ذلك الجزء من ذاتها الذي يتحدث أحياناً بصوت أبيها على حق، إذ إن مجرد البقاء في الغرفة نفسها مع بيكيرينغ كان أشبه بمقامرة كبرى. وبذلك، لم يبقَ لها إلا الهرب، ولا شيء غيره.

"إنني ذاهبة الآن. هل تسمعني؟".

لم يتحرك.

"أحمل شوكة اللحم. إذا لحقت بي، فسأطعنك بها. سوف... سوف أقتلع عينيك. ما عليك فعله هو البقاء حيث أنت. أفهمت؟".

لم يتحرك.

تراجعت إميلي مبتعدةً عنه، ثم التفتت وغادرت المطبخ من الباب المقابل. كانت لا تزال تمسك بذراع الكرسي المدماة.

- 8 -

كانت هناك صورة فوتوغرافية على الحائط بجانب السرير

كانت تلك غرفة الطعام. وفيها مائدة طويلة يغطيها لوح من الزجاج وتلتف حولها سبعة كراسٍ من القيقب الأحمر. بالطبع، كان مكان الكرسي الثامن فارغاً. بينما كانت تتمعّن في طرف "الأم" الفارغ من المائدة، تذكّرت شيئاً: قطرة صغيرة من الدم كانت تتكوّن أسفل عينيها عندما كان بيكيرينغ يقول: حسناً، جيد. لا بأس. لقد صدّقها عندما أخبرته أن ديك وحده يمكن أن يعلم بإمكانية وجودها داخل الحصن، ولهذا السبب رمى السكين الصغيرة – عندئذ، قالت في داخلها، سكين نيكول

الصغيرة – في الحوض.

إذاً، كانت هناك سكين لتهديد بيكيرينغ طوال الوقت. ولا تزال موجودة في الحوض. لكنها لن تعود إلى هناك الآن. مستحيل.

عبرت الغرفة ودخلت ممراً ذا خمسة أبواب، اثنان على كل جانب وواحد في نهايته. البابان الأولان اللذان مرت بجانبهما كانا مفتوحين، على يسارها حمّام وعلى يمينها غرفة غسيل. كانت الغسالة من الحجم الكبير، وكان بابها مفتوحاً. وهناك علبة مسحوق غسيل "تايد" على الرف بجانبها. رأت إم قميصاً ملطخاً بالدماء مستلقياً على باب الغسالة، نصفه داخلها ونصفه خارجها. إنه قميص نيكول، كانت إم شبه واثقة. ولكن، إذا كان قميصها بالفعل، فلماذا كان بيكيرينغ ينوي غسله؟ الغسل لن يزيل الثقوب. تذكّرت إم أنها اعتقدت أن الطعنات كانت بالعشرات، رغم أن ذلك غير ممكن. أليس كذلك؟

بل ممكن، في الواقع: بيكيرينغ في نوبة سعار.

فتحت الباب الذي يلي الحمّام فرأت غرفة ضيوف، وهي غرفة مربعة الشكل خالية من أي شيء إلا من سرير كبير الحجم، شديد الترتيب إلى درجة أنك تستطيع بلا شك أن تنطّط قطعة نقود معدنية على غطائه العلوي. لا بد أن خادمة قد رتّبت هذا السرير. لكن إم قالت في داخلها: تقديرنا يقول لا. لم تدخل أي خادمة إلى هذا المنزل. "بنات الأخت" فقط.

كان الباب المقابل لغرفة الضيوف يفضي إلى غرفة عمل أو دراسة. كانت الغرفة مرتبة وفاقدة للحياة تماماً مثل غرفة الضيوف. كانت هناك خزانتان لحفظ الأضابير في إحدى الزوايا، ومكتب كبير ليس عليه شيء سوى حاسوب من طراز ديل مغطى بغطاء بلاستيكي شفاف لحمايته من الغبار. كانت الأرض مفروشة بألواح من خشب البلوط. ولم تكن هناك أي سجادة أو صور على الجدران. وكان أباجور نافذتها الكبيرة الوحيدة

مغلقاً، سامحاً فقط بمرور بضعة قضبان باهتة من الضوء. باختصار، كانت الغرفة تبدو – مثل غرفة الضيوف – معتمة ومنسية.

سيكون الباب في نهاية الممر مغلقاً. اقتربت منه وهي جازمة بأنه سيكون مقفلاً. وإذا كان مقفلاً، فهي ستكون محتجزة في نهاية هذا الممر لو دخل من المكان الذي دخلت هي منه. سوف تكون محتجزة بدون أي فسحة للهرب، وفي تلك الأيام كان الركض هو الشيء الوحيد الذي تبرع فيه، الشيء الوحيد الذي تصلح له.

رفعت سروالها القصير – الذي أصبح فضفاضاً عليها بعد انشقاق درزته الخلفية – وأمسكت بقبضة الباب. كان الشعور الذي انتابها منذ لحظات – وهو أنها ستجد الباب مقفلاً – يتملكُها تماماً لدرجة أنها لم تصدق نفسها عندما دارت قبضة الباب في يدها. دفعت الباب ودخلت ما بدا لها يقيناً أنه غرفة نوم بيكيرينغ. كانت تفتقر إلى الحيوية تقريباً مثل غرفة الضيوف، ولكن ليس تماماً. إذ على الأقل كانت توجد وسادتان، بدلاً من واحدة فقط، والغطاء العلوي (الذي بدا وكأنه توأم سرير غرفة الضيوف) كان مقلوباً إلى الخلف على شكل مثلث دقيق، جاهزاً لاستقبال المالك بشراشفه الجديدة بعد يوم عمل شاق. وهناك أيضاً سجادة على الأرض؛ سجادة رخيصة مصنوعة من النايلون، ولكن من الجدار إلى الجدار. بدون أدنى شك، كان هنري سيدعوها سجادة حظيرة، غير أنها كانت تناسب الجدران الزرقاء وتجعل الغرفة تبدو بأنها مفروشة أكثر من الغرف الأخرى. وكانت هناك أيضاً منضدة صغيرة – بدت مثل منضدة مدرسة قديمة – وكرسي خشبي بسيط. رغم أن عدة الدراسة هذه كانت بسيطة جداً بالمقارنة مع عدة غرفة المكتب – بنافذتها الكبيرة (والمغلقة للأسف) وحاسوبها باهظ الثمن – إلا أنها شعرت بأن هذه المنضدة كانت مستخدَمة. شعرت بأن بيكيرينغ كان يجلس هنا ويكتب بأحرف متصلة، محني الظهر مثل طفل في مدرسة ريفية، يكتب ما لم يكن يحب التفكير

به.

والنافذة هنا كانت كبيرة أيضاً، بيد أن أباجورها الخارجي – ليس كما كان الحال في غرفتيّ الدراسة والضيوف – لم يكن مغلقاً. قبل أن تتمكّن إم من النظر إلى الخارج لرؤية ما يوجد هناك، لفتت نظرها صورة فوتوغرافية على الحائط بجانب السرير. لم تكن معلقة ولا مؤطّرة، وإنما مثبتة هناك بواسطة دبوس عريض الرأس. كانت هناك ثقوب صغيرة أخرى على الحائط حولها، كما لو أن صوراً أخرى عُلّقت هناك على مر السنين. كانت الصورة ملوّنة، وطُبع على زاويتها اليمنى تاريخ مكتوب بشكل رقمي: 07-19-4. لا بد أنها التُقطت بواسطة كاميرا قديمة الطراز، وليس كاميرا رقمية، وذلك من منظر ورقها، وبواسطة شخص غير خبير في التصوير. لعلّ المصوِّر كان يشعر بالإثارة. كما تشعر الضباع – تخيّلت إم – عند يحل المغيب متوقّعةً إيجاد فريسة طازجة. كانت الصورة مغبّشة، وكأنها التُقطت بعدسات مكبّرة، والشخص الموجود داخلها غير متموضع في الوسط. وهذا الشخص امرأة شابة طويلة الساقين ترتدي سروالاً قصيراً من الجينز وبلوزة قصيرة كُتب عليها "BEER O'COOK BAR". كانت تحمل صينية على أصابع يدها اليسرى، مثل نادلة في رسومات نورمان روكويل المفرحة. كانت تضحك، وكان شعرها أشقر. لم تكن إم متأكدة من أنها نيكول، ليس من هذه الصورة المشوشة ومن تلك اللحظات القليلة المصدومة التي نظرت فيها إلى الفتاة الميتة في صندوق المرسيدس الخلفي... بيد أن قلبها كان يقول لها إنها نيكول. كان قلبها متأكداً.

رستي: "ليس مهماً يا حبيبتي. عليك الخروج من هنا، عليك إيجاد مكان للهرب".

ولإثبات صحة كلامه، انفتح الباب الفاصل بين المطبخ وغرفة الطعام بقوة شديدة كافية لخلعه من مفاصله.

لا، قالت إم في داخلها. فقدت كل إحساس يربطها بوسطها. لم تعتقد أنها بلّلت نفسها مجدداً، لكنها لم تكن قادرة على التأكد من أنها لم تفعل. لا، غير ممكن.

صاح بيكيرينغ: "أتريدين اللعب بقسوة؟". بدا صوته دائخاً وفرحاً. "حسناً، يمكنني أن ألعب بقسوة. ليست هذه مشكلة. أتريدين ذلك؟ لك ما تريدين. والدك سيجلبها لك".

بينما كان يعبر غرفة الطعام، سمعت إم صوت خبطة، تلاه صوت بعثرة قوية بسبب تعثّره بأحد الكراسي (لعله ذاك الموجود عند طرف "الأب" من المائدة) ورميه على الأرض. بدأ العالم يطوف حولها، متحولاً إلى اللون الرمادي، رغم أن هذه الغرفة كانت مشرقة نسبياً مع اقتراب العاصفة من نهايتها.

عضّت مجدداً على شفتها المشقوقة، فسال جدول جديد من الدم على ذقنها، وعاد اللون والواقع إلى العالم. أغلقت الباب وبحثت عن القفل. لم يكن هناك قفل. تلفّتت حولها فرأت الكرسي الخشبي البسيط جالساً أمام المنضدة الخشبية الوضيعة. عندما بدأ بيكيرينغ يركض بتثاقل عابراً غرفة الدراسة وغرفة الغسيل - هل كان يحمل سكين الجزّار في يده؟ بالتأكيد كان يحملها - انتزعت الكرسي ووضعته تحت مقبض الباب، ثم أمالته. وبعد لحظة واحدة فقط، ضرب الباب بكلتا يديه.

فكّرت إم في أن هذه الأرضية لو كانت مصنوعة من ألواح خشب البلوط، لانزلق الكرسي عليها مثل قرص في لعبة *shuffleboard*. ربما كانت ستمسك به وتبقي بيكيرينغ بعيداً عنها: إم مروّضة الأسود الشجاعة. في الحقيقة، لم تكن تظن ذلك. على أي حال، كانت هناك السجادة. صحيح أنها كانت مصنوعة من النايلون، لكنها ثابتة، وهذا على الأقل كان يناسب الكرسي الذي انغرز فيها وثبت هناك، رغم أن إم رأت تموّجاً يتكوّن فيها.

زمجر بيكيرينغ وبدأ يدق على الباب بقبضتي يديه. أمِلَتْ إم أن يكون لا يزال ممسكاً بالسكين أثناء قيامه بذلك؛ لعله سيحز رقبته بشكل غير مقصود في السياق.

"افتحي هذا الباب! افتحيه! إنك بذلك تزيدين الأمور سوءاً عليك!".

وكأنني أملك خياراً آخر، قالت إم لنفسها بينما كانت تتراجع إلى الخلف وهي تتلفت حولها. ماذا الآن؟ النافذة؟ ماذا يوجد غيرها؟ لم يكن يوجد سوى باب واحد. إذاً، لا بد أنها النافذة.

"إنك تفقدينني صوابي، يا ليدي جين!".

إنك مجنون مسبقاً. كما في صانع القبعات.

كانت النافذة من النوع الذي تتميز به فلوريدا على نحو خاص، أي مصممة للنظر فقط، وليس للفتح؛ من أجل التكييف. ماذا ستفعل إذاً؟ أتندفع إليها مثل كلينت إيستوود في واحد من أفلام الغرب المتوحش التي كان يخرجها مخرجون إيطاليون؟ بدا ذلك ممكناً؛ لا شك أنه من الأشياء التي كانت تروقها عندما كانت طفلة، لكنها خمّنت أنها ستجرح نفسها جرحاً عميقاً لو حاولت القيام بذلك. كلينت إيستوود وستيفين سيغال كان لديهما رجال مختصون بأداء المشاهد الخطيرة، فضلاً عن أن أولئك المختصين كانوا يواجهون زجاجاً خاصاً في مثل تلك الحالات.

سمعتْ وقع خطوات ثقيلة وسريعة خلف الباب بينما كان بيكيرينغ يتراجع ثم يندفع نحو الباب من جديد. صحيح أنه كان باباً قوياً، لكن بيكيرينغ لم يكن يمزح، وها هو يرتعد ضمن إطاره. هذه المرة، تراجع الكرسي وهو يهتزّ بضعة سنتمترات قبل أن يثبت. لكن الأسوأ من ذلك هو ازدياد تلك الموجة في السجادة، كما أنها سمعت صوتاً ليس بعيد الشبه من صوت انفكاك الشريط اللاصق. كان حيوياً إلى حد مثير للاستغراب بالنسبة إلى رجل ضُرب على الرأس والكتفين بقطعة متينة من خشب

القيقب، لكنه بالطبع كان مجنوناً، وفي الوقت نفسه عاقلاً بما يكفي لمعرفة أنها إذا أفلتت، فإنه لن يفلت. كانت تعتقد أن هذا كان دافعاً قوياً جداً.

كان ينبغي علي استخدام الكرسي اللعين بأكمله عليه.

"أتريدين اللعب؟". قال لاهثاً. "سألعب. بالتأكيد. يمكنك المراهنة على ذلك. لكنك تلعبين على ملعبي، أليس كذلك؟ وها... أنا... قادم!".

ضرب الباب مجدداً. اهتز الباب بعنف وتراخت مفاصله قليلاً، وتراجع الكرسي بضعة سنتمترات أخرى. رأت إم ثقوباً على شكل قطرات دموع في السجادة بين الكرسي المائل والباب.

عبر النافذة إذاً. إذا كانت ستموت نازفةً من جروح يعلم الله وحده كم سيكون عددها، فإنها تفضّل أن تكون هي من يتسبب بها. ولكن، ربما... إذا لفّت نفسها بغطاء السرير العلوي...

في تلك اللحظة، وقعت عيناها على المنضدة.

"سيد بيكيرينغ!". صاحت إم وهي تمسك بالمنضدة من الجانبين. "انتظر! أريد أن أعقد معك اتفاقاً!".

رد بغضب: "لا اتفاقات مع الساقطات؟". ثم توقف لوهلة، ربما كي يلتقط أنفاسه؛ الأمر الذي منحها بعض الوقت. وكان الوقت هو كل ما تريده. "ما هي خطتك العظيمة؟ أخبري بابا جيم".

في ذلك الوقت، كانت المنضدة هي خطتها. رفعتها عالياً، نصف متأكدةٍ بأن أسفل ظهرها المصاب سيطقّ مثل بالون. بيد أن المنضدة كانت خفيفة، وأصبحت أكثر خفةً عندما سقطت منها دفاتر مثبتة بسلك حلزوني بدت مثل دفاتر جامعية زرقاء.

"ماذا تفعلين؟". قال بحدّة، وبعد ذلك: "لا تفعلي ذلك!".

ركضت نحو النافذة ثم توقفت على مقربة منها ورمت المنضدة. كان صوت تشظّي الزجاج هائلاً. ودون أن تتوقف لتفكر أو تنظر – لأن

هذا لن يفيدها في تلك المرحلة، فضلاً عن أن النظر كان سيخيفها لو كان الارتفاع عالياً – انتزعت الغطاء العلوي عن السرير.

صدم بيكيرينغ الباب مرة أخرى، ورغم أن الكرسي ظل صامداً – مرفت ذلك لأنه لو لم يصمد لاندفع بيكيرينغ إلى داخل الغرفة محاولاً الإمساك بها – إلا أنها سمعت صوتاً عالياً لخشب يتصدّع.

لفّت إم الغطاء عليها من الذقن إلى القدمين – لوهلة بدت مثل امرأة هندية في إحدى قصص ن. سي. ويث المصوّرة على وشك الانطلاق في ظل عاصفة ثلجية – ثم قفزت عبر الثغرة المثلّمة في النافذة في لحظة تحطّم الباب خلفها. تسببت عدة أسهم زجاجية بجرح غطاء السرير، لكن أياً منها لم يبلغ إم.

"أيتها الساقطة المزعجة!". صرخ بيكيرينغ خلفها، خلفها مباشرةً. لكنها كانت تطير حينئذ.

- 9 -

الجاذبية أم الجميع

كانت أشبه بالصبي في طفولتها، حيث كانت تفضّل ممارسة ألعاب الصبية (واللعبة الفضلى بينها كانت تُسمى ببساطة مسدسات) في الغابة خلف منزلهم في ضواحي شيكاغو على اللعب مع "باربي وكين" على الشرفة الأمامية. كانت ترتدي دائماً سراويل جينز وبلوزات بدون أكمام وتعقد شعرها على شكل ذيل فرس. وكانت وصديقتها المفضلة ميكا تشاهدان أفلام إيستوود وشوارزينيغر القديمة على التلفزيون بدلاً من م أم أولسن، وعندما كانتا تشاهدان سكوبي دوو، فإنهما كانتا تساندان الكلب بدلاً من فيلما أو دافني. في تلك الفترة، ولمدة عامين في المدرسة الابتدائية، كان غداؤهما يتكوّن من وجبات "سكوبي سناك" فقط.

وبالطبع، كانتا تتسلقان الأشجار. تذكرت إميلي نفسها وميكا تقضيان

أوقاتهما بين الأشجار في حديقتي منزليهما الخلفيتين طوال صيف بأكمله. ربما كانتا في التاسعة في ذلك العام. باستثناء درس أبيها حول كيفية السقوط، كان الأمر الوحيد الذي تتذكره إم بوضوح حول صيف تسلق الأشجار هو أمها وهي تضع نوعاً من الكريم الأبيض على أنفها كل صباح قائلةً: "لا تمسحي هذا عن أنفك يا إيمي!". بصوتٍ لسان حاله يقول أطيعي وإلا فالويل لك.

ذات يوم، فقدت بيكا توازنها وكادت أن تسقط من علو خمس عشرة قدماً على مرج آل جاكسون (ربما عشر أقدام فقط، ولكن في ذلك الحين، كانت المسافة تبدو للطفلتين مثل خمس وعشرين قدماً... بل خمسين). على أي حال، أنقذت بيكا نفسها بالإمساك بأحد الأغصان والبكاء طلباً لمن ينجدها.

كان رستي يجزُّ العشب آنذاك. مشى (أجل مشى) إلى حيث كانت بيكا وإم ثم مدّ يديه وقال: "انزلي"، فنزلت بيكا التي كانت قد تخطّت الاعتقاد في سانتا منذ سنتين لكنها مع ذلك كانت قادرة على الوثوق في الآخرين. تلقّفها رستي بسهولة، ثم دعا إم للنزول عن الشجرة. طلب من الفتاتين الجلوس أسفل الشجرة. كانت بيكا تبكي قليلاً، بينما كانت إم خائفة؛ غالباً لأن تسلق الأشجار سيكون منذ ذلك الحين ممنوعةً مثل الذهاب مشياً إلى المخزن الموجود عند زاوية الشارع وحدها بعد السابعة مساء.

لم يمنعهما رستي من تسلق الأشجار (رغم أن والدة إميلي كانت ستفعل ربما لو شاهدت ما حصل من نافذة المطبخ)، لكنه علّمهما كيفية السقوط. وبعد ذلك، راحتا تتدربان لمدة ساعة.

كم كان يوماً جميلاً!

عندما خرجت من النافذة، وجدت إم أن ارتفاع النافذة عن الباحة المرصوفة كان ليس بقليل. ربما عشر أقدام فقط، لكنه بدا كأنه خمس وعشرون قدماً بينما كانت تسقط وغطاء السرير الممزق يرفرف حولها، أو

صمون.

اتركا ركبتكما تنثني، هذا ما قاله لهما رستي منذ ستة عشر عاماً أو سبعة عشر خلال صيف تسلق الأشجار، والذي يُعرَف أيضاً باسم صيف الأنف الأبيض. لا تطلبا من ركبتكما أن تتلقى الصدمة. ستفعلان - في تسع حالات من عشر ستفعلان - لكنكما قد تنتهيان بعظمة مكسورة، في ورك أو ساق أو كاحل؛ كاحل على الأرجح. تذكّرا أن الجاذبية هي أم الجميع. استسلما لها. اتركاها تحضنكما. اتركا ركبتكما تنثني، ثم احنيا رأسيكما وتدحرجا.

ارتطمت إم بالبلاط الأحمر إسباني الطراز، وتركت ركبتيها تنثنيان. وفي الوقت نفسه، جابهت الهواء بكتفها ورمت ثقلها إلى الجهة اليسرى. ثم حنت رأسها وتدحرجت. لم تشعر بأي ألم - أي ألم آني - وإنما برجفة عنيفة تهز كامل جسدها. لكنها أبقت رأسها بعيداً عن البلاط. كما أنها لم تكن تعتقد أنها كسرت أياً من ساقيها، رغم أن الوقوف وحده سيثبت صحة اعتقادها.

ارتطمت بطاولة معدنية بقوة كافية لقلبها، ثم هبّت واقفةً على قدميها، وهي لا تزال غير واثقة بأن جسدها كان سليماً بما يكفي لتنفيذ هذه الحركة إلى أن نفذها فعلياً. نظرت إلى الأعلى فرأت بيكيرينغ يحدّق فيها من النافذة. كان وجهه ممتقعاً، وهو يلوّح بالسكين مهدداً.

صرخ قائلاً: "توقفي! لا تهربي واثبتي في مكانك!".

وكأنني سأطيع أوامرك، قالت إم في داخلها. كانت آخر قطرات مطر بعد الظهر تحوّلت إلى ضباب نقّط على وجهها المرفوع بقطرات صغيرة منعشة من الماء. رفعت إصبعها الوسطى في وجهه، ثم هزّتها في الهواء لمزيد من التأكيد.

زمجر بيكيرينغ: "لا ترفعي إصبعك في وجهي أيتها الساقطة!". ثم رمى السكين عليها. لكن رميته كانت بعيدة جداً حيث أصابت البلاط

وتدحرجت إلى أن استقرت تحت شوّايته التي تعمل على الغاز منقسمةً إلى قسمين، نصل ومقبض. وعندما رفعت رأسها لتنظر ثانيةً، كانت النافذة المكسورة فارغة.

قال لها صوت أبيها إنّ بيكيرينغ قادم، لكن إم لم تكن بحاجة لهذه المعلومة الحديثة. اتجهت نحو حافة الباحة - كانت تمشي بسهولة، بدون عرج - رغم أنها خمَّنت أن السبب يمكن أن يعود إلى ازدياد إفراز الأدرينالين في جسدها - ونظرت. ثلاث أقدام بسيطة تفصلها عن الرمال وشوفان البحر. أمر فائق اليسر بالمقارنة مع السقوط الذي نفذته بنجاح منذ قليل. خلف الباحة، كان هناك الشاطئ، حيث قامت بالكثير من جولات عَدْوها الصباحية.

نظرت إلى الجانب الآخر، نحو الطريق، لكنه لم يكن خياراً جيداً، لأن الجدار الإسمنتي البشع كان عالياً جداً. كما أن بيكيرينغ كان قادماً بالتأكيد.

وضعت يداً على الجدار المنخفض المزخرف ثم نزلت إلى الرمال. دغدغ شوفان البحر فخذيها. أسرعت على الكثبان الرملية التي تفصل بين الحصن والشاطئ، ممسكةً بالسروال القصير المتداعي وملقيةً نظرات خاطفة إلى الخلف بين الحين والآخر. لا شيء... لا شيء... ثم اندفع بيكيرينغ من الباب الخلفي، صارخاً فيها كي تتوقف حيث هي. لقد تخلى عن معطفه المطري وحمل في يده أداة حادة أخرى. كان يلوح بها في يده اليسرى بينما كان يركض عبر الباحة. لم تتمكن من معرفة ما هي هذه الأداة، ولم تكن ترغب في ذلك. لم تكن تريده قريباً إلى تلك الدرجة.

كان باستطاعتها أن تسبقه. شيء ما في طريقة عدوه كان ينبئ بأنه سيكون سريعاً لبعض الوقت ومن ثم سيتباطأ؛ مهما كانت قوة الدفع التي يستمدها من جنونه وخوفه من انكشاف أمره.

كأنني كنت أتدرّب طوال الوقت من أجل هذا اليوم، قالت إم في

داخلها.

لكنها كادت أن ترتكب خطأ جسيماً عند وصولها إلى الشاطئ، حيث أوشكت على الاتجاه جنوباً. ذلك الاتجاه كان سيأخذها إلى نهاية فرميليون كي في أقل من ربع ميل. بالطبع، كان بوسعها الصراخ بأعلى صوتها طلباً للمساعدة عند بلوغها بوابة الجسر المتحرك، ولكن ماذا لو أن بيكيرينغ فعل شيئاً ما لديك هوليس - وكانت تخشى من أن هذا هو الاحتمال الأرجح - عندئذ ستكون نهايتها. قد تجد قارباً عابراً فتصرخ طالبةً النجدة، لكنها كانت تعتقد أن بيكيرينغ وصل إلى مرحلة تجاوز فيها كل رادع؛ في تلك المرحلة لعله كان سيرغب في طعنها حتى الموت على مسرح قاعة راديو سيتي ميوزيك أمام أنظار جميع المشاهدين.

وهكذا اتجهت شمالاً حيث سيكون أمامها نحو ميلين من الشاطئ الفارغ قبل بلوغ الكوخ العشبي. خلعت حذاءها الرياضي وبدأت تركض.

- 10 -

ما لم تكن تتوقعه هو الانبهار بالجمال

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي تركض فيها على الشاطئ بعد واحدة من عواصف بعد الظهر القصيرة، ولكن القوية، حيث كان الشعور بالرطوبة المتزايدة على وجهها وذراعيها مألوفاً، وكذلك الصوت المرتفع للأمواج (كان المد يزداد في ذلك الحين، محوّلاً الشاطئ إلى شريط ضيّق طويل) والروائح القوية: ملح وأعشاب بحر وأزهار وحتى خشب رطب. كانت تتوقع أنها ستكون خائفة مثل الجنود عندما يقومون بمهام خطرة تنتهي في العادة (ولكن ليس دائماً) على خير. ولكن، ما لم تكن تتوقعه هو الانبهار بالجمال.

كان الضباب قادماً من الخليج. وكانت المياه مثل شبح أخضر

معتم، يتموّج نحو الشـاطئ مختلطاً باللون الأبيض. لا بد أن الـسمك كان يهاجر من أجل الإباضة في ذلك الحين، بسـبب وجود عدد كبير من طيور الغطّاس في المكان. كانت ترى معظمها مثل خيالات ناتئة تطوي أجنحتها وتهبط نحو الماء. وكانت هنـاك بضعة طيور منها تتهـادى صعوداً وهبوطاً علـى الأمواج في مـكان أقـرب إليهـا، وكانت تبـدو مثل تلـك الحيوانات الميتة التي يستخدمها الصـيادون لجذب الطيور؛ بيد أنها كانت تراقب إم. وعلى يسـارها، كانت الشـمس مثل قطعة نقـود صـغيرة صفـراء - برتقالية تحدّق بسأم.

كانت تخشـى من أن يتقلص باطن سـاقها مجـدداً؛ إذا حـصل ذلك، فـسينتهي أمرها. لكنه أصبح معتاداً على هـذا العمل، كما أنـه كان مرتخياً بما يكفـي، وإن كان سـاخناً قليلاً. غير أن أسـفل ظهرهـا كان يدعو للقلق أكثر، حيث كان يصدر وخزة كل ثلاث خطوات أو أربع، وومضة أثقل من الألم كل عشـرين خطوة أو أكثر بقليـل. لكنها تحدثت معه داخل رأسـها، وداعبتـه، ووعدتـه بحمّامـات سـاخنة وجلسـات ماسّـاج شياتسـو عندما ينتهي هذا الكابـوس ويُحجَز ذلك المخلوق المتوحـش الذي يلاحقها في سـجن مقاطعة كولـبر. لقد بدت هـذه الطريقة ناجعة فعـلاً. أو إن الركض نفسه كان نوعاً من الماسّـاج. وكانـت إم تملك أسـباباً تدعوها للاعتقاد بأن التفسير الثاني هو الأرجح.

صاح بيكيرينـغ مرتين أخريين طالباً منها التوقـف، ثم التزم الصمت، موفّراً أنفاسـه للمطاردة. نظرت إلـى الخلف مرةً فوجدت أنه يبعد خمسـة وسـتين متراً تقريباً. الشـيء الوحيد الذي كان واضحاً منه في ضباب نهاية بعد الظهر هو قميص الجولـف الأحمر. نظرت ثانيةً فوجدته أشـد وضـوحاً، إذ كان باسـتطاعتها رؤية سـرواله القصير الخاكي الملطخ بالدماء. خمسـة وأربعون متراً وراءها. لكنه كان يلهث. وهذا أمر جيد.

قفـزت إيملي فوق مجموعة من خشـب رطـب لفظتها الميـاه فانزلق

. ، الها القصير مهدداً بإعاقة حركتهـا أو حتى التسـبب بتعثُّرها. لكنها لم ... تملك وقتاً للتوقف وخلعه فرفعتـه بعنف، متمنيةً لـو كان هناك حبل ... به أو حتى تمسكه بأسنانها.

سـمعت صرخة من ورائهـا، وبدت لهـا أنها صرخة خـوف وغضب ... ان واحـد. جازفت بالنظـر إلى الخلف مـرة أخرى راجيـةً، فلم يذهب ... ماؤها هباءً. لقد تعثّر بمجموعة الخشـب الرطـب التي تجاوزتها وسـقط ... على ركبتيه. كان سـلاحه ملقًى أمامه، مشـكلاً حرف X فـي الرمل. مقص ... مقص مطبخ. ذلـك النـوع الكبير الذي يستخدمه الطهاة لنزع العظم ... المطروف من اللحم. التقطه ونهض واقفاً على قدميه.

تابعت إميلـي الركـض، رافعةً سـرعتها قليلاً بعـد كل مسـافة معيـنة. ... صحيح أنها لم تخطـط لفعل ذلك، لكنها لم تكن تعتقد أن جسـدها خطط ... لك أيضـاً. كان هناك شـيء ما بين الجسـد والعقل، وصلة مـا. ذلك هو ... الجزء منها الـذي كان يريـد الإمسـاك بزمام الأمـور في ذلـك الحين، ولم ... سلّمت القيادة له. ذلـك الجزء كان يريدها أن تزيد سـرعتها شـيئاً فشـيئاً، ... محرومة إلى حد ما، كي لا يـدرك ذاك الوحش في الخلف مـا كانت تفعله. ... ذلك الجزء كان يريد دفع بيكيرينغ لزيادة سـرعته مـن أجل تقليص الفجوة ... بينهمـا. ذلـك الجـزء كان يريـد اسـتنفاد طاقتـه إلـى أن يفقد القـدرة على ... المتابعـة. كان يريد أن يسـمع لهاثه وصـفير أنفاسـه، وحتى سـعاله إذا كان ... مدخناً (رغم أن ذلك بدا أملاً غير ممكن). وبعد ذلك، كانت ستتحول إلى ... سرعتها القصوى التي نادراً ما اسـتخدمتها. تلك السـرعة التي كانت تبدو ... أنها تغوي القـدَر. لكنها لم تكن تملك أي خيار آخر فـي ذلك الحين. أما ... بالنسـبة إلى إغواء القدر، فقد حدث ذلك عندمـا انعطفت لتلقي نظرة على ... ساحة الحصن المرصوفة في المقام الأول.

وأي خيـار كان لـدي عندما شـاهدت شـعرها؟ ربمـا كان القدر هو

الذي أغواني.

تابعت الركض طابعة الرمل بقدميها. نظرت وراءها ثانيةً فوجدت يكيرينغ على بعد خمسة وثلاثين متراً فقط، لكنها كانت مسافة جيدة، نظراً لشدة احمرار وجهه وتوتره. خمسة وثلاثون متراً كانت مسافة جيدة جداً.

من جهة الغرب، فوقها مباشرة، انقشعت الغيوم فجأة، كما يحدث في المناطق المدارية، محوِّلةً الضباب من رمادي كئيب إلى أبيض باهر. وبرقعت الشمسُ الشاطئَ ببقع مضيئة، فكانت إم تركض داخل واحدة منها وتخرج في قفزة واحدة، شاعرةً بالحرارة ترتفع مع عودة الرطوبة، ومن ثم تنخفض ثانيةً عندما يبتلعها الضباب. وفي الأفق أمامها، انبثقت بقعة زرقاء باهتة على شكل عين قطة طويلة، ووثب فوقها قوس قزح مزدوج بألوان واضحة مبهرة. انغمست ساقاه في الضباب المتكثِّف وغمرتا نفسيهما في الماء، أما ساقاه المنحنيتان باتجاه البر الرئيس فقد اختفتا بين أشجار النخيل وأشجار السيكانور.

اصطدمت قدمها اليمنى بكاحلها الأيسر فتعثرت وكادت أن تسقط، لولا أنها استعادت توازنها ثانيةً. لكنه الآن أصبح على بعد خمسة وعشرين متراً، وهذه مسافة قريبة جداً. لا مزيد من النظر إلى قوس القزح. إذا لم تهتم بعملها جيداً، فإن ذينك القوسين في الأعلى سيكونان آخر قوسين تراهما.

نظرت إلى الأمام مجدداً، فوجدت رجلاً يقف مغموراً حتى كاحليه بالماء ويحدِّق فيهما. لم يكن يرتدي سوى سروال قصير مقصوص من سروال جينز، ويلف عنقه بوشاح أحمر منقوع بالماء. كانت بشرته سمراء، وشعره داكناً وكذلك عيناه. وكان قصيراً، لكن جسده كان صلباً ومتناسقاً. أثناء خروجه من الماء تمكنت إم من رؤية الاهتمام في نظراته. أوه، الشكر لله، كان بوسعها رؤية الاهتمام في عينيه.

صرخت: "النجدة! ساعدني".

تعمَّقت ملامح الاهتمام أكثر: "*Señora? Qué ha pasado? Qué es lo que va mal?*".

كانت تعرف بعض الإسبانية – القليل فقط – لكنها عندما سمعت إسبانيته تبخر كل ما تعرفه. ليس مهماً. لا بد أنه كان واحداً من عمال الجنائن في أحد المنازل الكبيرة، وقد استغلّ فرصة سقوط المطر لتبريد نفسه في مياه الخليج. لعله لم يكن يملك بطاقة العمل الخضراء، لكنه لم يكن بحاجة لواحدة من أجل إنقاذها. كان رجلاً، وقوياً بوضوح، ومهتماً أيضاً. رمت نفسها بين ذراعيه فأحست بالماء الذي يغطي جسده ينقع قميصها وجسدها.

صرخت في وجهه (حرفياً لأنها كانت بطوله تماماً): "إنه مجنون". عندئذ تذكّرت كلمة إسبانية. كلمة ثمينة. فقالت: "*Loco! Loco! Loco!*".

التفت الرجل، ووضع ذراعاً حولها بقوة. نظرت إميلي إلى حيث كان ينظر فرأت بيكيرينغ مبتسماً. كانت ابتسامة طبيعية، بل اعتذارية. وحتى السروال القصير الملطخ بالدماء ووجهه المتورم لم يجعلا الابتسامة غير مقنعة على الإطلاق. والأسوأ من ذلك هو اختفاء المقص. كانت يداه فارغتين. كانت يده اليمنى مجروحة بين الإصبعين الأولى والثانية، وكان الدم متخثراً.

قال بيكيرينغ: "*Es mi esposa*". [إنها زوجتي] كانت نبرة صوته اعتذارية ولا تقل إقناعاً عن ابتسامته. وحتى لهاثه بدا مناسباً. "*No te preocupes. Ella tiene...*". [لا تقلق. إنها...] يبدو أن لغته الإسبانية خذلته، ففتح يديه دون أن تفارق الابتسامة وجهه، ثم قال: "مشاكل؟ لديها مشاكل؟".

أشرقت عينا اللاتيني بالإدراك والارتياح وهو يقول: "مشاكل؟".

قال بيكرينغ: "Sí". ثم رفع إحدى يديه الممدودتين إلى فمه مقلّداً حركة الشرب من زجاجة.

قال اللاتيني وهو يهز برأسه: "آه! شراب!".

"لا!". صاحت إم شاعرةً بأن الرجل كان على وشك دفعها إلى ذراعي بيكرينغ، راغباً بالتخلص من هذه المشكلة غير المتوقعة، هذه الـ Señora غير المتوقعة.

نفخت نَفَساً في وجه الرجل لتثبت له عدم وجود أي كحول. ثم خطر لها خاطر فربّتت على فمها المتورم وقالت: "Loco\ هو من فعل هذا!".

قال بيكرينغ: "لا! هي فعلت ذلك لنفسها يا صديقي".

قال اللاتيني: "حسناً". ثم هزّ برأسه، لكنه لم يدفع إم نحو بيكرينغ. بدا أنه متردد. عندئذ تذكرت إم كلمة أخرى، كلمة لا تزال عالقة في ذهنها من أحد برامج الأطفال التعليمية التي كانت تشاهدها – ربما مع بيكا المخلصة – عندما لم تكونا تشاهدان سكوربي دوو.

"Peligro". [خطِر]، قالت مرغمةً نفسها على عدم الصراخ. لأن الصراخ هو ما تفعله الزوجات (esposas) المجنونات. سمّرت عينيها في عيني السباح اللاتيني، ثم أضافت: "peligro!. هو! Señor Peligro".

ضحك بيكرينغ ومدّ يديه ليمسك بها. أحست بالذعر من شدة قربه منها فدفعته. تراجع خطوة مترنحة إلى الوراء واتسعت عيناه، وسقط المقص من المكان الذي كان يخبئه فيه، بين حزام سرواله القصير ومؤخرته. لوهلة، حدّق الثلاثة في حرف X المعدني الملقى على الرمال. كانت الأمواج تهدر بشكل رتيب، والطيور تصيح بين الضباب المتكثّف.

- 11 -

لم نهضت وبدأت تركض من جديد

عادت ابتسامة بيكيرينغ الطبيعية – لا بد أنه استخدمها مع الكثير من "بنات الأخت" – لترتسم على وجهه. "يمكنني أن أفسر ذلك، لكن اللغة لا تسعفني. تفسير جيد جداً". ربَّت على صدره مثل طرزان قائلاً: "*No Señor Loco, no Señor Peligro*، هل فهمت؟". ثم أشار إلى إم، مع الابتسامة نفسها، وقال: "*Ella es bobo perra*". [كلبة تافهة].

لم تكن تعرف ما تعنيه كلمتا *bobo perra*، لكنها شاهدت الطريقة التي تغير فيها وجه بيكيرينغ حين قالهما. لقد جعَّد شفته العليا ثم رفعها، كما يفعل الكلب حين يزمجر. أرجع اللاتيني إم خطوة إلى الخلف بتلويحة من ذراعه. لم يدفعها إلى الخلف كثيراً لكنه أبعدها عن بيكيرينغ. كان المعنى واضحاً تماماً: حماية. ثم انحنى محاولاً الإمساك بالمقص الملقى على الرمل.

لو أنه حاول الإمساك به قبل دفعها لربما نجح في مسعاه. لكن بيكيرينغ كان قد لاحظ أن الأمور بدأت تجري بعكس ما كان يشتهي فاندفع نحو المقص، وأمسك به أولاً، ثم سقط على ركبتيه وغرزه في قدم اللاتيني اليسرى المغطاة بالرمل. فصرخ الرجل وجحظت عيناه.

حاول الإمساك بيكيرينغ لكن الأخير سقط على أحد جانبيه ثم نهض (لا يزال سريعاً جداً، فكَّرت إم) مبتعداً عنه. ثم رجع إليه ولفَّ ذراعه حول كتفي اللاتيني وغرز المقص في صدره. حاول اللاتيني الابتعاد لكن بيكيرينغ أمسك به بسرعة، وراح يطعنه، ويطعنه. لم تكن أي من تلك الطعنات عميقة – لأن بيكيرينغ كان يطعنه بسرعة شديدة – لكن الدم تدفَّق من كل مكان.

صرخت إميلي: "لا! لا! توقف!".

التفت بيكيرينغ نحوها لوهلة فقط، بعينين متوحشتين برّاقتين، ثم طعن الرجل في فمه، وغاص المقص عميقاً لدرجة أن حلقتيه ارتطمتا بأسنان اللاتيني. "هل هذا جيد؟ هل هذا يناسبك، أيها الأحمق اللعين؟".

تلفتت إميلي حولها باحثةً عن أي شيء؛ قطعة خشب لتضربه بها فلم تجد شيئاً. وعندما التفتت إليهما ثانيةً كان المقص بارزاً من عين اللاتيني. انهار الرجل ببطء، منحنياً من الخصر، فانحنى بيكيرينغ معه محاولاً تحرير المقص.

ركضت إميلي نحوه وأخفضت كتفها ثم وجّهت ضربة قوية على بطنه، مدركةً في جزء بعيد ما من وعيها أنه سيكون بطناً رخواً؛ فالكثير من المأكولات الجيدة كانت مخزنة هناك.

سقط بيكيرينغ على ظهره وهو يلهث، محملقاً فيها بغضب شديد. وعندما حاولت الهرب أمسك بساقها اليسرى وغرز أظافره فيها. كان اللاتيني مستلقياً على جانبه بجوارها، ينتفض والدماء تغطي جسده. السمة الوحيدة البارزة في وجهه، والتي كانت جميلة قبل ثلاثين ثانية فقط، كانت أنفه.

"تعالي إلى هنا يا ليدي جين"، قال بيكيرينغ ثم جذبها نحوه، "دعيني أسلّيك. ما رأيك؟ التسلية تناسبك أيتها الساقطة التافهة؟". كان قوياً، فعلى الرغم من أنها كانت متشبثة بالرمال إلا أنه كان يربح. أحسّت بنَفَس حار على قدمها ثم بأسنان تنغرز عميقاً، حتى اللثة، في كعبها.

لم تشعر يوماً بمثل هذا الألم الذي جعل كل حبة رمل على الشاطئ تصبح واضحة في عينيها المتسعتين. صرخت إم وركلت بقدمها اليمنى فأصابته - بالحظ غالباً، لأنها كانت أبعد ما تكون عن التسديد في وضعيتها تلك - وبقوة. صرخ بيكيرينغ (صرخة مكتومة)، وفي اللحظة نفسها توقف الألم المبرح الذي شعرت به في كعبها فجأة كما بدأ، مخلّفاً ألماً حارقاً فقط. شيء ما في وجه بيكيرينغ انكسر. لقد شعرت به وسمعت

صوته أيضاً. اعتقدت أنها عظمة خدّه، أو ربما أنفه.

مشــت على يديها وركبتيها فتفجّر الألــم مجدداً في رسـغها المتورم لدرجة أنـه كاد أن يضاهي ألـم قدمها. لوهلـة، بدت – حتى في سـروالها القصير المتهدّل – مثل عدّاءة على مضـمار تنتظر سـماع صوت المسدس. وبعد ذلك نهضـت وبـدأت تركض مـن جديد، ولكـن، هذه المـرة كانت تعرج. انعطفـت لتقترب مـن الماء أكثـر. صحيح أن رأسـها كان مشوشـاً ويضـج بالمتناقضـات (على سـبيل المثال، فكّرت في أنهـا كانت تبدو مثل نائب شـريف أعـرج فـي أحـد مسلسـلات الغـرب المتوحـش التلفزيونية القديمة؛ هذه الفكرة عبرت رأسـها بسـرعة واختفت) إلا أن الجزء المتعلق بالرغبة فـي البقـاء كان صـافياً بمـا يكفـي ليرغب فـي الركض علـى رمل مرصوص. جذبت سـروالها القصير بعنف فـرأت أن يديها كانتـا مغطاتين بالرمل والدم. مسـحت واحـدة بقميصها ثـم الأخرى وهـي تبكي. نظرت إلى الخلف راجيةً، بيد أنه كان قادماً خلفها.

ركضت بأقصى سـرعتها، إلا أنها لـم تكن قـادرة علـى الركض كما كانـت تفعل من قبـل، رغـم أن الرمل البـارد والرطـب خفّف مـن الحرقة التي تشـعر بها في كعبها قليلاً. نظرت إلى الخلف فرأته يقترب منها رويداً رويداً، واضعاً كل طاقته في عدْوٍ سريع أخير. وفي الأفق أمامها، كان قوسا قزح يتلاشـيان بينما كان النهار يزداد سطوعاً وسـخونة.

حاولت كل ما بوسـعها لكنها كانت تعـرف أن ذلك لـن يكفي. كان باسـتطاعتها أن تسـبق امـرأة عجـوزاً، أو رجـلاً عجـوزاً، أو حتـى زوجها النعيـس المسكين، لكنها لم تكن قـادرة على أن تسـبق السـافل المجنون الذي يلاحقها. كان سيمسـك بها، فبحثت عن شـيء ما لتضربـه به، لكنها لم تجد شيئاً. رأت بقايا أخشاب متفحمة لنار أضاءت حفلة شاطئية أقامها شـخص ما، غير أنها كانت بعيـدة عنها من الأمـام وبعيدة جـداً من الجهة المقابلة للشـاطئ، قبل بداية حدود شـوفان البحر والكثبـان الرملية بقليل.

من المؤكد أنه سيمسك بها بشكل أسرع إذا انعطفت في ذلك الاتجاه، حيث الرمل رخو وخطر. والوضع كان سيئاً بما يكفي بالنسبة إليها بجانب الماء. كان بوسعها سماع صوته وهو يقترب منها؛ صوت لهاثه الخشن ووقع حذائه الرياضي على الرمل الرطب. تمنّت بقوة أن تجد شخصاً آخر على الشاطئ لدرجة أنها تخيّلت لوهلة رجلاً طويلاً أبيض الشعر ذا أنف محني وبشرة سمراء قاسية. لكنها سرعان ما أدركت أن عقلها التوّاق كان يناشد أباها بالذات – أملها الأخير – وتبدد الوهم.

اقترب منها كثيراً لدرجة أن يده ربّتت على قميصها من الخلف، وكادت أن تمسك بالقماش. في المرة التالية لن تفلت. انعطفت نحو الماء، متخبطةً أولاً حتى كاحليها ثم حتى ربلتي ساقيها. كان ذلك هو الشيء الوحيد الذي استطاعت التفكير فيه، الشيء الأخير. خطرت لها فكرة – غير مكتملة، وغير محكمة – إما السباحة هرباً منه أو على الأقل مواجهته في الماء، حيث يمكن أن يكون الوضع متكافئاً هناك، وإذا لم يكن كذلك، فإن الماء يمكن أن يبطئ ضربات المقص الفظيع... إن استطاعت الوصول إلى مكان عميق بما يكفي.

قبل أن تتمكن من رمي نفسها إلى الأمام والبدء بالسباحة – وحتى قبل أن تتمكن من بلوغ عمق يصل إلى فخذيها – أمسك بها من عنق قميصها وجذبها إلى الوراء، ساحباً إياها نحو الشاطئ ثانيةً.

رأت إم المقص يظهر فوق كتفها اليسرى فأمسكت به. حاولت أن تلويه لكن ذلك كان مستحيلاً. كان بيكيرينغ قد ثبّت نفسه في عمق يصل إلى ركبتيه، مباعداً بين ساقيه، وغارزاً قدميه بثبات بعكس اتجاه الأمواج المتراجعة الشافطة للرمال. تعثرت بإحدى قدميه وسقطت عليه فتخبطا كلاهما في الماء.

كان رد فعل بيكيرينغ سريعاً جداً ومفهوماً بوضوح، حتى في ذلك الوضع المضطرب، إذ كان يدفع ويقفز ويرفس بشكل متشنج. أضاءت

الحقيقة في رأسـها مثل ألعاب نارية في ليلـة مظلمة. لم يكن قـادراً على السباحة. بيكيرينغ لا يستطيع السـباحة. كان يملك منزلاً بمحـاذاة خليج المكسيك، لكنه لم يكن قادراً على الســباحة. وكان ذلك منطقياً، فزياراته إلى "فيرميليون كـي" كانت مخصصـة لممارسـة الرياضـة ضمن الصالات الرياضية المغلقة.

ابتعدت عنه فلم يحاول الإمسـاك بها. كان جالسـاً في عمق يصل إلى مستوى الصدر بين الأمواج الفوّارة المتلاحقة التـي كانت لا تزال مهتاجة من العاصفة، لكـن كل جهـوده كانت مركّزة علـى النهوض وإبعاد تنفسه الثمين عن وسط لم يتعلّم قط كيف يتأقلم معه.

كانت إم ستقول له لو كان باستطاعتها تضييع أنفاسها. كانت ستقول له: لو أنني كنت أعلم، لكنا قد أنهينـا هذا الأمر منذ زمن. ولربما كان ذلك الرجل المسـكين لا يزال حياً.

لكنها بدلاً من ذلك تقدمت إلى الأمام ومدت يديها وأمسكت به.

صرخ فيهـا: "لا!". وراح يضربهـا بكلتا يديه. كانتـا فارغتين – لا بد أنه فقَدَ المقص حين سـقط في المـاء – وكان فزعـاً ومضطربـاً لدرجة أنه لم يستطع حتى أن يشـكّل من يديه قبضتين. "لا، لا تفعلي! اتركيني أيتها الساقطة!".

لكنها لم تتركه، بـل جرّته إلى مكان أعمق. كان بوسـعه الإفلات من يديها وبسـهولة، لو أنـه كان قـادراً على التحكـم بذعره، لكنه لم يسـتطع. وهي أدركت أن الأمـر كان ربما أكثر مـن مجرد عدم قدرة على السـباحة، فقد كان يعاني من ضرب من الرهاب.

أي نوع من الرجال ذاك الذي يعاني رهابـاً من الماء ويملك بيتاً على الخليج؟ لا بد أنه مجنون؟

جعلتها هـذه الفكرة تضحك حقاً، رغـم أنه كان يضربهـا بكلتا يديه، واحدة صفعت خدها الأيمـن والأخرى صفعته بقوة على الجانب الأيسـر

من رأسه. دخلت موجة من الماء الأخضر فمها فبصقته بسرعة وهي لا تزال تجرّه إلى عمق أكبر. رأت موجة كبيرة قادمة – ناعمة ومصقولة مع زَبد قليل يبدأ بالتشكل على قمتها – فدفعته نحوها. تحوّل صراخه إلى غرغرة مخنوقة ما لبث أن اختفت عندما غمرته المياه، فراح يدفع ويقفز ويتلوّى بين يديها المتشبثين به بقوة. مرّت الموجة الكبيرة فوقها فكتمت نَفَسها، ولوهلة أصبحا معاً تحت الماء، واستطاعت رؤيته. كان وجهه قد تحوّل بفعل الخوف والرعب إلى وجه رجل غير بشري؛ أي إلى حقيقته الفعلية. انبثقت مجرّة من الرمال بينهما في المياه الخضراء، ومرّت سمكة صغيرة لا تعرف نوعها بسرعة فائقة. كانت عينا بيكيرينغ تبرزان من محجريهما. وكان شعره القصير يطوف ببطء، وهذا ما كانت تراقبه. راقبته عن كثب بينما كانت سلسلة من الفقاعات تخرج من أنفها. وعندما أصبحت شعرات رأسه تطوف في اتجاه تكساس وليس فلوريدا، دفعته بكل قوتها ثم أفلتته. وبعد ذلك غرست قدميها في القاع الرملي ودفعت نفسها إلى الأعلى.

انبثقت من الماء إلى الهواء المنعش لاهثةً، وراحت تتجرّع منه أنفاساً قصيرة سريعة، ثم بدأت تمشي إلى الخلف خطوة خطوة. كان المشي صعباً حتى في ذلك المكان القريب من الشاطئ. كان الموج المتراجع الذي يلامس وركيها ويعبر بين فخذيها قوياً بما يكفي ليشبه تياراً بحرياً يسحبها بعكس اتجاه الشاطئ. لو كانت أبعد قليلاً نحو الداخل، لكان الموج سيصبح تياراً بحرياً حتماً. وإذا كان المكان أبعد، فسيكون التيار أشد قوة، وعندئذ حتى السباح القوي لن تكون لديه فرصة كبيرة للنجاة، إلا إذا سبح بشكل جانبي قاطعاً مسافة مائلة طويلة وبطيئة نحو بر الأمان.

تعثّرت وفقدت توازنها. ثم جلست، وغمرتها موجة أخرى باردة ورائعة. للمرة الأولى منذ وفاة آمي، ينتابها للحظة شعور جيد، بل أكثر

من جديد، في الواقع. رغم أن كل جزء في جسدها كان يؤلمها، ورغم أنها كانت تبكي مجدداً، إلا أنها كانت تحس بشعور رائع.

وقفت بمشقة. كان قميصها مشبعاً بالماء وملتصقاً بجسدها. رأت شبناً أزرق باهتاً يطوف فوق الماء مبتعداً، نظرت إلى نفسها، ونظرت إلى الخلف، فأدركت أنها فقدت سروالها القصير.

قالت: "لا بأس، كان ممزقاً على أي حال". ثم بدأت تضحك وهي تعود نحو الشاطئ. كانت المياه على مستوى ركبتيها، ثم ساقيها، ثم قدميها فقط. كان بوسعها البقاء هناك لفترة طويلة. حتى إن الماء البارد سكّن الألم الحارق في كعبها، وهي كانت متأكدة بأن الماء المالح نافع للجرح. ألا يقولون إنّ فم الإنسان تستوطنه الميكروبات أكثر من أي شيء آخر في العالم؟

"أجل". قالت وهي تضحك، "ولكن، من بحق الجحيم هو –".

عندئذ، ظهر بيكيرينغ فوق سطح الماء وهو يصرخ. كان في ذلك الحين على بعد ثمانية أمتار. كان يخبط الماء بعنف بكلتا يديه.

"ساعديني! لا أستطيع السباحة!".

"أعرف". رفعت يدها كما يفعل المرء حين يودّع شخصاً ما، ثم رفرفت بأصابعها إلى الأمام والخلف. "وربما ستقابل قرشاً. أخبرني ديك هوليس الأسبوع الماضي أنها في فترة التكاثر".

"ساعدي –" قال قبل أن تغمره موجة عالية، فاعتقدت إم أنه لن يظهر ثانيةً، لكنه ظهر. كان حينئذ على بعد خمسة عشر متراً؛ خمسة عشر على الأقل. "– يني رجاءً!".

كانت حيويته مذهلة. بيد أن ما كان يفعله لم يكن في صالحه – كان يلوّح بذراعيه ضارباً الماء بعنف كما لو أنه يعتقد أنه سيطير كالنورس – إذ كان ينجرف بعيداً بالرغم من ذلك، ولم يكن هناك أحد على الشاطئ لينقذه.

لا أحد غيرها.

لم يكن لديه أي أمل بالرجوع، كانت واثقة من هذه الحقيقة، لكنها بالرغم من ذلك، مشت نحو بقايا جذوع متفحمة لنار الحفلة الشاطئية والتقطت أكبر جذع متفحم بينها. ثم وقفت هناك وظلُّها يمتد خلفها... تراقب.

- 12 -

أعتقد أنني أفضّل التفكير على هذا النحو

ظل يقاوم فترة طويلة. لم تعرف كم بالضبط، لأنه أخذ ساعتها. لكنه بعد فترة توقف عن الصراخ. ومن ثم، اختفى فجأة. ظنّت أنها رأت ذراعاً تخرج من الماء – مثل منظار غواصة – وتلوِّح، ولكن، في الواقع، لم يكن هناك أي شيء. لقد اختفى نهائياً. في الواقع، شعرت بالاستياء. في ما بعد ستستعيد ذاتها الحقيقية – ذاتها الفضلى ربما – لكنها في هذا الحين كانت تريده أن يعاني لوقت أطول. كانت تريده أن يموت مرعوباً، وببطء. من أجل نيكول وجميع بنات الأخت الأخريات اللواتي ربما سبقن نيكول.

هل أنا بنت أخت الآن؟

كانت تعتقد أنها كذلك بالفعل إذا نظرت إلى الأمر من زاوية معينة. كانت بنت الأخت التي ركضت بأقصى ما تستطيع من سرعة، بنت الأخت التي تجت. جلست هناك بجانب بقايا الجذوع المتفحمة ورمت الجذع المحترق بعيداً. لعله لم يكن سلاحاً قوياً في كل الأحوال، لعله كان سينكسر مثل ريشة رسام من الضربة الأولى. كانت الشمس برتقالية غامقة توقد الأفق الغربي. وسرعان ما سيشتعل الأفق بالنار.

فكّرت في هنري، وفكّرت في آمي، وفكّرت في أبيها. بعد وقت قصير ستعود أدراجها إلى الكوخ الخشبي وتتصل به. ولكن، ليس بعد، ليس بعد. لأنه كان من المستحسن لها في هذا الحين أن تجلس فقط دافئة

قا.مبها في الرمال، وواضعةً ذراعيها المتألمتين حول ركبتيها المثنيتين.
عادت الأمواج. لم يكن هناك أي أثر لسروالها القصير الأزرق الممزق ولا لقميص قميص الجولف الأحمر الذي كان بيكيرينغ يرتديه. امد أخذهما الموج معاً. هل غرقا؟ كانت تظن أن هذا هو الاحتمال الأرجح، لكن الطريقة التي غرق فيها فجأة، بدون حتى تلويحة وداع...
"أظن أن شيئاً ما سحبه. أعتقد أنني أفضّل التفكير على هذا النحو. الله يعلم السبب".
قال والدها في داخلها: "لأنك إنسان يا حبيبتي. إنسان فقط". وهي كانت تعتقد أن هذه هي الحقيقة وبهذه البساطة.
في فيلم رعب، كان بيكيرينغ سيظهر لمرة أخيرة؛ إما سيخرج مزمجراً من البحر، أو سيكون واقفاً في انتظارها في خزانة غرفة نومها حين تعود والماء يقطر منه. لكنه لم يكن فيلم رعب، بل كان ما تعيشه جزءاً صغيراً من حياتها. وهي ستعيشها، بدءاً من العودة سيراً وهي تعرج لمسافة طويلة؛ إلى حيث يوجد منزل ومفتاح مخبأ في علبة سوكريتس تحت دمية قديمة بقبعتها الحمراء الباهتة. ستفتح الباب، وستتصل بوالدها، ثم ستتصل بالشرطة. ولاحقاً، حسب ظنها، ستتصل بهنري. كانت تعتقد أن هنري لا يزال يملك الحق لمعرفة أنها كانت بخير، رغم أنه قد لا يملكه دائماً. أو ربما، حسب ظنها أيضاً، قد لا يريد ذلك.
فوق الخليج، انقضّت ثلاثة طيور غطّاس، وكشطت الماء كشطاً، ثم ارتفعت وهي تنظر إلى الأسفل. راقبتها إم بذهول وهي تبلغ مستوى التوازن المثالي في السماء البرتقالية. كان وجهها – من حسن حظها أنها لم تكن تعرف ذلك – يشبه وجه الطفلة التي كانت ربما ستعيش لتتسلق الأشجار.
طوت الطيور الثلاثة أجنحتها وانقضت في تشكيل واحد.
صفّقت إميلي، رغم أن ذلك آلم رسغها الأيمن، ثم صاحت: "يو،

أيها الطيور الغطاسة!".

ثم مسحت عينيها بذراعيها، ودفعت شعرها إلى الوراء، ونهضت على قدميها، وبدأت تمشي عائدة إلى المنزل.

حلم هارفي

تلتفت جانيت من الحوض وبووم، فجأة ترى زوجها كما كان منذ نحو ثلاثين عاماً جالساً بجانب طاولة المطبخ بقميصه الأبيض قصير الكمّين وسرواله القصير (سروال الملاكمين)، يراقبها.

كثيراً ما تشاهد هذا المسؤول الهام في وول ستريت خلال أيام العمل جالساً في هذا المكان، مرتدياً الزي نفسه يأتيها صباح يوم السبت. كتفاه منحنيان، عيناه فارغتان من أي تعبير، خدّاه شاحبان، وصدره مترهل، شعره متصبب من الخلف مثل شخصية ألفالفا في مسلسل "الأوغاد الصغار"؛ ولكن في هيئة عجوز غبي. كل بضعة أيام، تخيف جانيت وصديقتها هانا بعضهما من خلال تبادل حكايات الزهايمر: ذاك الذي لم يعد قادراً على التعرُّف إلى زوجته، وتلك التي لم تعد تتذكر أسماء أولادها.

لكنها لا تصدّق حقاً أن هذه الظهورات الصامتة في صباحات أيام السبت لها علاقة بأعراض الزهايمر المبكرة، لأن هارفي ستيفينز في أي يوم آخر من أيام الأسبوع يكون مستعداً ومتلهفاً للذهاب في السادسة وخمس وأربعين دقيقة. رجلٌ في الستين ويبدو في الخمسين مرتدٍ واحدة من أفضل بذلاته، وهو لا يزال قادراً على عقد صفقة، أو شراء - أو بيع - شيء بهامش ربح، بواحدة من أفضل بذلاته.

لا - تفكّر في داخلها - هذا مجرّد تدريب على الكهولة، وهي تكره ذلك. إنها تخشى من أن الوضع سيكون على هذا الحال في كل

صباح عندما يتقاعد، على الأقل إلى أن تعطيه كأساً من عصير البرتقال وتسأله (بصبر نافذ على نحو متزايد لن تكون قادرة على السيطرة عليه) إذا كان يريد حبوب فطور أو خبزاً محمصاً فقط. إنها تخشى من أنها ستلتفت من أي عمل تقوم به فتراه جالساً هناك في شعاع شمس الصباح الساطعة، هارفي في الصباح، هارفي في قميصه قصير الكمّين وسرواله القصير، الساقان منفرجتان كي تتمكن من رؤية النتوء الضئيل هناك (إذا كانت تكترث لذلك)، ومن رؤية التقرُّنات الجلدية الصفراء على إبهامي قدميه؛ الأمر الذي يجعلها تفكّر دائماً في والاس ستيفنز [شاعر أميركي] وقصيدته "إمبراطور الآيس كريم". إنه جالس هناك بصمت متأملاً بغباء، بدلاً من الاستعداد والتلهف للخروج. يا عفو الله، كم تتمنى أن تكون مخطئة. إن ذلك يجعل الحياة ضحلة جداً، بل وتافهة بطريقة ما. لا يمكنها منع نفسها من التساؤل عمّا إذا كان هذا ما ناضلا من أجله، وربّيا وزوّجا ثلاث فتيات من أجله، وتجاوزت من أجله علاقة منتصف عمره الغرامية، وعملت من أجله، وفي بعض الأحيان (دعونا نواجه الحقيقة) تشبث من أجله. إذا كنت ستصلين إلى هذا المكان بعد خروجك من أعماق الغابة المظلمة – تفكّر جانيت – هذا... مكان الوقوف هذا... إذاً، لماذا يفعل الجميع ذلك؟

لكن الجواب سهل؛ لأنك ببساطة لم تكوني تعرفين. لقد تخلّصت من معظم الأكاذيب خلال رحلتك الطويلة، لكنك تمسّكت بواحدة تقول إن الحياة مهمة. لقد احتفظت بألبوم صور مخصص للفتيات، كنَّ فيه لا يزلن صغيرات يستمتعن بإمكانياتهن: تريشا، البنت الكبرى، تعتمر قبعة أسطوانية طويلة وتلوّح بكدمة رقائق ألمنيوم فوق الكلب المنزلي تيم، وجينا المتجمدة في نصف قفزة في منتصف الطريق فوق رذّاذة المرج، في وقت كان فيه ولعها بالماريجوانا وبطاقات الاعتماد والرجال الأكبر سنّاً لا يزال بعيداً جداً وراء الأفق، وستيفاني، الصغرى بينهن، في مسابقة

الهجنة، حيث تَبيَّنَ أن كلمة *cantaloupe* هي التي تسبب في فشلها الكبير. وفي مكان ما في معظم هذه الصور (في الخلفية عادةً) هناك مانهت بجانب الرجل الذي تزوّجته، متسمِّن دائماً، كما لو أن فعل أي شيء غير هذا أمر مخالف للقانون.

وذات يوم ترتكبين خطأ النظر من وراء كتفك، وتكتشفين أن الفتيات كبرن، وأن الرجل الذي كافحت للبقاء متزوجةً به جالس مفرج الساقين - ساقيه البيضاوين - ومحدِّقاً في شعاع شمس، وهو يبدو ربما في الرابعة والخمسين من عمره، في واحدة من أفضل بذلاته، لكنه بجلوسه بجانب طاولة المطبخ على هذا النحو يبدو في السبعين، بل في الخامسة والسبعين. يبدو، كما يُسمّونه أفراد العصابات في مسلسل *The Sopranos*، بائساً.

تلتفت ثانية إلى الحوض وتعطس عطسات خفيفة؛ واحدة، اثنتان، ثلاثة.

يسألها: "كيف هي هذا الصباح؟". قاصداً جيوبها، أي حساسيتها. والجواب: ليست جيدة جداً. ولكن، مثل عدد مثير للدهشة من الأشياء السيئة، إن لحساسيتها الصيفية جانبها المشرق. فهي لم تعد مضطرة للنوم معه والقتال للحصول على حصتها من الغطاء في منتصف الليل، ولم تعد مضطرة للاستماع إلى ريحه المكتومة بين الحين والآخر عندما يزداد نومه عمقاً. في معظم الليالي خلال الصيف، تنام جانيت ست ساعات، أو سبعاً، وهذا أكثر من كافٍ. ولكن، عندما يأتي الخريف ويعود من غرفة الضيوف، تنخفض المدة إلى أربع ساعات، ومعظمها تكون مضطربة.

في إحدى السنوات، هي تعلم أنه لن يعود إلى غرفتها. ورغم أنها لا تقول له ذلك - كي لا تجرح شعوره، وهي لا تزال تكره أن تجرح شعوره (هكذا هو الحب بينهما الآن، أو على الأقل من جهتها) - إلا أنها ستكون سعيدة.

تتنهّد وتمد يديها داخل قدر من الماء في الحوض، وتبدأ بتحريكهما فيه، ثم تقول: "ليست سيئة".

بعد ذلك، وبينما هي تفكّر (وليس للمرة الأولى) في أن هذه الحياة لم تعد تحمل أي مفاجآت، ولم تعد فيها أي أعماق زوجية غير مُسبَرة، يقول هارفي بصوت عادي على نحو غريب: "إنه لأمر حسن انك لم تكوني نائمة معي الليلة الماضية يا جاكس. راودني كابوس سيئ. في الحقيقة، لقد استيقظت على صوت صراخي".

إنها مصدومة. كم مضى من الزمن منذ آخر مرة ناداها جاكس بدلاً من جانيت أو جان؟ هذا الأخير لقبٌ تكرهه بصورة سرية، لأنه يجعلها تفكّر في ممثلة لطيفة بشكل مفتعَل في مسلسل "لاسي" عندما كانت صغيرة. الطفل الصغير (تيمي، كان اسمه تيمي) كان دائماً يسقط في بئر أو يُلدَغ من قبل أفعى أو يُحتجَز تحت صخرة، واي نوع من الآباء يضع حياة طفل بين يدي كلبة لعينة؟

تلتفت إليه مجدداً، ناسيةً القدْر والبيضة الأخيرة التي لا تزال موجودة فيها. لقد رأى كابوساً! هارفي! تحاول أن تتذكّر متى ذكر لها أنه رأى أي حلم فلم تفلح. كل ما تتذكّره هو ذكرى بعيدة من أيام حبهما قبل الزواج عندما كان يقول لها شيئاً مثل: "إنني أحلم بك"، وهي كانت يافعة جداً لتظن أنه أمر جميل بدلاً من كونه مملاً ومبتذلاً.

"أنت ماذا؟".

"أيقظني صراخي، ألم تسمعيني؟".

"لا". لا تزال تنظر إليه، متسائلةً عمّا إذا كان يمازحها، وعمّا إذا كانت مزحة صباحية غريبة. بيد أن هارفي ليس رجل مزاح. إن فكرته عن المرح تتمثل في سرد حكايات حول أيامه في الجيش إلى مائدة الغداء. حكايات سمعتها كلها مائة مرة على الأقل.

"كنت أصرخ بكلمات، لكنني لم أكن قادراً على قولها. كان الأمر

ال... لا أعرف... لم أستطع إطباق فمي عليها. بدا الأمر وكأن نوبة قلبية قد أصابتني. كان صوتي منخفضاً، ليس كصوتي الطبيعي على الإطلاق". يصمت قليلاً. "سمعت نفسي، وأجبرت نفسي على التوقف، لكن جسدي كله كان يرتجف. اضطررت لإشعال الضوء لبعض الوقت. حاولت التبوّل فلم أستطع. في هذه الأيام، يبدو لي أنني قادر على التبول في أي وقت - قليلاً، على أي حال - ولكن، ليس في هذا الصباح، في الساعة الثانية وسبع وأربعين دقيقة". يسكت، بينما هو جالس هناك تحت شعاع الشمس. بوسعها رؤية ذرات الغبار تتراقص حوله. تبدو كأنها تحييه.

"بماذا حلمت؟". شيء غريب. للمرة الأولى منذ خمس سنوات، منذ أن سهرا حتى منتصف الليل يناقشان ما إذا كان ينبغي عليهما الاحتفاظ بأسهم موتورولا أو بيعها (قررا البيع في النهاية)، إنها مهتمة بشيء يريد قوله.

"لا أعرف إن كان يجب عليّ إخبارك". يبدو خجولاً على نحو غير اعتيادي. يلتفت ويلتقط مرشّة الفلفل ويبدأ برميها من يد إلى أخرى.

"يقولون إنك إذا أخبرت أحلامك فإنها لن تتحقق". شيء غريب رقم 2: هارفي ينظر إليها بطريقة لم تعهدها منذ سنوات. حتى ظله المرتسم على الحائط فوق محمصة الخبز يبدو بأنه يحدّق فيها. يبدو عليه - تفكّر جانيت - الاهتمام. ولماذا يجب أن يحدث ذلك؟ لماذا، فقط عندما كنت أفكّر كم هي الحياة ضحلة، ينبغي أن تبدو عميقة؟ هذا صباح صيفي في أواخر حزيران. ونحن في كونيكتيكت. عندما يأتي حزيران نكون دائماً في كونيكتيكت. ولن يمضي وقت طويل حتى يجلب أحدنا الصحيفة التي ستكون مقسّمة إلى ثلاثة أجزاء؛ مثل بلاد الغال.

"هل يقولون ذلك؟". يقلّب الفكرة في رأسه. حاجباه مرفوعان (إنهما بحاجة للتقصير مجدداً لأنهما يمنحانه تلك النظرة المتوحشة؛ وهو يجهل ذلك تماماً) ولا يزال يرمي مرشة الفلفل من يد إلى أخرى. تود أن

تطلب إليه أن يتوقف عن فعل ذلك لأنه يترفزها (مثل سواد ظله المتعجّب على الحائط، ومثل نبضات قلبها التي بدأت فجأة تسرع إيقاعها من دون أي سبب)، لكنها لا تريد إلهاءه عن أي شيء يدور في رأسه في صباح يوم السبت هذا. عندئذ يضع المرشّة على الطاولة من تلقاء نفسه؛ الأمر الذي ينبغي أن يكون مريحاً لها، إلا أنه ليس كذلك، لأن المرشّة أيضاً تلقي ظلها الطويل وتبدو مثل قطعة شطرنج مضخّمة. وحتى شرائح الخبز المحمّص تلقي ظلالها هناك، وهي لا تعرف لماذا يخيفها هذا الأمر، إلا أنه يخيفها حقاً. تفكّر في قطة تشيشاير وهي تقول لأليس: "نحن كلنا مجانين هنا". وفجأة، تشعر بأنها لا تريد سماع كابوسه الغبي، الكابوس الذي استيقظ منه على صراخه شاعراً بأن نوبة قلبية قد أصابته. فجأة، لم تعد تريد أن تكون الحياة إلا ضحلة. الضحالة أمر جيد، ما عليك إلا أن تنظر إلى الممثلات في الأفلام السينمائية إذا كنت تشك في ذلك.

لا شيء ينبغي أن يعلن عن أهميته الآن، تفكّر جانيت بشكل محموم، أجل محموم، وكأنها تمر في واحدة من تلك الهبّات الساخنة، بالرغم من أن بوسعها أن تقسم بأن كل هذا الهراء قد انتهى منذ سنتين أو ثلاث سنوات. لا شيء ينبغي أن يعلن عن أهميته، إنه مجرد صباح يوم سبت، ولا شيء ينبغي أن يعلن عن أهميته الآن.

تفتح فمها لتخبره بأنها قالت الأمر بشكل معكوس، وبأن ما يقولونه حقاً هو أنك إذا أخبرت أحلامك فإنها ستتحقق، لكن الأوان كان قد فات، فهو يتحدث مسبقاً، ويخطر لها بأن هذا عقاب لها على وصف الحياة بأنها ضحلة. الحياة في الحقيقة ثخينة مثل صخرة. كيف استطاعت أن تفكّر في غير ذلك؟

"حلمت بأن الوقت كان صباحاً، وبأنني جئت إلى المطبخ صباح يوم سبت، مثل الآن، إلا أنك لم تكوني صاحية بعد".

تقول جانيت: "أنا أصحو قبلك دائماً صباح السبت".

"أعرف. لكن هذا كان حلماً". يقول من دون أي انزعاج. بوسعها
رؤية الشعر الأبيض على فخذيه، حيث العضلات ضعيفة ومتهدلة. ذات
يوم كان يلعب التنس، لكن تلك الأيام ولّت. تفكّر في داخلها بلؤم غريب
المبأ عن طبيعتها الحقيقية، سوف تُصاب بنوبة قلبية أيها الرجل الأبيض،
هذا ما سينهيك، وربما سيناقشون وضع نعوة لك في جريدة تايمز، ولكن
إن توفيت ممثلة من الصف الثاني من الخمسينيات في ذلك اليوم، أو
الصة باليه نصف مشهورة من الأربعينيات، فإنك لن تحصل حتى على
هذا!

"لكنه كان مثل الآن تماماً. أعني، كانت الشمس مشرقة تبث أشعتها
إلى الداخل". يرفع يده فيثير ذرات الغبار التي تعود إلى الحياة بنشاط
حول رأسه، وهي تود أن تصرخ فيه كي يتوقف.

"كان بوسعي رؤية ظلي على الأرض، وهو لم يبدُ لي قطّ من قبل
بذلك الإشراق وتلك الثخانة". يتوقف ثم يبتسم، فترى شدة تشقق شفتيه.
"إشراق كلمة غريبة لوصف ظل، أليس كذلك؟ وثخانة أيضاً".

"هارفي –".

"توجهتُ إلى النافذة، ونظرت إلى الخارج، فرأيت أثر ضربة على
جانب سيارة فريدمان الفولفو، وعلمت – بطريقة ما – أن فرانك كان في
شرب غورد يشرب، وأن هذه الضربة حدثت أثناء عودته إلى المنزل".
فجأةً تشعرُ بأنها ستفقد وعيها. لقد شاهدتْ بنفسها أثر الضربة على
جانب فولفو فريدمان عندما ذهبت إلى الباب لترى إذا كانت الصحيفة
قد أحضِرت (لم تُحضَر)، وفكّرت في الأمر نفسه، بأن فرانك كان يشرب
في مشرب ما وأنه خدش شيئاً في المرآب. كيف سيشعر الشخص الآخر؟
هذا بالضبط ما فكّرت فيه.

تخطر لها فكرة أن هارفي رأى الضربة أيضاً، يخطر لها أنه يلاعبها
لسبب ما خاص به. هذا ممكن بالتأكيد، لأن غرفة الضيوف تطلّ من

إحدى زواياها على الشارع. إلا أن هارفي ليس من هذا النوع من الرجال. "الملاعبة" ليست من طبع هارفي ستيفنز.

ينضح العرق من خدّيها وجبينها وعنقها - بوسمها الشعور به - وينبض قلبها بسرعة لم يسبق له أن اختبرها من قبل. يوجد بالفعل إحساس لديها بأن شيئاً ما سيحدث، ولماذا ينبغي أن يحدث هذا الآن؟ الآن حيث العالم هادئ، والتوقعات ساكنة. أنا آسفة إذا كنتُ قد طلبت ذلك؛ تفكّر جانيت... أو ربما تدعو.

"ذهبتُ إلى البرّاد ونظرت داخله، فشاهدت طبق شرائح بيض مغطّى بغطاء من النايلون. كنت مسروراً، كنت أريد تناول الغداء في السابعة صباحاً!".

يضحك. أما جانيت - أو جاكس - فتنظر إلى القدر القابعة في حوض الجلي؛ إلى البيضة المسلوقة الوحيدة الباقية فيها. البيضات الأخرى مقشرة ومقسمة بدقة إلى نصفين متساويين. الصفار منزوع. إنها موجودة في طبق عميق بجانب رف تجفيف الصحون، وبجانبه علبة مايونيز. كانت تنوي تقديم شرائح البيض على الغداء، مع سَلَطَة خضراء.

"لا أريد أن أسمع ما تبقى". تقول جانيت ولكن بصوت منخفض جداً لدرجة أنها هي نفسها لم تسمعه. ذات يوم، كانت في مجموعة الدراما في الجامعة، وهي الآن لا تستطيع حتى أن تُسمع صوتها في المطبخ.

"فكّرتُ في تناول واحدة فقط، ثم قلت لنفسي لا، إذا فعلت ذلك فإنها ستصرخ عليّ. وبعد ذلك رنّ الهاتف. هرعت إليه بسرعة لأنني لم أرغب في أن يوقظك، وهنا يأتي الجانب المخيف. هل تريدين أن تسمعي الجزء المخيف؟".

لا، تفكّر جانيت في ما هي واقفة في مكانها بجانب الحوض. لا أريد أن أسمع الجزء المخيف. لكنها في الوقت نفسه تريد أن تسمع

الجزء المخيف، الجميع يريدون سماع الجزء المخيف، كلنا مجانين هنا، أمها قالت لها بالفعل إنها إذا أخبرت أحلامها فإنها لن تتحقق، أي إنه يفرض بكَ أن تحكي عن كوابيسك وتُبقي الأحلام الجيدة لنفسك، أن تحفظها مثل سنٍّ تحت الوسادة. لديهما ثلاث بنات. إحداهن تعيش في الشارع نفسه، جينا المطلّقة المرحة (اسم واحدة من توأم جورج بوش)، ولهذا السبب تكرهه. في هذه الأيام، إنها تصرّ على أن يدعوها الناس جين. ثلاث فتيات، هذا يعني الكثير من الأسنان تحت الكثير من الوسائد، والكثير من القلق من غرباء في سيارات يعرضون توصيلات وحلوى، أي الكثير من الإجراءات الوقائية، وآه كم تتمنى لو أن أمها محقة؛ في أن سرد حلم سيئ يشبه غرز وتد في قلب مصّاص دماء.

"رفعتُ السمّاعة وكانت تريشا". تريشا هي ابنتهما الكبرى التي كانت تبجل هوديني وبلاكستون قبل اكتشافها الفتيان. "قالت كلمة واحدة فقط في البداية، بابا فقط، لكنني عرفت أنها تريشا. تعلمين كيف تعرفين دائماً أليس كذلك؟".

أجل. إنها تعلم كيف تعرف دائماً فتياتها، من الكلمة الأولى، على الأقل إلى أن يكبرن ويصبحن فتيات شخص آخر.

"قلتُ: أهلاً تريشا، لماذا تتصلين في هذا الوقت المبكر يا حبيبتي؟ أمك لا تزال في الفراش. في البداية لم أسمع أي جواب، فاعتقدت أن الخط انقطع. ثم سمعت أصواتاً هامسة باكية. لم تكن كلمات بل أنصاف كلمات. كما لو أنها كانت تحاول التحدث لكنها بالكاد تستطيع إخراج الكلمات من فمها بسبب عدم قدرتها على استجماع قوتها أو التقاط أنفاسها. وهنا بدأت أشعر بالخوف".

حسناً، إنه بطيء جداً، أليس كذلك؟ لأن جانيت - التي كانت جاكس في جامعة سارة لورينس، جاكس في مجموعة الدراما، جاكس البارعة حقاً في القبل الفرنسية، جاكس التي كانت تدخّن الجيتان وتفتعل

استمتاع مُحتسي الشراب – كان قد مضى على شعورها بالفزع وقت ليس بقصير الآن، وهي كانت خائفة حتى قبل أن يذكر لها قصة أثر الضربة على جانب فولفو فرانك فريدمان. والتفكير في هذا الأمر يجعلها تفكّر في المحادثة الهاتفية التي أجرتها مع صديقتها هانا قبل أقل من أسبوع، المحادثة التي تطورت إلى سرد قصص الزهايمر. كانت هانا في المدينة، أما جانيت فكانت مكوّرة على مقعد قرب النافذة في غرفة المعيشة تنظر إلى حصتهما – البالغة مساحتها آكر واحداً – من بلدة ويستبورت؛ إلى جميع الأشياء النامية الجميلة التي تجعلها تعطس وتدمع. ولكن، قبل أن تحوّل المحادثة إلى قصص الزهايمر، تحدثتا أولاً حول لوسي فريدمان ومن ثم فرانك. ومن منهما قالتها؟ من منهما قالت: "إن لم يفعل شيئاً بخصوص شربه وقيادته، فإنه سيقتل شخصاً ما في نهاية المطاف؟".

"وبعد ذلك، قالت تريش ما بدا مثل ﭘيس أو ﭘيست، لكنني في الحلم عرفت بأنها كانت... تدغم... هل هي الكلمة الصحيحة؟ كانت تحذف المقطع الصوتي الأول، وعرفت أن ما كانت تقوله في الحقيقة هو بوليس. سألتها: ماذا بشأن البوليس؟ ما الذي كانت تريد قوله حول البوليس، وجلستُ في ذلك المكان". يشير إلى الكرسي الموجود في ما يدعوانه زاوية التلفون. "ساد الصمت من جديد، ثم سمعت بعض أنصاف الكلمات تلك، أنصاف الكلمات الهامسة تلك. كانت تفقدني صوابي بفعلها ذلك، مثل شخص مأساوي – هكذا فكّرت – لكنها بعد ذلك قالت: رقم بوضوح تام مثل جرس. وعرفت – كما عرفت عندما كانت تحاول قول بوليس – أنها كانت تحاول أن تقول لي إن البوليس اتصل بها لأنهم لم يكونوا يملكون رقمنا".

تهز جانيت رأسها بخدَر. لقد قررا إزالة رقمهما من السجل المتاح لعامة الناس منذ سنتين لأن الصحفيين كانوا يتصلون كثيراً للتحدث مع هارفي بشأن مشكلة إنرون، وغالباً في وقت الغداء. ليس لأن هارفي كانت

.. أي علاقة مع شركة إنرون بالذات، ولكن لأن شركات الطاقة الكبرى ... نوعاً ما من اختصاص هارفي. لقد خدم في إحدى اللجان الرئاسية .. بضع سنوات من تلك الفترة، عندما كان كليتون رئيساً، وكان العالم .. أيها المتواضع على الأقل) أفضل قليلاً، وأكثر أماناً بقليل. وبالرغم من .. وجود الكثير من الأشياء التي لم تعد تحبها في هارفي، إلا أنها كانت تعلم .. مبدأ أن إصبعه الصغرى كانت تملك نزاهة أكثر من جميع مسؤولي إنرون .. الفاسدين مجموعين. صحيح أنها قد تسأم أحياناً من النزاهة، لكنها تعرف .. امتنها.

لكن، ألا تملك الشرطة طرقاً للحصول على أرقام غير متاحة .. الناس؟ في الواقع، ربما لا تستطيع فعل ذلك إذا كانت هناك حالة طارئة .. تقتضي سرعةً في اكتشاف شيء ما أو إبلاغ شخص ما بأمر ما. وإضافة إلى ذلك، الأحلام لا ينبغي أن تكون منطقية، أليس كذلك؟ الأحلام .. قصائد من اللاوعي.

الآن، بما أنها لم تعد قادرة على تحمُّل الوقوف جامدةً، تذهب إلى .. باب المطبخ وتنظر إلى الصباح الحزيراني المشرق، تنظر إلى نسختهما .. الخاصة مما تعتبره الحلم الأميركي. كم هو هادئ هذا الصباح في .. استلقائه! مع مليار قطرة ندى لا تزال تتلألأ على العشب! ولا يزال قلبها .. يدق بعنف في صدرها والعرق يسيل على وجهها، وهي تريد أن تقول له إن .. عليه أن يتوقف، يجب عليه أن يتوقف عن سرد هذا الكابوس، هذا .. الكابوس الفظيع. يجب أن تذكِّره أن جينا تعيش في الشارع نفسه - أي .. جينا التي تعمل في محل فيديو في القرية، وتقضي الكثير من عطلات .. نهايات الأسبوع وهي تحتسي الشراب في مشرب غورد مع أمثال فرانك .. بدمان الذي يكبرها سناً بما يكفي ليكون والدها - وهذا جزء من .. الجاذبية من دون شك.

"كل أنصاف الكلمات الهامة تلك، ومن دون أن ترفع صوتها.

وبعد ذلك سـمعت كلمة قُتلت وعرفت أن إحدى البنات قد ماتت. عرفت وحسب. ليست تريشا، لأنها هي التي تتحدث معي على الهاتف، ولكن إما جينا أو ستيفاني. أحسست بفزع شديد. في الحقيقة، جلست هناك أتساءل أيهما أريدها أن تكون الميتة، مثل اختيار صوفي [فيلم سينمائي] اللعين. وبدأت أصرخ عليها: أخبريني أي واحدة! أخبريني أي واحدة! كُرمى لله يا تريش، أخبريني أي واحدة منهما!! في تلك اللحظة، بدأ العالم الحقيقي بالتغلغل رويداً رويداً... دائماً نفترض أن هذا الشيء...".

يصدر هارفي ضحكة خفيفة، وفي ضوء الصباح الساطع ترى جانيت بقعة حمراء وسط مكان الضربة على جانب فولفو فرانك فريدمان، وفي منتصف البقعة هناك لطخة داكنة يمكن أن تكون تراباً أو شَعْراً. يمكنها تخيُّل فرانك يوقف سيارته بشكل مائل أمام الرصيف في الثانية من بعد منتصف الليل، ثملاً لدرجة أنه لا يحاول حتى دخول الشارع الفرعي المؤدي إلى منزله، دع عنك المرآب. يمكنها تخيُّله يمشي إلى المنزل مترنحاً، ومحنيَّ الرأس، ويتنفس بشدة من أنفه.

"في ذلك الحين، عرفت أنني في السرير، ولكن كان بوسعي سماع ذلك الصوت المنخفض الذي لم يكن يبدو كصوتي على الإطلاق. كان يبدو مثل صوت شخص غريب، ولم يكن يكمل أياً من الكلمات التي كان يقولها. بريني – أي – حدة، بريني – أي – حدة – يا – إيش؟.

أخبريني أي واحدة. أخبريني أي واحدة يا تريش.

يصمت هارفي مفكراً ومتأملاً. تتراقص ذرات الغبار حول وجهه والشمس تجعل قميصه قصير الكمَّين مبهراً جداً، حيث يصعب النظر إليه، مثل قميص في دعاية لمسحوق تنظيف.

ثم يقول أخيراً: "استلقيت هناك بانتظارك كي تأتي وتري ما حصل كان الطفح التحسسي يغطي جسدي بأكمله، وكنت ارتجف وأقول لنفسي إنه كان مجرد كابوس، كما تفعلين انت، بالطبع، لكنني أيضاً كنت أفكر

ام الان حقيقياً، كم كان مرعباً".

يصمت مجدداً، ويفكّر كيف سيقول ما سيأتي تالياً، غير مدرك أن

منه لم تعد تصغي له. جاكس - سابقاً - تستخدم الآن كل عقلها، كل

ا؛ الها الفكرية الجيدة، لحمل نفسها على تصديق أن ما تراه الآن ليس

ا... وإنما الطلاء الأساسي للفولفو حيث كشط الطلاء الخارجي.

يستأنف هارفي حديثه: "إنه أمر مذهل، أليس كذلك؟ كم يذهب

الخيال بعيداً. لا بد أن كابوساً كهذا يشبه الطريقة التي يرى بها الشاعر -

واحد من الشعراء الكبار حقاً - قصيدته. كل تفصيل شديد الوضوح

والإشراق".

يصمت، ويصبح المطبخ ملكاً للشمس الساطعة وذرات الغبار

المتراقصة. وفي الخارج، يتوقف العالم مترقّباً. تنظر جانيت إلى الفولفو

في الشارع؛ تبدو بأنها تنبض في عينيها، ثخينة مثل قطعة آجر. وعندما رنّ

الهاتف، كانت ستصرخ لو كان باستطاعتها أن تأخذ نَفَساً، وكانت ستغطي

رأسها لو كانت تستطيع رفع يديها. تسمع هارفي ينهض ويتوجه إلى زاوية

التلفون بينما يرنّ الهاتف مرة ثانية، ثم مرة ثالثة.

إنه رقم خاطئ، تفكّر جانيت في داخلها. لا بد أنه رقم خاطئ؛ لأنك

إذا أخبرت أحلامك فإنها لن تتحقق.

يقول هنري: "ألو؟".

استراحة طريق

كان يعتقد أنه في نقطة ما بين جاكسونفيل وساراسوتا قام بنسخة ا..ية من حركة كلارك كينت في كشك الهاتف الروتينية القديمة [كلارك ..ت هو شخصية سوبرمان المتنكرة]، لكنه لم يكن واثقاً أين أو كيف. الأمر الذي ألهمه أنها لم تكن درامية جداً. فهل كان هذا مهماً؟

في بعض الأحيان، كان يقول لنفسه إن الإجابة لا؛ إذ إن كل مسألة ..لك هاردن/ جون ديكستر لم تكن سوى بناء مصطنع؛ عمل وكيل صحفي صرف، لا يختلف عن آرتشيبالد بلوغيرت (أو مهما كان اسمه الحقيقي) عندما كان يؤدي باسم كاري غرانت، أو إيفان هانتر (الذي ..ان اسم ولادته الحقيقي سلفادور) وهو يكتب باسم إد ماكين. أولئك الأشخاص كانوا مصدر إلهامه... إلى جانب دونالد إ. ويستليك، الذي ..ب روايات واقعية قاسية مثل ريتشارد ستارك، وك. سي. كونستانتين الذي كان... في الواقع... لا أحد يعرف حقاً، أليس كذلك؟ وكما هو الحال مع السيد الغامض ب. تارفان الذي كتب "كنز سييرا مادري". لا أحد كان يعرف، وهذا كان جزءاً من المتعة.

الاسم، الاسم، ماذا يوجد في الاسم؟

على سبيل المثال، من كان أثناء عودته إلى ساراسوتا من الرحلة التي يقوم بها كل أسبوعين؟ كان هاردن عندما غادر بوت أوف جولد في جاكسونفيل، من دون شك. وديكستر عندما دخل منزله بجانب القناة على طريق ماكنتوش، بالتأكيد. ولكن، من كان على الطريق 75، عندما عبر من

بلدة إلى أخرى تحت أضواء الطريق المبهرة؟ أكان هاردن؟ أم ديكستر؟ أم لا أحد؟ هل كانت هناك ربما لحظة سحرية عندما يتحوّل المتذلل الأدبي الذي يجني الدولارات الكثيرة إلى بروفيسور اللغة الإنكليزية العالم المختص في الشعراء والروائيين الأميركيين في القرن العشرين؟ وهل كان ذلك مهماً طالما أنه كان مستقيماً مع الله وخدمة الضرائب الفدرالية ولاعبي كرة القدم الذين كانوا بين الحين والآخر يتلقون أحد منهاجيه البحثيين؟

لا شيء من ذلك كان يهم إلى الجنوب من أوكالا. كل ما فعله هو أنه كان مضطراً للتبوّل مثل حصان سباق، بصرف النظر عن هويته. لقد شرب علبتي شراب أكثر من حدّه المعتاد في بوت أوف جولد (ربما شرب ثلاثاً) وثبّت التحكُّم الأتوماتيكي بسير الجاغوار على السرعة خمسة وستين، لأنه لم يكن راغباً في رؤية أي أضواء حمراء دوّارة في مرآة رؤيته الخلفية في تلك الليلة. قد يكون دفع ثمن الجاغوار بكتبٍ أَلّفت باسم هاردن، لكنه باسم جون أندرو ديكستر عاش معظم حياته، وهذا هو الاسم الذي كان سيظهر تحت الضوء الكاشف إذا سُئل عن شهادة مالك السيارة. وقد يكون هاردن هو الذي شرب في بوت أوف جولد، ولكن إذا أخرج شرطي دوريةٍ تابعة لولاية فلوريدا أداة تحليل النَفَس الفظيعة في علبتها البلاستيكية الزرقاء الصغيرة، فإن جزيئات ديكستر الثمل هي التي سينتهي بها المطاف في أحشاء تلك الأداة العارفة. وفي ليلة خميس في حزيران، سيكون سهل المنال إلى حد كبير، بصرف النظر عن حقيقة هويته، لأن جميع المسافرين سيكونون قد عادوا إلى ميتشيغان، تاركين الطريق الدولي له وحده تقريباً.

ولكن، ثمة مشكلة جوهرية تتعلق بالشراب أي طالب جامعي كان يفهمها: لا يمكنك شراؤها، وإنما استئجارها فقط. ولحسن الحظ، كانت هناك استراحة طريق (مراحيض عامة) على بعد ستة أميال أو سبعة فقط

..ب أوكالا، وهناك يمكنه الحصول على غرفة.

في تلك الأثناء، على أي حال، من كان؟

من المؤكد أنه قدم إلى ساراسوتا قبل ستة عشر عاماً بصفته جون ..فستر، وتحت هذا الاسم درَّس اللغة الإنكليزية في فرع ساراسوتا من ..امعة فيلادلفيا منذ 1990. وبعد ذلك، في 1994، قرر أن يترك التدريس ..ي الصيف من أجل كتابة رواية مشوِّقة. كان لديه وكيل في نيويورك، ..س واحداً من أولئك الوكلاء الكبار، لكنه كان رجلاً نزيهاً بما يكفي، ..نجازاته المهنية معقولة، حيث تمكّن من بيع أربع قصص قصيرة لزبونه الجديد (تحت اسم ديكستر) لعدة مجلات أدبية دفعت مقابلها بضع ..ات من الدولارات. كان اسم هذا الوكيل جاك غولدن، الذي أطرى ..لى القصص بشدة، لكنه اعتبر الشيكات المحصَّلة مجرد "نقود بقالة". ..ان جاك هو الذي أوضح أن جميع قصص جون ديكستر المنشورة ..انت تتميز بـ "خط أدبي رفيع" (يقصد الوكيل أن يقول حبكة، بحسب ..هم جوني) مشيراً إلى أن زبونه الجديد قد يتمكن من جني 40,000 أو 50,000 دولار مرة واحدة من كتابة روايات تشويق مؤلفة من مائة ألف ..لمة.

"بوسعك القيام بذلك خلال صيف واحد إن استطعت إيجاد علاّقة ..تعليق قبعتك عليها". هذا ما قاله لديكستر في إحدى رسائله (لم يكونا ..د تطوّرا إلى درجة استخدام الهاتف والفاكس في تلك المرحلة). "وهذا ضعف ما يمكنك جنيه من فصلَي حزيران وآب هناك في جامعة ..المغروف. إذا كنت ستجرّب يا صديقي، فالآن هو الوقت المناسب، قبل أن تجد نفسك مع زوجة وولدين ونصف".

لم تكن هناك زوجة محتملة في الأفق (ولا الآن)، لكن ديكستر فهم ..ا كان جاك يرمي إليه، وهو أن رمي النرد لن يكون أسهل مع تقدّم المرء ..ي السن. والزوجة والأولاد ليسوا المسؤوليات الوحيدة التي يتولاها

الإنسان مع الانزلاق الهادئ للزمن، فهنالك دائماً – على سبيل المثال بطاقات الاعتماد التي تضع أثقالاً على كاهلك وتبطئ حركتك.

عندما وصل عقد التدريس الصيفي في كانون الثاني 1994، أعاده غير موقّع إلى رئيس القسم مع ملاحظة توضيحية وجيزة: أفكر في كتابة رواية في هذا الصيف بدلاً من ذلك.

كان رد إدي واسرمان ودوداً ولكنه حازم: لا بأس في ذلك يا جوني، لكنني لا أستطيع أن أضمن لك بأن الموقع سيظل موجوداً في الصيف القادم. الشخص الموجود على الكرسي يملك دائماً الحق في أن يكون أول من يقبل أو يرفض.

فكّر ديكستر في ذلك، ولكن لمدة وجيزة فقط، لأنه في ذلك الحين، أصبح يملك فكرة. بل أفضل من ذلك، أصبح يملك شخصية: كان "الكلب" في انتظار أن يولَد، وليُبارك قلبه القاتل.

شاهد أمامه سهماً أبيض على لافتة زرقاء تلمع تحت أضواء مصابيحه الأمامية والطريق الفرعي ينحني نحو الجهة اليسرى، وأضواء النيون والصوديوم المبهرة تنير الرصيف بشدة؛ حيث بدا الطريق الفرعي مثل خلفية مسرح. استعمل مصابيح السيارة التنبيهية وأخفض السرعة إلى الأربعين، ثم غادر الطريق الدولي.

في منتصف الطريق الصاعد تشعّب الطريق الفرعي إلى شعبتين الشاحنات وشعب السوين *Siouan* (سكان ويسكونسون ونبراسكا) إلى اليمين، وأولئك الذين يقودون سيارات الجاغوار إلى الأمام. كانت الاستراحة تبعد خمسة وأربعين متراً عن التشعّب، وهي بناء إسمنتي بني فاتح (بيج) كان يبدو أيضاً مثل خلفية مسرح تحت الأضواء المشعة. ماذا كان هذا المبنى سيكون في فيلم سينمائي؟ هل سيكون مركز قيادة صاروخية ربما؟ بالتأكيد، لم لا. مركز قيادة صاروخية في مكان ناءٍ،

الشخص المسؤول عنه يعاني من نوع محجوب بحرص (ولكن متطور) من المرض العقلي. إنه يشاهد الروس في كل مكان؛ روساً يظهرون من ... والأبواب والسلالم... أو لنقل إرهابيي القاعدة الأكثر تطوراً. لقد أصبح الروس مستبعَدين كأشرار في هذه الأيام؛ إلا إذا كانوا يروّجون لمخدرات أو مراهقات. لكن الأشرار غير مهمّين على أي حال، لأن هذا ... وهم. ومع ذلك، إن أصبح هذا الشخص تحكُّه من أجل الضغط على الزر الأحمر، و...

وهو بحاجة ماسة إلى التبوّل، لذا وضع الخيال جانباً لبعض الوقت. إضافة إلى ذلك، ليس هناك مكان "للكلب" في قصة كهذه. لأن الكلب ... إلى أن يكون محارباً مدينياً، كما قال في بوت أوف جولد في وقت سابق من تلك الليلة. مع ذلك، إن فكرة قائد القاعدة الصاروخية المعتوه ... تبدو قوية، أليس كذلك؟ رجل وسيم... ويبدو طبيعياً تماماً من حيث المظهر الخارجي...

كانت هناك سيارة واحدة فقط في ساحة ركن السيارات المترامية الأطراف في تلك الساعة؛ واحدة من سيارات ب. ت. كروزر التي كانت ... تدفعه للابتسام؛ لأنها كانت تبدو كدمى سيارات العصابات من أيام الثلاثينيات.

ركن سيارته على بعد أربعة مواقع توقف مهجورة أو خمسة، أوقف عمل المحرك، ثم توقّف قليلاً ليمسح ساحة إيقاف السيارات بناظريه قبل الترجُّل. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتوقف فيها في استراحة الطريق هذه بالذات أثناء عودته من بوت أوف جولد، وذات مرة ... بالإثارة والفزع معاً لدى رؤيته تمساحاً يمشي بتثاقل على الرصيف المهجور باتجاه أشجار الصنوبر السكري (*sugar pine*) خلف الساحة.

كان يبدو، إلى حدٍّ ما، مثل رجل أعمال مسنّ بدين في طريقه لحضور اجتماع ما. بما أنه لم يكن هناك أي تمساح الليلة، خرج من السيارة،

ثم رفع المفتاح اللاسلكي فوق كتفه، وضغط على زر إقفال السيارة، أصدرت الجاغوار صوتاً مطيعاً، ولوهلة رأى ظله عند الوميض الوجيز لمصابيحها الأمامية... ولكن، ظل من كان؟ ظل ديكستر أم هاردن؟

قرر أنه ظل جوني ديكستر، وذلك لأن هاردن كان غائباً في ذلك الحين؛ فقد تركه على بعد ثلاثين أو أربعين ميلاً وراءه. كانت تلك الليلة ليلته لتقديم عرضه القصير (ولكن المضحك في معظمه) بعد الغداء أمام بقية "لصوص فلوريدا"، وهو يعتقد أن السيد هاردن قدّم أداءً ممتازاً ختمه بوعد بإرسال "الكلب" وراء أي شخص لا يساهم بسخاء في جمعية الخيرية لتلك السنة، والتي تَصادَفَ أنها كانت جمعية صنشاين ريديرز، وهي مؤسسة غير ربحية تقدّم نصوصاً ومقالات صوتية للأكاديميين المكفوفين.

مشى عبر الساحة باتجاه المبنى على وقع طقطقة جزمة رعاة البقر التي ينتعلها. لم يكن جوني ديكستر ليرتدي سروال جينز باهتاً، وينتعل جزمة رعاة بقر في مناسبة عامة، وخاصة إذا كان المتحدث الأساسي فيها، لكن هاردن كان مختلفاً ويتمتع بشخصية قوية. فبعكس ديكستر (الذي يهتم بالتفاصيل كثيراً)، لم يكن هاردن يأبه كثيراً بما يفكّر فيه الناس بشأن مظهره.

كان مبنى المراحيض مقسّماً إلى ثلاثة أقسام، قسم النساء على الجهة اليسرى، وقسم الرجال على الجهة اليمنى، ومدخل كبير يشبه مدخل بيت مسقوف في المنتصف؛ حيث يمكنك أخذ منشورات تتعلق بمناطق سياحية متنوعة في وسط فلوريدا وجنوبها. كانت توجد أيضاً ماكينات لتقديم أطعمة خفيفة، وماكينتان لتقديم مشروبات غير كحولية، وماكينة لتوزيع الخرائط تتطلب عدداً غير منطقي من أرباع الدولارات. وكان جانبا الممر مليئيْن بصور أطفال مفقودين؛ صور كانت دائماً تثير القشعريرة في جسد ديكستر. لطالما كان يتساءل: كم من أولئك الأطفال

المفقودين دُفنوا في التراب الرملي الرطب؟ وكم منهم يذهبون طعاماً للتماسيح في منطقة جليدس؟ كم منهم تربَّوا معتقدين أن الأشخاص الذين اختطفوهم (والذين كانوا بين الحين والآخر يعتدون عليهم جنسياً أو يؤجِّرونهم) هم أمهاتهم أو آباؤهم؟ لم يكن ديكستر يحب أن ينظر إلى وجوههم البريئة، أو يفكِّر في اليأس الذي يكمن خلف أرقام الجوائز المعلنة؛ 10,000، 20,000، 50,000، وفي حالة واحدة 100,000 دولار هذه الأخيرة لطفلة شقراء من فورت مايرز اختفت في العام 1980 ولا بد أنها أصبحت امرأة في أوائل منتصف عمرها الآن؛ إن كانت لا تزال على قيد الحياة... وهي في الغالب ليست كذلك). كانت هناك أيضاً لافتة تفيد العامة أن العبث في برميل النفايات ممنوع، ولافتة أخرى تفيد أن البقاء في منطقة الاستراحة هذه لفترة أطول من ساعة ممنوع.

من يريد البقاء هنا؟ فكَّر ديكستر وأصغى لحفيف أشجار النخيل في ريح الليل. شخص مجنون، هذا هو من يريد البقاء هنا. شخص سيصبح أي زر أحمر يبدو بالنسبة إليه لطيفاً بمرور الأشهر والسنين مع صوت عبور الشاحنات الكبيرة على الطريق السريع في الواحدة بعد منتصف الليل.

استدار نحو حمام الرجال ثم تجمَّد في منتصف خطوته الأولى عندما سمع صوتاً قوياً، مشوَّهاً قليلاً بفعل الصدى، لامرأة تتحدث على نحو غير متوقَّع من خلفه.

قالت: "لا، يا لي. لا، حبيبي، لا تفعل".

سمع صوت صفعة ثم خبطة؛ خبطة مكتومة على اللحم. أدرك ديكستر أنه كان يستمع إلى أصوات اعتداء جدي اعتيادي. كان بوسعه في الحقيقة تخيُّل شكل يد حمراء على خدِّ المرأة وارتداد رأسها – الذي حماه قليلاً شعرُها (أهو أشقر أم داكن؟) – عن بلاط الجدار البيج. بدأتْ بالبكاء. كانت أضواء النيون في الساحة مشعة بما يكفي ليرى أن طفحاً

جلدياً انتشر على ذراعيه. بدأ يعض شفته السفلى.

"ساقطة لعينة".

كان صوت لي رتيباً وخطابياً. من الصعب أن تشرح كيف تعرف على الفور أنه ثمل، ذلك لأنه لفظ الكلمتين بصورة مثالية. لكنك ستعرف، لأنك حتماً سمعتَ رجالاً يتحدثون على هذا النحو من قبل؛ في ساحات لعب الكرة، وفي الكرنفالات، وأحياناً عبر جدار رقيق في غرفة موتيل (أو عبر السقف) في وقت متأخر من الليل. كما أن الأنثى التي تحاوره – هل يمكنك تسمية ما يحصل حواراً؟ – قد تكون ثملة أيضاً، لكنها بدت خائفة أكثر.

وقف ديكستر هناك في الممر الصغير من المدخل قبالة حمام الرجال، وظهره متجه صوب الثاني الموجود في حمام النساء. كان واقفاً في الظل، ومحاطاً من الجانبيْن بصور الأطفال المفقودين التي كانت تصدر حفيفاً خفيفاً مثل سعف أشجار النخيل في نسيم الليل. وقف هناك منتظراً، آملاً أنه لن يشهد المزيد من الإساءة. لكنه بالتأكيد سيشهد المزيد. خطرت له كلمات أغنية ريفية جدية ومضحكة في آن واحد: "بحلول الوقت الذي اكتشفت فيه [الحقيقة] لم أعد صالحاً، كنت ثرياً جداً لأنسحب".

سمع صوت خبطة لحم أخرى، وصرخة أخرى من المرأة. ثم ساد الصمت للحظة، وبعدها سمع صوت الرجل مجدداً. لقد عرف أنه كان غير متعلم إضافة إلى كونه ثملاً؛ وذلك من طريقة لفظه لكلمة ساقطة في الحقيقة، كان بوسعك معرفة الكثير من الأشياء حوله: كان يجلس في الصفوف الخلفية في حصة اللغة الإنكليزية في المدرسة الثانوية، وكان يشرب الحليب من العلبة مباشرةً عندما كان يصل إلى المنزل من المدرسة، وترك الجامعة أو المعهد في سنته الثانية، ومارس عملاً كان يتطلب منه ارتداء قفازين، وحمل مدية في جيبه الخلفي. أعرف أنه ليس

المفترَض إطلاق مثل هذه التعميمات - فذلك كان يشبه القول إن الأمريكيين الأفارقة يملكون إحساساً فطرياً بالإيقاع، وإن جميع الإيطاليين ...وا يبكون في الأوبرا - لكنك إذا كنت هناك في الظلام في الحادية ...ة ليلاً، ومحاطاً بصور أطفال مفقودين - لسبب ما منسوخة دائماً على ...اف وردية اللون، وكأن هذا اللون هو لون المفقود - فإنك ستعرف أن ...ذا صحيح.

"ساقطة تافهة لعينة".

لديه نمش، فكّر ديكستر، وهو يحترق بالشمس بسهولة. والاحتراق ...الشمس يجعله يبدو مجنوناً على الدوام، وهو في العادة مجنون. إنه ...حتسي الشراب عندما تكون جيوبه عامرة بالنقود، كما نقول، لكنه في ...غالب يشرب الب -

"لي، لا تفعل". كانت تبكي الآن وتتوسل، فشرد ديكستر في ...أفكاره: لا تفعلي هذا يا سيدة. ألا تعلمين أن هذا يجعل الأمر أشد سوءاً؟ ألا تعلمين أنه يرى سيلان المخاط من أنفك، وأن هذا يزيده جنوناً؟ "لا ...تضربني أكثر. أنا آ-".

طاااخ!

تلتها خبطة أخرى وصرخة ألم عالية تكاد تشبه عواء كلب يتألم. لقد ضربها سائق الـ ب. ت. كروزر مرة أخرى ضربة قوية بما يكفي لاصطدام رأسها بجدار الحمام. ما هي تلك النكتة القديمة؟ لماذا توجد الثلاثمائة ألف حالة إساءة سلوك زوجي في أميركا في كل عام؟ لأنهن لا... ...يسمعن.

"ساقطة لعينة". هذه هي عبارة لي الرئيسة في هذه الليلة. لكن المخيف في ذلك الصوت - ما وجده ديكستر مفزعاً إلى حدٍّ كبير - هو غياب العاطفة. الغضب كان أفضل. الغضب سيكون آمناً أكثر بالنسبة إلى المرأة؛ لأنه يشبه بخاراً قابلاً للاشتعال، أي شرارة يمكن أن تشعله

وتنهيه في انفجار مبهر سريع. لكن ذلك الشخص كان... ملتزماً. لم يكن ليضربها مرة أخرى ومن ثم يعتذر، وربما يبدأ بالبكاء لأنه فعل ما فعله لعله فعل ذلك في ليالٍ سابقة، ولكن ليس هذه الليلة. في هذه الليلة، يبدو بأنه سيقاتل طويلاً.

إذاً، ماذا أفعل؟ ما هو دوري في هذا الوضع؟ هل لي دور؟

من المؤكد أنه لم يكن سيدخل حمام الرجال ويتبوّل كما كان ينوي؛ بالرغم من أن خصيتيه تحوّلتا إلى حجرين صلبين صغيرين، وانتشر الضغط في كليتيه إلى ظهره ونزولاً إلى ساقيه. وكانت دقات قلبه تتسارع في صدره، فهو يدق بإيقاع هرولة سريعة قد تتحول إلى عدْوٍ سريع عند سماعه صوت الضربة التالية. ربما ستمضي ساعة أو أكثر قبل أن يتمكّن من التبوّل مجدداً، مهما كانت شدة اضطراره لفعل ذلك، وسيكون بوله عندئذ سلسلة متقطعة من الدفقات الصغيرة غير المريحة. وكم كان يتمنى لو أن هذه الساعة قد انقضت، ولو أنه موجود على بعد ستين ميلاً أو سبعين من هذا المكان.

ماذا ستفعل إذا ضربها مجدداً؟

كما خطر له سؤال آخر: ماذا ستفعل إذا هربت المرأة ولحقها السيد ب.ت. كروزر؟ لم يكن هناك سوى طريق واحد للخروج من حمام النساء، وجون ديكستر كان يقف في منتصفه. جون ديكستر في جزمة رعاة البقر التي انتعلها ريك هاردن قبل ذهابه إلى جاكسونفيل، حيث تلتئم مرة كل أسبوعين مجموعة من كتاب روايات التشويق - الكثير منهم نساء سمينات يرتدين ثياباً ذات ألوان باهتة - من أجل مناقشة التقنيات والوكلاء والمبيعات والثرثرة حول بعضهم بعضاً.

"لي - لي، لا تؤذني، اتفقنا؟ رجاءً لا تؤذني. رجاءً لا تؤذِ الطفل".

لي - لي.

أوه، وهناك واحد آخر. الطفل. رجاءً لا تؤذِ الطفل. أهلا بك في قناة

لابهائم اللعينة.

بدا قلب ديكستر ذو النبضات المتسارعة، وكأنه غرق بضعة سنتمترات في صدره. أحسّ بأنه مضت على وقوفه هناك في الممر الصغير الواقع بين حمام الرجال وحمام النساء مدة لا تقل عن عشرين دقيقة، لكنه عندما نظر إلى ساعته، دُهش لدى رؤيته أنه لم تمضِ أربعون ثانية منذ الصفعة الأولى. إنها الطبيعة الذاتية للزمن والسرعة الفائقة للفكر عندما يكون الذهن واقعاً تحت الضغط. لقد كتب حول كلا الأمرين مرات كثيرة. وهو يعتقد أن معظم الروائيين المختصين بكتابة قصص التشويق فعلوا ذلك أيضاً. إنه مكوّن أساسي لعين. في المرة التالية التي يحين فيها دوره لمخاطبة "لصوص فلوريدا"، ربما سيجعل من هذا موضوع حديثه، وسيبدأ بإخبارهم عن هذه الحادثة. سيخبرهم كيف أنه امتلك الوقت للتفكير، مع أنه يعتقد أن الموضوع سيكون ثقيلاً بعض الشيء بالنسبة إلى اجتماعهم الذي يجري كل أسبو -

سيلٌ من الضربات قطَعَ سلسلة أفكاره. يبدو أن لي - لي فقد السيطرة على نفسه. أصغى ديكستر إلى الصوت المميَّز لهذه الضربات بفزع رجلٍ يدرك أنه يسمع أصواتاً لن ينساها أبداً؛ ليست مؤثرات صوتية في فيلم سينمائي، بل إنها صوت قبضات تضرب وسادة محشوة بالريش، صوتٌ خفيف على نحو يثير الاستغراب، بل رقيق في الواقع. صرخت المرأة من الدهشة مرةً ومن الألم مرة. وبعد ذلك، راحت تطلق صرخات لاهثة صغيرة من الألم والخوف. فكَّر ديكستر في جميع إعلانات الخدمة العامة التي شاهدها حول العنف المنزلي. لم تتطرق أي منها إلى هذه الحالة، حيث يمكنك أن تسمع صوت حفيف أشجار النخيل (وحفيف صور الأطفال المفقودين، لا تنسَ ذلك) في أذن وأصوات الألم والخوف والبكاء في الأذن الأخرى.

سمع صوت خطوات على البلاط فعرف أن لي (لي - لي، هكذا

دعته المرأة، وكأن مناداته باسم حيوان أليف ستخفف من قوته) يقترب منها. مثل هاردن، كان لي ينتعل جزمة. يميل أمثال لي – لي لأن يكونوا ذوي جثث ضخمة. أما المرأة فتخيّل أنها كانت تنتعل حذاء مطاطي النعل وترتدي بلوزة مكشوفة الصدر؛ كان يعرف ذلك.

"ساقطة، ساقطة لعينة، رأيتك تتحدثين معه وترمين... أيتها الساقطة اللعينة –".

"لا، لي – لي، أنا أبداً لم –".

صوت ضربة أخرى، ثم سعال خشن ليس أنثوياً ولا ذكورياً. تقيؤ. في اليوم التالي، أي شخص سينظف ذلك المكان سيجد قيئاً جافًّا على الأرض وعلى أحد الجدران المبلطة في حمام النساء، لكن لي وزوجته أو صديقته سيكونان قد غادرا منذ وقت طويل، وبالنسبة إلى المنظّف سيكون القيء مجرد قذارة بحاجة إلى تنظيف، أما قصة التقيؤ فهي غامضة وغير مثيرة للاهتمام، وماذا كان يُفترَض بديكستر أن يفعل؟ هل كان يملك الشجاعة لدخول حمام النساء؟ وإذا لم يكن يملكها، فإن لي قد ينهي ضربه لها، ولكن إذا تدخّل شخص غريب –

قد يقتلنا كلينا.

ولكن...

الطفل. رجاءً لا تؤذ الطفل.

أطبق ديكستر قبضتيه وفكّر. فتاة لايفتايم اللعينة!

كانت المرأة لا تزال تتقيأ.

"توقفي عن ذلك يا إلين".

"لا أستطيع!".

"لا؟ حسناً، جيد. سأساعدك أيتها الساقطة... اللعينة".

صفعة أخرى، مع كلمة ساقطة معترضة. غرق قلب ديكستر بضعة سنتمترات أخرى. لم يكن ليعتقد أن ذلك ممكن. سرعان ما سيبدأ قلبه

بالخفقان. لو أنه فقط يستطيع التواصل روحياً مع "الكلب"! لو كانت ثمة لنجح الأمر، بل سيكون قد فكّر في ذلك قبل ارتكاب الخطأ الكبير المتمثل في المجيء إلى هذه الاستراحة، وإذا لم يكن هذا ما تسميه التقنيات الإرشادية حول الكتابة بالإشارات المنذرة، فماذا سيكون إذاً؟

أجل، كان سيتحوّل إلى قاتله المأجور، ويقتحم حمام النساء ويلقن لي درساً لن ينساه طوال عمره، ثم يتابع طريقه. مثل شخصية شين *Shane* في ذلك الفيلم القديم من بطولة "آلان لاد".

تقيأت المرأة مجدداً؛ وسمع صوت آلة تحوّل حجارة إلى حصى. أدرك ديكستر أنه لن يتحوّل إلى "الكلب"، لأن "الكلب" خيال، أما هذا فكان واقعاً يبرز نفسه أمامه مثل لسان ثمل.

"افعلي ذلك مرة أخرى وسترين ما سيحصل لك". هذه المرة كانت في صوته نبرة مخيفة. كان لي يستعد لفعل شيء مريع. كان ديكستر متأكداً.

سأشهد في المحكمة. وعندما يسألونني عمّا فعلته لأمنع ذلك. سأقول: لا شيء. سأقول إنني أصغيت السمع، وإنني تذكّرت. إنني كنت شاهداً. ثم سأقول إنّ هذا ما يفعله الكتّاب عندما لا يكتبون.

فكّر ديكستر في العودة بسرعة إلى سيارته الجاغوار - بهدوء! - واستخدام هاتفه من أجل الاتصال بالشرطة. كل ما يجب عليه فعله هو الاتصال بـ *99. هذا ما تقوله اللافتات المثبتة كل عشرة أميال تقريباً. "في حال وقوع حادث اتصل بـ *99 من هاتفك الخلوي". ولكن، ثمة مشكلة وحيدة، وهي أنك لا تستطيع أبداً أن تجد شرطياً في الجوار عندما تكون بحاجة لواحد. وقد يتبين أن أقرب شرطي له في هذه الليلة متواجد في برادنتون أو ربما وايبور سيتي، وعندما ستصل الدورية إلى هنا، ستكون منافسة الروديو الحمراء الصغيرة هذه قد انتهت.

سمع ديكستر من غرفة النساء سلسلة من الحازوقات (الفواق)

تتخللها أصوات اختناق منخفضة. صُفق أحد أبواب المراحيض بقوة
كانت المرأة تعرف – مثل ديكستر – أن لي يعني ما قاله. مجرد التفرّ
ثانيةً كان كافياً ليفرغ جنونه عليها وينهي العمل. وإذا قبضوا عليه؟ درجة
ثانية. لا تخطيط مسبق. قد يخرج من السجن بعد خمسة عشر شهراً
ويواعد الأخت الصغيرة لهذه المرأة.

عُدْ إلى سيارتك يا جون. عد إلى سيارتك، واجلس وراء المقود،
واذهب بعيداً عن هنا. ابدأ العمل على فكرة أن هذا لم يحصل قط.
واحرص على أن لا تقرأ أي جريدة أو تشاهد التلفاز خلال اليومين
القادمين. هذا سيساعدك. افعل ذلك. افعل ذلك الآن. أنت كاتب،
ولست مقاتلاً. يبلغ طولك 175 سم ووزنك 73 كغ، ولديك كتف مصابة،
والشيء الوحيد الذي يمكنك فعله هنا هو جعل الأمور أكثر سوءاً. إذاً، عد
إلى سيارتك وصلّ لربك كي يساعد النساء من أمثال إلين.

وهو في الحقيقة كان قد استدار قبل أن تخطر أي فكرة في ذهنه.

"الكلب" لم يكن حقيقياً، أما هاردن فبلى.

سقطت إلين ويتلو من نوكوميس (يستعير الكاتب صورة من قصيدة
قديمة) فوق أحد المراحيض، وساقاها منفرجتان وتنورتها مرفوعة مثل
ساقطة حقيقية، ولحق بها لي يريد الإمساك بها من أذنيها وضرب رأسها
الأبله بالجدار المبلّط. كان سيعلّمها درساً لن تنساه ما بقيت على قيد
الحياة.

لم تخطر هذه الأفكار في ذهنه بأي نموذج متناسق، فما كان يحتل
معظم مساحة ذهنه في ذلك الحين هو الغضب. وفوق الغضب وتحته
ومن خلاله، كان هناك صوت رتيب بدا له مثل صوت ستيف تايلر في
فرقة أيروسميث: لست حبيبتي بعد الآن، لست لي، لست لي، أيتها
الساقطة اللعينة.

مشى لي ثلاث خطوات، وفي تلك اللحظة سمع زمور سيارة يدوّي بشكل إيقاعي في مكان قريب، ما أفسد إيقاعه الخاص، وأفسد تركيزه، ودفعه للالتفات.

بااااب! بااااب! بااااب! بااااب!

قال لي في نفسه: زمور سيارة. نظر إلى باب حمام النساء ثم إلى باب المرحاض حيث تجلس إلين، ثم أطبق قبضتيه بتردد. وفجأة أشار نحوها بسبّابته اليمنى؛ الظفر طويل ووسخ.

"تحرّكي وستموتين، يا قحبة". واتجه صوب الباب.

كانت الإنارة شديدة في حمام النساء، وتكاد تكون مثل قوة الإنارة في ساحة إيقاف السيارات، بيد أن الممر الصغير الفاصل بين الحمامين كان مظلماً. أصيب بالعمى لوهلة، وفي هذه اللحظة أصابه شيء ما في ظهره فاندفع إلى الأمام خطوتين مترنحتين قبل أن يتعثّر بشيء ما – ساق – ويسقط منبطحاً على الإسمنت.

بدون أي توقف أو تردد ركلته جزمة على فخذه، فتجمّدت عضلتها الكبيرة، ثم على أعلى مؤخرته، أسفل ظهره بقليل، فبدأ يزحف –

قال له صوت فوقه: "لا تقلب نفسك يا لي. أحمل قضيب تثبيت العجلات في يدي. ابقَ على بطنك وإلا فأضرب رأسك به".

بقي لي منبطحاً مكانه، وباسطاً ذراعيه إلى الأمام.

قال الرجل الذي ضربه: "اخرجي من عندك يا إلين. ليس لدينا وقت للعبث. اخرجي الآن".

مرّت بضع ثوان من الصمت، ثم جاء صوت الساقطة مرتعشاً وغير واضح: "هل آذيته؟ إياك أن تؤذيه!".

"إنه بخير، لكنك إذا لم تخرجي الآن فإنني سأؤذيه بشدة. سأكون مضطراً". صمت قليلاً ثم تابع: "وسيكون هذا ذنبك".

في تلك الأثناء، دوّى صوت زمور السيارة بشكل رتيب في الليل:

بااااب! بااااب! بااااب! بااااب!

بدأ لي يدير رأسه على الأرض المعبَّدة. كان يشعر بالألم. بماذا ضربه هذا اللعين!؟ هل قال قضيب تثبيت العجلات؟ لم يستطع التذكُّر.

ركلته الجزمة على مؤخرته مجدداً فصرخ لي وأعاد رأسه إلى مكانه السابق.

"هيا يا سيدة، وإلا فسأفتح رأسه! ليس لدي خيار هنا!".

عندما تكلّمت ثانيةً، كانت أقرب. ورغم أن صوتها كان لا يزال مرتجفاً، إلا أنه كان أقرب إلى الغضب: "لماذا فعلت ذلك؟ ما كان ينبغي عليك أن تفعل ذلك!".

قال الرجل الواقف فوقه: "اتصلت بالشرطة من هاتفي الخلوي. كانت هناك دورية عند الميل 140، أي لدينا عشر دقائق، وربما أقل بقليل. سيد لي – لي، هل معك مفاتيح السيارة أم معها؟".

فكّر لي في الأمر.

ثم قال: "معها. قالت إنني كنت ثملاً جداً حيث لم يكن باستطاعتي القيادة".

"حسناً يا إلين، اذهبي إلى هناك واركبي في سيارة الـ ب. ت. كروزر وابتعدي من هنا. استمري في القيادة إلى أن تصلي إلى ليك سيتي، وإذا كنت تملكين الدماغ الذي وهبه الله للبطة، فإنك لن تقفي هناك أيضاً".

قالت بغضب واضح هذه المرة: "لن أتركه معك! ليس وأنت تحمل هذا الشيء!".

"بل ستذهبين. افعلي ذلك الآن وإلا فسأعجنه أمامك".

"بلطجي!".

ضحك الرجل فارتعب لي أكثر. "سأعدُّ إلى الرقم ثلاثين. إذا لم تكوني تقودين السيارة باتجاه الجنوب في ذلك الحين، فإنني سأقتلع رأسه من بين كتفيه. سأضربه مثل كرة جولف".

"لا يمكنك -".

"افعلي ذلك يا إيلي. افعلي ذلك يا حبيبتي".

قال الرجل: "أسمعته؟ دبنويك اللطيف الضخم يريدك أن تذهبي. ..ا كنت تريدين أن ينهي ضربك ليلة غد - والطفلة - فلا مانع لدي. لن ..ون قريباً منكما ليلة غد. لكنني الآن سئمت من العبث معك، لذا حرّكي ..ؤخرتك البلهاء".

لقد فهمتُ هذا الأمر جيداً، لأنه قيل بلغة مألوفة لديها. شاهد ..ي صندلها وساقيها المكشوفتين حين مرّت بجانبه، لأن مستوى رؤيته المنخفض لم يكن يسمح له برؤية ما هو أكثر من ذلك. بدأ الرجل الذي طرحه أرضاً بالعدّ بصوتٍ عالٍ: "واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة...".

صاح لي: "أسرعي بالله عليك!". فعاجلته الجزمة بركلة على المؤخرة، ولكن بلطف هذه المرة، حيث وكزته فقط، بدلاً من ضربه. ..كنها مع ذلك كانت مؤلمة. في تلك الأثناء، عاد صوت زمور السيارة ..جدداً، باااب! باااب! باااب! "حرّكي مؤخرتك!".

عندئذ بدأ صندلها يعدو، وركض ظلها بجانبه. وصل الرجل إلى الرقم عشرين عندما بدأ محرك الكروزر الذي يشبه ماكينة خياطة ..بالدوران. ووصل إلى الثلاثين عندما شاهد لي مصابيحها الخلفية ترجع إلى داخل ساحة إيقاف السيارات. انتظر لي ليبدأ الرجل بضربه وسُرَّ لأنه ..لم يفعل.

بعد ذلك، بدأت السيارة تعبر مسار الخروج، وبدأ صوت المحرك ..يخبو رويداً رويداً. عندئذ، تحدث الرجل الواقف فوقه بشيء من التردد.

"والآن، ماذا سأفعل بك؟".

"لا تؤذني. لا تؤذني أيها السيد".

عندما غابت أضواء السيارة الخلفية عن الرؤية، بدأ هاردن ينقل القضيب الحديدي من يد إلى أخرى. كانت راحتاه متعرّقتين فكاد أن

يُسقطه. لو حدث ذلك، فإن الوضع كان سيصبح سيئاً. كان ارتطام القضيب بالأرض سيصدر رنيناً عالياً، وعندئذ سيكون لي واقفاً على قدميه في لحظة واحدة. صحيح أنه لم يكن ضخماً بالقدر الذي تخيَّله ديكستر، لكنه كان خطراً. لقد أثبت ذلك مسبقاً.

بالتأكيد، خطر على النساء الحوامل.

لكن هذه ليست طريقة تفكير سليمة. لو ترك لي - لي ينهض على قدميه، لتغيَّرت اللعبة تماماً. كان بوسعه الشعور بديكستر وهو يحاول العودة، كما لو أنه يريد مناقشة هذه النقطة، وربما بضع نقاط أخرى. دفعه هاردن بعيداً، إذ لم يكن هذا هو الوقت الملائم أو المكان الملائم لمدرِّس جامعي في اللغة الإنكليزية.

"الآن، ماذا سأفعل بك؟". كان السؤال يدلّ على حيرة صادقة.

"لا تؤذني". كان الرجل المستلقي على الأرض يضع نظارة؛ الأمر الذي كان مفاجأة كبيرة، إذ لم يتنبه هاردن ولا ديكستر إلى أنه كان يضع نظارة طبية. "لا تؤذني أيها السيد".

"عندي فكرة" - لو كان ديكستر، لقال: لدي فكرة - "انزع نظارتك وضعها بجانبك".

"لماذا -".

"اخرس ونفِّذ الأمر".

بدا لي الذي كان يرتدي سروال جينز من ماركة ليفيز وقميصاً غربي الطراز (كان في ذلك الحين مرفوعاً من الخلف ومستلقياً على مؤخرته)، بخلع نظارته ذات الإطار السلكي بيده اليمنى.

"لا. افعل ذلك باليد الأخرى".

"لماذا؟".

"لا تطرح أسئلة. نفِّذ فقط. انزعها بيدك اليسرى".

خلع لي النظارة ووضعها على الأرض. وعلى الفور، داس هاردن

ملها بكعب جزمته. فسمع صوت طقطقة ثم صوت زجاج يُسحَق.

صاح لي: "لماذا فعلت ذلك؟".

"لماذا برأيك؟ هل تملك مسدساً أو أي شيء؟".

"لا! يا الله، لا".

صدَّقه هاردن. لو كان يملك سلاحاً، فإنه سيكون بندقية تماسيح موجودة في صندوق السيارة الخلفي. ولكن، حتى هذا الاحتمال لم يكن مرجحاً، حسب ظنه. عندما كان واقفاً خارج حمام النساء، تخيَّل ديكستر عامل بناء ضخم الجثة، لكن هذا الرجل بدا مثل محاسب يعمل ثلاثة أيام في الأسبوع في صالة جولد الرياضية.

قال هاردن: "أعتقد أنني سأعود إلى سيارتي الآن. سأفتح الباب وارحل من هنا".

"أجل، أجل، لماذا لا تفعل ذ –".

ركله هاردن مرة أخرى على مؤخرته؛ هذه المرة، هزَّتها بقوة أكبر.

"لماذا لا تخرس؟ ماذا كنت تفعل هناك في الداخل على أي حال؟".

"القِّنها درساً لعي –".

أوشك هاردن على ركله على وركه بأقصى قوته، ثم سحب الضربة في اللحظة الأخيرة. ولكن، قليلاً فقط، فصرخ لي من الألم والخوف. احس هاردن بالفزع مما فعله للتو، ومن طريقة فعله. وما أفزعه أكثر هو انه كان يريد أن يفعل ذلك مجدداً، وبقوة أكبر. لقد أحب صرخة الألم والخوف تلك.

كم يختلف لي هذا عن لي الذي كان في حمام النساء، وهو مستلقٍ على الأرض هنا يقطعُ ظهرَه ظلُّ مدخل الاستراحة بشكل مائل؟ ليس تنبراً، في ما يبدو. ولكن، ما الذي يعنيه ذلك؟ كان السؤال مملاً؛ مثل سؤال فيلم الأسبوع. ولكن، خطر له سؤال أشد إمتاعاً بما لا يُقاس. كيف يمكنه أن يركل لي – لي العزيز بقوة على أذنه اليسرى دون التضحية بالدقة

مقابل القوة؟ على الأذن تماماً، كا- بووو. كما تساءل عن الصوت الذي ستصدره هذه الركلة. بالطبع، قد يموت الرجل من جراء ذلك، ولكن، ما هي الخسارة التي ستتكبّدها العالم في حال موته؟ ومن سيعلم؟ إلين؟ اللعنة عليها.

"من الأفضل لك أن تخرس يا صديقي"، قال هاردن، "هذا أفضل تصرُّف تقوم به الآن. اخرس وحسب. وعندما يصل شرطي الدورية إلى هنا، قل له ما تشاء".

"لماذا لا تذهب؟ اذهب فقط واتركني هنا وحدي. لقد كسرت نظارتي، أليس هذا كافياً؟".

"لا"، قال هاردن بصدق، ثم فكَّر للحظة، قبل أن يقول: "أتعرف ماذا؟".

لم يقل لي ماذا.

"سأمشي ببطء إلى سيارتي. تعال والحق بي إذا شئت. سنتقابل وجهاً لوجه".

"أجل، صحيح". ضحك لي بأسى، "لا يمكنني رؤية أي شيء بدون نظارتي!".

دفع هاردن نظارته الخاصة على أنفه. لم يعد بحاجة للتبول على الإطلاق. يا له من أمر غريب! ثم قال: "انظر إلى نفسك. فقط انظر إلى نفسك".

لا بد أن لي أحسَّ بشيء ما في صوت هاردن، لأن الأخير رآه يرتجف تحت ضوء القمر الفضي. لكنه لم يقل أي شيء، وهو تصرُّف حكيم ربما في ظل هذه الظروف. أما الرجل الواقف فوقه، والذي لم يخض أي شجار طوال عمره، لا في المدرسة الثانوية، ولا حتى في المدرسة الابتدائية، فقد أدرك أن كل هذه المسألة قد انتهت حقاً. لو كان لي يملك مسدساً، فإنه قد يحاول إطلاق النار عليه في الظهر عندما يمشي

،حو سيارته. لكنه في ما عدا ذلك، لا. كان لي... ما هي تلك الكلمة؟
مضبوعاً.

كان لي – لي العزيز مضبوعاً.

خطرت لهاردن فكرة ذكية: "لدي رقم رخصتك. وأعرف اسمك، اسمك واسمها. سأراقب الصحف أيها الوغد".

لم ينطق لي ببنت شفة.

"عمت مساءً أيها السافل". قال هاردن ثم مشى نحو الساحة وركب ،بارته وغادر المكان. شين (*Shane*) في سيارة جاغوار.

ظل على ما يُرام لمدة عشر دقائق، وربما خمس عشرة دقيقة؛ أي ،... كافية لتشغيل المذياع ومن ثم التحوُّل للاستماع إلى لوسيندا وليامز ي قارئ الأقراص المدمجة. لكنه بعد ذلك، وبشكل مفاجئ، أحسَّ بأن ،هدته أصبحت في حلقه. كانت لا تزال مليئة بقطع الدجاج والبطاطا التي النهمها في بورت أوف جولد.

أوقف السيارة في مسار الأعطال، ووضع عصا تغيير السرعة على ،ضعية الوقوف، ثم همَّ بالترجُّل، لكنه أدرك أنه لا يملك الوقت الكافي، ،اكتفى بإمالة نفسه، حتى دون أن يفك حزام الأمان، وتقيأ على الطريق. ،ان جسده بأكمله يرتجف، وأسنانه تصطك.

ظهرت مصابيح أمامية وانحرفت متجهةً نحوه، ثم أبطأت سرعتها. اول فكرة خطرت في ذهن ديكستر هي أنها كانت سيارة تابعة لشرطة الولاية. أخيراً، جاء شرطي ولاية. إنهم دائماً يظهرون عندما لا تكون ،حاجة إليهم، عندما لا تريدهم. والفكرة الثانية هي أنها كانت سيارة ب. ،. كروزر؛ إلين وراء المقود ولي – لي على المقعد الجانبي، واضعاً ،ضيب العجلات الخاص به هذه المرة في حضنه.

لكنها كانت سيارة دودج قديمة مليئة بالشبان. مدَّ أحدهم – وهو

صبي تبدو على محياه ملامح البلاهة، ذو شعر أحمر على الأرجح - وجهَهُ المليء بالبثور من النافذة وصاح: "ارمها على قدميك!". ثم علا صوت ضحكات، وأسرعت السيارة مبتعدةً.

أغلق ديكستر باب السيارة، ثم أرجع رأسه إلى الخلف، وأغمض عينيه، وانتظر زوال الارتعاش. وبعد فترة قصيرة، زال بالفعل، وهدأت معدته أيضاً. ثم أحسَّ بحاجة للتبوُّل مجدداً فاعتبر ذلك إشارة جيدة.

فكَّر في رغبته في ركل لي – لي على أذنه؛ بأي قوة؟ وكيف سيكون الصوت؟ لكنه حاول إرغام عقله على إبعاد هذه الفكرة؛ لأن مجرد التفكير في الرغبة في فعل ذلك جعل معدته تنقلب من جديد.

تحوَّل ذهنه (المطيع إلى حد بعيد) إلى قائد تلك القاعدة الصاروخية الواقعة في مكان ناءٍ في لوونسوم كراو، التابعة لولاية داكوتا الشمالية (أو ربما في منطقة ديد وولف، التابعة لمونتانا)؛ ذلك القائد المجنون الذي يرى إرهابيين وراء كل أجمة، ويكدِّس كرّاسات مكتوبة بخط رديء في خزانته، وينفق الكثير من لياليه ساهراً أمام شاشة الحاسوب، ومستكشفاً أزقة الإنترنت الخلفية المسكونة بجنون الارتياب.

وربما يكون "الكلب" في طريقه نحو كاليفورنيا من أجل القيام بعمل ما... يقود سيارة بدلاً من الذهاب جواً لأنه يمتلك سلاحين مميزين في الصندوق الخلفي لسيارته البليموث... ويصادف مشكلة في السيارة...

بالطبع، بالطبع، هذا جيد، أو كان يمكن أن يكون جيداً لو أنه أعمل فكره أكثر. هل فكَّر في مسألة أنه لم يكن هناك مكان للكلب في ذلك المكان الشاسع الفارغ في قلب أميركا؟ هذا تفكير ضيق، أليس كذلك؟ لأن أي شخص يمكن أن يصل به المطاف إلى أي مكان، ويفعل أي شيء في الظروف المناسبة.

بعد زوال الارتعاش تماماً، أدار ديكستر محرك السيارة مجدداً وانطلق. وجد في ليك سيتي محطة وقود ليلية ومتجراً مناسباً، وهناك

وقف ليفرغ مثانته ويملأ خزّان وقوده (بعد تفحُّص الموقع وجزر تعبئة الوقود الأربع بحثاً عن سيارة ب. ت. كروزر). وبعد ذلك، قاد سيارته جهة الطريق إلى المنزل - مفكِّراً في أفكار ريك هاردن - ثم سمح لنفسه بدخول منزل جون ديكستر المجاور للقناة. كان دائماً يشغِّل إنذار السرقة قبل المغادرة - وهو تصرُّف حكيم من قِبَله - فأوقفه عند دخوله المنزل، لكنه شغَّله ثانيةً لما تبقى من الليل.

دراجة ثابتة

1. عمّال الأيض

بعد أسبوع من الاختبار الفيزيائي الذي أجّله سنة كاملة (في الواقع، لقد أجّله ثلاث سنوات، كما كانت زوجته ستقول له لو كانت لا تزال على قيد الحياة)، دُعي ريتشارد سيفكيتز من قبل الدكتور برادي لرؤية النتائج ومناقشتها. وبما أن المريض لم يستطع اكتشاف أي شيء مشؤوم ظاهر في صوت طبيبه، ذهب إليه بكل سرور.

كانت النتائج مكتوبة بقيم رقمية على ورقة تحت عنوان: ميتروبوليتان هوسبيتال: نيويورك سيتي. وجميع أسماء النتائج وأرقامها كانت مكتوبة باللون الأسود، باستثناء سطر واحد كُتب بالأحمر. لم يندهش سيفكيتز كثيراً لدى قراءته: كوليسترول. أما الرقم الذي كان بارزاً فعلاً بلونه الأحمر (وهو أمر مقصود بالتأكيد)، فكان 226.

همَّ سيفكيتز بالاستفسار إذا كان الرقم سيئاً، لكنه سأل نفسه عمّا إذا كان يريد بدء هذه المقابلة بسؤال غبي. إنه لن يُطبَع باللون الأحمر – حلَّل في ذهنه – إن كان رقماً جيداً. أما بقية الأرقام فهي بلا شك أرقام جيدة، أو على الأقل مقبولة، ولهذا السبب طُبعت بالأسود. لكنه لم يُستدعَ إلى هنا لمناقشة هذه الأرقام، فالأطباء أشخاص مشغولون، ويكرهون تضييع وقتهم في البديهيات. وهكذا، بدلاً من طرح سؤال غبي، سأله عن درجة سوء الرقم مائتين وستة وعشرين.

أسند الدكتور برادي ظهره على الكرسي، وشبك أصابعه على صدره النحيل على نحو بشع، ثم قال: "كي أكون صادقاً معك، إنه ليس رقماً سيئاً على الإطلاق" – رفع سبابته – "أقصد، استناداً إلى ما تأكله".

قال سيفكيتز بخجل: "أعرف أن وزني زائد جداً. كنت أنوي فعل شيء بخصوصه". في الحقيقة، كان ينوي عدم فعل أي شيء من هذا القبيل.

قال الدكتور برادي: "كي أكون صادقاً معك أكثر، وزنك ليس سيئاً جداً أيضاً. مرة أخرى، استناداً إلى ما تأكله. والآن، أريدك أن تصغي جيداً، لأن هذا الحديث أجريه مرة واحدة فقط مع مرضاي. أقصد مع مرضاي الذكور، لأنه عندما يتعلق الأمر بالوزن، فإن مريضاتي يلهبن أذنيّ؛ إن افسحت لهن المجال. هل أنت مستعد؟".

"أجل". قال سيفكيتز محاولاً شبك أصابعه على صدره فاكتشف أنه لا يستطيع فعل ذلك. ما اكتشفه – أو بالأحرى، ما اكتشفه مجدداً – هو أنه يملك ثديين جيدين جداً. ولكن، حسب معرفته، ليسا جزءاً من السمات النموذجية للرجال في أواخر عقدهم الثالث. تخلّى عن محاولة شبك أصابعه، واكتفى بوضع يديه الواحدة فوق الأخرى في حضنه.

قال الدكتور برادي: "يبلغ طولك 183 سم وعمرك ثمانية وثلاثون عاماً. ووزنك ينبغي أن يكون 85 كغ، وكولسترولك ينبغي أن يكون قريباً من ذلك. في الماضي، في السبعينيات، كان بوسعك الإفلات بنتيجة كولسترول تبلغ مائتين وأربعين، ولكن بالطبع، في السبعينيات كان بوسعك التدخين في غرف الانتظار في المستشفيات". هزّ رأسه. "لا، إن العلاقة التبادلية بين الكولسترول المرتفع ومرض القلب كانت ببساطة واضحة جداً. ولهذا السبب أُهمل الرقم "مائتان وأربعون". أنت واحد من الأشخاص الذين أنعم الله عليهم بأيض جيد. ليس عظيماً إذا شئت الدقة، ولكنه جيد؟ كم مرة تأكل في مطعم ماكدونالد أو ويندي يا ريتشارد؟

ا,اكل هناك مرتين في الأسبوع؟".

قال سيفكيتز: "ربما مرة واحدة". كان يعتقد أنه يتناول أربع وجبات ،مربعة إلى ست في الأسبوع العادي. بدون حساب الذهاب إلى مطعم ارب في بعض عطل نهاية الأسبوع.

رفع الدكتور برادي يده بطريقة بدت لسيفكينز كما لو أنه يقول كُلْها ،طريقتك... وهو شعار مطعم بيرغر كينغ بالمناسبة.

"حسناً، أنت بالتأكيد تأكل في مكان ما، كما تخبرنا النتائج. لقد زنت ،رنك يومَ أجريت الاختبار الفيزيائي وبلغ 100.5 كغ. مرة أخرى، وليس ،صادفةً، إنه قريب جداً من رقم كوليسترولك".

ابتسم قليلاً لانكماشة سيفكيتز، لكن ابتسامته على الأقل لم تكن حالية من التعاطف.

"إليك ما حصل حتى الآن في حياتك الراشدة. في حياتك هذه، واصلت الأكل كما كنت تفعل عندما كنت مراهقاً، وحتى هذه المرحلة، ما زال جسدك - بفضل أيضك الجيد وإن كان غير استثنائي - يجاريك. ساعدنا في هذه المرحلة أن ننظر إلى عملية الأيض على أنها طاقم عمل. رجال يرتدون سراويل عمل خاكية ويعتلون أنصاف جزمات صلبة".

قد يساعدك أنت - فكَّر سيفكيتز في داخله - لكنه لا يساعدني على الإطلاق. وفي غضون ذلك، كانت عيناه تنجذبان دائماً إلى ذلك الرقم باللون الأحمر، ذلك الـ 226.

"يتمثَّل عملهم في الإمساك بالأشياء التي ترسلها إليهم عبر بلعومك والتخلص منها. بعضها يُرسلونه إلى أقسام إنتاجية متنوعة، ويحرقون البقية. فإذا أرسلت إليهم كمية أكبر من قدرتهم على التعامل معها، فإنك بذلك تزيد وزنك. وهذا ما كنت تفعله، ولكن بسرعة بطيئة نسبياً. ولكن، بعد وقت ليس بطويل، إذا لم تقم ببعض التغيرات، فإنك سترى هذه السرعة تزداد. هناك سببان. الأول هو أن مصانع جسدك

الإنتاجية أصبحت تحتاج إلى وقود أقل مما اعتادت عليه. والثاني هو أن طاقمك الأبيض – أولئك الرجال الذين يرتدون سراويل العمل الخاكية، وينقشون أوشاماً على أذرعهم – يكبر في العمر. إنهم ما عادوا أكفاء كما كانوا في السابق. لقد أصبحوا أبطأ في عملية فصل الأشياء التي تُرسَل وتلك التي تحتاج للحرق. وفي بعض الأحيان، إنهم يتذمَّرون".

قال سيفكيتز: "يتذمرون!".

هزَّ الدكتور برادي الذي كان لا يزال يشبك أصابعه فوق صدره المسلول كما قرر سيفكيتز (مع ثديين ممسوحين تماماً) – رأسه الضيِّق أيضاً، دلالة على الموافقة. فكَّر سيفكيتز في أنه رأس ابن عرس، فهو ناعم وذو عينين حادتين. "أجل بالتأكيد. إنهم يقولون شيئاً مثل: ألن يخفَّف أكله أبداً؟، ومن يظننا؟ أيظن أننا الأبطال الخارقون في مجلات مارفل كوميكس؟ ويا الله، ألا يرتاح أبداً؟ وأحدهم – المتمارض، (في كل طاقم يوجد واحد متمارض) – قد يقول: وهل يكترث بنا أساساً؟ إنه الرئيس، أليس كذلك؟ وعاجلاً أم آجلاً، سيفعلون ما تفعله أي مجموعة من العمال عندما يُرغَمون على الاستمرار بالعمل لوقت طويل، والقيام بأعمال كثيرة جداً، وبدون شيء بسيط مثل عطلة نهاية أسبوع، دع جانباً عطلة مدفوعة الأجر: إنهم سيهملون عملهم، وسيبدأون بتضييع الوقت والنوم أثناء العمل. وفي أحد الأيام، لن يأتي أحدهم نهائياً، وسيأتي واحد آخر – إذا عشت لفترة كافية – للحلول محل واحد لا يستطيع المجيء؛ لأنه راقد في البيت ميتاً من جراء سكتة دماغية أو نوبة قلبية".

"هذا جميل. لعلك تستطيع التجول بها في البلاد، وإلقاءها في دور العبادة، وفي الأوبرا".

حلَّ الدكتور برادي أصابعه، ومال إلى الأمام فوق مكتبه، ونظر إلى سيفكيتز دون أن يبتسم، ثم قال: "لديك خيار يجب أن تتخذه، ومن واجبي إفهامك إياه؛ هذا كل ما في الأمر. إما أن تغيِّر عاداتك، أو ستجد

...سك في مكتبي بعد عشر سنوات من الآن وأنت تعاني من مشاكل مطهرا؛ تحمل وزناً يبلغ 135 كغ ربما، داء السكر من النمط الثاني، دوالٍ، ا، حة معدية، وكوليسترول يناسب وزنك. في هذه المرحلة، لا يزال استطاعتك القيام بالتغير بدون حميات قاسية أو عملية شفط دهون من البطن أو نوبة قلبية ترغمك على الاهتمام. في ما بعد، سيصبح فعل ذلك اصعب. حالما تتخطى الأربعين، سيزداد الأمر صعوبة مع كل سنة تمر. بعد الأربعين، يا ريتشارد، يلتصق الوزن بمؤخرتك كما يلتصق براز الطفل بجدار غرفة النوم".

"رائع". قال سيفكيتز وانفجر بالضحك؛ لم يستطع منع نفسه.

لم يضحك برادي، لكنه ابتسم على الأقل، وأسند ظهره على كرسيه المنة، ثم قال: "ليس هناك أي شيء رائع في ما يتعلق بالمكان الذي تتجه إليه. لا يتحدث الأطباء عادةً حول هذا الأمر أكثر مما يتحدث رجال الشرطة حول الرأس المقطوع الذي وجدوه في قناة الري بجانب المكان الذي وقع فيه حادث السيارة، أو الطفل المتفحّم الذي وجدوه في الخزانة إثر اشتعال المنزل بالنار، لكننا نعلم الكثير حول العالم المدهش للبدانة، من نساء تنمو لديهن فطريات في ثنيات الدهن التي لم تُغسَل منذ سنوات وصولاً حتى مؤخراتهن، إلى رجال يسيرون في سحابة من الرائحة النتنة لأنهم لم يكونوا قادرين على تنظيف أنفسهم بشكل مناسب طوال عقد أو اكثر".

انكمش سيفكيتز وعمل بيده إشارة تلويح توديعية.

"لا أقول إنك ستصل إلى هذه المرحلة يا ريتشارد، معظم الناس لا يبلغونها. إنهم يملكون محدَّد ذروة داخل أجسادهم في ما يبدو، ولكن ثمة شيء من الحقيقة في ذلك القول القديم حول ذاك الذي يحفر قبره بالشوكة والملعقة. تذكّر ذلك دائماً".

"سأفعل".

"جيد. هذا هو الخطاب، أو الموعظة؛ سمّها ما شئت. لن أقول لك: لا تخطئ بعد الآن، بل سأقول فقط: هذا رهن بك".

رغم أنه كان يملأ فراغ المهنة في استمارة ضريبة الدخل بكلمتي فنان مستقل طوال السنوات الاثنتي عشرة الماضية، إلا أن سيفكيتز لم يكن يعتبر نفسه رجلاً خلاقاً على نحو مميّز، ولم ينجز لوحة مائية واحدة (أو رسماً واحداً بالقلم، حقاً) لنفسه منذ السنة التي تخرّج فيها من جامعة ديول. لكنه صنع أغلفة كتب، وبعض ملصقات الأفلام، والكثير من الرسوم التوضيحية لمجلات متنوعة، وإعلاناً لمعرض تجاري. كما صنع غلاف قرص مدمج واحداً (لسلوبربون، وهي فرقة كان يكنُّ لها إعجاباً خاصاً) لكنه لن يفعل ذلك مرة ثانية أبداً، حسب قوله، لأنه لم يتمكّن من رؤية التفاصيل في المنتج النهائي بدون عدسة مكبِّرة. تلك هي أقرب درجة بلغها مما يُدعى "المزاج الفني".

إن طُلب منه تسمية قطعته الفنية المفضّلة، فيُصاب بالحيرة على الأرجح. وإن ألحّ عليه، فقد يقول إنها لوحة المرأة الشقراء الشابة الراكضة بين الأعشاب التي صنعها من أجل مُطرّي الأقمشة داوني فابريك سوفتنر، ولكن حتى هذه الإجابة قد تكون كذبة؛ إنّها شيء يُقال للتخلُّص من الإجابة عن السؤال وحسب. في حقيقة الأمر، لم يكن من ذلك النوع من الفنانين الذين يملكون (أو بحاجة لأن يملكوا) نتاجاً مفضلاً. لقد مضى وقت طويل منذ أن التقط فرشاةً لرسم أي شيء عدا ما كان يُطلَب منه رسمه، عادةً من مذكّرة وكالة إعلانات مفصّلة أو من صورة فوتوغرافية (كحال تلك المرأة الراكضة بين الأعشاب).

ولكن، كما يصيب الإلهام حتماً النخبةَ بيننا - أمثال بيكاسو، وفان غوخ، وسلفادور دالي - فلا بد أنه يصيب الباقين منا، ولو مرة أو مرتين في العمر. استقل سيفكيتز الباص الذي يعبر مختلف أنحاء البلدة إلى المنزل (لم يمتلك سيارة خاصة منذ أيام الجامعة)، وبينما كان جالساً

،ظر عبر النافذة (كان التقرير الطبي بسطره الأحمر الوحيد مطوياً في جيبه الخلفي)، وجد عينيه تركّزان بصورة خاصة، مرة بعد مرة، على طواقم عمل وعمّال البناء المتنوعين أثناء مرور الباص بهم؛ أشخاص يسيرون ...ال في أرجاء موقع بناء ما، بعضهم يحملون دلاءً، وبعضهم يحملون ألواحاً من الخشب بتوازن فوق أكتافهم؛ ورجال من شركة كونسوليديتد ...سون نصفهم داخل – ونصفهم الآخر خارج – فتحات المجاري، وقد أحاط بهم شريط أصفر كُتبت عليه عبارة: منطقة عمل، وثلاثة أشخاص ...صبون سقالة أمام واجهة عرض مخزن كبير، ورابع يتحدث على هاتفه الخلوي.

شيئاً فشيئاً أدرك أن صورةً كانت تتشكَّل في عقله، صورة كانت ...طالب بمكان لها في العالم. عندما عاد إلى شقته العلوية في منطقة ...هو، التي كانت بالنسبة إليه منزلاً واستوديو في آن واحد، اتجه صوب ...أسفل النافذة السقفية دون أن يزعج نفسه بالتقاط البريد من الأرض؛ لا بل ...ى سترته عليه في الواقع.

توقَّف قليلاً للتفكير في عدة لوحات فارغة مستندة في الزاوية، ثم قرر أن يصرف النظر عنها. أخذ بدلاً منها لوحة فارغة صلبة، وشرع بالعمل باستخدام قلم رصاص كربوني. رنَّ الهاتف مرتين خلال الساعة التالية، لكنه ترك آلة الإجابة تردُّ في المرتين.

خلال الأيام العشرة التالية، عمل على هذه الصورة بشكل متقطع؛ عمل ثم راحة، وهكذا دواليك... لكن فترات العمل كانت أطول إلى حد ما من فترات الراحة، وخاصة بعد مرور بعض الوقت وإدراكه مدى ...م دونها. ثم انتقل من اللوحة الصلبة إلى قطعة قماش بطول 122 سم ...وارتفاع 92 سم عندما بدا له فعل ذلك أمراً طبيعيًّا. كان ذلك أكبر سطح يعمل عليه منذ ما يزيد عن عقد كامل.

كانت الصورة تُظهر أربعة رجال – عمال في سراويل جينز وسترات

مصنوعة من قطن البوبلين وجزمات كبيرة قديمة - يقفون بجانب طري
ريفي منبثق لتوّه من بقعة عميقة من الغابة (رسم هذه البقعة بظلال م
الأخضر الغامق وضربات رمادية؛ بأسلوب غزير وسريع وحماسي)
اثنان من الرجال كانا يحملان مجرفتين، وواحد كان يحمل دلوين؛ واحد
في كل يد، والرابع كان على وشك دفع قبّعته عن جبهته في إيماءة تلخط
بشكل مثالي تعب آخر النهار وإدراكه المتنامي بأن العمل لن يُنجَز أبداً،
وأنّ العمل الذي يجب إنجازه مع نهاية كل يوم سيكون أكبر مما كان في
بدايته. هذا الشخص الرابع، الذي يعتمر قبعة مهترئة طُبعت على مقدمتها
كلمة "ليد" (أي شحم)، هو رئيس العمال. كان يتحدث مع زوجته
بواسطة هاتفه الخلوي. أنا قادم إلى المنزل يا حبيبتي. آه، لا أريد الخروج،
ليس الليلة، أنا مرهق جداً، أريد أن أبدأ باكراً صباح الغد. الرجال تذمّروا
بخصوص ذلك لكنني أقنعتهم. لم يكن سيفكيتز يعلم كيف عرف كل
هذا، لكنه عرف. تماماً كما عرف أن الشخص الذي يحمل الدلوين كان
اسمه فريدي، ويملك شاحنة هي التي جلبت الرجال. كانت مركونة خارج
الصورة مباشرةً من الجهة اليمنى، لأنك تستطيع رؤية قمة ظلها. وأحد
الرجلين اللذين يحملان مجرفتين، كارلوس، كان يعاني من ألم في الظهر،
ويقابل أخصائياً في العمود الفقري لهذا السبب.

لم تكن هناك أية إشارة إلى نوعية العمل الذي يقوم به الرجال في الصورة، لأن ذلك كان موجوداً وراء الجهة اليسرى بقليل، ولكن كان بوسعك رؤية شدة الإرهاق الذي يشعرون به. لطالما كان سيفكيتز رجلاً مولعاً بالتفاصيل (تلك الغشاوة الخضراء الرمادية التي تمثل الغابة لم تكن تشبهه قطّ)، ولهذا السبب، كان بوسعك رؤية شدة تعب هؤلاء الرجال في كل جزء من قسمات وجوههم، بل حتى في بقع العرَق التي تلطّخ ياقات قمصانهم.

وفوقهم كانت السماء حمراء عضوية غريبة.

الطبع، كان يعرف ما كانت تمثله الصورة، ويفهم تماماً ما تعنيه السماء الغريبة. كان ذلك هو طاقم العمل الذي تحدَّث عنه طيبه، نهاية يومه. في العالم الحقيقي وراء تلك السماء العضوية الحمراء، ريتشارد سيفكيتز، ربُّ عملهم الذي تناول لتوِّه وجبته الخفيفة قبل النوم (قطعة كيك باقية ربما، أو قطعة كريـــي كريمي محفوظة بعناية) وضع رأسه على وسادته؛ الأمر الذي يعني أنهم يستطيعون أخيراً الذهاب إلى منازلهم. وهل كانوا يأكلون؟ أجل، ولكن ليس بقدر ما يأكل هو. لم يكونوا قادرين على الأكل كثيراً من شدة إرهاقهم، وهذا بادٍ على وجوههم. فبدلاً من تناول وجبة كبيرة، كان هؤلاء الذين يعملون لشركة (شحم) يرفعون أقدامهم ويشاهدون التلفاز لفترة قصيرة، وربما ينامون أمامه ثم يستيقظون بعد بضع ساعات عندما تكون البرامج العادية انتهت، وحل محلها رون بوبيل، عارضاً آخر اختراعاته أمام جمهور الاستوديو العاشق. وعندها، يطفئون التلفاز، ثم يجرجرون أقدامهم نحو السرير، ويخلعون ثيابهم في طريقهم إلى أسرّتهم بدون حتى أن ينظروا إلى الخلف.

كل هذا كان في الصورة، رغم أن أياً من هذه التفاصيل لم يكن موجوداً في الصورة. لم يكن سيفكيتز مهووساً بها، فهي لم تصبح هوسه، لكنه أدرك أنها كانت شيئاً جديداً في حياته؛ شيئاً جيداً. لم تكن لديه أي فكرة عما سيفعله بها حال إنهائه إيّاها، ولم يكن يكترث لذلك. في ذلك الحين، كان يحب الاستيقاظ في الصباح والنظر إليها بعين واحدة وهو ينزع قماش سرواله القصير من شق مؤخرته. كان يفترض أنه سيتوجب عليه تسميتها بعد إنهائها، مع أنه فكَّر ورفض بعض التسميات، مثل "وقت الانصراف" و"الشباب ينهون العمل" و"بيركويتز في العمل". بيركويتز هو المسؤول، رئيس العمال، الشخص الذي يحمل هاتفاً خلوياً من نوع موتورولا، الشخص الذي يعتمر قبعة ليبد.

لم تكن هذه الأسماء مناسبة، ولكن لا بأس في ذلك، فهو سيعرف الاسم المناسب للصورة عندما يخطر له في نهاية المطاف؛ سيصدر صوت رنّة في رأسه. لم يكن مستعجلاً، ولم يكن واثقاً من أن الصور هي الغاية. أثناء رسمه إيّاها، فقَدَ ستة كيلوغرامات ونصف الكيلوغرام.

ربما هذه هي الغاية.

وربما لا.

2. دراجة ثابتة

في مكان ما - ربما عند نهاية خيط كيس شاي - قرأ أن التمرين الأكثر فعالية بالنسبة إلى شخص يتطلع لفقدان وزنه هو الابتعاد عن المائدة. لم يكن لدى سيفكيتز أي شك في صحة هذا القول، لكنه مع كل يوم يمضي كان يزداد اقتناعاً بأن فقدان الوزن لم يكن غايته. كما أن امتلاك جسد رياضي لم يكن غايته أيضاً، رغم أن كليهما يمكن أن يكونا تأثيرَين جانبيَّين. كان يفكر باستمرار في عمال الأيض الذين تحدَّث عنهم الدكتور برادي، في الرجال العاديين الذين يبذلون حقاً كل ما بوسعهم لإنجاز عملهم لكنهم لا يتلقون أي مساعدة منه. لم يكن باستطاعته منع نفسه من التفكير فيهم عندما كان ينفق ساعة أو ساعتين في رسمهم ورسم عالم يوم عملهم.

لقد أطلق لخياله العنان في تصوُّرهم. فهذا بيركويتز، رئيس العمال الذي يتطلَّع لإنشاء شركة بناء خاصة به يوماً ما. وفريدي الذي يملك الشاحنة (دودج رام) ويتصوّر نفسه نجّاراً ماهراً. وكارلوس الذي يعاني من ألم في ظهره. وويلان المتملّص من العمل. ويتمثّل عمل هؤلاء الأشخاص في حمايته من الإصابة بنوبة قلبية أو جلطة دماغية. عليهم تنظيف البراز الذي لا يكف عن التدفق عليهم من تلك السماء الحمراء الغريبة قبل أن يُسد الطريق المؤدي إلى الغابة.

بعد أسبوع من شروعه في الرسم (وقبل أسبوع تقريباً من الانتهاء)،
.. . سيفكيتز إلى متجر ذي فيتنيس بويز في شارع 29، وبعد التفكير في
.هار المشي وجهاز ستيرماستر *stairmaster* (جذاب لكنه باهظ الثمن)،
.. ري دراجة ثابتة ودفع أربعين دولاراً إضافية لتركيبها وتوصيلها.
"استخدم هذه يومياً لمدة ستة أشهر وسينخفض كولسترولك ثلاثين
.طة"، قال البائع، وهو شاب مفتول العضلات يرتدي قميص ذي فيتنس
.. . "أنا أكفل ذلك عملياً".

كان القبو في المبنى الذي يعيش فيه فسيحاً ومظلماً ومليئاً بالظلال،
.داو في أرجائه ضجيج الفرن، ويعج بممتلكات سكان المبنى المكدسة
ي كابينات معلَّمة بأرقام الشقق المتنوعة. وكانت هناك كوَّة فارغة بصورة
. به عجائبية في نهاية القبو، كما لو أنها كانت في انتظاره طوال الوقت.
طلب سيفكيتز من عمال التوصيل تركيب جهاز تمرينه الجديد على
الأرض الإسمنتية قبالة حائط بني فاتح فارغ.
سأله أحدهم: "هل ستُنزل تلفزيوناً؟".
قال سيفكيتز: "لم أقرر بعد". لكنه قرر، في الحقيقة.
ظل يركب على الدراجة الثابتة قبالة الحائط البني الفاتح الفارغ لمدة
.مس عشرة دقيقة تقريباً كل يوم إلى أن انتهت اللوحة، مدركاً أن الدقائق
الخمس عشرة لم تكن كافية (رغم أنها حتماً كانت أفضل من لا شيء)،
لكنه كان يدرك أيضاً أن هذا كان أقصى ما يمكنه تحمُّله في ذلك الحين.
ليس لأنه كان يتعب، فالدقائق الخمس عشرة لم تكن كافية لإنهاكه، ولكن
فقط لأن الوضع كان مملاً في القبو. كان صوت عجلَتي الدراجة المترافق
.م زمجرة الفرن الثابتة يثيران عصبيته بسرعة. كان واعياً تماماً لما كان
يقوم به، وهو بصورة أساسية البقاء في مكانه في القبو تحت مصابيح

عاريين يلقيان ظله المزدوج على الحائط أمامه. وكان يعرف أن الوضع سيتحسن حالما يُنهي اللوحة في الأعلى، وسيصبح بإمكانه الشروع بالعمل على اللوحة الأخرى في الأسفل.

كانت الصورة ذاتها لكنه نفَّذها بشكل أسرع بكثير، وذلك لأنه لم يكن بحاجة لوضع بيركويتز وفريدي وكارلوس وويلان (المتهرِّب من العمل) فيها. ففي هذه الصورة كانوا قد ذهبوا للراحة، فاكتفى برسم الطريق الريفي على الحائط البني الفاتح، مستخدماً الرؤية المنظورية القرية كي يبدو الطريق أمامه حين يكون راكباً على الدراجة الثابتة ممتداً بشكل متعرج إلى داخل تلك الغشاوة الخضراء الغامقة والرمادية التي تمثل الغابة. أصبح الركوب على الدراجة على الفور أقل إثارة للضجر، ولكن بعد جلستين أو ثلاث، أدرك أنه لم يُنهِ عمله بعد؛ لأن ما يفعله كان مجرد تمرين وحسب. كان بحاجة لإدخال السماء الحمراء، وهو أمر سهل على أي حال؛ إنه عملية سكب لون فقط. كما أراد إضافة بعض التفاصيل إلى جانبي الطريق "في الأمام"، وبعض الفضلات أيضاً، وإضافة هذه الأشياء كانت سهلة أيضاً (وممتعة). لكن المشكلة الحقيقية لم تكن لها أي علاقة بالصورة، أو بالأحرى بكلتا الصورتين. كانت المشكلة تكمن في أنه لم يكن يملك هدفاً، وهذا ما كان يزعجه بخصوص التمرين الذي كان موجوداً لأجل ذاته فقط. هذا النوع من التمرين قد يقوّي جسدك ويحسِّن صحتك، لكنه جوهرياً لا يحمل أي معنى أثناء حدوثه. هذا النوع من التمرين يتعلق بما يأتي بعده، على سبيل المثال، كأن تتقدم سيدة جميلة من قسم الفنون في إحدى المجلات نحوك في حفلة ما وتسألك إن فقدت شيئاً من وزنك. وهذا بعيد كل البعد عن الدافع الحقيقي. فهو لم يكن فارغاً إلى هذه الدرجة (أو مثاراً إلى هذه الدرجة) كي يظل مثابراً لمدة طويلة من أجل مثل هذا الاحتمال. وفي النهاية، سيسأم ويرجع إلى عاداته القديمة. لا،

فان بحاجة لأن يقرر موقع الطريق وإلى أين يفضي. أثارت هذه الفكرة
اهتمامه. لعله أمر سخيف أو غير منطقي، ولكن بالنسبة إلى سيفكيتز،
بدت هذه الإثارة (رغم أنها خفيفة) الأمرَ الجوهري. وإضافة إلى ذلك،
فهو لم يكن مضطراً لإخبار أحد بما كان ينوي فعله، أليس كذلك؟
بالتأكيد لا. كان بوسعه حتى أن يجلب أطلس الطرقات لشركة راند –
ماكنالي ويعلّم تقدّمه اليومي على إحدى الخرائط.

لم يكن بطبيعته رجلاً يتفحّص دوافعه ومشاعره باستمرار، ولكن
أثناء سيره عائداً من مكتبة بارنس ونوبل حاملاً تحت إبطه كتابه الجديد
حول الطرق، وجد نفسه يتساءل حول الشيء الذي حثّه على فعل كل
ذلك؛ أهو نتيجة كوليسترول مرتفعة إلى حد ما؟ لم يكن واثقاً من ذلك.
أهو تصريح الدكتور برادي الجدي بأنه سيجد خوض هذه المعركة أشد
صعوبة حالما يتخطى الأربعين؟ بدا تصريحه ذاك على علاقة بالأمر،
ولكن ليس كثيراً. هل كان ببساطة مستعداً لإجراء تغيير؟ بدا هذا الدافع
أكثر إقناعاً.

توفيت ترودي نتيجة إصابتها بنوع فتاك على نحو خاص من سرطان
الدم، وكان سيفكيتز معها في غرفتها في المستشفى حين توفيت. تذكّر
كيف كان نَفَسُها الأخير عميقاً، وكيف ارتفع صدرها الشاحب المتهدل
حين أخذته. كأنها كانت تعرف أنه نفَسُها الأخير. تذكّر كيف أخرجته،
والصوت الذي أصدرته – شااااه! – وكيف بقي صدرها بعد ذلك ثابتاً
حيث كان. بطريقة ما، عاش السنوات الأربع الأخيرة كما لو أنه ميت بلا
أنفاس. الآن فقط بدأت الريح تهب مجدداً، مالئةً أشرعته.

مع ذلك، كان هناك شيء آخر، شيء أكثر ارتباطاً بصلب الموضوع:
إنه طاقم العمل الذي ذكره الدكتور برادي، والذي أطلق سيفكيتز نفسه
على أفراده أسماء محددة: بيركويتز وويلان وكارلوس وفريدي. لم يكن
الدكتور برادي يأبه لهم، فبالنسبة إليه، كان طاقم عمل الأيض مجرد تشبيه.

كان من واجبه دفع سيفكيتز إلى الاهتمام أكثر بما كان يجري في داخله، هذا كل ما في الأمر، وتشبيهه لا يختلف كثيراً عمّا تخبر به الأم طفلها الصغير حين تقول له إنّ "أناساً صغاراً" يعملون على شفاء الجلد على ركبته المكشوطة.

لكن تركيز سيفكيتز كان منصباً...

ليس على نفسي مطلقةً فكّر سيفكيتز وهو يخرج المفتاح الذي فتح باب المدخل. إنني أهتم بأولئك الأشخاص العالقين الذين يقومون بمهمة تنظيف لا تنتهي أبداً. والطريق، لماذا ينبغي عليهم العمل بجد لإبقائه نظيفاً؟ وإلى أين كان يمضي؟

قرر أنه كان يؤدي إلى هيركيمر، وهي بلدة صغيرة بجوار الحدود الكندية. وجد خطاً أزرق نحيلاً غير محدّد بأي علامة على خريطة الطرق للمنطقة الشمالية من ولاية نيويورك يسير بشكل متعرج إلى هذه البلدة من بوغكيبسي الواقعة جنوب عاصمة الولاية. كان طوله يبلغ مائتي ميل، ربما ثلاثمائة ميل. جلب خارطة مناطقية أكثر تفصيلاً لشمال نيويورك، وغرز دبوساً فوق المربع حيث يبدأ هذا الطريق على الجدار بجانب صورته - ماذا يسميها؟ – السريعة. "لوحة جدارية" لم تكن التسمية مناسبة. ثم استقر على "إسقاط" [مصطلح نفسي].

في ذلك اليوم، عندما ركب على الدراجة الثابتة، تخيّل أن بوغكيبسي كانت خلفه وليس التلفاز المخزّن من الشقة G-2، أو كدسة الحقائب الكبيرة من الشقة F-3، أو الدراجة النارية الجبلية المغطاة بغطاء من التاربولين لحمايتها من الرطوبة من الشقة A-4، بل بلدة بوغكيبسي. وكان الطريق الريفي يمتد أمامه. صفّر مقياس المسافة على الدراجة الثابتة، وثبّت عينيه بتركيز على التراب الذي كان يبدأ من حيث تصل الأرض الإسمنتية بالجدار، وفكّر في داخله: إنه حقاً الطريق إلى الصحة الجيدة. إذا احتفظت بهذه العبارة في مكان ما في مؤخر عقلك،

الى نضطر للتساؤل عمّا إذا كانت بعض براغيك قد تخلخلتْ منذ وفاة ،، ودي.

لكن قلبه كان يدق بسرعة كبيرة إلى حد ما (كما لو أنه بدأ الضغط على الدواسات)، وشعر بما يشعر به معظم الناس - كما افترض - قبل الانطلاق في رحلة نحو مكان جديد، حيث يمكن أن يصادفوا أناساً جدداً وربما مغامرات جديدة. كانت هناك حاملة كؤوس مثبتة فوق لوحة التحكم البدائية للدراجة الثابتة، وفيها وضع علبة مشروب الطاقة كما ،،عون. وكان يرتدي قميص أوكسفورد قديماً فوق سرواله القصير، فقط لأنه يحوي جيباً. وفي هذا الجيب وضع بسكويتاً مصنوعاً من الشوفان والزبيب، لأن الشوفان والزبيب - كما هو مفترَض - يقضيان على الشحوم.

وبالحديث عن الشحوم، كان عمال شركة ليبيد قد ذهبوا للراحة. ا،، ولكنهم كانوا لا يزالون يعملون في لوحة الطابق العلوي - تلك اللوحة عديمة الفائدة وغير القابلة للبيع، التي كانت بعيدة الشبه عنه - لكن في الأسفل هنا، كانوا قد تكوّموا في مؤخر شاحنة فريدي الدودج، ، عادوا إلى... إلى...

"عادوا إلى بوغكيبسي"، قال سيفكيتز، "إنهم يستمعون إلى كاتييم في محطة WPDH ويحتسون الشراب من علب ورقية. وماذا فعلتم اليوم يا شباب؟

وضعنا بضعة مجارٍ؛ همسَ صوت ما. جرفتْ أمطار الربيع التربة بالقرب من برايسفيل، ثم توقفنا عن العمل باكراً.

جيد. هذا جيد. لن يضطر للترجّل عن دراجته والمشي حول التربة المنجرفة.

ثبّت ريتشارد سيفكيتز عينيه على الحائط وبدأ الدوس.

3. على الطريق إلى هيركيمر

كان هذا في خريف 2002، أي بعد عام على سقوط البرجين التوأمين على شوارع الحي المالي، حيث كانت الحياة تعود إلى نمط من الحياة الطبيعية محفوف بالشكوك بعض الشيء... مع أن الحياة المحفوفة بالشكوك بعض الشيء كانت طبيعية في نيويورك.

لم يسبق لريتشارد سيفكيتز أن شعر بمثل ذلك التوازن والسعادة. لقد انقسمت حياته إلى أربعة أجزاء منسجمة ومنتظمة. في الصباح، كان يعمل على أي مهمة تؤمّن نفقات مسكنه وطعامه. وفي هذا الجانب أيضاً، بدا له أن المردود كان أفضل من أي وقت مضى. جميع الصحف كانت تقول إنّ الاقتصاد سيء، ولكن بالنسبة إلى ريتشارد سيفكيتز، الفنان التجاري المستقل، كان الاقتصاد جيداً.

كان لا يزال يتناول وجبة الغداء في مطعم دوغان الواقع في الحي المجاور، لكنه الآن أصبح يأكل في العادة السلَطة بدلاً من ساندويتش التشيز بيرغر المزدوجة المليئة بالدهون. وفي وقت العصر، كان يعمل على صورة جديدة من أجله هو فقط؛ نسخة أكثر تفصيلاً من "الإسقاط" الموجودة في القبو. كانت صورة بيركويتز وطاقمه قد وُضعت جانباً بعد أن غطّاها بشرشف قديم. لقد انتهى منها، وبات يريد صورة أفضل لما بإمكانه أن يفيده بما يكفي في القبو؛ ألا وهو الطريق إلى هيركيمر بعد رحيل طاقم العمل. ولماذا ينبغي عليهم أن يذهبوا؟ ألم يكن هو من يحافظ على الطريق نظيفاً في تلك الأيام؟ أجل، وكان يقوم بعمل جيد جداً. عاد إلى الدكتور برادي في أواخر تشرين الأول من أجل إعادة اختبار كوليستروله، ووجد أن الرقم هذه المرة مكتوب بالأسود بدلاً من الأحمر: 179. كان الدكتور برادي يشعر بما هو أكثر من الاحترام؛ كان في الواقع يشعر بالغيرة قليلاً.

"إنه أفضل من رقمي. لقد أخذتَ الأمر بجدية فعلاً، أليس كذلك؟".

"أظن ذلك". قال سيفكيتز.

"واختفت كرشك تقريباً. هل كنت تتمرّن؟".

"قدر استطاعتي"، أجاب سيفكيتز، لكنه لم يقل المزيد حول هذا الموضوع. ففي ذلك الحين، أصبحت تمارينه غريبة. أو لنقل، بعض الناس قد يعتبرونها غريبة.

قال برادي: "حسناً، إذا امتلكتَه، فتباهَ به. هذه نصيحتي".

ابتسم سيفكيتز، رغم أنه لن يأخذ هذه النصيحة بجدية.

كان يقضي أوقات المساء - الجزء الرابع من يوم سيفكيتز العادي - في مشاهدة التلفاز أو في قراءة كتاب ما، عادةً وهو يرتشف عصير المدورة، أو علبة V-8 بدلاً من زجاجة شراب؛ مرهقاً وراضياً في الوقت نفسه. وكان يخلد إلى النوم قبل ساعة من موعد نومه السابق، وهذه الراحة الإضافية ناسبته تماماً.

وكان الجزء الثالث يقع في قلب يومه؛ بين الساعة الرابعة والساعة السادسة. وكان يقضي هاتين الساعتين على دراجته الثابتة، وهو يقودها على الطريق المتعرج الأزرق بين بوغكيسي وهيركيمر. على الخرائط المناطقية، كان هذا الطريق يتحول من طريق أولد راينبيك إلى طريق الشلالات إلى طريق الغابة، ولمسافة معينة، شمال بنسلفانيا، حتى إلى طريق مكب النفايات. تذكّرَ كيف أن خمس عشرة دقيقة فقط على الدراجة الثابتة كانت تبدو وكأنها لا تنتهي في ما مضى. فإذا به الآن يجبر نفسه أحياناً على التوقف بعد ساعتين. حتى إنه اضطرّ في النهاية إلى جلب ساعة منبّه وبدأ يضبطها على الساعة السادسة مساء. كان نهيق هذا الشيء عالياً بما يكفي لـ... في الواقع...

كان عالياً بما يكفي لإيقاظه.

وجد سيفكيتز صعوبة في تصديق أنه كان يغط في النوم في تلك

الكوة أثناء ركوبه على الدراجة الثابتة بسرعة ثابتة تعادل خمسة عشر ميلاً في الساعة، لكنه لم يحب تصديق البديل؛ وهو أنه جُنَّ بعض الشيء على الطريق إلى هيركيمر، أو في قبوه في منطقة سوهو، إذا كنت تفضِّل هذا أكثر. لم يكن يحب أن يصدق أن الأوهام تراوده.

ذات ليلة، بينما كان يقلِّب محطات التلفاز، صادف برنامجاً يتحدث حول التنويم المغناطيسي في شبكة A&E. كان الشخص المستضاف - وهو منوِّم مغناطيسي يطلق على نفسه اسم جو ساتورن – يقول إنَّ الجميع يمارسون تنويماً مغناطيسياً ذاتياً في كل يوم. إننا نستخدمه للدخول في حالة ذهنية موجَّهة نحو العمل في الصباح، ونستخدمه لمساعدتنا في "الولوج إلى القصة" عند قراءة الروايات أو مشاهدة الأفلام، ونستخدمه من أجل الخلود للنوم في الليل. وكان هذا الأخير مثال ساتورن المفضَّل، حيث تحدَّث بإسهاب حول النماذج التي يتبعها "المنوِّمون الناجحون" كل ليلة: تفحُّص الأقفال والنوافذ، صب كأس من الماء، وربما الانغماس في تأمل قصير. لقد شبَّه هذه النماذج بالحركات التي يقوم بها المنوم المغناطيسي أمام الشخص الخاضع لعملية التنويم، أو بما يتلفَّظ به، أي العد العكسي من عشرة إلى صفر، على سبيل المثال، أو التأكيد للشخص الخاضع للتنويم بأنه – أو أنها – "يشعر بنعاس شديد"، فقبض سيفكيتز على هذه الفكرة، وقرر على الفور بأنه كان يُمضي ساعتيه على الدراجة الثابتة في حالة خفيفة إلى متوسطة من التنويم المغناطيسي.

لأنه بحلول الأسبوع الثالث لتواجده أمام الإسقاط الجداري، لم يعد يقضي تينك الساعتين في كوة القبو، بل كان يقضيهما، في الواقع، على الطريق إلى هيركيمر.

كان يسوق الدراجة بسعادة ورضا على الطريق الترابي المرصوص والمتعرج عبر الغابة، ويشم رائحة الصنوبر، ويسمع نعيق الغربان أو خشخشة أوراق الأشجار عندما يمر بين الحين والآخر فوق كومات

..افظة منها. تحوَّلت الدراجة الثابتة إلى دراجة رولي ذات السرعات الثلاث التي كان يمتلكها عندما كان في الثانية عشرة من عمره في ضاحية ..اشستر في نيوهامبشاير. رغم أنها لم تكن الدراجة الوحيدة التي امتلكها ..ل حصوله على رخصة قيادة سيارة في سن السابعة عشرة، إلا أنها قطعاً كانت الفضلى على الإطلاق. وتحوَّلت حاملة الكؤوس البلاستيكية إلى ملفة معدنية مصنوعة بشكل غير متقن، ولكن ملحومة بشكل ممتاز، بارزة فوق سلة الدراجة، وكانت تحوي - بدلاً من علبة شراب الطاقة - علبة شاي ليبتون مثلّجة. غير محلّي.

على الطريق إلى هيركيمر، كان الوقت دائماً أواخر تشرين الأول، قبل ساعة فقط من الغروب. فعلى الرغم من أنه كان يقود الدراجة لمدة ساعتين (ساعة المنبه وعداد المسافة كلاهما كانا يؤكدان ذلك في كل مرة عند إنهائه نزهته)، إلا أن الشمس لم تكن تغيّر موضعها، حيث كانت تلقي الظلال الطويلة نفسها على الطريق الترابي، وتتلألأ على وجهه من خلال الأشجار من ربع الدائرة نفسه من السماء بينما كان يسير على الطريق، والريح المصطنعة من جراء عبوره تردُّ شعره من جبينه إلى الخلف.

في بعض الأحيان، كان يجد لافتات مثبتة بمسامير على الأشجار حيث تكون هناك طرق أخرى تقطع الطريق الذي يسير عليه. طريق الشلال، كُتب على إحداها. هيركيمر، 120 ميلاً، أشارت أخرى، وهذه كانت مشوَّهة بثقوب رصاص قديمة. وكانت اللافتات تتوافق دوماً مع المعلومات المكتوبة على الخريطة المناطقية التي تكون مثبتة حينئذ على حائط الكوة. لقد قرر مسبقاً أنه حينما يصل إلى هيركيمر سيستمر بالقيادة عبر القفار الكندية حتى دون التوقف لشراء أشياء تذكارية. صحيح أن الطريق كان يتوقف هناك، ولكن هذه ليست مشكلة، فقد اشترى مسبقاً كتاباً بعنوان خرائط مناطقية لشرق كندا. سوف يرسم ببساطة طريقه الخاص على الخرائط، باستخدام قلم رصاص أزرق رفيع ويضع الكثير

من التعرجات؛ فالتعرجات تضيف أميالاً.

كان بوسعه الذهاب إلى الدائرة القطبية الشمالية إذا أراد.

ذات مساء، بعد أن رن جرس المنبه وأيقظه من غيبوبته، اقترب من الإسقاط الجداري ونظر إليه لعدة لحظات طويلة متأمّلاً، برأس مائل إلى أحد جانبيه. أي شخص آخر كان سيرى القليل جداً؛ فمن ذلك القرب تتوقف حيلة الرؤية المنظورية القسرية عن العمل، وينهار المشهد الريفي بالنسبة إلى العين غير المدرّبة، ويصبح مجرد بقع من الألوان: البني الفاتح لسطح الطريق، والبني الأغمق للأوراق الساقطة، والأخضر المخطط بالأزرق والرمادي لأشجار الصنوبر، واللونين الأصفر والأبيض الساطعين للشمس الآيلة للغروب في أقصى الجهة اليسرى، القرية على نحو خطر من الباب المؤدي إلى غرفة الفرن. ولكن، رغم ذلك، كان سيفكيتز يرى الصورة بشكل مثالي، وذلك لأنها أصبحت راسخة في عقله آنذاك وغير قابلة للتغيير. إلا إذا كان يقود الدراجة بالطبع، لكنه، حتى في ذلك الحين، يكون مدركاً للشبه الجوهري. وكان هذا أمراً جيداً، لأن الشبه الجوهري كان نوعاً من المحك، إنّه طريقةٌ للتأكيد لنفسه بأن ما كان يحصل أكثر من مجرد لعبة ذهنية؛ إنه شيء يوصَل بواسطة قابس بلاوعيه؛ حيث يمكنه نزع القابس ساعة يشاء.

كان قد أنزل في يوم سابق علبة ألوان إلى القبو من أجل إدخال تحسينات على الصورة بين الحين والآخر. والآن - وبدون الكثير من التفكير - راح يضيف عدة بقع من اللون البني للطريق؛ مازجاً البني مع الأسود لجعله أكثر غمقاً من لون أكوام الأوراق الساقطة. تراجع خطوة إلى الخلف ونظر إلى الإضافة الجديدة، وهز رأسه راضياً. كان تغيراً طفيفاً، لكنه مثالي.

في اليوم التالي، بينما كان يقود دراجته الرولي ذات السرعات الثلاث عبر الغابة (كان حينذاك يبعد أقل من ستين ميلاً عن هيركيمر،

..اثين ميلاً فقط عن الحدود الكندية)، إذا به يصادف منعطفاً، ويجد
.. أيلاً ذكراً كبير الحجم يقف في منتصف الطريق وينظر إليه بعينين
..من مرعوبتين. رفع ذيله الأبيض بسرعة خاطفة وأسقط كومة من
..ث ثم انطلق إلى داخل الغابة مجدداً. رأى سيفكيتز قلبة ذيل أخرى
.. أن يختفي الأيل تماماً. تابع طريقه، متفادياً كومة الروث، وغير راغب
.. أن يعلق بين ثنيات العجلتين.

في ذلك المساء، أسكتَ المنبه، واقترب من اللوحة على الجدار،
..ماسحاً العرق على جبهته بمنديل قطني أخرجه من الجيب الخلفي
.. رواله الجينز. نظر إلى "الإسقاط" نظرة نقدية، واضعاً يديه على وركيه.
.. أزال كومة الروث من الصورة بسرعته الواثقة الاعتيادية - في نهاية
..، إنه يقوم بهذا العمل منذ ما يقرب من عشرين عاماً - ووضع مكانها
.. علب صدئة من الشراب، لا بد أنها تُركت من قبل صياد شمالي كان
.. حث عن درّاج (نوع من الطيور) أو ديك رومي.

"لقد نسيت تلك العلب يا بيركويتز"، قال في تلك الليلة، وهو
مالس يحتسي الشراب بدلاً من عصير 8-V. "سأزيلها بنفسي غداً، ولكن
لا ندع ذلك يحدث ثانيةً".

لكنه عندما نزل إلى القبو في اليوم التالي، لم يكن بحاجة لمسح
علب الشراب من الصورة، لأنها لم تعد موجودة أساساً. لوهلة، أحسَّ
..خوف حقيقي ينخز معدته مثل عود خشن - ماذا فعل؟ هل مشى في نومه
..ول إلى الأسفل في منتصف الليل وأخذ علبة مزيل الطلاء ومسحها؟ -
..له أبعد الفكرة عن ذهنه وركب الدراجة الثابتة، وبعد لحظات أصبح
..رد دراجته الرولي القديمة؛ متلذذاً بروائح الغابة النظيفة، ومستمتعاً
..الطريقة التي تُرجع فيها الريح شعره من جبينه إلى الخلف. ولكن، ألم
..كن هذا هو اليوم الذي بدأت فيه الأمور تتغيَّر؟ اليوم الذي شعر فيه أنه قد
لا يكون وحيداً على الطريق إلى هيركيمر؟ كان هناك شيء واحد مؤكد،

وهو أنه في اليوم التالي لاختفاء علب الشراب رأى كابوساً فظيعاً بحق، وعلى أثره رسم صورة كراج كارلوس.

4. رجل مع بندقية

لم يرَ حلماً بشدة وضوح الكابوس الذي رآه مذ كان في الرابعة عشرة من عمره؛ عندما أدخلته ثلاثة أحلام رطبة أو أربعة إلى الرجولة الجدية. لكنه الحلم الأشد فظاعة، بدون جدال، ولا يدانيه في ذلك أي كابوس آخر. وما جعله فظيعاً هو الشعور بالهلاك الوشيك الذي تخلّله مثل خيط أحمر، رغم أن الحلم كانت فيه شفافية غريبة؛ إذ كان يعرف بأنه يحلم لكنه مع ذلك لم يستطع الإفلات منه. أحسَّ كما لو أنه كان ملفوفاً بغشاوة مرعبة. كان يعرف أن سريره قريب، وأنه كان موجوداً فيه - يكافح - ولكن لم يكن بإمكانه التغلغل إلى ريتشارد سيفكيتز الذي كان يرقد هناك مرتعشاً ومتعرِّقاً في سروال نومه القصير الفضفاض.

رأى وسادة وهاتفاً لونه بيج، على علبته شق، ثم ممراً مليئاً بصور عرف أنها لزوجته وبناته الثلاث، ثم مطبخاً وفرن مايكرويف يومض 4:16، وطبقاً مليئاً بالموز (جعله الموز يشعر بالحزن والرعب) على طاولة فورميكا، وممراً مسقوفاً [خارج المنزل]. وهنا كان الكلب "بيب" يرقد واضعاً فكه على قائمتيه الأماميتين، ولم يرفع بيب رأسه لكنه اكتفى برفع عينيه فقط للنظر إليه بينما كان يعبر، كاشفاً عن هلال أبيض مخيف تتخلله خيوط دموية. هنا بدأ سيفكيتز يبكي في الكابوس؛ مدركاً أن كل شيء قد ضاع.

بعد ذلك أصبح في الكراج. كان بوسعه أن يشم رائحة زيت، ورائحة عذبة لعشب قديم. كانت ماكينة جز العشب واقفة في الزاوية. وكان بوسعه رؤية الملزمة مُطْبقةً على طاولة العمل؛ قديمة وداكنة ومرقَّطة بشظايا خشبية ناعمة. وبجانبها خزانة. كانت مزالج الثلج الخاصة ببناته

مطمومة على الأرض، وكانت أشرطتها بيضاء مثل آيس كريم بالفانيلا.
، كانت أدواته معلّقة على أوتاد على الجدران، ومرتبة بعناية؛ معظمها أدوات للعناية بالحديقة، والشخص الذي يعمل في حديقته هو
(كارلوس. أنا كارلوس)

على الرف العلوي، بعيداً عن متناول أيدي الفتيات، كانت توجد بندقية 410، غير مستخدمة منذ سنوات، منسية تقريباً، وعلبة طلقات داكنة جداً لدرجة أنك بالكاد تستطيع قراءة كلمة وينشيستر على جانبها، وهنا أدرك سيفكيتز أنه كان يُقاد في الدماغ إلى عملية انتحار محتملة. حاول جاهداً إما أن يمنع كارلوس عن القيام بذلك أو يخلّصه، لكنه لم يستطع فعل أي منهما، رغم أنه كان يشعر بأن سريره قريب جداً، على الجانب الآخر من الغشاوة التي تلفه من رأسه إلى قدميه.

أصبح الآن بجانب الملزمة مرة ثانية، والبندقية 410 مثبتة بإحكام ضمن الملزمة، وعلبة الطلقات على طاولة العمل بجانب الملزمة، وهناك منشار لنشر المعادن، وهو كان ينشر سبطانة البندقية كي يسهل عليه فعل ما كان يتوجّب عليه فعله. وعندما فتح علبة الطلقات وجد أربعاً وعشرين طلقة، خضراء مع قاعدة فضية، والصوت الذي أصدرته البندقية عندما أطبقها كارلوس لم يكن كلينغ! بل كلاك! والطعم الذي كان يشعر به في فمه هو الزيت والغبار؛ الزيت على لسانه والغبار على أسنانه ووجنتيه من الداخل. وكان ظهره يؤلمه، يؤلمه ماع، هكذا كانوا يُسمّون الأبنية المهجورة (وأحياناً غير المهجورة) عندما كان مراهقاً يركض مع الأولاد في بلدة بو، وكانت تعني مثل ابن ساقطة؛ هكذا كان ظهره يؤلمه، مثل ابن ساقطة، لكن الفوائد انتهت الآن بما أنه توقف عن العمل، لم يعد باستطاعة جيمي بيركويتز شراء الأمفيتامين (دواء لمعالجة الاكتئاب)، وكذلك كارلوس مارتينيز الذي لم يعد قادراً على تأمين الأدوية التي كانت تخفف الألم قليلاً، أو تأمين أجرة معالج العمود الفقري الذي كان يخفف

الألم قليلاً، وأقساط المنزل - آي كارامبا، كان العمال يقولون مازحين، لكنهم بالتأكيد لم يكونوا يمزحون الآن - آي كارامبا، إنهم سيفقدون المنزل قبل أقل من خمس سنوات من خط النهاية، لكنهم سيفقدونه، سي - سي سينيور، وكل الذنب يقع على ذلك السافل سيفكيتز، هو وهوايته في صيانة الطرقات. وانحناءة الزناد تحت إصبعه كانت تشبه الهلال، مثل الهلال المشؤوم في عين كلبه المحدِّقة.

هنا استيقظ سيفكيتز باكياً ومرتعشاً. كانت ساقاه لا تزالان على السرير أما رأسه فكان خارجه ويكاد يلامس الأرض، والشعر متدلٍ. زحف إلى خارج غرفة النوم، وتابع زحفه عبر الغرفة الأساسية باتجاه حامل اللوحات تحت النافذة السقفية، لكنه وجد نفسه قادراً على الوقوف في منتصف المسافة.

كانت صورة الطريق الفارغ لا تزال معلقة على الحامل، وهي النسخة الفضلى والأكثر اكتمالاً من تلك الموجودة في القبو على جدار الكوة. رماها دون أن يلقي عليها نظرة ثانية، ووضع محلها لوحة صلبة قياس 60×60 سم. وأمسك بأقرب شيء يحدث علامة (تصادف أنه قلم Uniball Vision Elite) وبدأ بالرسم. وظل على هذا الحال لساعات. في لحظة ما (يتذكّر هذا الأمر بضبابية فقط) كان بحاجة للتبول، وشعر به يسيل ساخناً على ساقه. لم تتوقف الدموع إلى أن انتهت الصورة. وبعد ذلك، رجع خطوة إلى الخلف ووقف ينظر - بعينين جافتين أخيراً والحمد لله - إلى ما أنجزه.

كانت صورة كراج كارلوس في عصر أحد أيام تشرين الأول. كان الكلب، بيب، واقفاً أمامه منتصب الأذنين جرّاء سماعه صوت طلق ناري. لم تكن هناك أية إشارة إلى كارلوس في الصورة، لكن سيفكيتز كان يعرف تماماً أين تستلقي الجثة، على الجهة اليسرى، بجانب طاولة العمل حيث الملزمة مطبقة على حافتها. إذا كانت زوجته في المنزل، فإنها ستسمع

الصوت حتماً. أما إذا كانت في الخارج - لعلها تتبضّع، أو في العمل، والاحتمال الأخير هو الأرجح - فقد تمرُّ ساعة أو اثنتان قبل أن تأتي وحدها.

كتب أسفل الصورة بخط رديء: رجل مع بندقية. لم يكن يتذكّر أنه فعل ذلك، لكنه خطُّه، والاسم المناسب تماماً للصورة. رغم عدم وجود أي رجل أو بندقية، فإنه الاسم الصحيح.

ذهب سيفكيتز إلى أريكته وجلس عليها، ووضع رأسه بين يديه. كانت يده اليمنى تؤلمه بشدة بسبب إمساكه بأداة الرسم غير المألوفة، بالغة الصغر. حاول القول لنفسه إنه رأى كابوساً بشعاً، وإن الصورة كانت نتاج ذلك الكابوس، وإنه لم يكن هناك في الواقع أي كارلوس، أو شركة ليبيد، وإنهما من ابتكار خياله، ومستوحيان من تشبيه الدكتور برادي الطائش.

لكن الأحلام تتبدد، أما هذه الصور - الهاتف والشق في علبته، والمايكرويف، وصحن الموز، وعين الكلب - فقد بقيت محافظة على وضوحها. لا، بل كانت أشد وضوحاً.

قال لنفسه إنّ ثمة شيئاً واحداً مؤكداً، وهو أنه سئم من تلك الدراجة الثابتة الملعونة. لقد اقترب كثيراً من الجنون. ولو استمرَّ على هذا الحال، فإنه سرعان ما سيقطع أذنه ويرسلها بالبريد، ليس إلى صديقته (لأنه لم يكن يملك صديقة) ولكن إلى الدكتور برادي؛ المسؤول قطعاً عن ذلك الوضع.

"لقد انتهيت من الدراجة". قال ورأسه لا يزال بين يديه، "قد أسجّل نفسي في نادي فيتنس بويز، أو شيء من هذا القبيل، لكنني انتهيت من الدراجة الثابتة اللعينة".

غير أنه لم يسجّل نفسه كعضو في فيتنس بويز، وبعد أسبوع بدون تمرين (كان يمشي، لكن ذلك كان مختلفاً تماماً مع وجود الكثير من الناس على الأرصفة، إضافة إلى أنه كان يحنُّ لهدوء طريق هيركيمر)،

فقدَ القـدرة على الاحتمـال أكثر. كمـا تأخر في تسـليم مشـروعه الأخير، وهو رسـم إيضـاحي لنورمان روكويل من أجل رقائق الذرة "فريتوس كورن تشيبس"، وقد تلقى اتصالاً من وكيله وكذلك من الشخص المسؤول عن حساب فريتوس في وكالة الإعلانات. وهذا لم يحصل معه من قبل قطّ.

والأسوأ من ذلك أنه لم يكن ينام.

خفَّ ضغط الكابـوس قليـلاً، فقرر أن صـورة كراج كارلـوس، التي كانت تحملق فيه من زاويـة الغرفة، هي الـتي كانت تسـتحضر الحلم من جديد، معيدةً إحياءه كما تعيد دفقة من الماء إحياء نبتة عطشـى. لم يستطع حمل نفسه على تدمير الصـورة (لأنها كانت جيدة جداً)، فاكتفى بقلبها كي لا تواجه شيئاً سوى الجدار.

في عصر ذلـك اليوم نـزل بالمصـعـد إلى القبـو وركـب مجـدداً على الدراجـة الثابتة التي تحوَّلـت إلى دراجتـه الرولي القديمة ذات السـرعات الثلاث حالـما ركَّز عينيه على الإسقاط الجداري، ثم استأنف طريقه باتجاه الشـمال. حاول القـول لنفسـه إن إحساسـه بأنه ملاحَق ما هو إلا شعور مزيف، شـيء باقٍ مـن حلمه ومـا تلاه مـن سـاعات محمومة أمـام حامل اللوحات. فعلَ هـذا الكلام فعلـه لبعض الوقـت، رغم أنـه كان في داخله يعرف. ولكـن، كانت لديه أسـبابه لجعل كلامـه يؤثر، وأهمها هـو أنه عاد للنوم في الليل مجدداً واستأنف العمل على المهمة التي بين يديه.

أنهـى صـورة الأولاد الذيـن يتشـاركون كيـس الفريتوس فـوق بقعة رامي الكرة [في لعبة البيـسـبول] في ملعب في الضـواحي، وأرسـلها بواسطة الماسنجر، وفي اليوم التالي وصله شـيك بقيمة عشرة آلاف ومائتي دولار مع ملاحظة من وكيله باري كاسـلمان تقول: لقد أخفتنـي قليلاً يا عزيزي.

فكّر سـيفكيتز: لسـت وحدك. يا عزيزي.

خلال الأسـبوع التالـي، خطر لـه عدة مـرات أنـه ينبغي عليـه إخبار شخص ما بمغامراته تحت السـماء الحمراء، وفي كل مرة كان ينبذ الفكرة.

بوسعه إخبار ترودي، ولكن، لو كانت ترودي حيةً لما بلغت الأمور هذا المبلغ أساساً. كانت فكرة إبلاغ باري مضحكة، في حين أن فكرة إخبار الدكتور برادي كانت مفزعة بعض الشيء؛ لأنه قد ينصحه بمراجعة طبيب نفسي قبل أن يتمكن من القول "*Minnesota Multiphasic*" [اختبار لتقيم التكيُّف النفسي والاجتماعي].

في عصر اليوم الذي حصل فيه على شيك الفريتوس، لاحظ سيفكيتز تغيُّراً في جدارية القبو. توقف بينما كان يضبط المنبه ثم اقترب من الإسقاط الجداري (حاملاً علبة دايت كولا بيد، وساعة برووكستون موثوقة باليد الأخرى، فيما بسكويت الزبيب والشوفان مخبأ بأمان في جيب قميصه). ثمة شيء ما طرأ عليها، شيء مختلف، ولكن ليلعنه الله إن استطاع معرفة ما هو ذاك الشيء في البداية. أغمض عينيه وعدَّ إلى الرقم خمسة (حيلة قديمة لتصفية ذهنه) ثم فتحهما بسرعة، وعلى وسعهما، حيث بدا مثل رجل يقلِّد ساخراً حالة خوف. هذه المرة رأى التغير في الحال. لقد اختفى ذلك الشكل ربع الكروي الأصفر المشرق بجانب باب مرئلة الفرن؛ تماماً كما اختفت كومة علب الشراب. وأصبح لون السماء الأحمر فوق الأشجار أشد قتامة وظلمة. إما أن تكون الشمس قد غابت أو أوشكت على المغيب. على الطريق إلى هيركيمر، كان الليل يحلُّ.

قال سيفكيتز في داخله: يجب أن توقف هذا الأمر. ثم استطرد قائلاً: غداً. ربما غداً.

بهذه الكلمات الداخلية ركب على الدراجة وبدأ القيادة. وفي الغابة حوله، كان بوسعه سماع أصوات طيور تركن إلى أعشاشها لقضاء الليل.

5. مفك البراغي كافٍ كبداية

خلال الأيام الخمسة أو الستة التالية، كان الوقت الذي أمضاه سيفكيتز على الدراجة الثابتة (ودراجة طفولته ذات السرعات الثلاث)

رائعاً ومخيفاً في آن واحد. كان رائعاً لأنه شعر بأنه أفضل حالاً من أي وقت مضى؛ فقد كان جسده يعمل عند مستويات الذروة بالنسبة إلى رجل في عمره، وهو كان يعرف ذلك. كان يعتقد أن هناك رياضيين محترفين أفضل أداءً منه، لكنهم عندما يكونون في الثامنة والثلاثين من عمرهم، يكونون قد اقتربوا من نهاية حياتهم المهنية الرياضية، وإدراكهم ذلك سيُنغِّص عليهم أي متعة تُشعرهم بها حالةُ أجسادهم الممتازة. أما سيفكيتز، فكان بوسعه مواصلة عمله الفني التجاري لأربعين سنة أخرى، إذا اختار ذلك. يا الله، أربعون سنة أخرى! خمسة أجيال كاملة من لاعبي كرة القدم وأربعة من لاعبي كرة القاعدة ستأتي وتذهب بينما هو واقف بهدوء وسلام أمام حامل لوحاته، يرسم أغلفة كتب، ومتجات متعلقة بالدراجة النارية، وخمسة شعارات جديدة لبيبسي كولا.

لولا...

لولا أنها ليست النهاية التي يتوقعها الناس المعتادون على مثل هذا النوع من القصص، أليس كذلك؟ وليست النهاية التي كان يتوقعها لنفسه.

قويَ الشعور بأنه ملاحَق مع كل جولة كان يقوم بها، وخاصة بعد أن أنزل آخر الخرائط المناطقية لولاية نيويورك ووضع أولى الخرائط المناطقية الكندية. باستخدام قلم أزرق (القلم نفسه الذي استخدمه لرسم صورة رجل مع بندقية)، رسم امتداداً لطريق هيركيمر على الخارطة التي كانت في السابق بدون طرق؛ مضيفاً الكثير من التعرّجات. في ذلك الحين، أصبح يدوس بشكل أسرع، وينظر من فوق كتفه غالباً، وينهي جولاته مسربلاً بالعرَق، وفي البداية مقطوع الأنفاس لدرجة أنه لم يكن قادراً حتى على الترجُّل عن الدراجة أو إسكات نهيق المنبِّه.

أما بالنسبة إلى مسألة النظر من فوق الكتف، في البداية، عندما كان يفعل ذلك، كان يلقي نظرة إلى كوة القبو، وإلى الممر المؤدي إلى الغرفة الكبرى في القبو بمقصورات التخزين فيها وترتيبها المحيِّر. وكان ينظر

إلى صندوق شحن برتقال بومونا بجانب الباب وإلى منبِّه بروكستون الحائم فوقه، بينما هو يعدُّ الدقائق بين الرابعة والسادسة. وبعد ذلك، جثم نوع من الغشاوة الحمراء فوق كل شيء، وعندما تبدد هذه الغشاوة، كان ينظر إلى الطريق خلفه؛ إلى أشجار الخريف اللامعة على الجانبين (لكنها ليست لامعة جداً في ذلك الحين، ليس مع بدء تكثُّف الغسق)، وإلى السماء الحمراء الآخذة بالاسوداد فوقه. ولاحقاً، لم يعد يرى القبو مطلقاً عندما كان ينظر خلفه، ولا حتى لمحة منه، وإنما مجرد طريق يؤدي رجوعاً إلى هيركيمر، وفي النهاية إلى بوغكيبسي.

كان يعرف تماماً لماذا كان ينظر من فوق كتفه؛ بسبب المصابيح الأمامية.

المصابيح الأمامية لسيارة فريدي الدودج رام، إذا أردتَ معرفة معلومات محددة حولها. لأنه بالنسبة إلى بيركويتز وطاقمه، تحوَّل الاستياء المحيِّر إلى غضب. لقد أوصلهم انتحار كارلوس إلى الحافة. كانوا يحمِّلونه مسؤولية موت كارلوس، ومن أجل ذلك كانوا يبحثون عنه. وعندما يجدونه، سوف –

ماذا؟ ماذا سوف يفعلون؟

يقتلونني، فكَّر وهو يقود دراجته بتجهم في الغسق. لا حاجة إلى الهروب من الحقيقة. إنهم يلحقون بي، وسيقتلونني. إنني في الغابة الآن، لست في أي بلدة على تلك الخارطة المناطقية اللعينة، ولا حتى قرية. يمكنني أن أفجر رأسي من الصراخ، لكن لا أحد سيسمعني سوى الدب هاري، والأيلة ديبي، والراكون رودي. فإذا شاهدتُ تلك المصابيح الأمامية (أو سمعتُ صوت المحرِّك، لأن فريدي يمكن أن يقودها بدون مصابيح)، فسأفعل حسناً إن عدت إلى شقتي الصغيرة في الأعلى، سواء أرنَّ المنبِّه أم لم يرن. إنني مجنون لوجودي هنا في الأساس.

بيد أنه أصبح يعاني صعوبة في الرجوع في تلك المرحلة. فعندما

كان المنبّه يرن، كانت الرولي تبقى دراجة الرولي لمدة ثلاثين ثانية إضافية أو أكثر، وكان الطريق يظل طريقاً بدلاً من الارتداد إلى بقع من الألوان على الجدار الإسمنتي. وحتى المنبه نفسه بات بعيداً وناعماً على نحو غريب. خطرت له فكرة أنه قد يسمعه في نهاية المطاف كأزيز طائرة نفاثة تطير على علو شاهق، بوينغ 767 تابعة لشركة الخطوط الجوية الأميركية أقلعت من مطار كينيدي في طريقها إلى الجانب الآخر من العالم عبر القطب الشمالي.

كان يقف ويغمض عينيه بقوة ثم يفتحهما بسرعة وعلى وسعهما ثانيةً. وكانت الحيلة تنجح، لكنه كان يعتقد أنها قد لا تنجح لمدة طويلة ثم ماذا؟ قضاء ليلة في الغابة وهو يشعر بالجوع، ناظراً إلى قمر مكتمل يبدو مثل عين محتقنة!

لا، كانوا سيصلون إليه قبل ذلك الحين؛ حسب ظنه. لكن السؤال هو: هل كان ينوي السماح بحدوث ذلك؟ في الواقع، وعلى نحو لا يُصدَّق، جزء منه كان يريد ذلك بالضبط. جزء منه كان غاضباً منهم. جزء منه كان يريد مواجهة بيركويتز وبقية أفراد طاقمه، وأن يسألهم: ما الذي كنتم تتوقعون مني فعله على أي حال؟ أكنتم تتوقعون أن أواصل حياتي بالطريقة التي كنت معتاداً عليها، والتهام كعك كريسبي كريمي، وعدم الانتباه إلى الانجرافات عندما تُمدُّ المجاري وتفيض؟ هل هذا ما كنتم تريدونه؟

ولكن، كان هناك جزء آخر منه يعلم أن مثل هذه المواجهة ضرب من الجنون. صحيح أنه كان في حالة جسدية ممتازة، إلا أنك تتحدث عن ثلاثة ضد واحد. ومن يقول إن السيدة كارلوس لم تقرض الشباب بندقية زوجها قائلةً لهم: أجل، اذهبوا واقتلوا الوغد، ولا تنسوا أن تخبروه أن الطلقة الأولى مني ومن بناتي الثلاث.

كان لدى سيفكيتز صديق تغلّب على مشكلة إدمان شديد على

الو كاين في الثمانينات، ويتذكر قول هذا الشخص إنّ أول شيء يتوجب
ءليك فعله هو إخراجه من المنزل. بإمكانك دائماً شراء المزيد، لا شك
في ذلك، فهذه القذارة موجودة في كل مكان، وعند كل زاوية شارع،
لكن هذا ليس مبرراً للاحتفاظ به حيث يمكنك الإمساك به في أي وقت
ضعف إرادتك. وهكذا جمَعَ كل ما كان عنده من كوكايين ورماه في
المرحاض. لم تكن تلك نهاية مشكلته – حسب قول ذلك الشخص –
لكنها كانت بداية النهاية.

ذات مساء، دخل سيفكيتز القبو حاملاً معه مفك براغيّ. كان
ينوي جدياً تفكيك الدراجة الثابتة، دون أن ينسى ضبط المنبه على
الساعة السادسة، كما يفعل دائماً؛ لكنها كانت مجرد عادة، فالمنبه كان
(مثل بسكويت الزبيب والشوفان) جزءاً من طريقته؛ الحركات المنوِّمة
المغناطيسية التي يقوم بها، آلية حلمه. وحالما يفكك الدراجة الثابتة إلى
أجزائها المختلفة – عديمة القيمة بذاتها – كان سيرمي المنبه مع الحطام
كما فعل صديقه مع غليون الكوكايين. كان سيشعر بالألم بالطبع، فمنبه
بروكستون القوي لا يُلام على الوضع الغبي الذي وضع نفسه فيه، لكنه
كان سيفعل ذلك على أي حال.

وجد أن الدراجة كانت تتألف من أربعة أجزاء أساسية، وأنه كان
بحاجة لمفتاح رنش [مفتاح إنكليزي] قابل للتعديل لفكّها كلياً. ولكن لا
بأس، فقد كان مفك البراغي كافياً كبداية. بوسعه استخدامه من أجل فك
الدواستين، وعندما ينتهي من ذلك، يمكنه استعارة مفتاح الرنش من علبة
أدوات المشرف على المبنى.

نزل على ركبة واحدة ووضع المفك المستعار في شق البرغي
الأول، ثم تردد. تساءل إن كان صديقه قد دخّن حجراً آخر [كوكايين]
قبل رمي ما تبقى في المرحاض؛ حجراً آخر فقط من أجل الأيام الخوالي.
كان مستعداً للمراهنة على أن صديقه فعل ذلك. لأنه إذا كان مخدَّراً قليلاً،

فلا بد أن هذا قد خفّف التوق والاشتهاء لديه؛ ما جعل عملية التخلص من المخدرات أسهل بعض الشيء. وإذا قام بجولة أخرى فقط، ثم ركع هنا ليفك الدواستين مع تدفق الإندروفينات، ألن يشعر بكآبة أقلّ حيال ذلك؟ ألن يقل احتمال تخيّله بيركويتز وفريدي ويلان يلتجئون إلى أقرب مشرب على الطريق ويشترون أولاً إبريقاً من الشراب، ثم يشربون أنخاب بعضهم بعضاً ونخب ذكرى كارلوس، مهنّئين بعضهم لتخلّصهم من الوغد؟

"أنت مجنون". تمتم لنفسه، ثم وضع رأس المفك ثانيةً في شق البرغي. "افعلْ ذلك وأنهِ الأمر".

في الواقع، لقد فتلَ المفك مرة واحدة، لكنه عندما فعل ذلك، تحرّكت قطع بسكويت الشوفان والزبيب قليلاً في جيبه فتذكّر كم كان طعمها لذيذاً دوماً أثناء القيادة. ما عليك إلا أن ترفع يدك اليمنى عن المقود ثم تدسها في جيبك وتأخذ قضمتين وتلحقهما بجرعة من شايك المثلج. كانت توليفة مثالية. إنه لشعور رائع أن تقود الدراجة بسرعة، وتتناول بعض المأكولات والمشروبات الطيبة في الطريق، لكن أولئك السافلين كانوا يريدون حرمانه من هذه المتعة.

عشر فتلات للمفك، وربما أقل، وستسقط الدواسة على الأرض الإسمنتية. ومن ثم يمكنه الانتقال إلى الدواسة الأخرى، وبعد ذلك يمكنه مواصلة حياته.

هذا ليس عدلاً، فكّر سيفكيتز.

جولة أخرى فقط، من أجل الأيام الماضية فقط.

وبينما كان يرفع ساقه فوق الدراجة ويضبط مؤخرته (التي أصبحت أشد متانة وصلابة بما لا يقاس مما كانت عليه يوم رأى رقم الكوليسترول الأحمر) على المقعد، فكّر في داخله: هكذا تمضي مثل هذه القصص، أليس كذلك؟ بهذه الطريقة تنتهي، حيث يقول الأحمق هذه هي المرة

الأخيرة، لن أفعل ذلك مرة أخرى أبداً.

هذا صحيح تماماً - تابع التفكير - لكنني أراهن بأن الناس يفلتون بفعلتهم في الحياة الواقعية. أراهن بأنهم يفلتون بفعلتهم دائماً.

جزء منه كان يتمتم بأن الحياة الواقعية لم تكن تشبه حياته هذه قطّ، بأن ما كان يفعله (وما يختبره) لا يحمل أي شبه على الإطلاق بالحياة الواقعية كما كان يفهمها. لكنه صمَّ أذنيه عن هذا الكلام.

كان مساءً جميلاً يصلح للقيام بجولة في الغابة.

6. ليست بالضبط النهاية التي يتوقعها الجميع

ومع ذلك، كان لا يزال يملك فرصة أخرى.

تلك هي الليلة التي سمع فيها بشكل واضح وللمرة الأولى هدير محرك سيارة خلفه، وقبل أن يرن المنبه بلحظات، ظهر للرولي التي كان يقودها فجأةً ظلٌّ متطاول على الطريق أمامه، ظل من النوع الذي لا يمكن أن تحدثه إلا مصابيح أمامية لسيارة ما.

وبعد ذلك رن المنبه. لم يكن صوته نهيقاً، بل صوت خرخرة بعيدة، ويكاد يكون إيقاعياً.

كانت الشاحنة تقترب منه. لم يكن بحاجة للالتفات كي يراها (لا أحد في الحقيقة يود أن يلتفت ويرى الشيء المخيف على هذه المقربة منه؛ فكَّر سيفكيتز في ذلك لاحقاً في تلك الليلة وهو مستلقٍ على سريره صاحياً، لكنه كان لا يزال مغموراً بالشعور - البارد والساخن في آن واحد - الذي يجتاح المرء إثر تجنبه كارثة ببضعة سنتمترات أو بضع ثوانٍ فقط). كان بوسعه رؤية الظل يستطيل ويسْوَدّ.

أسرعوا، من فضلكم يا سادة، حان الوقت - فكَّر في داخله - وأغمض عينيه بقوة. كان لا يزال يسمع صوت المنبه الذي لم يكن يتعدّى صوت خرخرة مهدّئة، لا أكثر من ذلك حقاً، لكن الصوت الأعلى كان

صوت المحرك؛ محرك شاحنة فريدي. كان يبدو كما لو أنه فوقه. ماذا لو أنهم لا يريدون تضييع دقيقة نيويوركية واحدة في الحديث؟ ماذا لو أن الشخص الذي يقود الشاحنة الآن ألصق دواسة الوقود بهيكل السيارة ودهسك وحوّلك إلى حيوان مدهوس على الطريق؟

لم يزعج نفسه بفتح عينيه، لم يضيّع الوقت في التأكد من أنه كان لا يزال يقود على الطريق المهجور وليس في القبو. وبدلاً من إغماضه عينيه بقوة أكبر، ركّز كل انتباهه على صوت المنبه، وهذه المرة تحوّل الصوت المهذب الهادئ إلى صراخ نافد الصبر:

أسرعوا من فضلكم يا سادة، حان الوقت!

وفجأة، ولله الحمد، أصبح صوت المحرك هو الذي يخبو وصوت منبه برووكستون هو الذي يتضخم، مستعيداً زعيقه القاسي المعتاد استيقظْ – استيقظْ – استيقظْ – استيقظْ. وهذه المرة رأى إسقاط الطريق بدلاً من رؤيته الطريق نفسه.

لكن السماء كانت سوداء هذه المرة، حيث غطّى سواد الليل على خُضرَتها العضوية. وكان الطريق مضاءً بشكل ساطع، وظلّ الدراجة - دراجة الرولي – أسودَ واضحاً على السطح الترابي المرصوص المفروش بأوراق الأشجار. كان يمكنه أن يقول لنفسه إنّه فكّ الدراجة الثابتة ورسم هذه التغييرات في غيبوبته الليلية، لكنه كان يعرف، في داخله كان يعرف، وليس فقط لعدم وجود آثار طلاء على يديه.

هذه فرصتي الأخيرة – قال في داخله – فرصتي الأخيرة لتجنب النهاية التي يتوقعها الجميع في مثل هذه القصص.

لكنه ببساطة كان منهكاً جداً ومرتعشاً جداً، حيث لم يكن بوسعه الاهتمام بالدراجة في ذلك الحين. سوف يهتم بأمرها غداً، في صباح الغد. في الواقع، إنّ ذلك أول شيء سيفعله. كل ما كان يريده في هذه اللحظة هو الخروج من هذا المكان المريع، حيث بات الواقع واهياً جداً.

بهذا الإدراك مشى سيفكيتز مترنحاً نحو صندوق بومونا بجانب المدخل المغطى بطبقة رقيقة وكريهة الرائحة من العرَق، لكن رائحته كانت ناجمة عن الخوف وليس عن التعرُّق نفسه) وأسكت المنبه. وبعد ذلك، صعد إلى شقته واستلقى على سريره. وبعد فترة طويلة جداً، استغرق في النوم.

في صباح اليوم التالي، نزل على الدرج متجنباً المصعد. كان ينزل بخطوات واثقة، مرفوع الرأس، ومزموم الشفتين. إنه رجل في مهمة. اتجه هذه المرةَ نحو الدراجة الثابتة متجاهلاً ساعة المنبِّه فوق الصندوق، ثم نزل على ركبة واحدة، والتقط مفك البراغي. وضعه مرة أخرى في شق أحد البراغي، واحد من البراغي الأربعة التي تثبت دواسة القدم اليسرى...

... والشيء التالي الذي يتذكَّره هو أنه كان يقود الدراجة دائخاً مسرعاً على الطريق - مجدداً - وأضواء المصابيح الأمامية تشعُّ بشكل ساطع حوله لدرجة أنه شعر مثل رجل فوق مسرح مظلم، باستثناء بقعة ضوء وحيدة مسلَّطة عليه. كان صوت محرك الشاحنة عالياً جداً (ثمة عطب ما في الكاتم أو نظام العادم)، وكان غير إيقاعي أيضاً. شكَّ سيفكيتز في أنَّ فريدي العزيز قد أجرى الصيانة الدورية للشاحنة. لا، ليس وهو مفتقد للنقود لدفع أقساط المنزل، وشراء البقالة، وأجهزة تقويم الأسنان للأطفال، ومع غياب الأجرة الأسبوعية.

فكَّر سيفكيتز: لقد منحت لي الفرصة. لقد منحت لي الفرصة ولم أستغلها.

لماذا أفعل ذلك؟ لماذا؟ مع أنني أعرف.

لأنهم أجبروني بطريقة ما. أجبروني.

سوف تدهسني الشاحنة وسأموت في الغابة.

بيد أن الشاحنة لم تدهسه، بل اندفعت متجاوزةً إياه من الجهة اليمنى. تخبَّطت العجلتان من الجهة اليسرى في الخندق المليء بأوراق الأشجار، ثم انحرفت الشاحنة لتدخل الطريق ثانيةً وتسير أمامه، سادَّة

الطريق في وجهه.

من شدة خوفه، نسي سيفكيتز أول شيء علّمه إياه والده عندما جلب الدراجة ذات السرعات الثلاث إلى المنزل. عندما تريد أن تتوقف يا ريتشي، أدر الدواستين بشكل عكسي. اضغط على كابح العجلة الخلفية في الوقت نفسه الذي تضغط فيه على الكابح اليدوي الذي يتحكم بالعجلة الأمامية. وإلا -

وهذا ما فعله تماماً؛ وإلا. من شدة هلعه أطبق قبضتيه الاثنتين فشد على الكابح اليدوي الأيسر موقفاً العجلة الأمامية، فوثبت الدراجة من الخلف ورمته نحو الشاحنة التي كُتب على باب السائق فيها: شركة ليبيد. مدّ يديه أمامه فارتطمتا بمؤخر الشاحنة بقوة لدرجة أنهما أصيبتا بالخدر، ثم تكوّم على الأرض متسائلاً: كم عظمة كُسرت؟

فُتح البابان، وسمع خشخشة الأوراق بعد ترجُّل الرجال من الشاحنة منتعلين جزمات العمل. انتظرهم كي يمسكوا به ويوقفوه، لكن أحداً منهم لم يفعل ذلك. كانت رائحة الأوراق تشبه رائحة قرفة قديمة. مشت الأقدام إلى جانبيه، ثم توقفت خشخشة أوراق الشجر فجأة.

وقف سيفكيتز ونظر إلى يديه فوجد أن راحة يده اليمنى تنزف ومعصم اليسرى متورم، لكنه لم يكن يعتقد أنه مكسور. تلفّت حوله فكان أول شيء يراه - حمراء في وهج مصابيح الدودج الخلفية - هو دراجته الرولي. كانت جميلة عندما جلبها أبوه إلى المنزل من محل بيع الدراجات، لكنها لم تعد جميلة الآن. لقد اعوجّت عجلتها الأمامية وخرجت عجلتها الخلفية جزئياً عن إطارها المعدني. للمرة الأولى، انتابه شعور آخر غير الخوف؛ إنه الغضب.

خلف الرولي، خلف الطريق الذي جاء منه، كانت هناك ثغرة في الواقع. كانت عضوية على نحو غريب، كما لو أنه كان ينظر عبر الثغرة إلى نهاية شريان في جسده. كانت حوافها متعرِّجة ومتفخة ومثنيّة. ووراءها

هناك ثلاثة رجال يقفون حول الدراجة الثابتة في القبو، يقفون في ...صعبات يعرفها من جميع طواقم العمل التي رآها في حياته. هؤلاء ...مال كان لديهم عمل يؤدونه. وكانوا يفكرون في كيفية القيام به.

فجأة، عرف سبب إطلاقه عليهم تلك الأسماء بالذات. كان السبب ...طاً لدرجة تثير السخرية. إن الشخص الذي يعتمر قبعة ليد، بيركويتز، ...ديفيد بيركويتز ابن سام الذي كان موظفاً في صحيفة نيويورك بوست ...ما جاء سيفكيتز إلى مانهاتن. وفريدي هو فريدي أليمارل الذي تعرَّف ...ليه في المدرسة الثانوية، وكانا معاً في فرقة موسيقية واحدة، وأصبحا ...يقين لسبب بسيط جداً، وهو أن كليهما كانا يكرهان المدرسة. ...يلان؟ إنه فنان قابله في مؤتمر في مكان ما. مايكل ويلان أم ميتشيل ...ن؟ لم يكن سيفكيتز يتذكَّر تماماً، لكنه يعرف أن الرجل كان متخصصاً ...ي الفن الفنتازي – تنانين وأشياء من هذا القبيل. لقد أمضيا ليلة معاً في ...رب الفندق وهما يتبادلان القصص حول العالم الهزلي الفظيع لفن ...ور الأفلام.

ثم هناك كارلوس الذي انتحر في كراجه. كان نسخة عن كارلوس ...الغادر الذي يُعرَف أيضاً باسم القط الكبير، وهو عضو في فريق تورونتو ...جايز الذي شجَّعه سيفكيتز لسنوات، وذلك لأنه ببساطة لم يشأ أن ...ون مثل جميع متابعي دوري كرة القاعدة في نيويورك؛ مشجعاً لفريق ...ي يانكيز. وكان القط الكبير واحداً من بضعة نجوم قلائل في تورونتو.

"لقد صنعتكم كلكم"، قال بصوت خافت أجش، "لقد أوجدتكم ...ن ذكريات ومقتطفات". بالتأكيد، هذا ما فعله. ولم تكن تلك هي المرة الأولى؛ مثل الشباب المتحلِّقين فوق بقعة الرامي في إعلان فريتوس، ...ت أعطته وكالة الإعلانات – بناءً على طلبه – صور أربعة فتيان في ...مناسب وقام سيفكيتز برسمهم ببساطة، بالطبع بعد أن وقَّعت أمهاتهم الأوراق اللازمة؛ فقد كان عملاً في نهاية المطاف.

لم يُبدِ بيركويتز وفريدي ويلان أي إشارة تدل على أنهم سمعوه تفوّهوا ببضع كلمات في ما بينهم سمعها سيفكيتز لكنه لم يستطع فهمها بدت كما لو أنها كانت قادمة من مكان بعيد. على أي حال، مهما كانت تلك الكلمات، فقد دفعت ويلان للخروج من القبو في حين ركع بيركويتز بجانب الدراجة الثابتة، كما فعل سيفكيتز نفسه من قبل. التقط بيركويتز المفك، وبسرعة فائقة سقطت الدواسة اليسرى على الأرض. راقب سيفكيتز - الذي كان لا يزال واقفاً على الطريق المهجور - من خلال الثغرة العضوية الغريبة بيركويتز يسلّم المفك إلى فريدي أليمارل الذي كان يعزف مع ريتشارد سيفكيتز عزفاً رديئاً على أداة الترومبيت في فرقة لا تقل رداءةً في المدرسة الثانوية. كانا يعزفان أفضل بكثير عندما كانا يدخّنان الكوكايين. زعقت بومة من مكان ما في الغابة الكندية، وكان الصوت موحشاً بشكل يتعذّر وصفه. تابع فريدي العمل في فك الدواسة الأخرى. في تلك الأثناء، عاد ويلان حاملاً بيده مفتاح الربط القابل للتعديل. أحسَّ سيفكيتز بوخزة ألم لدى رؤيته المفتاح.

أثناء مراقبتهم، قال سيفكيتز في داخله: إذا أردتَ إنجاز عمل ما بصورة صحيحة، فعليك جلب محترفين. لم يضيّع بيركويتز ورفاقه أي وقت، ففي أقل من أربع دقائق، تحوّلت الدراجة الثابتة إلى مجرد عجلتين وثلاثة أجزاء منفصلة من هيكلها ملقاة على الأرض الإسمنتية، وبشكل مرتَّب، حيث إن الأجزاء بدت مثل أحد تلك الرسومات التوضيحية المسماة "المخططات المنفجرة" (*exploded schematics*).

وضع بيركويتز البراغي في الجيب الأمامي لقميصه فتات مثل قطع نقود معدنية زائدة. رمق سيفكيتز بنظرة ذات مغزى بينما كان يفعل ذلك، نظرة أثارت الغضب في صدر سيفكيتز من جديد. عندما عاد طاقم العمل عبر تلك الفجوة الغريبة (مطأطئي الرؤوس قليلاً مثل رجال يمرّون عبر باب منخفض)، أطبق سيفكيتز قبضته مجدداً، رغم أن ذلك جعل رسغه

الأمر ينبض بألم شديد.

"هل تعرف؟". قال موجّهاً كلامه لبيركويتز. "لا أعتقد أن باستطاعتك إيذائي. لأنه حينئذ ماذا سيحصل لك؟ أنت لا شيء سوى... محاول ثانوي!".

نظر بيركويتز إليه بثبات من تحت قبعة شركة ليـيد.

تابع سيفكيتز كلامه: "أنا أوجدتكم!". وبدأ يعدُّهم موجّهاً سبابته إلى كل واحد منهم بدوره مثل سبطانة مسدس. "أنت ابن سام! وأنت لست سوى نسخة ناضجة من ذلك الولد الذي عزفتُ البوق معه في مدرسة سيترز أوف ميرسي الثانوية. لم يكن باستطاعتك عزف نوتة في بحول لإنقاذ حياتك! وأنت فنان متخصص في التنانين والعذراوات المسحورات!".

لم يكن فريدي ويلان سعيدين بما سمعاه.

قال بيركويتز: "وماذا يجعلك هذا؟ هل فكّرت يوماً في ذلك؟ هل تقول لي إنّه ليس هناك عالم أكبر في مكان ما في الخارج؟ رغم كل ما تعرفه، أنت لست سوى فكرة عشوائية تجول في رأس محاسب عام مجاز عاطل عن العمل أثناء جلوسه الصباحي في المرحاض وهو يقرأ الجريدة ويتخلّص من فضلاته".

فتح سيفكيتز فمه ليقول إنّ هذا الكلام سخيف، لكن شيئاً ما في محيّا بيركويتز جعله يطبقه مجدداً. كانت عيناه تقولان: هيا، اطرح سؤالاً. سأخبرك أكثر مما أردت أن تعرفه طوال حياتك.

لكن ما قاله سيفكيتز هو: "من أنتم لتقولوا لي إنني لا أستطيع أن أصبح قوياً ومعافى؟ هل تريدون أن أموت في الخمسين؟ يا الله، ما هي مشكلتكم؟".

قال فريدي: "أنا لست فيلسوفاً يا صاح. كل ما أعرفه هو أن شاحنتي بحاجة لإصلاح وأنا لا أستطيع تأمين التكاليف".

وأضـاف ويـلان: "وأنا لـدي طفـل بحاجة لحـذاء طبي وطفـل آخر بحاجة لعلاج نطق".

قال بيركويتـز: "إن الشـباب الذين يعملـون في مشـروع ذي بيغ ديغ في بوسـطن [مشـروع رمَّم العديد من الطرق العامة والجسـور القديمة في المدينة] لديهم عبارة يقولونها دائماً: لا تقتـل العمل، دعه يموت من تلقاء ذاته. هذا كل ما نطلبه يا سـيفكيتز. دعنا نكسب قوت عيشنا".

تمتم سـيفكيتز: "هذا جنون. جنون كلي –".

"إنني لا آبه البتة لشـعورك حيال الأمر أيها الـسافل!". صرخ فريدي، وأدرك سـيفكيتز أن الرجـل كان على وشـك البكاء. كانت هـذه المواجهة مرهقة لهم بقدر ما كانت مرهقة له – في ما يبدو – وإدراك ذلك كان بمثابة الصدمة الكبرى بالنسـبة إليه. "أنت لا تهمُّني نهائياً، أنت لا شـيء، إنك لا تعمل، كل ما تفعله هو العبث ورسـم صور رماة الكرة أولئك، ولكن إياك أن تأخذ الخبز من أفواه أطفالي، أتـسمع؟ إياك أن تفعل ذلك؟".

هـمَّ بالتقـدّم نحوه رافعاً قبضتيه أمام وجهه (فـي وضعيـة ملاكمة سـخيفة من وضعيات جون ل. سـوليفان) فوضع بيركويتز يده على ذراعه وأرجعه.

قال ويلان: "لا تكن متعنّتاً في هذا الأمر يا رجل. عِش ودع الآخرين يعيشون، هل اتفقنا؟".

"دعنا نكسـب قوت عيشنا". كرَّر بيركويتز العبارة نفسـها، وسيفكيتز بالطبـع كان يعرفها، لأنه قـرأ روايـة "العرّاب" وشـاهد كل أجـزاء الفيلم هل كان بوسـع أي من هؤلاء الرجال أن يستخدم كلمة أو عبارة عاميَّة لم تكن جزءاً من مفرداته؟ كان يشـك في ذلك. "دعنا نحافـظ على كرامتنا يا رجل. هل تظن أننا نستطيع أن نعمل في رسـم الصـور مثلك؟" – ضحك "بالتأكيد، لا شك في ذلك. إذا رسـمتُ قطة، فـيتوجب علي كتابة كلمة قطة أسـفلها كي يعرف الناس ما هي".

قال ويلان: "لقد قتلتَ كارلوس". ظنّ سيفكيتز أنه لو شعر بنبرة ،مام في صوته، فربما ثار الغضب في نفسه مجدداً، لكنه لم يسمع سوى ،لحزن. "قلنا له: اصمد يا رجل. سوف تتحسّن الأمور. لكنه لم يكن قوياً. ،م يكن باستطاعته قط - كما تعلم - النظر إلى الأمام". صمت ويلان ،للاً، ونظر إلى السماء القاتمة. ومن مكان غير بعيد، أصدرت دودج ،يدي صوت فرقعة خشنة. "لم يملك مطلقاً الكثير ليبدأ به. بعض الناس ،لا يملكون الكثير، كما تعلم".

التفت سيفكيتز نحو بيركويتز وقال: "دعني أفهم هذا جيداً. ما ،يدونه -".

"فقط لا تقتل العمل. هذا كل ما نريده. دع العمل يموت من تلقاء ،اله".

أدرك سيفكيتز أن باستطاعته فعل ما يطلبه هذا الرجل. بل إن فعل ،الك قد يكون سهلاً في الحقيقة. بعض الناس إذا كانوا يأكلون قطعة ،ريسبي كريمي، فإنهم يشعرون بالحاجة لمواصلة الأكل حتى إنهاء العلبة ،لها. لو كان من هذا النوع من الأشخاص، لربما كانوا يواجهون مشكلة ،مدية هنا... لكنه لم يكن كذلك.

قال سيفكيتز: "أعتقد أننا نستطيع المحاولة". ثم خطرت له فكرة، ،أردف قائلاً: "هل تظن أنني أستطيع الحصول على قبعة الشركة؟". أشار ،الى القبعة التي يعتمرها بيركويتز.

ارتسمت ابتسامة على شفتي بيركويتز لفترة وجيزة، لكنها كانت ،حقيقية أكثر من ضحكته حينما قال إنه لا يستطيع أن يرسم قطة دون أن ،يكتب اسمها تحت الصورة. "يمكن تدبير ذلك".

ظن سيفكيتز أن بيركويتز سيمد يده مصافحاً حينئذ، لكنه لم يفعل، ،ل اكتفى بإلقاء نظرة مقيِّمة أخيرة عليه من تحت قبعته، ثم بدأ السير نحو ،مقصورة الشاحنة، فيما لحقه الاثنان الآخران.

قال سيفكيتز: "كم سيمضي من الوقت قبل أن أقرر أن أياً من هذا لم يحدث؟ وبأنني فككت الدراجة الثابتة بنفسي لأنني... لا أعلم... لأنني سئمت منها فقط؟".

توقف بيركويتز واضعاً يده على قبضة الباب، ثم التفت وقال: "كم تريده أن يكون؟".

"لا أعرف. هي، المكان جميل هنا، أليس كذلك؟".

قال بيركويتز: "لطالما كان جميلاً. نحن نحافظ على جماله دوماً". كانت في صوته نبرة دفاعية اختار سيفكيتز أن يتجاهلها. يبدو أن الشخصيات التي يولّدها خيال المرء - فكّر سيفكيتز - تملك كرامتها الخاصة.

لعدة لحظات، وقفوا هناك على الطريق الذي توصّل سيفكيتز مؤخراً إلى تسميته "بالطريق المفقود العظيم العابر للحدود الكندية". إنه اسم فخم جداً لطريق ترابي بلا اسم يعبر الغابة، لكنه جميل جداً في الوقت نفسه. لم يقل أي منهم أي كلمة. زعقت البومة في مكان ما مرة أخرى.

"في الداخل، في الخارج، هذا كله سيّان بالنسبة إلينا". قال بيركويتز أخيراً ثم فتح الباب وانزلق نفسه وراء المقود.

قال فريدي: "اهتم بنفسك".

وأضاف ويلان: "ولكن، ليس كثيراً".

قامت الشاحنة بالتفاتة رمية ثلاث نقط [في كرة السلة] بارعة على الطريق الضيق، وبدأت بالعودة على الطريق نفسه الذي جاءت منه. لم يحاول بيركويتز تجنب الرولي بل مرّ فوقها مباشرةً، منهياً عملاً انتهى مسبقاً. سُمعت طقطقة قضبان العجلتين وهي تتكسّر. خفتت أضواء المصابيح الخلفية للشاحنة، ثم اختفت بعد تجاوز أول منعطف. كان باستطاعة سيفكيتز سماع صوت فرقعة المحرك لفترة ليست بقصيرة، لكنه اختفى في النهاية أيضاً.

جلس على الطريق ثم استلقى على ظهره؛ واضعاً رسغه الأيسر الذي ...امه فوق صدره. كانت السماء خالية من النجوم، وكان مرهقاً جداً. من الأفضل لك ألا تستسلم للنوم - قال في نفسه - قد يخرج شيء ما من الغابة - دب ربما - ويأكلك. ثم غطَّ في النوم؛ رغم التحذير.

عندما استيقظ، وجد نفسه على الأرض الإسمنتية للكوة؛ محاطاً .. جميع الجوانب بأجزاء الدراجة الثابتة، ولكن بدون البراغي. كان منبه ..ووكستون فوق الصندوق يومض P.M 8:43. لا بد أن أحداً منهم قد ..كث المنبه.

قال في نفسه: لقد فككت هذا الشيء بنفسي. هذه قصتي. وإذا ..مت بها، فسأصدقها بعد فترة قصيرة جداً.

صعد الدرج إلى رواق المبنى، وهناك أحسَّ بأنه جائع. فكَّر في الذهاب إلى مطعم دوغان وتناول فطيرة تفاح. فطيرة التفاح ليست أسوأ .. جبة خفيفة غير صحية في العالم، أليس كذلك؟ وعندما وصل إلى المطعم قرر تناولها مع الآيس كريم.

قال للنادلة حين جلبت طلبه: "يا الله، نحن نعيش لمرة واحدة فقط، اليس كذلك؟".

ردَّت النادلة: "في الواقع، ليس هذا ما يقوله الهندوس. ولكن، على أي حال، أي شيء يساعد قاربك على الطواف".

بعد شهرين، وصل طرد إلى شقة سيفكيتز.

كان الطرد ينتظره في رواق المبنى لدى عودته من الغداء مع وكيله (تناول سيفكيتز سمكاً وخضاراً مطهواً على البخار، لكنه أعقب وجبته بقطعة من حلوى كريم بروليه). لم يكن توجد فاتورة على الطرد، ولا ..معار فديرال إكسبريس، أو إيربورن إكسبريس، أو يو بي إس، ولا حتى طوابع. كان هناك اسمه فقط، مكتوباً بأحرف كبيرة متعرِّجة: ريتشارد سيفكيتز. إنه الشخص الذي يضطر لكتابة كلمة قطة تحت رسم لقطة؛

فكَّر سيفكيتز في داخله دون أن يعلم لماذا خطرت له هذه الفكرة. أخ
الطرد إلى الطابق العلوي، وهناك استخدم سكيناً موجوداً على طاولة
عمله لفتحه. في الداخل، وتحت كومة كبيرة من المناديل الورقية، وجد
قبعة جديدة، من النوع الذي يملك شريطاً قابلاً للتعديل في الخلف. كُتب
على البطاقة داخلها عبارة: "صُنعت في بنغلادش". وفوق حافتها الأمامية
الناتئة هناك كلمة واحدة مكتوبة بخط أحمر داكن جعلته يفكر في دم
شرياني: ليبيد.

قال في الاستوديو الفارغ وهو يقلّب القبعة بين يديه: "ما هذا؟ نوع
من مكونات الدم، أليس كذلك؟".

جرَّب القبعة على رأسه. في البداية كانت صغيرة، لكنه حين عدّل
الشريط في الخلف، وجد أنها على مقاس رأسه تماماً. نظر إليها في مرآة
غرفة نومه وكان لا يزال غير معجب بها. خلعها ثم طوى حافتها الأمامية
الناتئة بشكل مائل وجرَّبها ثانيةً. أصبحت أفضل حينئذ، وستصبح أفضل
من ذلك أيضاً عندما يخلع ثياب الغداء ويرتدي سروال جينز ملطّخاً
بالطلاء. سوف يبدو مثل عامل حقيقي... ولقد كان كذلك بالفعل، رغم ما
قد يظنه بعض الناس.

أصبح اعتمار قبعة ليبد أثناء الرسم عادة لديه في نهاية المطاف، مثل
السماح لنفسه ببعض التجاوزات يومَي السبت والأحد، وتناول الآيس
كريم في مطعم دوغان في مساءات الخميس. بالرغم مما تقوله الفلسفة
الهندوسية، فإن ريتشارد سيفكيتز كان يعتقد أن الإنسان يعيش مرة واحدة
فقط. وإذا كان الوضع كذلك، ربما ينبغي عليك أن تأخذ قطعة صغيرة من
كل شيء.

الأشياء التي تركوها خلفهم

إن الأشياء التي أريد أن أحدثك بشأنها - الأشياء التي تُركت - ظهرت في شقتي في آب من العام 2002. أنا واثق من ذلك؛ لأنني وجدت معظمها بعد وقت ليس بطويل من مساعدتي لبولا روبيسون في تشغيل جهاز التكييف لديها. تحتاج الذاكرة دائماً إلى نقطة علام، وتلك هي نقطة علامي. كانت رسّامة كتب مصورة للأطفال، وجميلة (جميلة جداً، إن أردت الحقيقة)، وزوجها يعمل في الاستيراد والتصدير. أي رجل لديه طريقة في تذكُّر المناسبات التي يكون فيها قادراً على مساعدة سيدة جميلة في حالة ضيق (حتى تلك التي تؤكد لك باستمرار بأنها "متزوجة")، لأن مثال هذه المناسبات قليلة جداً. وفي هذه الأيام، إن الفارس الباحث عن المغامرات يزيد الأمور سوءاً في العادة.

كانت واقفة في مدخل المبنى والإحباط بادٍ عليها، عندما نزلتُ للقيام بجولة مشي عصرونية (أي في فترة العصر). قلت: مرحباً، كيف الحال؟ كما تقول للأشخاص الذين يشاركونك المبنى الذي تعيش فيه، وسألتني بنبرة غاضبة تكاد تلامس الشكوى: لماذا يجب أن يكون البواب في إجازة الآن؟ بيّنت لها أن الجميع يحزنون، وكذلك الأمر بالنسبة إلى النساء اللواتي يشاركن في مسابقات الروديو؛ فهنّ يُصبْنَ بالحزن، وكذلك يذهب البوابون في إجازة. وإضافة إلى ذلك، من المنطقي جداً أن يأخذ المرء عطلة لبعض الوقت في شهر آب. في آب، في نيويورك (وفي باريس، *mon ami*) يصبح المحللون النفسيون والفنانون العصريون

وبوّابو المباني لطفاء جداً على الأرض.

لم تبتسم. لست متأكداً مما إذا كانت قد فهمت إشارة توم روبه (الإشارة غير المباشرة هي لعنة صف القراءة). قالت إنه ربما يكون محقا في أن شهر آب مناسب لأخذ إجازة والذهاب إلى كيب أو جزيرة فاير آيلند، لكن شقتها الملعونة على وشك الاشتعال، ومكيّفها الهوائي اللعين لم يكن حتى يتجشأ. سألتها إن كانت تحب أن ألقي نظرة عليه، واتذكر النظرة التي رمقتني بها تانك العينان الرماديتان المتفحصتان الجميلتان واتذكّر أنني فكّرت في أن عينين كتينك العينين لا بد أنهما شاهدتا الكثير واتذكر أنني ابتسمت عندما سألتني قائلةً: هل أنت آمن؟ ذكّرتني بذلك الفيلم، ليس "لوليتا" (التفكير في فيلم لوليتا أحياناً في الثانية صباحاً، جاء لاحقاً) ولكن ذاك الذي يقوم فيه لورينس أوليفير بعمل طبي مرتجَل على داستن هوفمان الذي يسأله مرة بعد مرة: هل هي آمنة؟

أجبتها: أنا آمن. لم أهاجم أي امرأة منذ ما يزيد عن سنة. كنت معتاداً على مهاجمة اثنتين أو ثلاث في الأسبوع، لكن الاجتماعات تساعد.

كان كلاماً غير محسوب، لكن مزاجي كان رائقاً بعض الشيء. كان مزاجاً صيفيًا. رمقتني بنظرة أخرى، ثم ابتسمت ومدّت يدها قائلةً: بو لا رويون. لم تمدَّ يدها اليمنى بل اليسرى. ليس هذا طبيعياً، لكنها اليد التي كانت تضع في أحد أصابعها خاتماً ذهبياً عادياً. أظن أن هذا كان مقصوداً، ألا تظن ذلك؟ لكنها لم تخبرني عن زوجها الذي يعمل في الاستيراد والتصدير إلا لاحقاً، يوم جاء دوري لطلب المساعدة منها.

في المصعد أخبرتها ألاّ تتوقع مني الكثير. ولكن، إذا كانت تريد رجلاً يكتشف الأسباب الجوهرية لاضطرابات التجنيد الإجباري في مدينة نيويورك [أثناء الحرب الأهلية]، أو يزوّدها ببضع حكايات مسلية حول ابتكار لقاح الجدري، أو يساعدها على استخراج نصوص حول العواقب الاجتماعية لجهاز التحكم بالتلفزيون (الاختراع الأهم

في السنوات الخمسين الأخيرة برأيي المتواضع)، فقد كنت الشخص المناسب.

هل البحث مجال عملك يا سيد ستالي؟ سألتني بينما كنا نصعد في المصعد البطيء والمطقطق.

اعترفت لها أن هذا صحيح، لكنني لم أضفْ بأنني كنت جديداً في هذا المجال. ولم أطلب منها أن تناديني سكوت؛ لأن ذلك كان سيبث الخوف في نفسها من جديد. وبالتأكيد لم أخبرها أنني كنت أحاول نسيان كل ما عرفته يوماً حول التأمين الزراعي، وأنني كنت في الواقع أحاول نسيان الكثير من الأشياء، بما فيها الأشياء المتعلقة بما يزيد عن عشرين عاماً.

أتعلم؟ لعلي أحاول النسيان، لكنني ما زلت أتذكّر الكثير. أعتقد أن هذا يحدث معنا جميعاً عندما نركّز أذهاننا كي ننسى. حتى إنني أتذكر نبأً قاله واحد من روائيي أميركا الجنوبية، أتعرفهم؟ إنهم أولئك الذين يدعون الواقعيين. لا أتذكر اسم الروائي، فهذا ليس مهماً، بل هذا النص: لم ضَع، يتحقق أول انتصار لنا عندما نمسك بقطعة ما من العالم، عادةً تكون أصابع أمهاتنا. لكننا نكتشف لاحقاً أن العالم، وأشياء العالم هي التي تمسك بنا، وهذا ما كانت تفعله طوال الوقت. بورغيس؟ أجل، ربما يكون بورغيس، أو لعله ماركيز. هذا ما لا أتذكره. أعرف فقط أنني جعلت مكيفها يعمل، وعندما بدأ الهواء البارد يتدفق منه، أشرق وجهها بأكمله. وأعرف أن تلك الفكرة التي تتحدث عن تحول الإدراك صحيحة أيضاً، حيث يأتي يوم ندرك فيه أن الأشياء التي كنا نعتقد أننا نمسك بها هي التي تمسك بنا في واقع الأمر. إنّها تبقينا أسرى (لا بد أن ثورو كان يفكّر على هذا النحو) لكنها تبقينا ثابتين. هذه هي المقايضة. على أي حال، وبصرف النظر عما كان ثورو يفكّر فيه، فإنني أعتقد أنها مقايضة عادلة إلى حد كبير، أو اعتقدتُ ذلك حينئذ؛ لست متأكداً.

وأعرف أن هذه الأشياء حدثت في أواخر آب من العام 2002، بعد أقل من عام على سقوط قطعة من السماء وتغيُّر كل شيء بالنسبة إلينا جميعاً.

ذات عصر، بعد أسبوع تقريباً على ارتداء السير سكوت ستالي درعه السامرية وخوضه معركته المظفرة مع مكيِّف الهواء المخيف، ذهبتُ في جولة المشي بعد الظهر إلى مكتبة ستابلز في الشارع 83 لشراء مجموعة من الأقراص المرنة ورزمة أوراق للكتابة. كنت مديناً لشخص ما بأربعين صفحة حول خلفية تطوير كاميرات البولارويد (وهي قصة ممتعة أكثر مما قد تظن). عندما عدت إلى شقتي، وجدت نظارة ذات إطار أحمر وعدستين مميزتين للغاية على الطاولة الصغيرة في المدخل حيث أحتفظ بالفواتير واجبة الدفع، وشيكات دعاوى التأمين، وإشعارات التأخر عن تسليم الكتب، وأشياء من هذا القبيل. عرفت النظارة على الفور، وخارت قواي. لم أسقط، لكنني أسقطت ما كنت أحمله على الأرض واستندت إلى جانب الباب؛ محاولاً التقاط أنفاسي دون أن أبعد عينيَّ عن النظارة. لو لم يكن هناك شيء لأستند إليه، لربما سقطت مثل عذراء في رواية فيكتورية؛ واحدة من تلك الروايات التي يظهر فيها مصاص الدماء المتلهف في منتصف الليل تماماً.

غمرتني موجتان شعوريتان مرتبطتان ولكنهما مختلفتان في الوقت عينه. الموجة الأولى هي ذاك الشعور الفظيع بالخجل الذي ينتابك عندما تعرف أنك ستُضبَط وأنت تقوم بتصرّف لن تستطيع أبداً تفسيره. الذكرى التي تخطر في ذهني بهذا الخصوص حدثت معي - أو كادت أن تحدث - عندما كنت في السادسة عشرة.

كانت أمي وأختي قد ذهبتا للتسوق في بورتلاند وأصبح المنزل لي وحدي - كما يُفترَض - حتى المساء. كنت مستلقياً على سريري عارياً،

وكان السرير مفروشاً بصور قَصَصْتُها من مجلات وجدتها في مؤخر الدراج؛ في مخبأ مالك المنزل السابق على الأرجح. سمعت صوت دوش عجلات سيارة تدخل الشارع الفرعي الخاص بمنزلنا. لم أكن لأخطئ في تميز صوت ذلك المحرك، إنها أمي وأختي. كانت بيغ مصابة بالإنفلونزا وبدأت تتقيأ خارج النافذة. لقد وصلتا إلى بولاند سبرينغس ثم عادتا أدراجهما.

نظرت إلى الصور المبعثرة فوق سريري، وثيابي المبعثرة على الأرض، وأذكر كيف تسرَّبت قواي من جسدي وحلّ محلها شعور بالخواء. كانت أمي تصرخ: "سكوت، سكوت، انزل وساعدني، أختك إنها مريضة". وأذكر أنني كنت أفكر: "ما الفائدة؟ لقد انكشف أمري. ربما سأتقبل الوضع. لقد انكشف أمري، وسيكون الشيء الأول الذي يخطر في ذهنيهما بشأني لبقية حياتي هو: سكوت المتعري".

ولكن، في أغلب الأحيان، ينبثق دافع قوي للنجاة في نفس المرء في لحظات كهذه. وهذا ما حدث لي. قد أنزل - فكَّرت حينئذ - لكنني لن أفعل ذلك قبل محاولة إنقاذ كرامتي. وهكذا، رميت الصور تحت السرير، ثم ارتديت ثيابي بسرعة فائقة، وفي غضون ذلك لم يغب عن ذهني مطلقاً برنامج اللعبة المجنونة الذي كنت معتاداً على مشاهدته، "اهزم الساعة".

أتذكّر كيف لمسَتْ أمي وجنتي المحمرَّة عندما نزلتُ، والقلق الحنون يبدو في عينيها عندما قالت: "ربما ستمرض أنت أيضاً".

قلت بفرح: "ربما". كان هذا قبل نصف ساعة من اكتشافي أنني نسيت رفع سحّاب سروالي. لحسن الحظ، لم تلاحظ بيغ وأمي ذلك. ولكن، في أي مناسبة أخرى، كانت ستسألني إحداهما حتماً إنْ كنت أملك رخصة لبيع النقانق (كان هذا ما يمكن تشبيهه بالمزاح الحذق في البيت الذي نشأت فيه). في ذلك اليوم، كانت إحداهما مريضة جداً والأخرى قلقة جداً، حيث لم تكونا قادرتين على المزاح الحذق. وهكذا

نجوت على جميع الأصعدة.

يا لحسن حظي!

ما أعقبَ تلك الموجة الشعورية الأولى التي اجتاحتني في شقتي في ذلك اليوم من شهر آب كان أبسط بكثير. اعتقدت أنني بدأت أفقد عقلي، لأن تلك النظارة لا يمكن أن تكون موجودة هناك. لا يمكن أبداً. فذلك مستحيل.

ثم رفعت عينيّ ورأيت شيئاً آخر لم يكن موجوداً بكل تأكيد في شقتي عندما غادرت متوجهاً إلى مكتبة ستابلز قبل نصف ساعة (وقفلت الباب خلفي، كما أفعل دائماً). كان هناك مضرب بيسبول مستند إلى الجدار في الزاوية بين المطبخ الصغير وغرفة المعيشة. هيليريتش اند برادسبي، بحسب بطاقة التعريف الملصقة عليه. ومع أنني لم أكن قادراً على رؤية الجانب الآخر، إلا أنني كنت أعرف تماماً ما هو مكتوب هناك مُقيِّم ادعاء التأمين، والكلمات محفورة في الخشب بواسطة رأس أداة لحام وملوّنة بالأزرق الغامق.

وهناك شعور آخر اجتاحني؛ شعور ثالث. كان نوعاً من الخوف السريالي. فعلى الرغم من أنني لا أؤمن بالأشباح، إلا أنني واثق بأنني بدوت في تلك اللحظة كما لو أنني رأيت شبحاً.

شعرتُ بذلك أيضاً لأن تلك النظارة كان يجب أن تكون مختفية منذ وقت طويل، كما تقول فرقة ديكسي تشيكس. مُقيِّم التأمين للاعب كرة القاعدة ديتو كليف فاريل. (كان كليف يقول أحياناً وهو يلوّح بالمضرب من فوق رأسه أمام طاولة المكتب: "كرة القاعدة كانت جيدة جداً جداً معي، أما التأمين فكان سيئاً جداً جداً").

فعلتُ الشيء الوحيد الذي استطعت التفكير فيه، وهو الإمساك بنظارة سونجا داميكو والهرولة نحو المصعد ثانيةً؛ ممسكاً بها أمامي بعيداً

من جسدي، كما تمسك شيئاً مقرفاً تجده على أرض شقتك بعد غياب أسبوع في إجازة؛ كقطعة طعام متعفنة أو جثة فأر مسموم. وجدت نفسي أتذكر الحديث الذي دار بيني وبين شخص يُدعى وارين أندرسون حول سونجا. لا بد أنها بدت وكأنها كانت تعتقد أنها ستظهر مجدداً وتطلب كوكا كولا من شخص ما، هذا ما فكّرت فيه عندما أخبرني بما رآه. كنا نتحدث ونحن نحتسي بعض كؤوس الشراب في مقهى بلارني ستون الواقع على طريق ثيرد آفينيو، بعد ستة أسابيع على سقوط السماء؛ بعد أن شربنا نخب كوننا لا نزال على قيد الحياة.

أشياء كهذه لها طريقتها في الالتصاق، سواء أكنت تريد ذلك لم ترد؛ مثل عبارة موسيقية أو لازمة تافهة في أغنية رائجة لا تستطيع إزالتها من عقلك. تستيقظ في الثالثة صباحاً لتبول، وبينما أنت واقف قرب المرحاض، وذهنك صاحٍ بنسبة عشرة بالمائة تقريباً، إذا بها تعود إليك: لا بد أنها بدت وكأنها كانت تعتقد أنها ستأتي مجدداً وتطلب كوكا كولا من شخص ما. في نقطة ما خلال الحديث، سألني وارين إن كنت أذكر نظارتها المضحكة، فقلت: أجل. بالتأكيد كنت أذكر.

في الأسفل، تحتي بأربعة طوابق، كان بيدرو البوّاب يقف في ظل المظلة ويتحدث مع رافي عامل التوصيل في شركة فيديكس. كان بيدرو صارماً جداً في ما يتعلق بالسماح لعمال التوصيل بالوقوف أمام المبنى (لديه نظام سبع دقائق، وساعة جيب لتطبيق هذا النظام، وجميع رجال شرطة المنطقة كانوا أصدقاءه) إلا مع رافي، حيث كانا في بعض الأحيان يقفان هناك لمدة عشرين دقيقة أو أكثر، ويتبادلان الأحاديث النيويوركية المعتادة. هل كانا يتحدثان عن السياسة أم كرة القاعدة أم الدين وفقاً لهنري ديفيد ثورو؟ لم أكن أعلم، ولم أكن أقل اكتراثاً مما كنت عليه في ذلك اليوم. كانا موجودين هناك عندما صعدت حاملاً حاجيات

مكتبي، وكانا لا يزالان هناك عندما نزل سكوت ستالي - الأقل هنا، بما لا يقاس - إلى الأسفل مجدداً. سكوت ستالي الذي اكتشف فجوة صغيرة - ولكن ملحوظة - في عمود الواقع. مجرد وجودهما هناك كان كافياً بالنسبة إليّ. مشيت نحوهما ومددت يدي اليمنى - اليد التي تحمل النظارة - نحو بيدرو. ومن دون استئذان، سألته: "ماذا تسمّي هذه؟".

رمقني بنظرة محدِّقة مفكِّرة ثم قال: "إنني متفاجئ من فظاظتك يا سيد ستالي، متفاجئ حقاً". ثم نظر إلى يدي، ولعدة لحظات بدت دهراً بالنسبة إليّ لم يقل شيئاً، فتملَّكتني فكرة مرعبة: إنه لم يرَ شيئاً لأنه لم يكن هناك أي شيء ليراه. لم يكن هناك شيء غير يدي الممدودة فقط، وكأنه يوم ثلاثاء التغيير الكلي (*Turnabout Teusday*) وكنت أتوقَّع منه أن يعطيني بقشيشاً. كانت يدي فارغة. لا بد أنها كانت فارغة، لأن نظارة سونجا داميكو لم تعد موجودة. نظارة سونجا المضحكة اختفت منذ زمن طويل.

وأخيراً، قال بيدرو: "إنني أسميها نظارة يا سيد ستالي. ماذا سأسميها غير ذلك؟ أو هل هذا نوع من الأسئلة المخادعة؟".

أخذ رافي موظف التوصيل - الأشد اهتماماً بكل وضوح - النظارة من يدي، فغمرني شعور بالارتياح لدى رؤيتي إياه وهو يحمل النظارة في يده وينظر إليها، بل يكاد يتفحصها، وكان يشبه الشعور الذي ينتابك عندما يحك لك شخص ما المكان الصحيح الذي تشعر فيه بالحكاك بين لوحي كتفيك. خرجَ من تحت المظلة ورفعها في ضوء النهار فومضت نجمة في كلٍّ من عدستيها المصممتين على شكل قلبين.

وفي النهاية قال: "إنها تشبه النظارة التي كانت الفتاة الصغيرة في ذلك الفيلم المثير مع جيريمي آيرونز تضعها".

ابتسمتُ ابتسامة عريضة رغم كربي. في نيويورك، عمال التوصيل نقاد أديبون. وهذا أحد الأشياء التي أحبها في المدينة.

"هذا صحيح، لوليتا". قلت له بينما كنت أسترد النظارة. "لكن النظارة المصممة على شكل قلب ظهرت فقط في النسخة التي أخرجها ستانلي كوبريك. في ذلك الحين، لم يكن جيريمي آيرونز سوى متسكّع". هذه الإضافة الأخيرة لم تكن منطقية (حتى بالنسبة إليّ) لكنني لم أكترث لذلك قطّ.

سألني رافي: "من لعب دور المنحرف في ذلك الفيلم؟".

هززت رأسي قائلاً: "سأكون ملعوناً إن كان بوسعي التذكُّر الآن".

قال بيدرو: "إذا لم تمانع قولي هذا، تبدو شاحباً بعض الشيء يا سيد ستانلي. هل أنت مريض؟ هل أنت مصاب بإنفلونزا ربّما؟".

لا، المصابة بالإنفلونزا كانت أختي - فكّرت في أن أقول - في ذلك اليوم الذي كدت أن أضبَط فيه وأنا عارٍ بينما كنت أنظر إلى صورة ملكة جمال نيسان. لكنني لم أضبَط. ليس حينئذ، ولا في 11/9 أيضاً. لقد صدعتكم، هزمت الساعة مجدداً. لم يكن باستطاعتي أن أتحدث نيابةً عن داربن أندرسون الذي أخبرني في مقهى بلارني ستون أنه توقف في الطابق الثالث في ذلك الصباح للتحدث مع صديق له حول فريق يانكيز، لكن الإفلات أصبح إلى حد ما واحداً من تخصصاتي.

قلت لبيدرو: "أنا بخير". ولكن، رغم أن هذا غير صحيح، إلا أن معرفتي بأنني لم أكن الشخص الوحيد الذي يرى أن نظارة سونجا المضحكة موجودة في الواقع جعلتني أشعر بأنني أفضل حالاً. وإذا كانت النظارة موجودة في العالم، فمن الممكن أن يكون مضرب كليف فاريل موجوداً أيضاً.

قال رافي بصوت قلق: "هل هذه هي تلك النظارة؟ النظارة من فيلم لوليتا الأول؟".

"لا". قلت بينما كنت أطوي القوسين خلف عدستيها قلبيتي الشكل. وفي تلك اللحظات، تذكّرت اسم الفتاة في نسخة كوبريك من

الفيلم – سو ليون – ولكن كنت لا أزال غير قادر على تذكُّر اسم الذي لعب دور المنحرف. "إنها مجرد تقليد لها".

قال رافي: "هل ثمة شيء خاص بشأنها؟ وهل هو الذي دفعك للنزول مسرعاً إلى هنا؟".

"لا أعرف. شخص ما تركها في شقتي".

صعدت إلى الشقة قبل أن يطرحا علي المزيد من الأسئلة، ورحت أبحث فيها آملاً ألا أجد شيئاً آخر. بيد أنني وجدت أشياء. فبالإضافة إلى النظارة ومضرب كرة القاعدة الذي حُفرت على جانبه كلمات "مُقيِّم ادعاء التأمين"، وجدت وسادة إطلاق الريح، وصَدَفة قوقعة بحرية، وبنساً فولاذياً معلّقاً في مكعب أكريليكي، وفطراً مصنوعاً من السيراميك (لونه أحمر ومنقّط بالأبيض) وأليس جالسة عليه. كانت وسادة إطلاق الريح تخص جيمي إيغلتون، وكانت تنال قسطاً وافراً من اللعب كل عام في حفلة الكريسماس. وأليس السيراميكية كانت موجودة على طاولة مكتب مورين هانون؛ إنها هدية من حفيدتها حسبما أخبرتني ذات يوم. كانت مورين تملك أجمل شعر أبيض على الإطلاق، وكانت تبقيه طويلاً، حتى خصرها. نادراً ما تشاهد ذلك في موقع عمل، لكنها أمضت مع الشركة أربعين عاماً تقريباً، وكانت تشعر أن بوسعها الإبقاء على شعرها كما تحب. أذكر صدَفة القوقعة والبنس الفولاذي جيداً، لكنني لا أذكر في مقصورة عمل (أو مكتب) مَنْ كانا موجودين. قد أتذكر لاحقاً، وقد لا أتذكر، إذ كان هناك الكثير من مقصورات العمل (والمكاتب) في شركة لايت آند بل إنشوررز.

القوقعة والفطر والمكعب الأكريليكي كانت موجودة على طاولة القهوة في غرفة معيشتي، متجمعة في كومة مرتبة. في حين أن وسادة إطلاق الريح كانت مستلقية – بصورة مناسبة تماماً، باعتقادي – على قمة خزان مرحاضي، إلى جانب الإصدار الأخير من نشرة أخبار التأمين

الزراعي لشركة سينك. كان التأمين الزراعي تخصصي؛ أظن أنني أخبرتك بذلك سابقاً. كنت أعرف جميع الاحتمالات.

ما هي هذه الاحتمالات؟

عندما تصادف مشكلة ما في حياتك وتكون بحاجة للتحدث حولها، أعتقد أن الاندفاع الأول الذي يتولّد عند معظم الناس هو الاتصال بفرد من العائلة. لكن هذا لم يكن يصلح كخيار بالنسبة إليّ، فوالدي هرب منذ أن كنت في الثانية وأختي في الرابعة. وأمي التي لم تكن من الأشخاص الذين يهربون من مسؤولياتهم تأقلمت مع الوضع بسرعة، وأعالتنا كلينا من خلال تحويل منزلنا إلى مركز معلومات للبيع والشراء عبر البريد. أعتقد أن هذا العمل كان من ابتكارها، وأنها كانت تكسب منه دخلاً جيداً (باستثناء السنة الأولى التي كانت مخيفة حقاً، حسبما أخبرتني لاحقاً). بيد أنها كانت تدخّن مثل مدخنة؛ الأمر الذي أدى إلى وفاتها بسرطان الرئة في عمر الثامنة والأربعين، قبل ست سنوات أو ثماني سنوات من احتمال أن يجعلها الإنترنت مليونيرة "دوت كوم".

وكانت أختي بيغ تعيش في كليفلاند، حيث كانت تهتم بمواد تجميل ماري كاي، والهنود، والديانة المسيحية؛ ليس بالضرورة بهذا الترتيب. وإذا اتصلتُ ببيغ وأخبرتها عن الأشياء التي وجدتها في شقتي، فإنها كانت ستقترح علي الركوع والتضرّع لأكون مؤمناً صالحاً. بيد أنني لم أكن أشعر أن ذلك سيساعدني، سواء أكان اعتقادي هذا صحيحاً أم لا.

ومع أنني كنت مزوداً بعدد قياسي من العمّات والخالات والأعمام والأخوال وأولادهم، إلا أن معظمهم كانوا يعيشون غرب المسيسيبي، ولم أرَ أياً منهم منذ سنوات. وبالنسبة إلى آل كيليان (جانب أمي من العائلة) فإنهم لم يكونوا يوماً من النوع الذي يحب لمّ الشمل، حيث كان إرسال بطاقة في ذكرى ميلاد واحد منا، وفي الخامس والعشرين من

ديسمبر يُعتبَر كافياً لأداء واجباتهم العائلية. وإذا أرسلوا بطاقة في مناسبة أخرى فيعتبر ذلك بمثابة إكرامية. وعندما كنت أتصل بأختي في الخامس والعشرين من ديسمبر أو تتصل هي بي، كنا نقول الكلامِ الفارغ الاعتيادي نفسه حول الاجتماع في "وقت قريب" قبل أن نعيد سماعتي هاتفينا إلى مكانيهما مع شعور متبادل بالراحة؛ كما أتخيَّل.

والخيار التالي بالنسبة إليك عندما تكون في مشكلة هو دعوة صديق حميم لشرب كأس في الخارج وشرح الوضع له، ومن ثم طلب النصيحة منه. غير أنني كنت طفلاً خجولاً كبُر وأصبح رجلاً خجولاً، وفي عملي البحثي الحالي، أنا أعمل وحدي (بتفضيل مني) ولهذا السبب ليس لدي زملاء يمكن أن يصبحوا لاحقاً أصدقاء. لقد اكتسبت بضعة أصدقاء في عملي الأخير – منهم سونجا وكليف فاريل – لكنهم ماتوا بالطبع.

فكَّرت في أنني إذا لم أكن أملك صديقاً حميماً أتحدث معه، فإن أفضل خيار بالنسبة إليّ يتمثل في استئجار صديق. بالتأكيد كان باستطاعتي دفع تكاليف علاج صغير، حيث بدا لي أن بضع جلسات على أريكة معالج نفسي (أربع جلسات ربما) ستكون كافية لشرح ما حدث وللتعبير عن الشعور الذي ولّده في داخلي. كم ستكلّفني أربع جلسات؟ ستمائة دولار أو ثمانمائة؟ كان هذا باعتقادي ثمناً عادلاً للحصول على بعض الراحة. وفكَّرت أيضاً في أنه ستكون هناك فائدة إضافية. فأي غريب غير مبالٍ قد يكون بمقدوره إيجاد تفسير بسيط ومنطقي كان ببساطة غائباً عني بالنسبة إلى عقلي، كان الباب الموصَد بين شقتي والعالم الخارجي يُبطل معظم تلك الخيارات، لكنه عقلي في نهاية المطاف. أليس هذا هو لب الموضوع؟ وربما المشكلة؟

لقد خططت لكل شيء. خلال الجلسة الأولى سأشرح ما حدث، وفي الثانية سأتطرق إلى الأشياء موضوع المشكلة: النظارة، المكعب

الأدريليكي، مضرب كرة القاعدة، القطر السيراميكي، وسادة إطلاق
الـ بح المحجوبة دائماً. حصة "اعرضْ واشرحْ" صغيرة كما في المدرسة
الابتدائية. وبعد ذلك، تبقى جلستان لتتمكّن خلالهما - صديقي المتأجّر
أنا - من إيجاد سبب هذا الانحراف المقلق في محور حياتي، وإعادة
ـنهم الأمور من جديد.

غير أن قضاء فترة بعد ظهر واحدة في تقليب الصفحات الصفراء
والاتصال هاتفياً كان كافياً لي لإثبات أن فكرة العلاج النفسي لم تكن
قابلة للتنفيذ واقعياً؛ مهما كانت تبدو جيدة نظرياً. وأقرب نقطة بلغتها في
تحديد موعد حقيقي هي عندما أخبرتني موظفة استقبال أن الدكتور جوس
ـد يكون قادراً على رؤيتي في كانون الثاني القادم. كما ألمحَتْ أيضاً إلى
أن هذا العلاج قد يكوناً مضغوطاً. أما بقية المحاولات فكانت بلا أمل
على الإطلاق. جرّبت ستة معالجين نفسيين في نيوارك، وأربعة في وايت
بلير، ومنوّماً مغناطيسياً في كوينز؛ لكن النتيجة كانت واحدة. قد يكون
محمد عطا وفريقه الانتحاري قد تركوا أثراً سيئاً جداً جداً على مدينة
نيويورك (بدون ذكر الأثر السيئ على عمل التام - يين)، ولكن، كما
تبيّن لي من ذلك العصر غير المثمر على الهاتف، فإن تأثيرهم كان عظيماً
بالنسبة إلى مهنة الطب النفسي؛ أكثر مما يمكن أن يرجوه الأطباء النفسيون
أنفسهم في ظرف آخر. إذا أردتَ أن تستلقي على أريكة طبيب نفسي في
صيف 2002، يتوجب عليك أخذ رقم والانتظار في الصف.

كان بوسعي النوم بوجود تلك الأشياء في شقتي، ولكن ليس بشكل
جيد؛ فقد كانت تهمس لي. كنت أستلقي في سريري، أحياناً حتى الثانية
صباحاً، وأنا أفكّر في مورين هانون التي كانت تشعر بأنها بلغت سناً (دون
قدر مستوى من الأهمية) تمكّنها من الحفاظ على شعرها، الطويل إلى حد
يثير الذهول، بالطريقة التي تحبها. أو كنت أتذكّر الأشخاص الذين تجوّلوا

في حفلة الخامس والعشرين من ديسمبر ملوّحين بوسادة إيغلتون الشهيرة الخاصة بإطلاق الريح. كانت لعبة مفضّلة جداً - ربما ذكرت ذلك آنفاً عندما يصبح الناس على بُعد بضع ساعات من بدء السنة الجديدة. أتذكر بروس ماسون وهو يسألني عمّا إذا كانت حقيبة حقنة شرجية للعفاريت وبعملية ربط للأفكار تذكّرت أن صَدَفة القوقعة كانت له. بالتأكيد. بروس ماسون، ملك الذباب. وبعد خطوة واحدة، على سلّم السلسلة الغذائية الترابطية وجدت اسم جيمس ماسون الذي لعب دور هامبرت هامبرت عندما كان جيريمي آيرونز مجرد متسكع، كما تذكرت ملامح وجهه. إن الذهن قرد محتال، في بعض الأحيان يأخذ الموزة، وفي أحيان أخرى لا يأخذها. وهذا هو سبب أخذي للنظارة إلى الأسفل. كنت أريد إثباتاً فقط هناك قصيدة لجورج سيفريس تقول: هل هذه أصوات أصدقائنا الموتى، أم إنه صوت جهاز تشغيل الأسطوانات فقط؟ أحياناً، يكون هذا السؤال وجيهاً. فهو سؤال يجب أن تطرحه على شخص آخر.

ذات يوم، في أواخر الثمانينيات، قبل مدة قصيرة من نهاية علاقة حميمة مع الشراب دامت ستين، استيقظت في غرفة المكتب بعد غفوة قصيرة على الطاولة في منتصف الليل. مشيت مترنحاً نحو غرفة نومي، وهناك رأيت - عندما كنت أمد يدي إلى مفتاح المصباح الكهربائي شخصاً يتحرك في الغرفة. على الفور خطرت لي فكرة وجود لص مدمن على المخدرات يحمل مسدساً رخيصاً لمكتب رهونات في يده المرتعشة، فكاد قلبي يخرج من صدري. أشعلت المصباح بإحدى يديّ فيما كنت أتلمس باحثاً عن أي شيء ثقيل فوق خزانة البياضات باليد الأخرى - أي شيء، حتى الإطار الفضي الذي يحمل صورة أمي يمكن أن يفيد - عندما أدركت أن المجرم هو أنا. كنت أحدّق بعينين مرعوبتين إلى نفسي في المرآة الموجودة على الجانب الآخر من الغرفة. كان نصف قميصي خارج سروالي، وشعري واقفاً من الخلف. شعرت بالاشمئزاز

ادى رؤيتي نفسي، ولكن بالارتياح في الوقت نفسه.

كنت أريد أن يكون الوضع الآن مثل ذاك. كنت أريده أن يكون صورة منعكسة على المرآة، أو صوتاً يكرره جهاز تشغيل الأسطوانات، أو شخصاً يمزح معي مزحة شريرة (لعل من يفعل ذلك كان شخصاً يعرف سبب عدم وجودي في مكتبي في ذلك اليوم من أيلول). لكنني كنت أعرف أن هذا ليس صحيحاً. كانت وسادة إطلاق الريح موجودة فعلاً، كانت ضيفاً حقيقياً في شقتي. وكان بوسعي تمرير إصبعي على حذاء الهر السيراميكي، وعلى شعرها الأصفر السيراميكي أيضاً. وكنت أستطيع رؤية التاريخ على البنس داخل المكعب الأكريليكي.

أخذ بروس ماسون - الملقَّب برجل القوقعة - وملك الذباب - صدفته الوردية الكبيرة إلى حفلة الشركة الصاخبة على شاطئ جونز بيتش ذات تموز، ونفخ فيها داعياً الناس لتناول غداء مكون من النقانق والبرغر في جوٍّ مرح، ثم حاول تعليم فريدي لاوندس كيف يفعل ذلك، لكن فريدي لم يستطع إصدار سوى سلسلة من التزميرات الضعيفة الشبيهة... في الواقع، كانت شبيهة بما تصدره وسادة إطلاق الريح الخاصة بجيمي ايملتون. وراح الجميع يتناقلون هذه القصة. وفي النهاية، كل سلسلة ترابطية تشكل عِقداً.

في أواخر أيلول، خطرت لي فكرة لامعة، واحدة من تلك الأفكار التي تجعلك تتساءل عن سبب عدم تفكيرك فيها من قبل. لماذا أحتفظ بهذه الأشياء التافهة في كل الأحوال؟ لماذا لا أتخلص منها؟ فهي لم تكن موجودة كأمانة لدي، ولن يعود الناس الذين كانوا يمتلكونها في أي وقت لاحق ليستردوها. آخر مرة رأيت فيها وجه كليف فاريل كانت في إحدى الصور وآخر تلك الصور مُزِّقت في تشرين الثاني 2001، وذلك لأنه كان ثمة شعور عام (وإن لم يكن يُفصَح عنه) بأن هذه الأشياء التقديرية

كانت تزعج السياح الذين بدأوا يعودون إلى مدينة المرح. صحيح أن ما حدث كان فظيعاً – هذا ما قاله جميع النيويوركيين – لكن أميركا لا تزال موجودة، أما ماثيو بروديريك فسيبقى موجوداً في فيلم ذي بروديوسير لفترة طويلة جداً.

في تلك الليلة، كنت قد جلبت وجبة صينية من مكان أحبه على بعد شارعين مني. وكنت أنوي أكلها كما آكل عادةً وجبتي المسائية؛ وأنا أشاهد تشاك سكاربورو يفسّر العالم لي. كنت أهمُّ بتشغيل التلفزيون عندما خطرت لي تلك الفكرة اللامعة. لم تكن تذكارات آخر يوم أمس عهدةً لدي، ولا أدلة إثبات. لقد وقعت جريمة، صحيح – الجميع يقر بذلك – لكن المرتكبين ماتوا جميعاً، وأولئك الذين أرسلوهم في طريقهم المجنون ذاك ملاحَقون. قد تجري محاكمات في يوم ما، لكن سكوت ستالي لن يُستدعَى إلى منصة الشهود، ولن تكون وسادة إطلاق الريح الخاصة بجيمي إيغلتون دليل إثبات أساسيًّا في أي يوم من الأيام.

تركتُ دجاجة تسو جنرال جالسةً على طاولة مطبخي، وكان غلافها لا يزال يغطّي صحنها المصنوع من الألمنيوم، وجلبت كيس غسيل من الرف الموجود فوق غسالتي نادرة الاستخدام، ووضعت الأشياء فيه (بينما كنت أكدسها في الكيس، لم أصدق كم كانت خفيفة الوزن، وكم انتظرت لفعل هذا الشيء البسيط)، ثم نزلت بالمصعد واضعاً الكيس بين قدمي. مشيت نحو الزاوية الواقعة بين الشارع 75 والحديقة، وتلفتُّ حولي لأتأكد من أن أحداً لم يكن يراقبني (الله وحده يعلم لماذا كنت أتصرف بهذه السرِّية)، ثم وضعت القمامة في مكانها. ألقيت نظرة واحدة إلى الخلف بينما كنت أمشي مبتعداً عنها. كان مقبض المضرب بارزاً بشكل مغرٍ من الحاوية. لم أكن أشك في أن شخصاً ما سيأتي ويأخذه. وربما قبل أن يفسح تشاك سكاربورو المجال لجون سايجنتالر أو أي شخص يمكن أن يحل محل توم بروكاو في ذلك المساء.

في طريق عودتي إلى الشقة، توقفت عند مطعم فان تشوي لأشتري ماجة تسو جنرال جديدة. سألتني روز مينغ، عاملة الصندوق، بنبرة قلقة بعض الشيء: "ألم تكن الأخيرة جيدة؟ أيمكنك أن تخبرني عن السبب؟".

"لا، آخر واحدة كانت ممتازة، لكنني أشعر الليلة بأنني أرغب في اثنين". ضحكت مينغ كما لو أنها لم تسمع في حياتها شيئاً طريفاً مثل ما سمعته للتو، وضحكت أنا أيضاً، وبشدة. لم أستطع أن أتذكر متى كانت آخر مرة ضحكت فيها بهذه العفوية وهذا الصوت العالي. بالتأكيد ليس منذ سقوط لايت آند بل إنشوررز على الشارع الغربي.

ركبت المصعد وصعدت إلى الطابق الرابع، ومشيت الخطوات الاثنتي عشرة إلى الشقة 4-B. كنت أشعر كما يشعر - حسب ظني - الأشخاص المصابون بمرض شديد عندما يستيقظون ذات يوم ويقيّمون أنفسهم في ضوء الصباح ويكتشفون أن الحمّى قد زالت. وضعت كيس الوجبة تحت إبطي الأيسر (حركة خرقاء لكنها ناجعة على المدى القصير) وفتحت الباب. أشعلت الضوء، فإذا بي أرى، هناك على الطاولة الصغيرة، حيث أترك الفواتير واجبة الدفع، وشيكات دعاوى التأمين، وإشعارات التأخر عن تسليم الكتب، رأيتُ نظارة سونجا داميكو المضحكة، النظارة ذات الإطار الأحمر والعدستين المصممتين على شكل قلبين. سونجا داميكو التي - بحسب وارين أندرسون (الذي كان - على حد علمي - الناجي الوحيد من بين موظفي شركة لايت آند بل إنشوررز المتواجدين هناك) - قفزتْ من الطابق المائة وعشرة في المبنى المستهدف.

ادّعى أنه شاهد صورةً التُقطت لها عندما قفزت، وفيها كانت سونجا تثبت تنورتها بيديها خشية أن تكشف عن فخذيها، وكان شعرها واقفاً خلفه الدخان وزرقة سماء ذلك اليوم، كما كان كعبا حذائها الرفيعان متجهين نحو الأسفل. جعلني الوصف أفكر في قصيدة "السقوط" التي كتبها جيمس ديكي حول مضيفة الطيران التي تحاول توجيه جسدها

الساقط نحو الماء، كما لو أنها ستتمكن من الخروج ميتةً، وهي تنفض قطرات الماء عن شعرها، وتطلب كوكا كولا.

"لقد تقيأتُ". قال لي وارين في ذلك اليوم في مقهى بلارني ستون. "لن أنظر إلى صورة مثلها ثانيةً يا سكوت، لكنني أعرف أنني لن أنساها ما حييت. يمكنك رؤية وجهها، وأنا أظن أنها كانت تعتقد أنها بطريقة ما... أجل، أنها بطريقة ما سوف تكون بخير".

لم أصرخ منذ أن بلغت سن الرشد لكنني كدت أن أفعل ذلك عندما نظرت عبر عدستي نظارة سونجا إلى مضرب مقيِّم التأمين كليف فاريل الذي كان مرة أخرى مستنداً بلا مبالاة في الزاوية بجانب المدخل المفضي إلى غرفة المعيشة. لا بد أن جزءاً مني تذكَّر أن باب الشقة كان لا يزال مفتوحاً، وأن جاريَّ في الطابق الرابع سيسمعانني حتماً إذا صرخت، وعندئذ سوف أضطرّ - كما يُقال - لتقديم تفسير ما.

وضعت يدي على فمي وأبقيته مقفلاً، فسقط كيس دجاجة تسو جنرال على الأرض الخشبية الصلبة للمدخل وانفتح. بالكاد أرغمت نفسي على النظر إلى الفوضى الناجمة. كان من الممكن أن تكون قطع اللحم الداكنة تلك أي شيء آخر.

سقطتُ على الكرسي الوحيد في المدخل، ووضعت رأسي بين يديّ. لم أصرخ ولم أبكِ، وبعد فترة أصبحت قادراً على تنظيف الفوضى. ظل ذهني يحاول الذهاب إلى الأشياء التي سبقتني حينما كنت عائداً من المطعم الواقع بين الشارع 75 والحديقة، لكنني لم أسمح له بذلك. كلما حاول الذهاب في ذلك الاتجاه، كنت أشد لجامه وأجبره على الابتعاد مجدداً.

في تلك الليلة، أصغيت إلى المحادثات بينما كانت مستلقياً في السرير. تحدَّثَتِ الأشياء في البداية (بأصوات منخفضة)، ومن ثم رذ

الأشخاص الذين كانوا يمتلكونها (بأصوات أعلى بقليل). تحدثوا حول النزهة على شاطئ جونز بيتش، وحول رائحة جوز الهند الصادرة عن محلول تسمير البشرة، وعن لاو بيغا الذي كان يغني "مامبو نمبر فايف" مرة بعد مرة من مسجلة ميشا بريزينسكي المحمولة. كما تحدثوا عن أطباق الفريسبي الطائرة والكلاب التي كانت تطاردها، وعن الأطفال الذين كانوا يلهون فوق الرمال الرطبة، وكيف كانت سراويلهم القصيرة وبزاتهم الخاصة بالسباحة مرتخية من الخلف، وعن الأمهات اللواتي كانت يرتدين ثياب سباحة انتُقيت من كاتالوغ لاندس إند، ويضعن مادة واقية بيضاء على أنوفهن. كم عدد الأطفال الذين فَقَدوا في ذلك اليوم أمّاً حامية أو أباً يرمي قرص فريسبي؟ يا الله! لم تكن تلك مسألة حسابية لم يكن بوسعي حلّها، لكن الأصوات التي كنت أستمع إليها في شقتي كانت تريد بالفعل القيام بذلك. بل فعلتْ ذلك مراراً وتكراراً.

تذكَّرت بروس ماسون وهو ينفخ في صدفته ويعلن نفسه ملكاً للذباب. كما تذكَّرت مورين هانون تخبرني ذات مرة (ليس على شاطئ جونز بيتش) أن أليس في بلاد العجائب أول رواية مُخدِّرة ومُهَلْوِسة. وتذكرت جيمي إيغلتون وهو يخبرني ذات عصر أن ابنه يعاني من عجز في التعلّم إلى جانب تلعثمه، وأن الولد سيحتاج إلى معلّم في الرياضيات وآخر في اللغة الفرنسية إذا كان سيتخرّج من المدرسة الثانوية في المستقبل المنظور. "قبل أن يصبح مؤهلاً لنيل خصم مؤسسة AARP (جمعية تهتم بمصالح كبار السن) على الكتب"، هكذا عبَّر جيمي عن الوضع. كانت وجنتاه شاحبتين، وكان شعر ذقنه ظاهراً قليلاً عليهما، وكأن شفرة الحلاقة كانت مثلّمة في ذلك الصباح.

كنت على وشك أن أغط في النوم، لكن هذه الذكرى الأخيرة أيقظتني تماماً، لأنني أدركت أن الحوار جرى قبل وقت قصير من الحادي عشر من أيلول، ربما بأيام فقط، وربما في آخر يوم جمعة قبل

ذلك التاريخ، آخر يوم رأيت فيه جيمي حياً. وذاك الولد المتلعثم الذي يعاني من عجز في التعلّم، هل كان اسمه جيريمي حقاً، مثل اسم جيريمي آيرونز؟ بالتأكيد لا، لا بد أن هذه كانت لعبة من ألاعيب عقلي الصغيرة، لكنه كان قريباً من هذا الاسم بالتأكيد. ربما جيسون، أو جاستن. في ساعات الصباح الأولى يتضخم كل شيء، وأذكر أنني فكّرت في أنه لو تبيَّن حقاً أن اسم الولد كان جيريمي، فإنني ربما سأفقد عقلي. القشة التي قصمت ظهر البعير يا حبيبي.

حوالى الساعة الثالثة صباحاً، تذكرت من كان يملك المكعب الأكريليكي الذي يحوي البنس الفولاذي في داخله. إنه رولاند أبلسون، في قسم التأمين على الأضرار. كان يدعوه صندوق تقاعده. رولاند هو الذي كان معتاداً على القول: "لوسي، لديك تفسير تقدميه". ذات مساء، في خريف العام 2001، رأيت أرملته في أخبار الساعة السادسة مساء. كنت قد تحدثْتُ معها في واحدة من نزهات الشركة (على الأرجح كانت تلك النزهة على شاطئ جونز بيتش) وعندئذ قلت في نفسي إنها فاتنة، لكن الترمُّل صفّى تلك الجاذبية وغربلها محوِّلاً إياها إلى جمال قاسٍ في التقرير الإخباري، ظلّت تشير إلى زوجها بكلمة "مفقود" ولم تقل قط إنه "ميت". ولو كان حياً – لو تبيَّن لاحقاً أنه حي – فمن المؤكد أنه كان سيملك تفسيراً ليقدمه. وهي أيضاً، بدون أدنى شك، فالمرأة التي تحوّل جمالها الجذاب إلى جمال قاسٍ نتيجة جريمة جماعية لا بد أنها ستملك تفسيراً تقدّمه.

الاستلقاء في سريري والتفكير في هذه الأشياء – وتذكُّر ارتطام الموج على شاطئ جونز بيتش، وأطباق الفريسبي الطائرة تحت السماء ملأني بحزن فظيع أفرغ نفسه في النهاية بالدموع. ولكن، علي أن أعترف بأنها كانت تجربة معلِّمة. ففي تلك الليلة، أدركت أن الأشياء – حتى الصغيرة منها، مثل البنس في المكعب الأكريليكي – يمكن أن تصبح أثقل

مرور الزمن. ولكن، بما أنه ثقل الذهن، فلا توجد معادلة رياضية خاصة به، مثل تلك التي تجدها في الكتب الزرقاء لشركات التأمين، حيث يرتفع المعدل على بوليصة حياتك بأكملها بمقدار (س) إذا كنت تدخن ويرتفع معدل التغطية على مزروعاتك بمقدار (ع) إذا كانت مزرعتك تقع في منطقة إعصار. هل فهمت ما أعنيه؟

إنه ثقل الذهن.

في صباح اليوم التالي، جمعت جميع الأغراض مجدداً، ووجدت غرضاً سابعاً كان موجوداً تحت الأريكة. كان الشخص الذي يعمل في المقصورة الملاصقة لمقصورتي، ميشا بريزينسكي، يحتفظ بدميتين لبانش وجودي فوق طاولته. والدمية التي وجدتها تحت أريكتي كانت دمية بانش، أما دمية جودي فلم أجدها في أي مكان، بيد أن بانش كان كافياً بالنسبة إليّ. لقد ولّدت عيناه السوداوان المحدّقتان بين الأرانب الأشباح (*ghost bunnies*) شعوراً عميقاً بالاستياء في نفسي. أخرجتها من تحت الأريكة وكرهت طبقة الغبار التي خلّفتْها وراءها، لأن الشيء الذي يخلّف أثراً شيء حقيقي، شيء له ثقل. لا جدال في ذلك.

وضعت بانش وبقية الأغراض في خزانة الأدوات المجاورة للمطبخ، وهناك بقيت. في البداية، لم أكن متأكداً من أنها ستبقى في مكانها، لكنها بقيت.

أخبرتني أمي ذات مرة أنه إذا مسح رجل مؤخرته ورأى دماً على المناديل الورقية، فإن ردّ فعله سيتمثّل في التغوّط في الظلام طوال الأيام الثلاثين التالية وتمنّي الأفضل. لقد استخدمتْ هذا المثال لتوضّح لي اعتقادها بأن جوهر الفلسفة الذكورية هو "إذا تجاهلته، فإنه سيزول".

لقد تجاهلت الأغراض التي وجدتها في شقتي، وتمنّيت الأفضل.

في الحقيقة، تحسَّن الوضع قليلاً، إذ نادراً ما سمعت تلك الأصوات تهمس في خزانة أدواتي (إلا في وقت متأخر من الليل)، لكنني أصبحت أميل أكثر فأكثر إلى أخذ مهامي البحثية إلى خارج المنزل. وبحلول منتصف تشرين الثاني، أصبحت أقضي معظم نهاراتي في مكتبة نيويورك العامة. أنا واثق بأن الأسود اعتادت على رؤيتي هناك مع حاسوبي المحمول.

وبعد ذلك، قبل مناسبة الشكر بقليل، تصادَفَ أنني كنت خارجاً من المبنى وكانت بولا روبسون، الآنسة التي أنقذتها بواسطة الضغط على زر إعادة الضبط في جهاز تكييفها، قادمةً.

بدون أي تفكير مسبَق - لو كان لدي وقت للتفكير في الأمر، فأنا واثق بأنني ما كنت سأقول كلمة واحدة - سألتها إن كان باستطاعتي دعوتها لتناول الغداء والتحدث معها حول موضوع ما.

قلت لها: "في الحقيقة، لدي مشكلة. لعلك تستطيعين الضغط على زر إعادة الضبط لدي".

كنا في الرواق. وكان بيدرو جالساً في الزاوية، يقرأ صحيفة نيويورك بوست (ويصغي لكل كلمة نقولها - لم يكن لدي أي شك في ذلك وذلك لأن سكان المبنى كانوا بالنسبة إليه الدراما النهارية الأشد إمتاعاً في العالم بأسره). رسمتْ ابتسامة لطيفة ومتوترة في آن واحد وقالت: "أعتقد أنني مدينة لك بواحدة، ولكن... أنت تعلم أنني متزوجة، أليس كذلك؟".

"أجل". لم أضف بأنها صافحتني باليد الخطأ كي لا أغفل عن رؤية الخاتم.

هزت برأسها ثم قالت: "بالتأكيد، لا بد أنك رأيتنا معاً بضع مرات على الأقل، لكنه كان في أوروبا عندما واجهت تلك المشكلة مع المكيف، وهو الآن في أوروبا أيضاً. إدوارد، هذا اسمه. خلال السنتين المنصرمتين، أمضى من الوقت في أوروبا أكثر مما أمضاه هنا. ورغم أن

... لا يعجبني، إلا أنني متزوجة جداً". وبعد ذلك أضافت كما لو أنه أمر ... ي، "إدوارد يعمل في الاستيراد والتصدير".
وأنا كنت في التأمين، لكن الشركة انفجرت ذات يوم، هذا ما فكّرت ... قوله، لكنني في النهاية نجحت في قول شيء أكثر عقلانية.
"لا أريد موعداً يا آنسة روبيون". ليس أكثر من أنني كنت أريد ... أن تكون على أساس الاسم الأول، ولكن، هل لمحتُ ومضة ... أمل في عينيها؟ أقسم بالله، هذا ما أعتقد أنني لمحته. على أي حال، ... أقنعها كلامي على أقل تقدير. ما زلت آمناً.
وضعتْ يديها على وركيها ونظرت إلي بغضب مقلّد – أو ربما ليس ... مقلداً – وقالت: "إذاً ماذا تريد؟".
"أريد فقط شخصاً لأتحدث معه. جرّبت عدة أطباء نفسيين، ... هم... مشغولون".
"كلهم؟".
"يبدو لي ذلك".
"إذا كنت تعاني من مشكلة في حياتك الجنسية أو تشعر برغبة في التجول في أرجاء المدينة وقتل رجال يرتدون عمامات، فلا أريد أن أعرف هذا".
"لا شيء من هذا القبيل أبداً. لن أدعك تحمرّين خجلاً، أعدك". ... هذا ليس مثل القول أعدك بأنني لن أصدمك، أو لن تظني أنني مجنون. ... مجرد غداء ونصيحة صغيرة، هذا كل ما أطلبه. ماذا تقولين؟".
كنت مندهشاً – بل ومصدوماً – من قدرتي على الإقناع. لو خططتُ الحوار مسبقاً، فإن المسألة كلها كانت ستفشل على الأرجح. أعتقد أنها ... شعرت بالفضول، وأنا واثق بأنها سمعت درجة من الصدق في صوتي. لو ... ما كانت تظن أنني من النوع الذي يحب تجربة حظه في اصطياد النساء، ... لأني كنت سأفعل هذا في ذلك اليوم من آب عندما كنت معها وحدي في

شقتها، في حين كان إدوارد المراوغ في فرنسا أو ألمانيا. لكنني أتساءل كم من اليأس الحقيقي رأت في ملامح وجهي؟

على أي حال، لقد وافقتْ على تناول الغداء معي يوم الجمعة في مطعم دونالدس غريل الموجود في شارعنا نفسه، والذي ربما يكون الأقل رومانسية في مانهاتن كلها؛ الطعام جيد، الأضواء باهرة، النُدل يوضّحون لك أنهم يفضّلون أن تستعجل. لكنها فعلت ذلك بطريقة امرأة تدفع دينها واجب الدفع نسيت أن تدفعه. صحيح أن هذا لم يكن مُطرِباً تماماً، لكن كان كافياً بالنسبة إليّ. قالت إنها تفضّل منتصف الظهيرة، وإذا التقيتها في رواق المبنى، فنسير معاً إلى المطعم. قلت لها إن هذا يناسبني أيضاً.

كانت تلك الليلة جيدة بالنسبة إليّ لأنني خلدت للنوم على الفور تقريباً، ولم أحلم بسونجا داميكو وهي تسقط بجانب المبنى المحترق واضعة يديها على فخذيها، مثل مضيفة طيران تبحث عن الماء.

بينما كنا نمشي نحو المطعم في اليوم التالي، سألت بولا عن المكان الذي كانت فيه حين سمعتْ بما حصل.

قالت: "في سان فرانسيسكو، كنت نائمة بعمق في جناح في فندق رادلينغ بجانب إدوارد الذي كان يشخر كالعادة. كنت سأعود إلى هنا في الثاني عشر من أيلول في حين كان إدوارد سيتابع طريقه إلى لوس أنجلوس من أجل حضور بعض الاجتماعات. في الحقيقة، لقد ضربتْ إدارة الفندق جرس إنذار الحريق".

"لا بد أن هذا قد أرعبك تماماً".

"بالفعل، رغم أن أول شيء فكّرت فيه لم يكن الحريق بل الزلزال ثم جاء ذلك الصوت عبر المكبّرات يخبرنا بأنه ليس حريقاً في الفندق، وإنما هو حريق هائل في نيويورك".

"يا الله!".

"سماع النبأ بهذه الطريقة، في السرير، في غرفة غريبة... سماعه يأتي من السقف...". هزت رأسها وزمّت شفتيها بشدة لدرجة أن أحمر شفاهها امحى تقريباً. "كان ذلك مرعباً جداً. أظن أنني أفهم الحاجة لنقل نبأ كهذا، على الفور، لكنني لم أغفر تماماً حتى الآن لإدارة رادليتغ فعل ذلك بتلك الطريقة. لا أعتقد أنني سأقيم هناك مرة أخرى".

"هل ذهب زوجك لحضور اجتماعاته؟".

"لقد ألغيت. أتصوَّر أن الكثير من الاجتماعات ألغيت في ذلك اليوم. بقينا جالسيْن في السرير أمام شاشة التلفاز إلى أن أشرقت الشمس، محاوليْن استيعاب الأمر. هل تعرف ما أعنيه؟".

"أجل".

"تحدثنا عمن يمكن أن يكون هناك من معارفنا. أعتقد أننا لم نكن الوحيديْن اللذين فعلنا ذلك".

"هل تذكَّرتما شخصاً ما؟".

"تذكرنا سمساراً من شركة شيرسون ليمان، ومساعد مدير متجر الكتب في المول. أحدهما كان بخير والآخر... في الحقيقة، لم يكن كذلك. وماذا عنك؟".

وهكذا، لم أكن بحاجة للتمهيد للدخول في الموضوع في نهاية المطاف. بل إننا لم نكن قد وصلنا إلى المطعم بعد.

"كان يمكن أن أكون هناك. كان يجب أن أكون هناك. إنه مكان عملي. في شركة تأمين في الطابق المائة وعشرة".

وقفت متجمّدة على الرصيف وهي تنظر إلي بعينين جاحظتين. أظن أننا بدونا كعاشقيْن بالنسبة إلى الناس الذين اضطروا للانحراف حولنا.

"سكوت، لا".

"سكوت، بلى". وأخيراً، أخبرت شخصاً ما عن كيفية استيقاظي في الحادي عشر من أيلول متوقعاً القيام بكل الأشياء التي أقوم بها عادةً في

عطل نهايات الأسبوع، من احتساء فنجان القهوة السادة أثناء حلاقة ذقني، إلى فنجان الكاكاو أثناء مشاهدة موجز أخبار منتصف الليل على القنا الثالثة عشرة. تمضية يوم مثل أي يوم آخر، هذا ما كان في ذهني. أعتقد ان هذا ما أصبح الأميركيون يعتبرونه حقاً من حقوقهم.

أخبرتها حول النظر من نافذة شقتي، ورؤيتي السماء الصافية في الساعة السابعة صباحاً؛ ذلك النوع من الزرقة النقية لدرجة تجعلك تظن أن بوسعك رؤية النجوم من ورائها. ثم أخبرتها عن الصوت. أعتقد أننا جميعاً نملك أصواتاً مختلفة في رؤوسنا، وأننا نعتاد عليها. عندما كنت في السادسة عشرة، تحدَّثَ أحد أصواتي قائلاً إنه قد يكون من الممتع الاستلقاء عارياً على السرير ومحاطاً بالصور. (لم أخبر بولا روبيسون بهذه المغامرة بالذات). وأنا مضطر لتسميته صوت اللامسؤولية المطلقة، المعروف أكثر باسم: سيد ياو، متِّعْ نفسك.

قالت بولا مستغربة: "سيد ياو، متِّع نفسك!".

"على شرف جيمس براون، ملك موسيقا السول".

"كما تريد".

في ذلك الحين، لم يعد لدى صوت "سيد ياو، متِّع نفسك" الكثير ليقوله لي، وخاصة منذ أن أقلعت تقريباً عن الشرب، بيد أنه استيقظ في ذلك اليوم من غفوته الطويلة ليقول لي إحدى عشرة كلمة فقط، لكنها كانت كلمات مُغيِّرة لحياتي، أو بالأحرى منقذة لحياتي.

الكلمات الخمس الأولى (بينما أنا جالس على طرف السرير): ياو، اتصلْ وقلْ إنك مريض! والكلمات الست التالية (بينما كنت أمشي ببطء نحو الحمام وأحك مؤخرتي في طريقي إلى هناك): ياو، اقضِ النهار في الحديقة المركزية!

قالت بولا مع ابتسامة خفيفة: "أظن أنني أعرف ما تعنيه".

"حقاً؟".

"في الواقع... خلعت ذات مرة قميصي في مشرب في مدينة كي
..ت وفزت بعشرة دولارات نتيجة الرقص على أغنية هونكي تونك
..ن". صمتتْ لبرهة ثم أردفت قائلة: "إدوارد لا يعرف، وإن أخبرتَه يوماً
. أكون مرغمة على طعنك في عينك بواسطة واحد من دبابيس ربطات
..ه".

"ياو، أحسنت أيتها الفتاة". اتّسعت ابتسامتها قليلاً؛ ممّا جعلها تبدو اصغر عمراً. ظننت أنني أملك فرصة للنجاح في هذا الأمر.

عند باب مطعم دونالد، كان هناك ديك رومي مرسوم على قطعة من ..رق المقوّى، وفي الداخل على الجدار البورسلاني الأخضر فوق طاولة ..حار، صورة من الورق المقوى أيضاً لمؤسسي مستعمرة بليموث.

"استمعت للسيد ياو، متّع نفسك، وها أنا ما زلت موجوداً. ولكن، ..اك أشياء أخرى لا تزال موجودة أيضاً، وهو لا يستطيع مساعدتي ..انها. إنها أشياء لا أستطيع التخلص منها حسبما يبدو. وهذه الأشياء هي ..تي أريد التحدث معك حولها".

"دعني أكرر أنني لست طبيباً نفسياً". اختفت الابتسامة وحلّ محلّها ..يء من التوتر. "أنا متخصصة في الألمانية بشكل أساسي، مع اختصاص اضافي في التاريخ الأوروبي".

لا بد أنك وزوجك تملكان الكثير لتتحدثا حوله، قلت في نفسي. ..ا ما قلته بصوت عالٍ فهو أنني كنت بحاجة لشخص ما، وليس هي ..الضرورة.

"حسناً، طالما أنك تعرف".

أخذ نادلٌ طلبَيْ مشروبينا، وهما قهوة منزوعة الكافيين لها، وقهوة عادية لي. وحال مغادرته سألتني عن الأشياء التي أتحدث عنها.

"هذا واحد منها". أخرجت من جيبي المكعب الأكريليكي وبداخله ..س الفولاذي ووضعته على الطاولة. ثم أخبرتها عن الأشياء الأخرى،

ولمن كانت تعود. كليف فاريل: "كرة القاعدة كانت جيدة جداً جداً معي" وموريين هانون التي كانت تحافظ على شعرها طويلاً حتى خصرها كإشارة على عدم إمكانية الاستغناء عنها في الشركة. وجيمي إيغلتون الذي كان يملك أنفاً أسطورياً يشم رائحة ادعاءات الحوادث المزيفة، وابناً يعاني من صعوبة في التعلُّم، ووسادة إطلاق الريح التي كان يخبئها بعناية في مكتبه إلى أن يأتي الخامس والعشرون من ديسمبر في كل عام. وسونجا داميكو، وهي أفضل محاسبة في شركة لايت آند بل، والتي حصلت على نظارة فيلم لوليتا كهدية طلاق مُرَّة من زوجها الأول. وبروس ماسو، "ملك الذباب"، الذي سيظل على الدوام واقفاً عاري الصدر في عيني ذهني، ينفخ في قوقعته على شاطئ جونز بيتش والأمواج تتدحرج وتتبدد حول قدميه. وآخرهم، ميشا بريزينسكي الذي ذهبت معه إلى ما لا يقل عن عشر مباريات لفريق ميتز. أخبرتها عن وضعي جميع هذه الأشياء، باستثناء دمية ميشا "بانش" في حاوية القمامة في الزاوية الواقعة بين الشارع 75 والحديقة، وكيف أنها سبقتني وعادت إلى شقتي؛ ربما لأنني توقفت لشراء دجاجة تسو جنرال ثانية. خلال حديثي كله كان المكعب الأكريليكي قابعاً فوق الطاولة بيننا. ورغم شكله الجانبي الصارم، إلا أننا تمكَّنا على الأقل من أكل القليل من وجبتنا.

عندما أنهيت حديثي، شعرت بأنني أفضل حالاً مما كنت أرجو، لكن الصمت الجاثم في جانبها من الطاولة كان وقعه ثقيلاً على نحو مريع.

ولأكسر قلت لها: "إذاً، ما رأيك؟".

أخذتْ بضع لحظات لتفكر في الأمر، ولم ألمها على ذلك، ثم قالت: "أعتقد أننا لم نعد غريبين كما كنا. واكتساب صديق جديد ليس فكرة سيئة على الإطلاق. أعتقد أنني مسرورة لأنني علمت بأمر السيد بامتِّع نفسك، ولأنني أخبرتك بما فعلته".

"وأنا أيضاً". وهذه حقيقة.

"والآن، هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالين؟".

"بالتأكيد".

"ما هو مقدار شعورك بما يدعونه ذنب الناجي؟".

"أظن أنك قلت إنك لست طبيبة نفسية".

"هذا صحيح، لكنني أقرأ المجلات، ويُعرَف عني أنني أشاهد أوبرا. هذا الأمر يعرفه زوجي جيداً، رغم أنني أفضِّل ألا يدس أنفه فيه. إذاً... نعم، يا سكوت؟".

فكَّرتُ في السؤال الذي كان وجيهاً بالطبع، مع أنني طرحته على نفسي في أكثر من ليلة من تلك الليالي التي لم أذق طعم النوم فيها. ثم قلت: "كثير جداً. وفي الوقت نفسه، أشعر بالراحة كثيراً أيضاً. لن أكذب في هذا الخصوص. لو كان السيد ياو، متِّع نفسك شخصاً حقيقياً، لما اضطرَّ لدفع فاتورة مطعم أخرى. ليس إذا كنتُ معه، على الأقل". سكتُّ لوهلة، ثم سألتها: "هل هذا يصدمك؟".

مدت يدها ولمست يدي ثم قالت: "ولا حتى قليلاً".

أراحني ما قالته أكثر مما كنت أعتقد. ضغطتُ قليلاً على يدها ثم تركتها وقلت: "ما هو سؤالك الآخر؟".

"كم هو مهم بالنسبة إليك أن أصدِّق قصتك حول رجوع هذه الأشياء؟".

في الواقع، بدا لي هذا السؤال ممتازاً، رغم وجود المكعب الأكريليكي على الطاولة بجانب طبق السكر. فهذه الأشياء ليست نادرة في نهاية المطاف. قلت في نفسي بأنها لو كانت مختصة في علم النفس بدلاً من اللغة الألمانية، لربما كانت ستقوم بعمل ممتاز.

"ليس بالقدر الذي كنت أعتقده منذ ساعة. مجرد البوح بما حصل كان مساعداً".

هزت رأسها وابتسمت: "جيد. والآن، إليك تخميني الأفضل. على الأرجح، هناك شخص يلعب لعبة معك. وهي ليست لعبة لطيفة".

"يمازحني!". حاولت ألا أظهر لها خيبة أملي الكبيرة. ربما هناك طبقة من عدم التصديق تستقر فوق الناس في مثل هذه الظروف، فتحميهم. أو لعلي لم أنقل لها شعوري الشخصي بأن هذا الشيء... لا يزال يحدث. كما تحدث الانهيارات الثلجية.

"يمازحك... لكنك لا تصدّق".

"لقد قفلتُ الباب عندما خرجت، وكان مقفلاً حين عدت من مكتبة ستابلز. سمعت صوت طقطقة اللسان عند دوران المفتاح. إنه صوت عالٍ. لا يمكنك أن تخطئي فيه".

"مع ذلك... إن ذنب الناجي شيء غريب وقوي؛ وفقاً لما تقوله المجلات على الأقل".

"هذا...". أردت أن أقول: هذا ليس ذنب الناجي، لكنني كنت سأرتكب خطأً بقولي هذا، إذ كانت لدي فرصة لاكتساب صديق جديد هنا. واكتساب صديق جديد أمر جيد، بصرف النظر عمّا يؤول إليه هذا الموضوع. وهكذا عدّلت إجابتي فقلت: "لا أظن أن هذا ذنب الناجي" ثم أشرت إلى المكعب الأكريليكي، واستأنفت كلامي قائلاً: "إنه موجود هنا، أليس كذلك؟ مثل نظارة سونجا. أنت ترينه، وأنا أيضاً. أفترض أنه كان بوسعي شراؤه بنفسي، ولكن..." رفعتُ كتفيَّ ثم أخفضتهما للتعبير عما نعرفه كلانا، وهو أن أي شيء ممكن.

"لا أعتقد أنك فعلت ذلك. لكنني لا أستطيع أيضاً أن أقبل فكرة أن باباً فُتح بين الواقع وما وراء الواقع فسقطت هذه الأشياء".

أجل، هذه هي المشكلة. بالنسبة إلى بولا، إن فكرة امتلاك المكعب الأكريليكي وبقية الأشياء التي ظهرت في شقتي أصلاً ماورائياً معيناً كانت مستبعدة أوتوماتيكياً؛ مهما كانت الوقائع التي يمكن أن تدعم هذه الفكرة

..ا كنت بحاجة إليه هـو معرفة ما إذا كـنـت بحاجة إلى مناقشـة هذه النقطة اكثر من حاجتي إلى اكتـساب صـديق.

قررت أنني لـسـت بحاجة لمناقشتها.

"حسـناً". أشرت إلى النادل بحركة كتابة شيك. "يمكنـني أن أقبل عدم قدرتك على التقبل".

"صحيح؟". قالت وهي تنظر في عينيَّ مباشرةً.

"أجل" – وكنت أعتقد أنني صادق في قولي هذا – "أعني، إذا كان بوسعنا أن نحتـسـي فنجان قهوة معاً بين الحين والآخر، أو نلقي التحية على بعضنا في رواق المبنى".

"حتماً". لكنها بدت غائبة، لم تكن مركّزة تماماً في الحوار. كانت تنظر إلـى المكعـب الأكريليكـي وبداخلـه البنـس الفـولاذي، ثـم رفعت عينيها ونظـرت إلي. كان بوسـعي تخيُّـل مصـبـاح يظهر فوق رأسـها، مثل فيلم كرتونـي. مـدّت يدهـا وأمسـكت بالمكعـب. لا يمكننـي التعبير عن شدة الخوف الذي شـعرت به عندمـا فعلتْ ذلـك، ولكن ماذا يـــعني أن أقول؟ كنا شـخصيْن نيويوركيَّيْن موجوديْن في مكان حسـن الإضـاءة. وهي وضعت سـلفاً القواعـد الأرضية التي اسـتثنت تمامـاً الأمـور الماورائية. الماورائيات كانت محظورة.

لمحت ضوءاً أيضاً في عينـي بولا؛ ضوءاً يوحي بأن السـيد ياو، متّع نفسـك كان في المنزل، وأنا أعلم من خبرتي الشـخصيـة أنه صوت تصعب مقاومته.

"أعطني إياه". قالت بولا وهي تبتسـم وتنظر في عينيّ. عندما فعلتُ ذلك، لاحظـت (للمـرة الأولى حقـاً) أنهـا كانت مثيـرة إضافة إلـى كونها جميلة.

"لماذا؟". وكأنني لم أكن أعرف.

"اعتبرها أجرة استماعي إلى قصتك".

"لا أعرف إن كانت فكرة حسـ -".

"إنها، في الواقع" - كانت تبدو مثل شـخص يبلور فكرة لامعة في ذهنه، وعندما يحدث ذلك مع الناس، فإنهم نادراً ما يقبلـون لا كإجابة "إنها فكرة عظيمة. سـأتأكد علـى الأقل من أن هـذه القطعـة التذكارية لن تعود إليـك، مجرجـرةً ذيلها وراءهـا. لدينا خزنة فـي الشـقة". أدَّت حركة إيحائيـة صامتـة جميلة تجسِّـد إغـلاق بـاب خزنـة، وتدوير قـرص الرقم السـري، ثم رمي المفتاح خلف كتفها.

"حسـناً، إنه هدية مني إليك". شعرت حينئذ بنوع من السـرور اللئيم. سمَّه صوت سـيد ياو، ستكتشـفين. من الواضـح أن التعبير عمّا في صدري لم يكـن كافياً في نهايـة المطاف. إنهـا لم تصدِّقنـي، وجزء منـي كان يريد بالفعل أن يُصـدِّق، وكان ممتعضـاً من بولا لأنهـا لم تمنحنه مـراده. ذلك الجزء كان يعلم أن السـماح لها بأخـذ المكعب الأكريليـكي لم يكن فكرة جيدة على الإطلاق، لكنه في الوقت نفسـه كان مـسروراً لرؤيتها تضعه في حقيـبتها.

قالت: "ها هـو. ماما تقول بـاي - باي، اعتبر الأشـياء كلهـا ذهبت ربمـا عندما لا يعود هـذا في أسـبوع - أو اثنيـن، أظن أن هـذا يعتمد على مدى عناد لاشعورك - فسـيصبـح بإمكانك حينئذ التخلص ممّا تبقى". في الحقيقة، كان قولها هذا هديتها الحقيقية لي، رغم أنني لم أكن أعرف ذلك حينئذ.

قلت: "ربما". وابتـسـمت ابتـسـامة كبيرة للصديقة الجديدة؛ ابتسـامة كبيرة لماما الجميلـة. وفـي غضـون ذلـك كلـه، كنت أقـول في نفسـي: ستكتشفين.

ياو.

وهذا ما فَعَلته.

بعد ثلاث ليال، بينما كنت أشاهد تشاك سكاربورو يشرح آخر مشاكل نظام النقل في المدينة في نشرة أخبار الساعة السادسة، إذا بجرس الباب يُقرَع. وبما أن أحداً لم يعلمني بمجيئه مسبقاً، افترضت أن طرداً ما جاءني، أو ربما كان رافي يحمل شيئاً من شركة فيديكس. فتحت الباب فرأيت بولا روبيسون.

لم تكن تلك المرأة هي المرأة نفسها التي تناولت الغداء معها. سمّ هذه النسخة من بولا، آنة ياو، أليس العلاج الكيماوي بغيضاً؟ كانت تضع أثراً قليلاً من أحمر الشفاه، ولكن لا شيء آخر من أنواع المكياج، وكانت بشرتها بيضاء مصفرّة كبشرة من أصابه مرض، مع أقواس منتفخة - بنية أسفل عينيها. لعلها مشّطت شعرها بسرعة قبل النزول من الطابق الخامس، لكنها لم تفعل ذلك بشكل جيد، لأنه كان يبدو مثل القش، وكان منفوشاً على جانبي رأسها بصورة كانت ستبدو مضحكة على طريقة الرسوم المتحركة لو كان الظرف مختلفاً. كانت تمسك بالمكعب الأكريليكي أمام صدرها، ما سمح لي بملاحظة أن أظافرها، التي كانت تحظى بعناية حسنة، قد قُضمت حتى اللحم. وأول ما خطر في ذهني هو: أجل، لقد اكتشفتْ.

مدت يدها التي تحمل المكعب نحوي وقالت: "خذه".

فعلتُ ذلك دون أن أتفوه بكلمة.

"كان اسمه رولاند أبلسون، أليس كذلك؟".

"أجل".

"كان أحمر الشعر".

"أجل".

"لم يكن متزوجاً لكنه كان يدفع إعانة طفل لامرأة في راهواي".

لم أكن أعلم بذلك - ولا أعتقد أن أحداً في شركة لايت آند بل كان يعلم - لكنني هززت برأسي موافقاً، ليس لأنني كنت أريدها أن تتابع

حديثها، ولكن لأنني كنت واثقاً بأنها صادقة. "ماذا كان اسمها يا بولا؟" لم أكن أعرف لماذا طرحت عليها هذا السؤال، ليس بعد. كنت فقط بحاجة لأن أعرف.

"تونيا جريجسون". قالت كما لو أنها كانت منوَّمة مغناطيسياً لكنني لمحت شيئاً في عينيها؛ شيئاً فظيعاً لدرجة أنني لم أطق النظر إليهما كثيراً. ومع ذلك، خزَّنت الاسم في ذاكرتي. تونيا جريجسون، راهوا ومن ثم – مثل رجل يقوم بجرد مخزن ما – مكعب أكريليكي وبداخله بنس.

"حاول الزحف تحت طاولة مكتبه، هل علمت بذلك؟ لا، يمكنني القول إنك لم تعلم. كان شعره يحترق، وكان يبكي لأنه في تلك اللحظة أدرك أنه لن يمتلك قارباً أبداً أو حتى يجزّ عشب حديقته ثانيةً". مدَّت يدها ووضعتها على خدّي بإيماءة حميمة جداً لدرجة أنها كانت ستكون صادمة لو لم تكن شديدة البرودة. "في النهاية، كان سيهب كل سنت يملكه، وكل حق شراء أو بيع يملكه كي يجز عشب حديقته ثانيةً. هل تصدق ذلك؟".

"أجل".

"كان المكان يعج بالصراخ، وكان بوسعه أن يشم رائحة وقود الطائرة، وكان يدرك أنها كانت ساعة موته. هل تعي ذلك؟ هل تدرك فظاعة ذلك؟".

هززت برأسي موافقاً؛ لأنني لم أكن قادراً على الكلام. ولو وضعت مسدساً على رأسي، ما كنت سأقدر على التفوه بحرف واحد.

"يتحدث الساسة عن الحفلات التأبينية والشجاعة والحروب من أجل القضاء على الإرهاب، لكن الشعر المحترق ليس أمراً سياسياً" كشفت عن أسنانها في تكشيرة فظيعة، لكنها اختفت بعد لحظة. "كان يزحف تحت طاولة مكتبه محترق الشعر. وكان هناك شيء بلاستيكي تحت طاولته، شيء اسمه –".

"حصيرة –".

"أجل، حصيرة، حصيرة بلاستيكية. كانت يداه عليها، وكان بوسعه تحسس ثناياتها وشم رائحة شعره المحترق. هل تفهم هذا؟".

هززتُ برأسي، وبدأتُ البكاء. إن الشخص الذي كنا نتحدث عنه هو رولاند أبلسون، وكان يعمل في قسم التأمين على الأضرار. لكنني لم أكن أعرفه جيداً. كل ما كان يجمعنا هو إلقاء التحية فقط. كيف يُفترَض بي أن أعرف أنه كان لديه ولد في راهواي؟ ولو لم أتغيَّب عن العمل في ذلك اليوم، لربما احترق شعري أيضاً. لم أكن أفهم ذلك حقاً من قبل.

"لا أريد أن أراك ثانيةً". قالت ثم كشفت عن أسنانها مجدداً، لكنها هذه المرة كانت تبكي. "لا آبه لمشاكلك. لا أكترث لأي شيء وجدته. نحن منفصلان. من الآن فصاعداً اتركني وشأني". التفتت تريد المغادرة، لكنها استدارت من جديد وقالت: "لقد فعلوا ذلك باسم الله كما يدعون!".

راقبتها وهي تسير نحو المصعد. كان ظهرها متصلباً وشعرها منفوشاً على جانبي رأسها ما جعلها تبدو مثل فتاة في رسم كرتوني في جرائد يوم الأحد. لم تكن تريد رؤيتي مرة أخرى، وأنا لم ألمها على قرارها هذا. أغلقت الباب، ونظرت مطوَّلاً إلى بنس أبراهام لينكولن داخل المكعب الأكريليكي. تساءلت: كيف ستكون رائحة شعر يو. إس. جرانت إذا ما وضع أحد سيجاراته فيه؟ رائحة كريهة. وفي التلفاز، كان هناك شخص يقول إنّ انفجاراً في المفارش يحدث في متجر سليبي. وبعد ذلك، جاء لين بيرمان وتحدَّث حول المحركات النفاثة.

استيقظت في تلك الليلة في الثانية صباحاً على أصوات الهمسات. لم أرَ أي حلم حول الأشخاص الذين كانوا يمتلكون الأغراض، ولم أرَ أي واحد منهم محترق الشعر أو يقفز من النافذة هرباً من الوقود المحترق. ولكن، لماذا أحلم بهم؟ كنت أعرف من هم، وأعرف أن

الأشياء التي تركوها وراءهم تُركت من أجلي. كان السماح لبولا روبيرز بأخذ المكعب الأكريليكي خطأً، ولكن فقط لأنها كانت الشخص الخطأ.

وبالحديث عن بولا، كان صوتها أحد تلك الأصوات الهامسة بإمكانك البدء بالتخلص من بقية الأشياء. أظن أن هذا يعتمد على مدى عناد لاشعورك.

استلقيت على السرير مجدداً، وبعد مرور بعض الوقت تمكنت من النوم. حلمت بأنني في الحديقة المركزية أطعم البط، فإذا بي أسمع صوت انفجار قوياً يشبه الصوت الذي ينتج عن الطائرات التي تطير بسرعة تفوق سرعة الصوت، وسرعان ما امتلأت السماء بالدخان. في الحلم، كانت رائحة الدخان تشبه رائحة شعر يحترق.

* * *

فكَّرت في تونيا جريجسون في راهواي - تونيا والطفل الذي قد أو قد لا - يمتلك عيني رولاند أبلسون - وفكَّرت في العمل تدريجياً إلى أن أصل إليها. وقررت البدء بأرملة بروس ماسون.

استقللت القطار إلى بلدة دوبس فيري وطلبت سيارة أجرة من المحطة. أخذني السائق إلى منزل مصمم على الطريقة الكولونيالية في شارع سكني. أعطيته بعض النقود وطلبت منه أن ينتظرني - لأنني لن أبقى طويلاً - وقرعت جرس الباب. كنت أحمل علبة تحت إبطي، وكانت تبدو من النوع الذي يحوي كعكة.

لم أضطر لقرع الجرس سوى مرة واحدة؛ لأنني اتصلت مسبقاً، وجانيس ماسون كانت تنتظرني. كنت قد حضَّرت قصتي بشكل جيد. فأخبرتها إياها بشيء من الثقة، عارفاً أن السيارة الواقفة في الشارع الفرعي - وعدَّادها يجري - يمكن أن تعيق أي استجواب تفصيلي.

"في السابع من أيلول - في يوم الجمعة الذي سبق الهجوم -

حاولت نفخ نوتة موسيقية من القوقعة التي كان بروس يحتفظ بها في مكتبه، مثلما سمعت بروس نفسه يفعل في نزهة شاطئ جونز بيتش (كانت جانيس - سيدة ملك الذباب - تهز برأسها دلالة على علمها بذلك، لأنها كانت موجودة هناك بالطبع). في الواقع - قلت لها - اختصاراً للقصة، إني طلبتُ من بروس أن يسمح لي باستعارة القوقعة خلال عطلة نهاية الأسبوع كي أتدرَّب عليها. وبعد ذلك، في صباح يوم الثلاثاء، استيقظت مصاباً بالتهاب جيوب شديد مترافق مع صداع فظيع. (لقد أخبرت هذه القصة لعدة أشخاص من قبل). وكنت أشرب كوباً من الشاي عندما سمعت صوت الانفجار ورأيت الدخان المتصاعد، ولم أفكِّر في القوقعة مجدداً حتى هذا الأسبوع. كنت أنظِّف خزانة أدواتي فوجدتها هناك. قلت لنفسي... في الواقع، إنها ليست هدية تذكارية تماماً، لكنني فكَّرت في أنك ربما تحبين أن... كما تعلمين...".

فاضت عيناها بالدموع؛ تماماً كما حصل معي عندما أعادت بولا "صندوق تقاعد" رولاند أبلسون، غير أن نظرة هاتين العينين لم تكن مترافقة مع نظرة الفزع التي كانت حتماً باديةً على وجهي عندما كانت بولا واقفة أمام بابي بشعرها الخشن المنفوش من الجانبين. قالت جانيس إنها ستكون مسرورة للاحتفاظ بأي تذكار من بروس.

قالت وهي تحتضن العلبة بين ذراعيها: "لا أستطيع تخطِّي الطريقة التي قلنا فيها وداعاً. كان دائماً يغادر في وقت باكر جداً لأنه كان يستقل القطار. قبَّلني على خدِّي ففتحت عيناً واحدة وسألته إن كان سيجلب معه علبة مسحوق الكريما والحليب، فقال إنّه سيفعل. كان هذا آخر شيء قاله لي. عندما طلب مني أن أتزوجه، أحسست مثل هيلين الطروادية؛ كان شعوراً غبياً لكنه صادق تماماً. كم أتمنى لو أنني قلت له شيئاً أفضل من اجلبْ معك علبة مسحوق الكريما والحليب، لكننا كنا متزوجين منذ زمن طويل، وبدا ذلك اليوم مثل أي يوم عادي آخر، و... نحن لا نعلم، أليس كذلك؟".

"لا".

"أجل. أي فراق يمكن أن يكون أبدياً، ونحن لا نعلم. شكراً لك يا سيد ستالي لمجيئك وإحضار هذه لي. هذا لطف كبير منك". ابتسم قليلاً حينئذ. "هل تذكر كيف وقف على الشاطئ عاري الصدر ونفخ في القوقعة؟".

"أجل"، قلت ونظرت إلى طريقة حملها للعلبة. في وقت لاحق ستجلس وتُخرج القوقعة من العلبة وتضمها على حجرها وتبكي. كنت أعلم أن القوقعة، على الأقل، لن تعود إلى شقتي بعد ذلك. لأنها أصبحت في بيتها.

رجعت إلى المحطة، واستقللت القطار عائداً إلى نيويورك. كانت العربات شبه فارغة في ذلك الوقت من النهار - بداية العصر - فجلست بجانب نافذة ملطخة بالطين والمطر، وأنا أنظر إلى النهر والأفق المقترب في الأيام الماطرة والقاتمة، يبدو الأمر وكأنك تشكّل خط الأفق من مخيلتك؛ قطعة قطعة.

في اليوم التالي سأذهب إلى راهواي؛ حاملاً المكعب الأكريليكي ربما سيأخذه الطفل - أو الطفلة - بيده الممتلئة وينظر إليه بفضول. لكنه سيخرج من حياتي على أي حال. فكّرت في أن الشيء الوحيد الذي سيصعب التخلص منه هو وسادة إطلاق الريح الخاصة بجيمي إيغلتون، فأنا لن أستطيع أن أقول للسيدة إيغلتون إنني جلبت الوسادة إلى المنزل كي أتمرّن على استخدامها في عطلة نهاية الأسبوع، أليس كذلك؟ لكن الحاجة أم الاختراع، وأنا كنت واثقاً من أنني سأفكّر في قصة مقنعة في نهاية المطاف.

خطر لي أنه قد تظهر لي أشياء أخرى مع الزمن. وسأكذب إن قلت لك إنني وجدت هذا الاحتمال مزعجاً تماماً. في ما يتعلق بعودة أشياء

،عد الناس أنهم فقدوها إلى الأبد، أشياء ذات وزن، فإن في ذلك تعويضاً
،، حتى لو كانت أشـياء صغيرة، مثل نظارة مضحكـة أو بنس فولاذي في
،ءمب اكريليكي... أجل. لا بد أن أقول إنّ هناك تعويضاً ما.

عصر يوم تخرُّج

لم تجد جانيس قطّ الكلمة المناسبة لوصف المكان الذي يعيش فيه بادي، فهو أكبر بكثير من أن يُسمّى منزلاً، وأصغر بكثير من أن يُسمّى عقاراً، والاسم المكتوب على اللافتة عند مقدمة الشارع الفرعي المؤدي إليه، "أضواء الميناء"، يثير في نفسها الضحك. يبدو مثل اسم مطعم في غير لندن؛ من النوع الذي تكون فيه الوجبة الخاصة دائماً مكونة من السمك. في العادة، إنها تخلص إلى تسميته "مكانك"، كما في "دعنا نذهب إلى مكانك ونلعب التنس" أو "لنذهب إلى مكانك ونسبح".

والأمر نفسه تقريباً ينطبق على بادي نفسه، تقول في داخلها وهي تراقبه يمشي بتثاقل على المرج متجهاً صوب أصوات الصياح القادمة من الجانب الآخر من المنزل؛ حيث يقع حوض السباحة. فأنتِ لن ترغبي في أن تنادي صديقك باسم بادي، لكنك حين تفكّرين في اسمه الحقيقي، وهو بروس، فإن هذا لا يترك لك أي خيار آخر.

كانت تعرف أنه يريدها أن تقول له إنها تحبه، وخاصة في يوم تخرُّجه – لا شك أنها هدية أفضل من الميدالية الفضية التي قدّمتْها له، رغم أن الميدالية كلّفتْها قدراً من النقود جعل معدتها تنقبض – لكنها لم تستطع أن تفعل ذلك. لم تستطع أن تحمل نفسها على القول: "أنا أحبك يا بروس". كل ما نجحت في قوله – ومرة أخرى مع الانقباض الداخلي نفسه – "إنني مولعة بك إلى حد فظيع يا بادي". وحتى هذا الكلام بدا مثل سطر مأخوذ من مسرحية بريطانية موسيقية هزلية.

"أنت لا تمانعين ما قالته، أليس كذلك؟ هذا ليس سبب تخلُّفك م
الباقين، أليس كذلك؟". كان هذا آخر شيء قاله لها قبل أن يجتاز المر
ليرتدي سروال السباحة القصير.

"لا، أريد فقط أن أسدد بعض الكرات الأخرى، وأستمتع بالمنظ
كان المنزل يملك هذه الميزة بالفعل، وهي لم تكن تشعر بالاكتفاء. ا
بوسعك رؤية نيويورك بأكملها من هذا الجانب من المنزل، والأب
كانت تبدو مثل دمًى زرقاء تلمع الشمس على نوافذها العليا. بالنسبة إلى
جانيس، كانت تعتقد أنه لا يسعك إلا أن تُصاب بالجمود الناجم م
الافتتان عندما تنظر إلى مدينة نيويورك من بعيد. إنها كذبةٌ كانت تحبها.

تابع بادي كلامه: "لأنها جدتي وحب. أصبحت تعرفينها الآن. ا
يدخل رأسها يخرج من فمها".

قالت جانيس: "أعرف". وهي كانت تحب جدة بادي؛ رغم أن
الأخيرة لم تكن تحاول إخفاء نزعتها الفوقية. إنه من عائلة هوب العريقة
التي جاءت إلى كونيكتيكت. وهي جانيس جاندوليويسكي التي ستحظى
بيوم تخرُّجها الخاص بها - من ثانوية فيرهيفين - بعد أسبوعين، بعد
أن يكون بادي قد غادر مع أصدقائه الثلاثة المقرَّبين للتنزُّه فوق جبال
آبالاتشيان تريل.

تلتفت جانيس نحو سلَّة الكرات. إنها فتاة رشيقة وطويلة، ترتدي
سروال جينز قصيراً وبلوزة بدون كمَّين، وتنتعل حذاءً مطاطياً. تتصلّ
الساقان مع رفعها جسدها على أصابع قدميها عند كل إرسال. إنها جميلة
وهي تعرف ذلك، لكن معرفتها من النوع العملي وغير المفرط. وهي
ذكية، وتعرف ذلك. قلة من فتيات ثانوية فيرهيفين ينجحن في إقامة
علاقات مع شبان من الأكاديمية - عدا عن العلاقات السريعة والقذرة
المعروفة للجميع التي تحدث إما في الكرنفال الشتوي أو في عطل
نهايات الأسبوع الربيعية - وهي فعلت ذلك رغم "السكي" المعلّقة

..سمها أينما ذهبت؛ مثل علبة صفيح مربوطة بالمصد الخلفي لسيارة
بدان عائلية. كانت تدير هذه الثلاثية الاجتماعية مع بروس هوب،
"معروف أيضاً باسم بادي.

أثناء خروجهما من غرفة الألعاب الموجودة في القبو بعد الانتهاء
من ممارسة ألعاب الفيديو - معظم الباقين كانوا لا يزالون في الأسفل،
،انت قبّعات زي التخرُّج لا تزال مائلةً فوق رؤوسهم - سمعا جدته
،هي تتحدث في صالة الاستقبال مع بقية الراشدين (لأنها كانت حفلتهم،
أما الأولاد فسينالون حفلتهم الخاصة في ذلك المساء، أولاً في مشرب
،ولي ناو على الطريق 219 والذي حُجز لهذه المناسبة من قبل والدَي
ممي فريدريك؛ تبعاً لقاعدة السائق غير المخمور، وبعد ذلك على
الشاطئ، تحت قمر حزيران المكتمل، وما أدراك بما سيجري حينئذ).

"تلك جانيس - شيء لا يمكن لفظه". كانت الجدة تقول بصوت
،رأة صمّاء ثاقب خالٍ من المشاعر. "إنها جميلة جداً، أليس كذلك؟ إنها
من سكان إحدى البلدات، وهي صديقة بروس في الوقت الحالي".
صحيح أنها لم تصف جانيس بالصديقة العابرة، لكن ذلك كان واضحاً
تماماً في نبرتها.

ترفع جانيس كتفيها غير مكترثة، وتسدِّد المزيد من الكرات. تتصلَّب
الساقان كلما أصاب المضرب الكرات التي كانت تطير بقوة فوق الشبكة
وتسقط جميعها في الزاوية البعيدة العميقة من مربع المستقبِل.

في الواقع، لقد تعلَّما من بعضهما. وهي تعتقد أن هذا هو جوهر مثل
هذه العلاقات، أو بالأحرى الغاية منها. كان يحترمها منذ البداية، وربما
أكثر ممّا ينبغي؛ لدرجة أنها كانت مضطرة لجعله يقلع عن هذه الطريقة في
المعاملة، أي الجزء المتعلق بالتبجيل في المعاملة. وهي تعتقد أنه لم يكن
سيئاً كعاشق، نظراً لحقيقة أن الشبّان يفتقدون إلى الأماكن المثالية ورفاهية
الوقت عندما يتعلق الأمر بمنح أجسادهم الطعام الذي ترغب به.

"لقد فعلنا ما بوسعنا". تقول جانيس، ثم تقرر الذهاب والسباحة مع الآخرين، والسماح له بالتباهي بها للمرة الأخيرة. هو يعتقد أنهما سيملكان الصيف بأكمله قبل أن يغادر إلى برينستون وهي إلى جامعة الولاية، أما هي فلا، إذ تعتقد أن جزءاً من الهدف من نزهة أبلاتشيان ترايل الوشيكة هو تفريقهما بأقل قدر ممكن من الألم، ولكن على أن يكون الفراق تاماً قدر الإمكان. وهي في هذا الأمر لا تحس بيد الأب القوي والصلب رغم لطفه مع الجميع، ولا بالفوقية المباشرة والمحبَّبة لبب ما للجدة – إنها من سكان إحدى البلدات، وهي صديقة بروس في الوقت الحالي – وإنما بالعملانية الرقيقة وغير المباشرة للأم التي تخشى من أمر وحيد (لعله كان مطبوعاً على جبهتها الجميلة الملساء) وهو أن تصبح فتاة البلدة التي تملك علبة صفيح معلقة باسمها حاملاً وتوقع ابنها في الزواج غير المناسب.

"وهذا سيكون خطأ أيضاً". تتمتم جانيس وهي تجرُّ سلة الكرات إلى الظل وتقفلها. تسألها صديقتها مارسي باستمرار عما تجده فيه بادي – وكانت تقول ذلك بازدراء شديد، وأنف متغضِّن. ماذا تفعلان طوال عطلة نهاية الأسبوع؟ أتذهبان إلى حفلات الحدائق؟ أم إلى مباريات البولو؟

في الحقيقة، لقد ذهبا لحضور مباراتَي بولو، لأن توم هوب لا يزال يمتطي الخيل رغم أن بادي يعترف بأنها ستكون السنة الأخيرة على الأرجح إن لم يتوقف وزنه عن الازدياد. لكنهما كانا يمارسان... أيضاً، ويكونان أحياناً متوترين ومتعرقين. وهو يضحكها أحياناً، مع أن ذلك أصبح أقل تكراراً – إنها تعتقد أن قدرته على الإدهاش والتسلية بعيدة جداً عن أن تكون غير محدودة – لكنه، أجل، لا يزال يضحكها. إنه شاب بسيط ذو جسد متناسق، ويكسر نموذج الفتى الثري الأخرق بطرق ممتعة وأحياناً غير متوقعة. وإضافة إلى ذلك، إنه ينظر إليها بتقدير كبير جداً،

، هذا ليس سيئاً بالنسبة إلى نظرة الفتاة لذاتها.

ومع ذلك، إنها تعتقد أنه لن يقاوم نداء طبيعته الجوهرية إلى الأبد. ،ندما سيبلغ عمر الخامسة والثلاثين أو نحو ذلك، سيكون قد فقد معظم ا، ذل رغبته في التهام الفتيات، وسيصبح أكثر اهتماماً في جمع النقود، أو إعادة صقل الكراسي الكولونيالية الهزّازة؛ كما يفعل والده خارج - إحم - المنزل الملحق.

تمشي على مهل فوق العشب الأخضر وهي تنظر إلى الدمى الرفاه للمدينة الحالمة في الأفق البعيد. تقترب أكثر أصوات الصياح ، طرطشة المياه في حوض السباحة. في الداخل، سيكون والد بروس ، والدته وجدته وأصدقاؤهم المقربون يحتفلون بتخرُّج الابن الوحيد ملى طريقتهم الخاصة؛ وهم يحتسون الشاي بشكل رسمي. أما الأولاد سيخرجون هذا المساء ليحتفلوا، ولكن بطريقة أشد إمتاعاً بالتأكيد. سيحتسون الشراب، ويبتلعون عدداً ليس قليلاً من أقراص X. وستبث الموسيقا أنغامها عبر مكبرات صوت كبيرة. صحيح أن لا أحد سيضع الموسيقا الريفية التي تربَّت جانيس عليها، ولكن لا بأس في هذا، فهي تعرف أين تجدها.

عندما ستتخرَّج، ستقيم حفلة أصغر بكثير، ربما في مطعم آنت كاي. وبالطبع، إنها في طريقها لدخول قاعات دراسية أقل عظمةً أو علبدية، لكنها تملك خططاً للذهاب أبعد بكثير من المكان الذي تعتقد أن ،ادي سيبلغه؛ حتى في أحلامه. سوف تكون صحفية. ستبدأ في صحيفة الجامعة، ثم سترى إلى أين سيقودها ذلك. دَرَجة دَرَجة، بهذه الطريقة ستمضي. هناك دَرَجات كثيرة في السلَّم، صحيح، لكنها تملك الموهبة، فضلاً عن الشكل الحسن والثقة - غير الاستعراضية - بالنفس. لا تعرف دم من الموهبة تملك، لكنها ستكتشف ذلك لاحقاً. ثم هناك الحظ أيضاً. إنها حكيمة بما يكفي كي لا تعتمد عليه، ولكن بما يكفي أيضاً لتعرف أنه

يميل للشباب عادةً.

تصل إلى الباحة المرصوفة بالحجارة، وتنظر عبر المرج الفسيح إلى ملعب التنس المزدوج. كل شيء يبدو كبيراً جداً، ومترفاً جداً، ومهم‍ا جداً، لكنها تعرف أنها في الثامنة عشرة فقط. قد يأتي يوم يبدو فيه كل هذا عادياً بالنسبة إليها، بل حتى بالنسبة إلى ذكرياتها. صغير جداً. هذه القدرة على التقييم هي التي تجعلها راضية تماماً بأن تكون جانيس - شيء لا يمكن لفظه، ومن سكان إحدى البلدات، وصديقة بروس في الوقت الحالي. وبادي، ببساطته وقدرته المحدودة على إضحاكها في أوقات غير متوقعة، لم يجعلها قطّ تشعر بأنها قليلة القدْر؛ ربما لعلمه بأنها ستتركه على الفور إن حاول فعل ذلك.

بوسعها الذهاب عبر المنزل مباشرةً إلى المسبح وغرف تبديل الملابس الواقعة على الجانب البعيد، لكنها تلتفت قليلاً إلى يسارها لتنظر مرة أخرى عبر تلك المسافة الزرقاء إلى المدينة السابحة في ضوء العصر تسنّى لها بعض الوقت للتفكير، قد تكون مدينتي ذات يوم، قد أدعوها بلدي، قبل أن تضيء شرارة هائلة هناك، كما لو أن أحدهم قد أشعل فجأة عود ثقابه.

تجفل من الوهج الذي بدا في البداية مثل لمعان برق مفرد مكثّف، قبل أن تُضاء السماء الجنوبية برمتها بوهج أحمر فاقع. يحجب الوهج الدموي الأبنية تماماً، ثم تظهر هنيهة مرة أخرى، ولكن بشكل ضبابي، كما لو أنها تُرى من خلال عدسات معترضة، وبعد ثانية - أو عُشْر ثانية تختفي كلياً، ويبدأ اللون الأحمر بأخذ شكل ألف فيلم إخباري.

إنه صامت، صامت.

تخرج والدة بروس إلى الباحة وتقف بجانبها مظلّلةً عينيها بيدها إنها ترتدي ثوباً أزرق جديداً، ثوب حفلة شاي. تلمس كتفاها كتفي جانيس، وتنظران معاً جنوباً إلى الفطر القرمزي وهو يرتفع ملتهماً زرقة

السماء. يتصاعد الدخان حول أطرافه – يبدو بنفسجياً غامقاً في وهج الشمس – ثم يُسحَب إلى الداخل مجدداً. رغم أن حمرة كرة النار فاقعة جداً حيث لا يمكن النظر إليها، إلا أن جانيس لا تستطيع إبعاد عينيها. يدفق الدمع في جداول عريضة على خدَّيها، لكنها لا تستطيع إبعاد عينيها.

تتساءل والدة بروس: "ما هذا؟ إذا كان نوعاً من الدعاية، فإن الذوق رديء جداً".

تقول جانيس: "إنها قنبلة". يبدو صوتها وكأنه آت من مكان آخر؛ في بث حي من هاتفورد ربما. تنبثق الآن بثور سوداء ضخمة ضمن الفطر الأحمر، مشكّلة أشكالاً بشعة تتغيَّر وتتبدل – الآن قطة، الآن كلب، الآن وجه المهرج الشرير – وتتلوّى على مسافة أميال فوق ما كانت من قبل نيويورك، أما الآن فهي فرن صهر. "قنبلة نووية. وواحدة كبيرة جداً. ليست صغيرة أو –".

تصفعها والدة بروس بقوة، فتنتشر الحرارة نحو أعلى جانب وجهها وأسفله، وتتطاير الدموع من كلتا عينيها، ويهتز رأسها بعنف.

"إياك حتى أن تمزحي في هذا الأمر! ليس هناك ما يضحك في هذا الأمر!".

ينضم آخرون إليهما في الباحة الآن. لكنهم أكثر من ظلال بقليل، إما لأن بصر جانيس قد تأثر بفعل وهج كرة النار، أو لأن الغيمة حجبت الشمس. وربما لكليهما.

"هذا ذوق... رديء... جداً!". نطقت هذه العبارة بصوت يرتفع شيئاً فشيئاً؛ حيث خرجت كلمة جداً على شكل صرخة.

يقول شخص ما: "إنه نوع من المؤثرات الخاصة. لا بد أنه كذلك، وإلا كنا سنسمع –".

لكن الصوت يصل إليهم الآن. إنه يشبه صخرة تتدحرج فوق منحدر حجري لا نهاية له. يتكسَّر الزجاج على كامل الجانب الجنوبي

من المنزل، وتطير الطيور من الأشجار في أسراب هلعة. يملأ الصوت الجو كله ولا يتوقف. ترى جانيس جدة بروس تمشي ببطء على الطريق المؤدي إلى الكراج الكبير واضعةً يديها على أذنيها. تمشي مطأطئة الرأس، ومحنية الظهر، وبارزة المؤخرة؛ مثل امرأة عجوز هجّرتها الحرب من منزلها، تمشي خطواتها الأولى على درب الهجرة الطويل. هناك شيء ما معلّق بثوبها من الخلف، يتأرجح من جانب لآخر، ولا تندهش جانيس عندما تدرك (بما بقي لها من بصر) أنها سمّاعة الجدة.

يقول رجل من وراء جانيس بنبرة متذمرة ملحّة: "أريد أن أصحو، أريد أن أصحو، هذا يكفي".

بلغت الغيمة الحمراء الآن ارتفاعها الكامل، وهي تقف وقفة انتصار غاضب حيث كانت نيويورك منذ تسعين ثانية فقط، فطر داكن أحمر وبنفسجي حفرَ ثغرة في عصر هذا اليوم وفي الأيام اللاحقة.

يبدأ نسيم حار بالهبوب فيرفع الشعر من جانبي رأسها، محرراً أذنيها لتسمع بشكل أفضل هذا الانفجار المزمجر الذي لا يتوقف. وجانيس تراقب، وتفكّر في ضرب كرات التنس، واحدة تلو الأخرى، وكلها تسقط قريبة جداً من بعضها حيث يمكنك إمساكها بصينية فرن. بهذه الطريقة تقريباً تكتب. إنها موهبتها، أو كانت موهبتها.

تفكّر في النزهة التي لن يقوم بها بروس وأصدقاؤه. تفكّر في حفلة هولي ناو التي لن يحضروها الليلة. تفكّر في تسجيلات جاي - زد وبيونسيه وذي فراي التي لن يستمعوا إليها؛ ليست هناك خسارة هنا. وتفكّر في الموسيقا الريفية التي يستمع إليها والدها في شاحنته الصغيرة في طريقه من وإلى العمل. هذا أفضل، إلى حد ما. سوف تفكّر في باتسي كلاين أو سكيتر دافيس، ولمدة وجيزة قد تُعلّم ما بقي من عينيها عدم النظر.

ن

1. الرسالة

عزيزي تشارلي

يبدو غريباً وطبيعياً تماماً في الوقت نفسه أن أخاطبك بهذه الطريقة، ، لم أنني عندما رأيتك آخر مرة كنتُ تقريباً في نصف عمري الآن. كنتُ ي السادسة عشرة، وكنت مولعة بك إلى حد فظيع (هل كنت تعرف؟ لا شك في ذلك). الآن أنا امرأة متزوجة وسعيدة في زواجي ولدي طفل صغير، وأشاهدك دائماً على السي إن إن تتحدث حول "أشياء طبية". إنك وسيم الآن (في الواقع، تقريباً!) بقدر ما كنت وسيماً "في تلك الأيام"، مدما كنا نذهب نحن الثلاثة دائماً لنسبح ونشاهد الأفلام السينمائية في "دي تريل" في فريبورت.

تبدو مواسم الصيف تلك وكأنها كانت منذ زمن بعيد جداً؛ أنت وجوني متلازمان دائماً، وأنا أرافقكما كلما سمحتما لي بذلك؛ ربما أكثر مما كنت أستحق! لقد أرْجَعَتْ بطاقةُ تعزيتك كل هذه الذكريات إلي من جديد، وكم بكيتُ. ليس فقط على جوني، ولكن علينا نحن الثلاثة جميعاً. وأعتقد على بساطة الحياة آنذاك ويُسرها. كم كنا سعداء!

لقد رأيتَ إعلان نعيه بالطبع. "موت عرَضي" عبارة يمكن أن تغطي الكثير من الخطايا، صحيح؟ في القصة الإخبارية، قيل إن موت جوني نجمَ عن سقوط، ولقد سقط بالفعل – في موقع نعرفه جميعاً، موقع

أخبرني بشأنه في الخامس والعشرين من ديسمبر العام الماضي فقط لكنه لم يكن حادثاً. كان دمه يحوي كمية لا بأس بها من المواد المهدئة، ليس ما يكفي لقتله، ولكن وفقاً لمحقق الوفيات، قد تكون كافية لإفقاده توازنه. ولهذا السبب قيل "موت عرَضي".

لكنني أعرف أنه كان انتحاراً.

لم تكن هناك رسالة في المنزل أو على جسده، ولكن لعل هذا يتعلق بفكرة جوني عن اللطف. ولا بد أنك تعرف - بما أنك طبيب أيضاً - أن معدل الانتحار مرتفع جداً عند الأطباء النفسيين. يبدو وكأن أحزان المرضى ومشكلاتهم تشبه الأسيد الذي يخرّب بالتدريج الدفاعات النفسية لمعالجيهم. في أغلب الحالات، تبقى هذه الدفاعات سليمة، أما بالنسبة إلى حالة جوني، فلا أظن ذلك... والفضل يعود لمريض غير عادي. وهو لم يكن ينام كثيراً خلال الشهرين أو الثلاثة الأخيرة من حياته، كانت هناك هالتان داكنتان فظيعتان حول عينيه! وإضافة إلى ذلك، كان يلغي المواعيد يمنة ويسرى. وكان يذهب بالسيارة في جولات طويلة. لم يكن يقول إلى أين، لكنني أعتقد أنني أعرف.

رغم أن جوني كان منعزلاً، إلا أنه كوّن علاقة غير وثيقة مع طبيبين نفسيين آخرين خلال السنوات الأربع الأخيرة من حياته. ذهبتْ ملفات مرضاه الحالية (ليست كثيرة بسبب إلغائه الكثير من المواعيد) إلى أحد هذين الطبيبين بعد وفاته. لكنني عندما كنت أنظف غرفة مكتبه في المنزل، وجدت بالصدفة الكرّاس الصغير الذي وضعتُه في المغلف. إنه يحتوي ملاحظات حول مريض يدعوه "ن"، لكنني رأيت من قبل ملاحظاته الأكثر رسميةً في بضع مناسبات (ليس تطفُّلاً، ولكن لوجود إضبارة مفتوحة بالصدفة على طاولة مكتبه) ولهذا أنا أعرف أن هذه الملاحظات ليست كتلك. أولاً، لأنها لم تُكتَب في مكتب عيادته، بسبب عدم وجود عنوان، كما هو الحال في ملاحظات الحالات الأخرى التي رأيتها، ولعدم وجود

صم "سري" أحمر في الأسفل. وإضافة إلى ذلك، ستلاحظ خطاً عمودياً .اهناً على الصفحات. وطابعته المنزلية هي التي تفعل ذلك.

ولكن، كان هناك شيء آخر ستراه عندما تفتح الصندوق. لقد كتبَ المنين بخط عريض على الغلاف: احرقْ هذا. كدت أن أفعل ذلك دون ان أنظر إلى ما يوجد في الداخل. قلت لنفسي: ساعدني يا الله، قد يكون هذا مخبأه الخاص بالمخدرات أو بنسخ مطبوعة من الإنترنت لنوع شاذ من الصور الخليعة. وفي النهاية، بما أنني ابنة باندورا، فإن فضولي تفوّق على؛ وليته لم يفعل.

تشارلي، أظن أن أخي كان ينوي تأليف كتاب، شيء شعبي على نمط أوليفر ساكس. استناداً إلى هذا الكرّاس، إنني أعتقد أنه كان يركّز في البداية على سلوك هوسي قهري، وعندما أضيفُ إلى اعتقادي ذاك انتحارَه (إذا كان انتحاراً)، فإنني أتساءل إن كان اهتمامه نابعاً من ذلك القول القديم: "أيها الطبيب، اشفِ نفسك!".

على أي حال، لقد وجدت تقرير ن، وملاحظات أخي المتشظية على نحو متزايد، مثيرة للقلق. إلى أي حد هي مثيرة للقلق؟ بما يكفي لإرسال الكرّاس – الذي لم أنسخه. بالمناسبة، لا يوجد غيره – إلى صديق لم يره منذ عشر سنوات، ولم أره منذ أربع عشرة سنة. فكّرت في البداية: "ربما يمكنني نشر هذا الكراس. قد يكون فعل هذا نوعاً من شيء تذكاري حي لأخي".

غير أنني لم أعد أظن ذلك. ما أقصده هو أن الكرّاس يبدو حياً، ليس بالمعنى الجيد للكلمة. أعرف الأمكنة المذكورة (أراهن أنك تعرف معظمها أيضاً، الحقل الذي يتحدث ن عنه – بحسب ملاحظات جوني – لا بد أنه قريب من حيث كنا نذهب إلى المدرسة عندما كنا أطفالاً)، ومنذ قراءتي الصفحات، وأنا أشعر برغبة قوية في معرفة ما إذا كان بوسعي إيجاده. ليس بالرغم من طبيعة الكراس المثيرة للقلق، بل بسببها. وإذا لم

يكن هذا هوساً، فما هو إذاً؟!؟

لا أظن أن إيجاده سيكون فكرة حسنة.

لكن موت جوني يسكتني، وليس فقط لأنه أخي. وكذلك الأ، بالنسبة إلى الكراس. هل ستقرأه؟ اقرأه واخبرني برأيك. شكراً لك لا تشارلي. آمل أن لا يكون هذا تدخُّلاً. و... إذا قررتَ أن تحترم طل، جوني وتحرقه، فلن تسمع مني أيّ احتجاج.

مع كل الحب،
من أخت جوني بونسينت "الصغيرة"،

شيلا بونسينت لاكلير
964 شارع ليسبون
ليوستون، مين 04240

ملاحظة: آه، كم كنت مولعة بك!

2. ملاحظات حول الحالة

1 حزيران 2007

يبلغ ن 48 عاماً، وهو شريك في مؤسسة محاسبة كبيرة في بورتلاند، كما أنه مطلّق وأب لابنتين. إحداهما تُكمل دراستها العليا وتعمل في كاليفورنيا، والأخرى طالبة في السنة الأولى في جامعة هنا في ولاية مين. إنه يصف علاقته الحالية مع زوجته السابقة بأنها "بعيدة ولكن ودية".

يقول: "أعرف أنني أبدو أكبر من 48. هنا لأنني لا أنام. جرّبت آمبيين والدواء الآخر، العث الأخضر، لكنهما يجعلانني أشعر بالدوخة فقط".

عندما أسأله منذ متى يعاني من الأرق، لا يحتاج إلى وقت للتفكير في إجابة عن السؤال.

"عشرة أشهر".

أسأله إن كان الأرق هو الذي جلبه إلي فيتبسم وينظر إلى السقف.

معظم المرضى يختارون الكرسي، على الأقل في زيارتهم الأولى – اخبرتني امرأة أن الاستلقاء على الأريكة سيجعلها تشعر مثل "مريضة عصبية مضحكة في رسم كاريكاتوري في صحيفة نيويوركر" – لكن ذهب مباشرة إلى الأريكة. إنه يستلقي هناك شابكاً يديه بإحكام فوق صدره.

يقول: "أعتقد أن كلينا نعرف أكثر من ذلك، دكتور بونسينت".

أسأله عما يعنيه.

"إذا كنت أريد فقط التخلص من الهالتين حول عيني، فإما كنت سأذهب إلى طبيب تجميلي أو إلى طبيبي العائلي – الذي نصحني بك. المناسبة، يقول إنك جيد جداً – وأطلب شيئاً أقوى من آمبين أو أقراص العث الأخضر. لا بد أن هناك دواء أقوى تأثيراً، أليس كذلك؟".

لا أقول أي شيء.

"حسب فهمي، الأرق دائماً عَرَضٌ لشيء آخر".

أقول له إن الوضع ليس كما يقول دائماً، لكنه كذلك في معظم الحالات. وأضيف: إذا كانت هناك مشكلة أخرى، فإن الأرق نادراً ما يكون العرَض الوحيد.

"أوه، لدي أشياء أخرى، أطنان. على سبيل المثال، انظر إلى حذائي".

أنظرُ إلى حذائه. كان ينتعل جزمة برباطات. الفردة اليسرى معقودة من الأعلى واليمنى معقودة من الأسفل. أقول له إن هذا مثير جداً للانتباه.

يقول: "أجل. عندما كنتُ في المدرسة الثانوية، كانت الفتيات يربطن أحذيتهن المطاطية عند الأسفل إذا كن يرافقن فتىً على نحو منتظم، أو إذا كان هناك فتىً يرغبن في مرافقته بشكل منتظم".

أسأله إن كان يرافق امرأة ما بشكل منتظم، معتقداً أن هذا قد يزيل التوتر الذي أراه في وضعيته - إن مفاصل عظام يديه المشبوكتين بيضاء، كما لو أنه يخشى من أنهما يمكن أن تطيرا ما لم يطبّق قدراً معيناً من الضغط لإبقائهما في مكانهما - لكنه لا يضحك، ولا يبتسم أيضاً.

"لقد تجاوزت بعض الشيء مرحلة العلاقات المنتظمة في الحياة، ولكن هناك شيئاً أريده".

يفكّر.

"حاولت ربط كلتا الفردتين من الأسفل، لكن هذا لم يساعد ولكن، واحدة من الأعلى وواحدة من الأسفل، يبدو هذا في الحقيقة بأنه يفيد قليلاً". يحرر يده اليمنى من المسكة القاتلة التي تطبّقها اليد اليسرى عليها، ثم يرفعها مقرّباً إبهامه من سبابته إلى درجة التلامس، ثم يردف قائلاً: "بهذا القدر تقريباً".

أسأله عما يريده.

"أريد لذهني أن يعود متوازناً من جديد. لكن محاولة علاج عقل المرء عن طريق عقد رباطات حذائه وفق طريقة تواصل ما من المدرسة الثانوية... مع تعديلها قليلاً لتناسب الوضع الحالي... جنون، ألا تعتقد ذلك؟ والأشخاص المجانين ينبغي أن يطلبوا المساعدة. إذا بقيت لديهم ذرة عقل - وهذا ما أعتقده بالنسبة إليّ - فإنهم يعرفون ذلك. ولهذا السبب أنا هنا".

يشبك يديه مجدداً وينظر إلي بتحدٍّ وخوف. وأظن، بشيء من الارتياح أيضاً. لا بد أنه كان يستلقي على سريره صاحياً، وهو يتخيل كيف سيبدو الأمر عندما يخبر طبيباً نفسانياً بأنه يخشى على سلامة عقله وعندما فعل ذلك، وجد أنني لم أهرب من الغرفة صارخاً من الفزع، ولم أطلب أيضاً أولئك الأشخاص الذين يرتدون أردية بيضاء. يتصوّر بعض المرضى أنني أملك مجموعة مساعدين من أمثال أولئك الأشخاص

المتشحين بالبياض في الغرفة المحاذية تماماً، مجهّزين بشبكات صيد فراشات وسترات مقيِّدة.

أطلب منه أن يعطيني بعض الأمثلة حول اضطراب ذهنه الحالي، فيرفع كتفيه ثم يخفضهما.

ثم يقول: "الهراء العادي المتعلق باضطراب الهوس القهري. لا بد أنك سمعت عن ذلك مائة مرة من قبل. إنه السبب الأساسي الذي جئت إلى هنا للتخلص منه. ما حدث في آب من العام الماضي. فكّرت في أنه باستطاعتك ربما تنويمي مغناطيسياً وجعلي أنساه". ينظر إلي بأمل.

أخبره أن التنويم المغناطيسي - رغم أنه ليس هناك مستحيل - يعمل عند تطبيقه للمساعدة على التذكّر أفضل منه عند تطبيقه للمساعدة على عدم التذكُّر.

"آه، لم أكن أعرف ذلك. اللعنة". ينظر إلى السقف مجدداً. العضلات على جانب وجهه تتحرك، أظن أن لديه المزيد ليقوله. "يمكن أن يكون الأمر خطراً كما تعلم". يصمت، ولكن بشكل مؤقت فقط لأن العضلات على امتداد فكه لا تزال تتقلص وتتمدد. "المشكلة التي أعاني منها قد تكون خطرة".

كل جلسة علاج تتكون من سلسلة من الخيارات؛ من طرق متفرعة دون إشارات توجيهية. هنا يمكنني أن أسأله عن ذاك الشيء الخطير، لكنني أختار ألا أفعل. وبدلاً من ذلك أسأله عن نوع الهراء الهوسي القهري الذي يتحدث عنه؛ عدا عن عقده رباط إحدى فردتي حذائه من الأعلى والأخرى من الأسفل، وهو مثال جيد جداً (لم أقل له ذلك).

"تعرفها كلها". يقول ويرمقني بنظرة ماكرة تجعلني أشعر بعدم الارتياح. الأطباء النفسانيون مستكشفو كهوف بحق، وأي مستكشف كهوف سيخبرك أن الكهوف مليئة بالجرذان والبعوض. ليس ذلك أمراً لطيفاً، لكن معظمها غير مؤذية.

أطلب منه أن يسلّيني، وأن يتذكّر أننا ما زلنا في طور التعارف فقط

"لم نصل بعد إلى مرحلة العلاقة المنتظمة، هه؟".

لا، ليس تماماً بعد، أقول له.

"حسناً، من الأفضل أن نفعل ذلك سريعاً؛ لأنني في الحالة البرتقالية هنا يا دكتور بونسينت. وأقترب من الحالة الحمراء".

أسأله إن كان يعدُّ الأشياء.

"بالطبع أفعل ذلك. أحصي عدد الأدلة في أحجيات الكلمات المتقاطعة في صحيفة نيويورك تايمز... وفي أيام الآحاد أعدُّ مرتين لأن الأحجيات تكون أكبر، والعدُّ المزدوج يبدو ملائماً؛ بل ضرورياً في الواقع. كما أعدّ خطواتي، وعدد رنّات التلفون عندما أتصل بشخص ما. أتناول طعام الغداء في مطعم كولونيا دينر في معظم أيام العمل، إنه يبعد ثلاث كتل من الأبنية عن المكتب، وفي طريقي إلى هناك أعدُّ الأحذية السوداء. وفي طريق العودة، أعد الأحذية البنية. حاولت عدَّ الحمراء مرة، لكن ذلك كان سخيفاً. النساء فقط يرتدين أحذية حمراء، ولسن كثيرات ليس في النهار. عددت ثلاثة أحذية حمراء فقط، ولهذا عدت إلى المطعم وبدأت من جديد، ولكن في المرة الثانية أحصيت الأحذية البنية".

أسأله إن كان مضطراً لعدِّ رقم معين من الأحذية كي يشعر بالرضا

"ثلاثون رقم جيد. خمسة عشر زوجاً. في معظم الأيام هذه ليست مشكلة".

ولماذا من الضروري بلوغ رقم محدد؟

يفكّر في الأمر، ثم ينظر إلي ويقول: "إن قلتُ أنت تعرف، هل ستطلب مني أن أشرح لك ما يُفترَض أنك تعرفه؟ أقصد، لقد تعاملت مع الهوس القهري من قبل، وأنا أجريت بحثاً حوله – على نحو شامل في رأسي ذاته وعلى الإنترنت. لذا، هل يمكننا أن نكف عن تضييع الوقت وندخل صلب الموضوع؟".

أقول لـه إن معظم الذيـن يحصـون الأشـياء يشـعرون بأن بلـوغ رقم إجمالـي محـدد، يُعرَف باسـم "الرقم الهـدف"، ضـروري للحفـاظ على النظام؛ لإبقاء العالم يدور على محوره، إذا جاز التعبير.

يهز رأسه راضياً، وتنفتح البوابات.

"ذات يوم، عندما كنت أعدُّ في طريق عودتي إلى المكتب، مررت برجل ساقه مبتـورة من الركبـة. كان يمشـي متكئـاً على عكازيـن، ويضع جورباً على مقدمة سـاقه المبتـورة. لو كان ينتعـل حذاءً أسـود، لما كانت هناك مشـكلة؛ لأنني كنت في طريق العـودة، هل تفهمني؟ لكنـه كان بنياً. اضطرب يومي كله بسـبب ذلك، وفي تلك الليلة لـم أتمكن من النوم إطلاقاً. لأن الأرقام المفـردة سـيئة". ينقر بأصابعـه على جانب رأسـه، ثم يقول: "على الأقل هي كذلك هنا. ثمة جزء منطقي في عقلي يعرف أن هذا كله هراء، ولكن هناك جزءاً آخـر يظنّ أنه ليـس هراءً علـى الإطلاق، وهذا الجزء هو المسـيطر. قد تظن أنه عندما لا يحدث شـيء – فـي الواقع، لقد حدث شـيء جيد في ذلك اليوم، إذ كنـا قلقيـن من عملية تدقيق حسـابات من قبل مصلحة الضرائـب الفدرالية فـإذا بها تُلغى بدون أي سـبب – فإن تأثير هذا الظن يبطل، لكنه لم يبطل. لقد أحصيـت سـبعة وثلاثين حذاء بنياً بدلاً من ثمانية وثلاثين، وعندما لم ينتهِ العالم، فـإن الجزء اللاعقلاني من عقلي قال إنّ السبب ليس فقط لأنني تجاوزت الثلاثين، بل لأنني تجاوزته بكثير. عندما أعبئ غسّـالة الصحون، أعدُّ الأطبـاق. إذا كان الرقم مزدوجاً وفوق العشرة، فإن كل شـيء على ما يرام. وكذلك الأمر بالنسـبة إلى الشوك والملاعـق. يجب أن تكـون على الأقـل اثنتا عشـرة قطعة في تلـك العلبة البلاسـتيكية الصغيرة في مقدمة غسـالة الصحون. ولكن، بمـا أنني أعيش وحدي، فإن هذا يعني أنني أضطر في العادة إلى إضافة قطع نظيفة".

وماذا عن السكاكين؟ أسأله، فيهز رأسه نافياً في الحال.

"ليس السـكاكين. ليس في غسـالة الصحون".

وعندما أسأله: لم لا؟ يقول إنه لا يعرف. ثم بعد فترة صمت قصيرة، ينظر إلي نظرة جانبية مليئة بالشعور بالذنب قائلاً: "أغسل السكاكين بيدي دائماً، في الحوض".

أسأله عمّا إذا كان وضع السكاكين في علبة الفضيات يمكن أن يزعزع نظام العالم، فيصيح مستغرباً: "لا! أنت تفهم يا دكتور بونسينت، لكنك لا تفهم بشكل كامل".

فلتساعدني إذاً، أقول له.

"نظام العالم مزعزع سلفاً. أنا أفسدته في الصيف الماضي عندما ذهبت إلى حقل أكرمان. لكنني لم أفهم ذلك. ليس حينئذ".

لكنك تفهم الآن، أقول له.

"أجل. ليس كل شيء، ولكن ما يكفي".

أسأله عمّا إذا كان يحاول إصلاح الأشياء أو يحاول فقط منع الأمور من التدهور.

ارتسَمَتْ على كامل وجهه هيئة ارتياح لا يمكن وصفها، واسترخت عضلات وجهه كلها. شيء ما كان يصرخ طالباً أن يُعبَّر عنه، فإذا به يُقال بصوت عالٍ أخيراً. هذه هي اللحظات التي أعيش من أجلها. إنه ليس علاجاً، بل إنّه بعيد جداً عن ذلك، لكن ن في الوقت الحالي أحس بشيء من الراحة. أشك في أنه كان يتوقعها. معظم المرضى لا يتوقعون ذلك.

يقول بصوت هامس: "لا يمكنني إصلاحه، ولكن يمكنني منع الأمور من التدهور. أجل، إنني أفعل ذلك".

مرة أخرى، أصلُ إلى واحدة من تلك النقاط المتشعّبة. يمكنني أن أسأله عما حصل في الصيف الماضي - آب الماضي، كما أعتقد - في حقل أكرمان، ولكن ربما لا يزال الوقت مبكراً. من الأفضل أولاً حلحلة جذور هذه السن الملتهبة أكثر قليلاً. وأنا أشك حقاً في أن مصدر هذا الالتهاب حديث جداً. على الأرجح، إن ما حدث في الصيف الماضي

الا مجرد نوع من الزناد.

أطلب منه أن يخبرني عن أعراضه الأخرى.

يضحك ثم يقول: "هذا سيستغرق اليوم بأكمله، ونحن لا نملك الا..." ينظر إلى رسغه. "... اثنتين وعشرين دقيقة فقط. اثنان وعشرون .ام جيد، بالمناسبة".

الأنه زوجي؟ أسأله.

توحي إيماءة رأسه بأنني أضيّع الوقت في الأمور الواضحة.

"أعراضي... كما تدعوها... تأتي في مجموعات". الآن إنه ينظر إلى السقف. "هناك ثلاث مجموعات. إنها تخرج مني... من الجزء العاقل .مي... مثل صخور... صخور، هل تعلم... يا الله، يا الله الحبيب... مثل الصخور الملعونة في ذلك الحقل الملعون...".

تنساب الدموع على خديه. في البداية، يبدو أنه لا يلاحظ ذلك، فهو .ستلق على الأريكة شابكاً أصابع يديه، وينظر إلى السقف. لكنه بعد ذلك يمد يده بالقرب منه، حيث تقبع ما تدعوها ساندي – موظفة الاستقبال عندي – علبة الكلينيكس الأبدية. يأخذ منديلاً ويمسح خديه ثم يكوّره بيده. وبعد ذلك يختفي بين يديه المتشابكتين.

"هناك ثلاث مجموعات". يستأنف كلامه بصوت غير ثابت تماماً. العدُّ أولاً. إنه مهم لكنه ليس مهماً بقدر اللمس. هناك أشياء معينة احتاج إلى لمسها؛ مثل قضبان المدفأة قبل مغادرة المنزل في الصباح او الخلود للنوم في الليل. قد أكون قادراً على رؤية أنها مطفأة وأن كل مؤشرات التحكم موجهة نحو الأعلى، وأن جميع القضبان داكنة، ومع ذلك اضطر للمسها كي أكون متأكداً تماماً. ثم بدأت بلمس مفاتيح الإنارة قبل مغادرة المنزل أو المكتب؛ أنقرها بسرعة فقط. وقبل دخول سيارتي، إني بحاجة للنقر على السقف أربع مرات، وست مرات عندما أصل إلى المكان المقصود. أربعة رقم جيد، وستة لا بأس به. ولكن عشرة... عشرة

يشبه...". يمكنني رؤية دمعة وحيدة لم يمسحها تنساب بشكل متعرّج، زاوية عينه اليمنى إلى شحمة أذنه.

أهو مثل الخروج على نحو منتظم مع فتاة أحلامك؟ أقترح تشبيهاً

يبتسم. لديه ابتسامة جميلة متعبة، ابتسامةٌ تزداد رؤيتها صعوبة، الاستيقاظ في الصباح.

"هذا صحيح. ويكون رباط حذائها المطاطي معقوداً من الأسفل، يعرف الجميع بالأمر".

هل تلمس أشياء أخرى؟ أسأله رغم أنني أعرف الإجابة على هذا السؤال. لقد رأيت الكثير من أمثال السيد ن خلال السنوات الخمس التي مضت على مزاولتي هذه المهنة. أتخيّل أولئك البائسين أحياناً كرجالٍ ونساء يُنقَرون حتى الموت بواسطة طيور مفترسة؛ طيور غير مرئية على الأقل إلى أن يقوم طبيب نفساني جيد، أو محظوظ - أو الاثنان معاً - برشّها بنسخته الخاصة من اللومينول قبل أن يسلّط عليها الضوء المناسب - لكنها مع ذلك حقيقية جداً. لكن المثير للاستغراب هو أن الكثير من الأشخاص المصابين باضطراب الهوس القهري ينجحون في عيش حيوات منتجة رغم ذلك. إنه يعملون ويأكلون (غالباً ليس بما يكفي أو أكثر من اللزوم بكثير)، ويذهبون إلى السينما، ويقيمون علاقات مع صديقاتهم أو أصدقائهن، زوجاتهم أو أزواجهن... وطوال الوقت تكون هذه الطيور موجودة، قريبة منهم تنقر نتفاً صغيرة من لحمهم.

"ألمس أشياء كثيرة". يقول ويفضّل السقف مرة أخرى بابتسامته المتعبة الساحرة. "سمِّ أي شيء، وسيكون من بين الأشياء التي ألمسها"

إذاً، العدُّ مهم - أقول - لكن اللمس أكثر أهمية. فما هو الأهم من اللمس؟

"الترتيب". يقول وفجأة يبدأ جسده كله بالارتعاش، مثل كلب تُرك خارجاً تحت مطر بارد. "يا الله".

يجلس مستقيم الظهر، وينزل ساقيه من فوق الأريكة. يوجد على الطاولة بجانبه إناء زهور، بالإضافة إلى علبة الكلينيكس الأبدية. يعدّل بحركة سريعة جداً وضعيتي العلبة والإناء حيث يصبحان على محور متوازي، ثم يأخذ اثنتين من ورود التوليب من الزهرية ويضعهما على الطاولة، حيث تكون ساقاهما متلامستين، وإحدى الوردتين تلمس علبة الكلينيكس والأخرى تلمس الزهرية.

"هذا يجعل الوضع آمناً". يقول بتردد، ثم يومئ برأسه كما لو أنه واثق بأن ما يفكّر فيه هو الصحيح. "إنه يحفظ العالم... في الوقت الحاضر".

أنظر إلى ساعتي فأجد أن الوقت قد انتهى. لقد أنجزنا ما يكفي بحق ليوم واحد.

"الأسبوع القادم، الوقت نفسه، المحطة نفسها". أحياناً أحوّل هذه الملاحظة الصغيرة إلى سؤال، ولكن ليس مع ن. إنه بحاجة إلى العودة، وهو يعرف ذلك.

يسألني: "ليس هناك علاج عجيب، أليس كذلك؟". هذه المرة ابتسامته حزينة جداً وتبعث الأسى في النفس.

أقول له إنه قد يشعر بأنه أفضل حالاً (هذا الإيحاء الإيجابي لا يضرُّ أبداً، كما يعرف جميع الأخصائيين النفسانيين). ثم أطلب منه أن ... مي ... الأمبيين و"أقراص العث الخضراء"؛ أعتقد أنه يقصد لونيستا. إذا لم تكن تنفعه في الليل، فإن كل ما ستفعله هو التسبُّب له بمشكلة أثناء ساعات النهار. إن الغفو فوق الموصل الكهربائي 295 لن يحلّ أياً من مشاكله.

يقول: "لا. لا أعتقد ذلك. يا دكتور، نحن لم نناقش السبب الجوهري. أعرف ما هو...".

أخبره بأننا سنفعل ذلك في الأسبوع القادم. في الوقت الحالي، أريد

منه أن يكتب لي لائحة من ثلاثة أقسام: العدّ واللمس والترتيب. وأسا..
إن كان سيفعل ذلك.

"أجل".

أسأله بشكل شبه طبيعي إن كان يشعر بميل للانتحار.

"خطرت الفكرة في ذهني. ولكن، لدي أعمال كثيرة جداً لأقوم بها"

هذا جواب مثير للاهتمام ومقلق جداً.

أعطيه بطاقتي، وأطلب منه الاتصال بي – في الليل أو النهار .. إذا بدأت فكرة الانتحار تصبح أكثر جاذبية بالنسبة إليه. يقول إنه سيفعل، لكن جميع المرضى تقريباً يعِدون بذلك.

"في الوقت الحالي"، أقول له عند الباب واضعاً يدي على كتفه، "ابقَ على علاقة منتظمة مع الحياة".

ينظر إلي بحزن، وبدون ابتسامة الآن؛ كرجل يُنقَر شيئاً فشيئاً من قبل طيور غير مرئية. ثم يقول: "هل سبق لك أن قرأت القصة الشهيرة للكاتب آرثر ماتشن "موت العظيم"؟".

أهز برأسي نافياً.

"إنها أشد القصص إثارة للرعب. تقول فيها إحدى الشخصيات الرغبة تنتصر دائماً. لكنه لا يقصد الرغبة، فما يقصده هو الإكراه".

باكسيل؟ ربما بروزاك. لكنني لن أصف له أياً منهما حتى أفهم بشكل أفضل هذا المريض المثير للاهتمام.

7 حزيران

14 حزيران

28 حزيران

يجلب ن "فرضه المنزلي" في جلستنا التالية، كما توقّعت تماما هناك أشياء كثيرة في هذا العالم لا يمكنك الاعتماد عليها، وأشخاص كثر لا يمكنك الوثوق بهم، أما المصابون بالهوس القهري فهم دائماً ينجزون

...هم، ما لم يكونوا يحتضرون.

من جانب، تبدو قوائمه مضحكة. ومن جانب آخر، تبدو محزنة؛ ...صراحة أكثر، مرعبة. إنه محاسب، وأعتقد أنه استخدم أحد برامج ...حاسبة في صياغة محتويات هذا الملف الذي سلمني إيّاه قبل أن ...م طريقه إلى الأريكة. إنها جداول حاسوبية، ولكن بدلاً من الاستثمار ...ن الدخل، فإن هذه القوائم تفصِّل التضاريس المعقدة للأشياء ...سبة التي تتملّك ن. الورقتان الأوليان تحملان العنوان العدُّ، والورقتان ...انيان تحملان العنوان اللمس، والأوراق الست الباقية تحمل العنوان المرتب. بينما كنت أقلّب الأوراق، كنت أجد صعوبة بالغة في فهم كيفية ...جاده الوقت للقيام بأي أنشطة أخرى. لكن المرضى المصابين بالهوس ...هري يجدون دائماً طريقة ما. تخطر في ذهني مجدداً فكرة الطيور غير ...رئية: أراها جاثمة حول ن، وتحيط به من كل الأطراف، وتنقر نُتفاً صغيرة من لحمه.

عندما رفعت عيني رأيته مستلقياً على الأريكة، ومرة أخرى شابكاً ...يه بقوة فوق صدره. كما أعاد ترتيب علبة الكلينيكس والزهرية؛ حيث أصبحتا مجدداً متصلتين بشكل قطري. كانت الورود هذه المرة زنابق ...يضاء. إنّ رؤية الزهرية والعلبة مرتبتين بهذا الشكل على الطاولة كانت ...جعلني أفكّر في الجنائز.

يقول بنبرة اعتذارية ولكن حازمة: "رجاءً، لا تطلب مني أن أعيدهما إلى وضعهما السابق لأنني سأغادر قبل أن أفعل ذلك".

أخبره أنني لا أنوي أن أطلب منه إعادة أي شيء. أرفع الأوراق في الهواء وأمدحه على شكلها الاحترافي، فيكتفي برفع كتفيه وإنزالهما. ثم أسأله إن كانت تمثل عرضاً شاملاً أم تغطي فقط الأسبوع الماضي.

"الأسبوع الماضي فقط". يقول ذلك كما لو أن الأمر لا يهمه مطلقاً. ...ظن ذلك في الواقع. إن رجلاً يُنقَر حتى الموت من قبل طيور غير مرئية

لا يمكن أن يهتم بإهانات العام الماضي أو جراحه، أو حتى الأسبوع الماضي. فما في ذهنه الآن هو اليوم، والمستقبل أيضاً، ليكن الله في عونه.

أقول: "لا بد أنه يوجد ألفان أو ثلاثة آلاف شيء هنا".

"سمِّها أنشطة. هكذا أسمِّيها أنا. يوجد ستمائة وأربعة أنشطة عذ، وثمانمائة وثمانية وسبعون نشاط لمس، وألفان ومائتان وستة وأربعون نشاط ترتيب. كلها زوجية كما ستلاحظ. يبلغ مجموعها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانية وعشرين نشاطاً، عدد زوجي أيضاً. وإذا جمعت الأرقام في المجموع – 3728 – ستحصل على عشرين، زوجي أيضاً. رقم جيد" يهز رأسه وكأنه يؤكد ذلك لنفسه. "قسِّم 3728 على اثنين، وستحصل على ألف وثمانمائة وأربعة وستين نشاطاً. ومجموع 1864 هو تسعة عشر. رقم فردي قوي، قوي وسيئ". يرتعش قليلاً.

أقول: "لا بد أنك متعب جداً".

لا يقدِّم على هذا السؤال أي إجابة لفظية أو حركية، يبدو أنه يجيب، بالرغم من ذلك؛ إذ تنساب دموع على خديه نحو أذنيه. لا أريد أن أضيف أي شيء إلى أعبائه، لكنني أدرك حقيقة واحدة: إذا لم نبدأ العمل عاجلاً – "بدون هدر الوقت في السخافات" كما ستقول أختي شيلا – فإنه لن يكون قادراً على العمل مطلقاً. بوسعي منذ الآن رؤية تدهور في مظهره الخارجي (قميص مجعَّد، حلاقة غير مركَّزة، شعر بحاجة ماسة للترتيب)، وإذا سألتُ زملاءه عنه، فإنني على ثقة شبه تامة بأنني سأرى تلك النظرات المتبادَلة التي تشي بالكثير. أوراق الجداول مذهلة بحد ذاتها، ولكن من الواضح أن قوة ن آخذة بالنفاد. يبدو لي أنه ليس أمامنا خيار إلا الطيران مباشرةً إلى صميم الموضوع، وإلى أن نصل إلى هذا الصميم، لن يكون هناك باكيل ولا بروزاك، ولا أي شيء آخر.

أسأله إن كان مستعداً لإخباري بما حدث في آب الماضي.

"أجل. إنه الأمر الذي جئت من أجله". يأخذ بعض المناديل من العلبة الأبلية ويمسح خديه، بتعب. "ولكن، دكتور، هل أنت متأكد؟".

لم يبق لي قط أن سألني مريض هذا السؤل من قبل، أو تحدَّث إلي بهذه النبرة المترددة والمتعاطفة. غير أنني أقول له: أجل، إنني واثق. إن عملي هو مساعدته، ولكن كي أكون قادراً على فعل ذلك، عليه أن يكون مستعداً لمساعدة نفسه أولاً.

"حتى إذا كان هذا سيضعك في خطر أن تصبح مثلي الآن؟ لأن هذا ما يحدث. أنا ضائع، لكنني أعتقد - آمل - أنني لم أصل بعد إلى حالة الرجل الغارق، أي إنني لست مذعوراً للدرجة أن أكون مستعداً لإغراق أي شخص يحاول إنقاذي".

أقول له إنني لم أفهم تماماً ما يقصده.

"إنني هنا لأن كل هذا يمكن يكون في رأسي". يقول وهو ينقر بأصابع يده على رأسه وكأنه يريد التأكد من أنني أعرف أين يقع رأسه. لكنه قد لا يكون كذلك. لا يمكنني التميز حقاً. هذا ما أعنيه عندما أقول إنني ضائع. وإذا لم يكن الأمر ذهنياً - إذا كان ما شاهدتُه وأحسست به في حقل أكرمان حقيقياً - إذاً، فأنا أحمل نوعاً من العدوى. وهذا يمكن أن ينتقل إليك".

حقل أكرمان. أدوِّن الاسم رغم أن كل شيء سيكون مسجَّلاً على الشرائط. عندما كنا أطفالاً، كنت وأختي نرتاد مدرسة أكرمان في بلدة هارلو الصغيرة، على ضفتي نهر أندروسكوجين. وهو ليس بعيداً جداً من هنا؛ إنه يبعد ثلاثين ميلاً كحد أقصى.

أخبره بأنني سأجرِّب حظي، وبأنني واثق - دعم إيجابي إضافي - من أن كلينا سنكون بخير.

يطلق ضحكة وحيدة جوفاء ثم يقول: "ألن يكون ذلك جميلاً؟".

"أخبرني عن حقل أكرمان".

يتنهّد ثم يقول: "إنه في موتون. على الجانب الشرقي من نه
أندروسكوجين".

موتون. كانت أمُّنا معتادة على شراء الحليب والبيض من مزرع
بوي هيل في موتون. يتحدث ن عن مكان لا يمكن أن يكون أبعد م
سبعة أميال عن المنزل الذي نشأت فيه. كدت أن أقول له: أنا أعرفها!

رغم أنني لا أقول له ذلك، إلا أنه يرمقني بنظرة حادة كما لو أنه
التقط فكرتي. لا أؤمن بالإدراك اللاحسّي، لكنني في الوقت نفسه لا أنكر
كلياً.

"لا تذهب إلى هناك يا دكتور أبداً. ولا تبحث عنه أيضاً. عِدْني".

أعده. في الواقع، لم أعد إلى ذلك الجزء الخرب من مين منذ ما
يزيد عن خمسة عشر عاماً. إنه قريب من حيث المسافة، لكنه بعيد من
حيث الرغبة. كان توماس ولف تعميمياً على نحو مميز عندما عنون
عمله العظيم "لا يمكنك العودة إلى مسقط الرأس مجدداً"؛ إذ إنه لا ينطبق
على الجميع، (غالباً ما تعود أختي شيلا إلى هناك، فهي لا تزال مقربة من
بعض أصدقاء طفولتها)، لكنه ينطبق عليّ أنا. أعتقد أنني كنت ساعنون
كتابي الخاص "لن أعود إلى مسقط رأسي مجدداً". فما أذكره منه هو
أطفال عدائيون بشفاه أرنبية يهيمنون على ساحة اللعب، ومنازل فارغة
ذات نوافذ محدّقة بدون زجاج، وسماء كانت تبدو دائماً بيضاء وباردة
وملأى بالغربان الهاربة.

"حسناً". يقول ن ويكشف للحظة عن أسنانه للسقف. ليس بتعبير
عدواني، بل – أنا واثق تماماً – بصورة رجل يستعد لرفع شيء ثقيل
سيتركه متألماً طوال اليوم التالي. "لا أعرف إذا كان بمقدوري شرح
الأمر بصورة جيدة، لكنني سأفعل ما بوسعي. الشيء المهم الذي ينبغي
أن تعرفه هو أنني قبل ذلك اليوم في آب، كان الرجوع بسرعة إلى الحمام
قبل الذهاب إلى العمل للتأكد من أنني ازلت جميع الشعيرات في أنفي هو

اد ب شيء من السلوك الهوسي القهري كنت أفعله".

قد يكون هنا صحيحاً. على الأرجح إنه ليس كذلك، لكنني لا الاحق الموضوع. وبدلاً من ذلك، أطلب منه أن يخبرني عما حدث في ،الك اليوم. فيفعل.

يخبرني بذلك خلال الجلسات الثلاث التالية. وفي الجلسة الثانية – الخامس عشر من حزيران – يجلب لي تقويماً. إنه المستند أ، كما يُقال.

3. قصة ن

أنا محاسب بالمهنة، ومصوِّر بالميْل. بعد طلاقي – ونضوج الابن، وهو طلاق من نوع مختلف، ولا يقل إيلاماً عنه – كنت أمضي ،معظم عطل نهايات الأسبوع في التنزُّه والتقاط الصور للمناظر الطبيعية بكاميرتي، نيكون. إنها كاميرا تُزوَّد بفيلم، وليست رقمية. قبل نهاية كل عام، كنت أنتقي أفضل اثني عشرة صورة وأحوّلها إلى تقويم. وكنت اطبعها في مكان صغير في فريبورت يُدعى مطبعة ويندهوفر. يطلبون ثمناً غالياً، لكنهم يقومون بعمل جيد. كنت أُقدِّم تقاويمي إلى أصدقائي وشركائي في العمل بمناسبة الكرسمس، كما أقدّمها إلى بضعة زبائن أيضاً، ولكنهم ليسوا كثيرين؛ فالزبائن الذين يدفعون مبالغ مكونة من خمس خانات أو ست يقدّرون عادةً أشياء مطليّة بالفضة. بالنسبة إليّ، انا أفضّل دائماً صورة منظر طبيعي جيدة. ليست لدي أي صورة لحقل اكرمان. التقطت بعضها لكنها لم تظهر قطّ. في ما بعد، استعرت كاميرا رقمية، لكن الصور لم تظهر وحسب، بل احترقت الكاميرا من الداخل أيضاً. اضطررت لشراء واحدة جديدة للشخص الذي استعرتها منه. بحلول ذلك الوقت، أعتقد أنني كنت سأتلف أي صورة التقطتها لذلك المكان في كل الأحوال. أعني، إذا سمح لي".

[أسأله عمن يقصد بقوله: إذا سمح لي، فيتجاهل السؤال كما لو أنه

لم يسمعه].

"التقطتُ صوراً في شتى أرجاء مين ونيو هامبشاير، لكنني أميل للالتزام كثيراً بمنطقتي الخاصة. أعيش في كاسل روك - فوق ملء الإطلالة، في الحقيقة - لكنني نشأت في هارلو، مثلك. ولا تندهش كثيراً يا دكتور، لأنني تحرَّيت عنك في جووجل بعد أن أوصاني بك طبيبي العام. الجميع يتحرون عن الجميع في جووجل هذه الأيام، أليس كذلك؟

على أي حال، ذلك الجزء من مين هو المكان الذي أنجزت فيه عملي الأفضل. هارلو، موتون، تشيسترز ميل، سينت آيفز، كاسل سينت - آيفز، كانتون، ليبون فولز. بكلمات أخرى، على امتداد ضفتي نهر أندروسكوجين العظيم. تلك الصور تبدو أكثر... حقيقية، إلى حد ما. تقويم العام 2005 مثال جيد. سأجلب لك واحداً ويمكنك أن تقرر بنفسك. من كانون الثاني حتى نيسان، ومن أيلول حتى كانون الأول، كلها التُقطت بالقرب من المنزل. ومن أيار حتى آب... لنرَ... أولد أورتشارد بيتش... بيماكويد بوينت، المنارة بالطبع... حديقة هاريسون ستيت... وثاندر هول في بار هاربور. اعتقدت أنني سأحصل على شيء جيد حقاً في ثاندر هول، كنت متحمِّساً، ولكن عندما رأيت النسخ الابتدائية، تبدّت الحقيقة جلية أمام عيني. كانت مجرد لقطات سياحية أخرى. توليفة جيدة من المكونات، وما الذي يعنيه ذلك؟ يمكنك إيجاد توليفة جيدة في أي تقويم سياحي.

أتريد رأيي كهاوٍ فقط؟ أعتقد أن التصوير فن يحتاج إلى براعة فنية أكبر بكثير مما يعتقد معظم الناس. من المنطقي التفكير بهذه الطريقة: إذا كنت تملك عيناً جيدة تلتقط التوليفة المناسبة - إضافة إلى بضع مهارات تقنية يمكنك تعلُّمها في أي دورة لتعليم فن التصوير - فإن أي مكان جيد ينبغي أن يعطي صوراً جيدة كأي موقع آخر. بيد أن الأمر ليس على هذا النحو. إن المكان مهم في التصوير كما هو مهم في الرسم أو في كتابة

القصص أو الشعر. لا أعرف لماذا هو مهم، ولكن...

[فترة صمت طويلة].

في الحقيقة، أنا أعرف. لأن أي فنان - حتى الهاوي مثلي - يضع ... مه في الأشياء التي يبدعها. بالنسبة إلى بعض الناس - أولئك الذين ... يدعون أرواحاً هائمة بتصوُّري - إن الروح متنقلة. ولكن، بالنسبة إليّ، ... و أنها لا تذهب إلى أي مكان حتى لو كان قريباً مثل هاربور. مع ذلك، ... اللقطات التي أخذتها على امتداد نهر أندروسكوجين... إنها تتحدث ... ي. وهي تتحدث عن آخرين أيضاً. قال الرجل الذي أتعامل معه في ... دهوفر إنني أستطيع الحصول على عقد نشر في نيويورك، وإنني قد ... ال أجراً على تقاويمي بدلاً من دفع تكاليفها بنفسي، لكن هذا لم يثر ... اهتمامي قط. بدا لي أنه... لا أعرف... شيء جداً؟ مظهريّ؟ لا أعرف، ... لي شيئاً من هذا القبيل. التقاويم أشياء صغيرة يتم تبادلها بين الأصدقاء ... فقط. وإضافة إلى ذلك، فأنا أملك عملاً. إني سعيد في إجراء الحسابات.

لكن، لا شك في أن حياتي ستكون أشد ظلمة بدون هوايتي. كنت سعيداً ... لمجرد معرفتي أن بضعة أصدقاء يعلّقون تقاويمي في مطابخهم أو غرف ... معيشتهم، وحتى في غرف الملابس الرطبة والأحذية الموحلة. المفارقة ... تتمثل في أنني لم ألتقط صوراً كثيرة منذ تلك الصورة التي التقطتها في حقل أكرمان. أعتقد أن جزءاً من حياتي قد انتهى حينها، وأنه خلّف ... حفرة، فجوة تصفُر في منتصف الليل، وكأن في داخلها مجرّى هوائياً؛ ربما تحاول أن تملأ الفراغ الذي تركه الجزء الذي لم يعد موجوداً. أحياناً أعتقد أن الحياة سيئة وحزينة يا دكتور. أعتقد ذلك حقاً.

في واحدة من نزهاتي في شهر آب، وصلت إلى طريق ترابي في ... ونو لا أذكر أنني رأيته من قبل. كنت أقود السيارة وأستمع إلى الموسيقا من الراديو، ثم فقدت أثر النهر، لكنني كنت أعرف أنه لا يمكن أن يكون بعيداً؛ لأنه يملك رائحة، رائحة رطبة ومنعشة في الوقت نفسه. أنت

تعرف ما أقصده، أنا متأكد من ذلك. إنها رائحة قديمة. على أي حال، لقد سلكت ذلك الطريق.

كان طريقاً وعراً، ويكاد يكون مختفياً عن الأنظار في بعض الأماكن وإضافة إلى ذلك، كان الوقت متأخراً. لا بد أن الساعة كانت قريبة من السابعة مساء، ولم أتوقف في أي مكان لتناول طعام العشاء. كنت جائعاً، وكنت على وشك أن أعود أدراجي، فإذا بالطريق يصبح سلساً في ذلك الحين فبدأت بصعود التلة بدلاً من النزول. أصبحت الرائحة أقوى أيضاً، وعندما أطفأت الراديو كان بوسعي سماع صوت النهر؛ ليس عالياً، وليس قريباً، لكنه كان هناك.

ثم وصلت إلى شجرة في منتصف الطريق، وكدت أن أعود. كان بوسعي فعل ذلك، رغم عدم وجود فسحة للالتفاف. كنت على بعد ميل تقريباً من الطريق 117، وكان بمقدوري الرجوع بشكل عكسي في خمس دقائق. أعتقد الآن أن شيئاً ما، قوة ما توجد على الجانب المشرق من حيواتنا كانت تعطيني تلك الفرصة. أعتقد أن السنة الماضية كانت ستكون مختلفة كثيراً لو أنني وضعت ذراع ناقل الحركة على وضعية الرجوع لكنني لم أفعل. لأن تلك الرائحة... كانت تذكّرني دائماً بالطفولة. وإضافة إلى ذلك، كان باستطاعتي رؤية مساحة أكبر بكثير من السماء على قمة التلة. كانت الأشجار - بعض أشجار الصنوبر، والكثير من أشجار البيرتش *birch* اليابسة - أقل هناك، فقلت في نفسي: "هناك حقل". خطر لي أنه إذا كان هناك حقل فعلاً، فإنه قد يكون مطلاً على النهر. وخطر لي أنه قد يكون هناك مكان جيد للالتفاف فوق التلة؛ غير أن ذلك كان ثانوياً جداً بالنسبة إلى فكرة أنني قد أكون قادراً على التقاط صورة لنهر أندروسكوجين عند الغروب. لا أعرف إن كنتَ تتذكر أننا شهدنا بعض مغيبات الشمس المميزة في آب الماضي، لكن هذا حقيقي.

وهكذا ترجّلت وأبعدت الشجرة. كانت واحدة من أشجار البيرتش

ىلك. كانت يابسة لدرجة أنها تفتّت في يدي. ولكن، مع ذلك، عندما مدت إلى سيارتي، كدت أن أقفل راجعاً بدلاً من التقدم إلى الأمام. توجد مماً قوة على الجانب المضيء من الأشياء؛ أعتقد ذلك فعلاً. ولكن، يبدو ان صوت النهر أصبح أشد وضوحاً مع إزالة الشجرة من الطريق – هذا ماء، أعرف، لكن الأمر بدا لي على هذا النحو حقاً – وهكذا وضعت بالل الحركة على السرعة الأولى، وقدت سيارتي التويوتا 4 رانر صاعداً بمهة الطريق نحو الأعلى.

عبرت بجانب لافتة صغيرة معلّقة على شجرة كُتب عليها: "حقل اكرمان، ممنوع الصيد، ممنوع الدخول". ثم بدأت الأشجار تختفي، أولاً على اليسار ثم على اليمين، ثم ظهر أمامي. لقد حبس أنفاسي. لا أتذكر اني أطفأت محرك السيارة وخرجت منها، ولا أتذكر إمساكي بكاميرتي، ولكن لا بد أنني فعلت ذلك، لأنني كنت أحملها في يدي عندما وصلت إلى حافة الحقل، وكان الحزام وكيس العدسات يرتطمان بساقي. كنت مذهولاً تماماً لدرجة أنني فقدت الإحساس بالعالم حولي.

الحقيقة لغز محير يا دكتور بونسينت، والأشياء اليومية هي القماش الذي نضعه فوقها كي نحجب إشراقها أو ظلمتها. أعتقد أننا نغطي وجه الميت للسبب نفسه. نحن نرى وجوه الموتى كنوع من البوابة. صحيح أنها موصدة علينا... لكننا نعرف أنها لن تبقى موصدة دائماً. ستُفتَح يوماً ما لكل واحد منا، وسنعبر خلالها جميعاً.

ولكن، ثمة أماكن يهترئ فيها القماش فتصبح الحقيقة شفافة، ويظهر الوجه تحته... ولكن ليس وجه الجثة. ربما كان الأمر أفضل إلى حد ما لو كان وجه جثة. حقل أكرمان هو أحد هذه الأمكنة، ولا عجب أن مالكه أياً كان هذا المالك قد وضع لافتة تقول: ممنوع الدخول.

كان النهار يأفل. وكانت الشمس كرة من الغاز الأحمر، مسطّحة من الأعلى والأسفل، جاثمة فوق الأفق الغربي. وكان النهر بوهجه المنعكس

يبدو مثل أفعى حمراء طويلة، وبعد ثمانية أميال أو تسعة، لكن هواء المساء الساكن كان يحمل صوته إلي. وتقف خلفه غابة زرقاء رمادية في سلسلة تعرجات تصل إلى الأفق البعيد. لم أتمكن من رؤية أي بيت أو طريق. ولم أسمع صوت طير يزقزق. بدا لي الأمر وكأنني رجعت بالزمن أربعمائة عام إلى الوراء، أو أربعة ملايين. كانت أشرطة الضباب الأرضي الأولى ترتفع فوق العشب الذي كان عالياً. لم يأتِ من يقصّه رغم أن الحقل كان واسعاً، وكان مرعىً جيداً. كان الضباب يخرج من الخضار الداكن كالنَفَس. كما لو أن الأرض نفسها كانت حية.

أظن أنني ترنَّحت قليلاً. لم يكن الجمال هو السبب؛ رغم أنّ المكان كان جميلاً جداً، ولكن لأن كل شيء أمامي كان يبدو هشاً إلى درجة الخيال. وبعد ذلك رأيت تلك الصخور اللعينة تبرز من بين العشب غير المقصوص.

كانت سبع صخور – أو هكذا اعتقدت – كان ارتفاع أطول صخرتين فيها يبلغ خمس أقدام تقريباً، فيما بلغ ارتفاع الثالثة نحو ثلاث أقدام فقط، وما تبقى بين هذين الطولين. أذكر أنني مشيت نحو الصخور القريبة، لكن ذلك يشبه تذكُّر حلم بعد أن يبدأ بالتحلُّل في ضوء الصباح. هل تعرف كيف؟ بالطبع تعرف، لا بد أن الأحلام جزء كبير من عملك اليومي. بيد أن ذاك لم يكن حلماً. كان بوسعي سماع صوت حفيف العشب على بنطالي، والإحساس برطوبة الهواء بفعل الضباب؛ الأمر الذي أدى إلى التصاق ساقَي بنطالي بجلدي تحت الركبتين. وبين الحين والآخر، كان كيس عدساتي يُسحَب إلى الخلف بواسطة أجمة ما – مجموعات من نبتة السمّاق نامية هنا وهناك – ثم يُترَك ليرتطم بفخذي بقوة أكبر من المعتاد.

وصلتُ إلى الصخرة الأكبر قرباً ثم توقفت. كانت إحدى الصخرتين الأكثر طولاً بين الصخور. في البداية، اعتقدت أن هناك وجوهاً منقوشة فيها – ليست وجوهاً بشرية أيضاً، بل وجوه وحوش – لكنني غيَّرت

«» لعي قليلاً فرأيت أنها كانت واحدة من حيَل ضوء المساء الذي يكثّف الظلال ويجعلها تبدو مثل... حسناً، أي شيء. في الحقيقة، بعد وقوفي في موقعي الجديد لبعض الوقت، رأيت وجوهاً جديدة. وبعضها كان يبدو بشرياً، لكنها كانت مرعبة رغم ذلك. بل أشد إرعاباً، حقاً، لأن الإنسان أشد إرعاباً على الدوام، ألا تظن ذلك؟ لأننا نعرف الإنسان، فنحن نفهم الإنسان؛ أو نعتقد أننا نعرفه. وكانت هذه الوجوه تبدو إما ضاحكة أو صارخة؛ وربما ضاحكة وصارخة في الوقت نفسه.

التقطت بعض الصور. خمس صور حسبما أعتقد. رقم سيء، لكنني لم اكن أعرف ذلك حينئذ. ثم تراجعت قليلاً بغية جمع الصخور كلها في صورة واحدة، وعندما ثبّتُّ اللقطة، رأيت أنها كانت ثماني صخور في حلقة غير منتظمة. بوسعك القول – إذا نظرت بإمعان، يمكنك ذلك – إنها جزء من تطور جيولوجي إما برز إلى السطح منذ زمن سحيق، أو ظهر في وقت أقرب من ذلك بفعل الانجراف (للحقل سطح منحدر بشكل واضح، ولهذا فكّرت بأن ذلك ممكن جداً)، لكنها تبدو أيضاً منظّمة؛ مثل الحجارة في دائرة درويد. غير أنها لم تكن تحمل أي نقوش. باستثناء ما فعلته عوامل الطبيعة. أعرف ذلك لأنني عدت في النهار وتأكدت من ذلك. تشققات وثنْيات في الصخور، لا أكثر من ذلك.

التقطت أربع صور أخرى – ما يجعل المجموع تسع صور. وهذا رقم سيء آخر، مع أنه أفضل بقليل من الرقم خمسة – وعندما أخفضت الكاميرا ونظرت مجدداً بعيني المجردة، رأيت الوجوه تحدّق وتكشّر وتزعق. بعضها بشري وبعضها وحشي. وعددتها فوجدتها سبعة صخور.

لكنني عندما نظرت في عدسة الكاميرا مرة أخرى، وجدت أنها ثماني. بدأت أشعر بالدوار والخوف. أردت أن أخرج من هناك قبل أن يحل الظلام تماماً؛ بعيداً عن الحقل ونحو الطريق 117، مع موسيقا روك أند رول صاخبة من الراديو. غير أنني ببساطة لم أتمكن من المغادرة.

فهناك شيء عميق في داخلي - بعمق الرغبة في الحياة التي تجعلنا دائماً نشهق الأنفاس ونزفرها - أصرَّ على البقاء. شعرت بأن شيئاً فظيعاً قد يحدث إذا غادرت، وربما ليس لي وحسب. عاد الشعور بالهشاشة إليّ من جديد، وكأن العالم كان هشاً جداً في تلك البقعة بالذات، وأن شخصاً واحداً يمكن أن يكون كافياً لإحداث كارثة لا يمكن تصوُّرها؛ إن لم يكن حذراً جداً جداً.

هنا بدأ الهوس القهري اللعين. تنقلت من صخرة إلى أخرى، وأنا ألمس كل واحدة، وأعدُّها، وأعلّم كُلاًّ منها في مكانها. كنت أريد الرحيل - كنت أريد الرحيل بشدة - لكنني فعلت ذلك، وليس بطريقة عشوائية. لأنه كان ينبغي علي فعل ذلك. عرفت هذا كما أعرف أنني بحاجة إلى التنفس دائماً إذا أردت البقاء على قيد الحياة. حينما عدت إلى المكان الذي بدأت منه كنت أرتعش، وكنت مبللاً بالعَرَق والندى. لأن لمس تلك الصخور... لم يكن مريحاً. كان يثير في رأسي... أفكاراً، ويولّد صوراً، صوراً بشعة. إحداها تقطيع زوجتي السابقة بواسطة فأس والضحك بينما كانت تصرخ وترفع يديها الداميتين تفادياً للضربات.

ولكن، كانت ثماني صخور في حقل أكرمان. رقم جيد. رقم آمن. عرفت ذلك. ولم يعد مهماً إن نظرت إليها من خلال عدسة الكاميرا أم بعينيَّ المجردتين، فبعد أن لمستها، أصبحت مستقرة. كان الظلام يشتد، وكان نصف الشمس فوق الأفق (لا بد أنني أمضيت عشرين دقيقة أو أكثر وأنا أدور حول تلك الدائرة غير المنتظمة، والتي كان قطرها يبلغ ربما أربعين ياردة)، ولكن كان بوسعي الرؤية جيداً بما يكفي؛ إذ كان الجو صافياً على نحو غريب. كنت لا أزال أشعر بالخوف - كان ثمة خلل ما في ذلك المكان، كل شيء كان يجهر بذلك، صمت الطيور كان يجهر بذلك - لكنني كنت أشعر بالارتياح أيضاً. لقد صُحِّح الخلل جزئياً على الأقل بواسطة لمس الصخور... والنظر إليها مجدداً، وتثبيت مواضعها في

العقل في ذهني؛ كان هذا هاماً بقدر اللمس.

[فترة صمت للتفكير].

لا، بل كان أكثر أهمية. لأنه الطريقة التي نرى فيها العالم؛ حيث تُبقينا بمأمن من ظلمة ما وراء العالم، وتمنع الظلمة من التسلل إلينا وإغراقنا. أعتقد أننا جميعاً نعرف ذلك، في أعماقنا. وهكذا استدرت وغادرت المكان، وقطعت معظم المسافة نحو سيارتي - بل ربما كنت أمسك بيدي مقبض الباب - عندما أدارني شيء ما ثانيةً. وعندها رأيت.

[يصمت لفترة طويلة. ألاحظ أنه يرتعش وينضح عرقاً. إنه يلمع على جبينه مثل الندى].

كان هناك شيء ما بين الصخور. في منتصف الدائرة التي كانت تشكلها، إما بالصدفة أو عن قصد. كان أسود مثل السماء في الشرق، وأخضر مثل العشب. وكان يدور ببطء شديد، لكنه لم يبعد عينيه عني قطّ. لقد رأيت عينين فعلاً، عينين ورديتين مريضتين. عرفت - الجزء العاقل من ذهني عرف ذلك - بأن الذي كنت أراه كان مجرد ضوء من السماء. لكنني في الوقت نفسه كنت أعرف أنه أكثر من ذلك. ذلك الشيء كان يستخدم الضوء. إنه شيء كان يستخدم الغروب كي يرى، وما كان يراه هو أنا.

[إنه يبكي ثانيةً. لا أقدّم له مناديل الكلينيكس لأنني لا أريد أن أفسد تلك اللحظات. رغم أنني لست واثقاً أن باستطاعتي أن أقدمها له على أي حال، لأنه جعلني مفتوناً بما يقوله أيضاً. ما يقوله وهم، وجزء منه يعرف ذلك - "ظلال تبدو مثل وجوه" إلخ... - لكنها أوهام قوية جداً، والأوهام القوية تنتقل مثل جراثيم الزكام عند العطس].

لا بد أنني ظللت أتراجع. لا أذكر أنني فعلت ذلك، أذكر فقط أنني كنت أنظر إلى رأس وحش بشع من الظلام الخارجي. وأذكر أنني كنت أفكر في أنه حيث يوجد واحد، فيكون هناك المزيد. ثماني صخور

ستبقي أولئك الوحوش أسرى - بالكاد - ولكن، إذا كانت سبعاً فقط، فإنهم سيتدفقون من ظلمة الجانب الآخر من الواقع ويغمرون العالم كل ما أعرفه هو أنني كنت أنظر إلى أصغرهم. كل ما أعرفه هو أن ذلك الرأس المسطح الذي يشبه رأس الأفعى مع العينين الزهريتين، وما بدا مثل أشواك طويلة نامية على خطمه، كان مجرد طفل.

لقد رآني أنظر إليه.

ذلك الشيء اللعين ابتسم في وجهي، وكانت أسنانه رؤوساً، رؤوساً بشرية حية.

ثم دُست على غصن يابس فتكسَّر مصدراً صوتاً يشبه صوت مفرقعة نارية، وتوقف الشلل الذي أصابني. أعتقد أنه ليس أمراً مستحيلاً أن يكون ذلك الشيء الهائم بين دائرة الصخور قد نوَّمني مغناطيسياً، كما يُفتَرَض أن تفعل الأفعى مع طير ما.

استدرت وركضت. كان كيس عدساتي يرتطم بساقي مع كل خطوة، وكل ارتطام بدا وكأنه كان يقول: اصح! اصحٍ! ابتعد! ابتعد! فتحت بسرعة باب سيارتي فسمعت الجرس الصغير يرنّ الرنين الذي يعني أنني نسيت المفتاح في دارة التشغيل. فكَّرت في فيلم قديم يكون فيه ويليام باول وميرنا لوي أمام منضدة استقبال فندق فخم ويقرع باول الجرس منادياً موظف الخدمة. إنه لأمر مضحك ما يجول في خاطرك في أوقت كتلك، أليس كذلك؟ هنالك بوابة في عقولنا أيضاً؛ هذا ما أعتقده، بوابة تمنع الجنون فينا جميعاً من اجتياح أذهاننا. وفي لحظات حساسة، تنفتح هذه البوابة، ويتدفق عبرها جميع أشكال الهراء الغريب.

شغَّلت المحرك، وفتحت الراديو، ورفعت الصوت عالياً فزمجرت موسيقا الرول آند رول من مكبرات الصوت. وأذكر أنني شغَّلت المصابيح الأمامية. وعندما فعلت ذلك، بدت تلك الصخور وكأنها تقفز نحوي. كدت أصرخ، لكنها كانت ثماني صخور. لقد عددتها، والثمانية رقم آمن.

[فترة صمت طويلة أخرى هنا. تقارب دقيقة كاملة].

الشيء التالي الذي أذكره هو أنني عدت إلى الطريق 117. لا أعرف كيف وصلت إلى هناك، ولا أدري إن كنت قد استدرت أم رجعت بشكل عكسي. لا أعرف كم من الوقت استغرقني ذلك، لكن أغنية فريق "*The Who*" انتهت، وكنت أستمع إلى فريق "*The Doors*". يا الله، كانت الأغنية بعنوان "تابع اختراقك نحو الطرف الآخر". فأطفأت الراديو.

لا أعتقد أنني قادر على إخبارك بالمزيد يا دكتور، ليس اليوم. إنني منهك.

[وهو يبدو كذلك بالفعل].

[الجلسة التالية]

ظننت أن التأثير الذي خلَّفه ذلك المكان عليَّ سيتبدد خلال طريق العودة إلى المنزل – مجرد لحظة مخيفة في الغابة، أليس كذلك؟ – وأنني بالتأكيد عندما سأصبح في غرفة جلوسي، مع الأضواء والتلفزيون، سأكون على ما يرام. بيد أنني لم أكن كذلك. ذلك الشعور بزعزعة النظام – بأنني لامست عالماً آخر معادياً لعالمنا – بدا أنه أصبح أقوى. ظل الاعتقاد بأنني رأيت وجهاً – بل أسوأ من ذلك، الانطباع بوجود جسد حيوان زاحف ضخم – وسط تلك الصخور قوياً. شعرت بأنني... مصابٌ بعدوى، بعدوى الأفكار في رأسي. وشعرت بأنني خطر أيضاً؛ كما لو أنني قادر على استدعاء ذلك الشيء بمجرد التفكير فيه كثيراً. وهو لن يكون وحيداً. ذلك الكون بأكمله ميتسرِّب إلينا، مثل قيء يتسرب من أسفل كيس ورقي رطب.

ذهبت وأقفلت جميع الأبواب في المنزل. ثم أحسست بأنني متأكد من أنني نسيت إقفال اثنين منها، فعدت وتفحصت جميع الأبواب مرة أخرى. هذه المرة، عَدَدْتها: الباب الأمامي، الباب الخلفي، باب غرفة

المؤونـة، الباب الخارجي، باب الـكاراج الخلفي، باب الـكاراج الأمامي كان الرقم سـتة فخطر لي أنه رقـم جيد، مثل الرقـم الثمانيـة. إنهما رقمان ودّيان ودافئـان. ليسـا باردين مثل الرقـم الخمسـة أو... كما تعلـم، الرقم السـبعة. هدأت قليـلاً، لكنني مع ذلـك طُفْت المنـزل مرة أخيـرة. لا تزال ستة. أتذكر أنني قلت لنفسـي "الـسـتة ثابتة". بعد ذلك ظننت أنني سـأستطيع الخلود للنوم، غير أنني لم أسـتطع. لم أقدر على النوم حتـى مع الأمبين لـم يغب عـن مخيلتـي منظر الشـمـس الغاربـة فوق نهـر أندروسـكوجين، محوّلةً إياه إلـى أفعى حمـراء، والضبات المنبثق من العشـب مثل الـسـنه، وذلك الـشيء بين الصخور؛ وهذا كان الغالـب.

نهضـت وعددت الكتب في مكتبة غرفة نومي. كانت ثلاثة وتـسعين هذا رقم سـيئ، وهو ليـس كذلـك لأنه فـردي فقط. قسّـم ثلاثة وتـسعين على ثلاثة، وسـتحصل على واحـد وثلاثين: إنـه الرقم ثلاثة عشـر بطريقة معكوسـة. وهكذا جلبت كتاباً من المكتبـة الصغيرة في غرفة الاسـتقبال. لكن الرقم أربعة وتـسـعين أفضل بقليل فقط، لأن مجموع تـسعة وأربعة هو ثلاثة عشر. يتواجد الرقم ثلاثة عشر في كل مكان في عالمنا يا دكتور. إنك لا تعرف. علـى أي حال، أضفـت سـتة كتب أخرى إلى مكتبـة غرفة النوم. اضطـررت إلى حشـرها حشـراً، لكننـي نجحت فـي وضعها بيـن الكتب الرقم مائة جيد، إنّه جيـد جداً في الواقع.

كنـت عائداً إلى الـسـرير عندما بدأت أتسـاءل بخصـوص مكتبة غرفة الاسـتقبال، وعمّا إذا كنتُ قد سـرقت من بيتر، كما تعلم، كـي أدفع لبول. وهكـذا عـدذت تلـك الكتـب، وكان الرقـم جيـداً؛ كان سـتة وخمسـين مجمـوع الرقمين أحد عشـر، أي إنه رقم فـردي، لكنه ليـس الرقـم الفردي الأسـوأ، وحاصل تقـسيم سـتة وخمسـين على اثنين هو ثمانية وعشرون، وهذا رقم جيد. بعد ذلك، أصبح بمقدوري النوم. أظن أنني رأيت كوابيس بشعة، لكنني لا أذكرها.

مرت أيام، وبقي ذهني يعود بي إلى حقل أكرمان. بدا وكأنه ظلّ سقط فوق حياتي. كنت في ذلك الحين أعدُّ الكثير من الأشياء، وألمس الأشياء - للتأكد من أنني كنت أفهم أمكنتها في العالم، العالم الحقيقي، عالمي أنا- وبدأت أرتّب الأشياء أيضاً. دائماً أرقام زوجية للأشياء، وعادة في دائرة أو خط قطري. لأن الدوائر والخطوط القطرية تُبقي الأشياء خارجاً.

أعني عادةً، وليس بشكل دائم. صدفة صغيرة، ويصبح الرقم أربعة عشر ثلاثة عشر. أو تصبح الثمانية سبعة.

في أوائل أيلول، زارتني ابنتي الصغرى وقالت لي إنني أبدو مرهقاً جداً. أرادت أن تعرف إذا كنت أعمل أكثر مما ينبغي. ولاحظَت أيضاً أن جميع المنمنمات التزيينية الصغيرة في غرفة الجلوس - الأشياء التي لم تأخذها أمها بعد الطلاق - كانت مرتبة في "دوائر محاصيل"، حسب تعبيرها. قالت لي: "إنك تصبح غريب الأطوار بعض الشيء مع تقدُّمك في السن، أليس كذلك يا بابا؟". عندئذ قررت أنه ينبغي علي العودة إلى حقل أكرمان، هذه المرة في ضوء النهار الساطع. ظننت أنني إن رأيته في ضوء النهار، إن رأيت بضع صخور لا معنى لها واقفة بشكل دائري في حقل مليء بعشب غير مقصوص، فإنني سأدرك كم كان الأمر كله غبياً، وسيتبدد هوسي مثل شعلة شمعة في ريح قوية. كنت أريد ذلك؛ لأن العد واللمس والترتيب تشكل عملاً كثيراً، ومسؤولية كبيرة.

في طريقي إلى هناك توقفت عند المكان الذي أظهِّر فيه صوري عادةً، ورأيت أن الصور التي التقطتُها في ذلك المساء في حقل أكرمان لم تظهر. كانت مجرد مربعات رمادية، وكأنها غُشِّيت بواسطة إشعاع قوي. جعلني هذا الأمر أفكِّر قليلاً، لكنه لم يردعني. استعرت كاميرا رقمية من أحد الأشخاص في محل التصوير - تلك هي الكاميرا التي أحرقتها - وتوجهت إلى موتون مرة أخرى، وبسرعة. أتريد أن تسمع

شيئاً غبياً؟ أحسست كما لو أنني رجل ذاهب إلى الصيدلية لشراء زجاجة محلول كالاماين بسبب احتكاكه بنبات اللبلاب السام. هكذا كنت أشعر بالحكاك. إن العد واللمس والترتيب يمكن أن تحك مكان التحسس، لكن الحكّ يُحدث راحة مؤقتةً فقط في أحسن الحالات. وعلى الأرجح، إنه سينشر مسبّب الحكاك، أياً يكن هذا المسبّب. وأنا كنت أريد علاجاً العودة إلى حقل أكرمان ليست علاجاً، لكنني لم أكن أعرف ذلك حينئذ. أليس كذلك؟ كما يقولون، نحن نتعلّم من أخطائنا. ونتعلّم أكثر من المحاولة والفشل.

كان يوماً جميلاً. لم تكن هناك غيمة واحدة في السماء. وكانت الأوراق لا تزال خضراء، لكن الهواء كان فيه ذلك الصفاء الذي لا تجده إلا عند تبدُّل الفصول. كانت زوجتي السابقة تقول دائماً إنّ أول أيام الخريف كذلك اليوم هي مكافأتنا على تحمُّلنا للسياح وزوّار الصيف لمدة ثلاثة أشهر، حيث نقف في الصف بينما هم يستخدمون بطاقات اعتمادهم لشراء الشراب. أحسست بالتفاؤل. أذكر ذلك. أحسست بالثقة وبأنني كنت سأنتهي من كل هذا الهراء المجنون. كنت أستمع إلى مجموعة من أشهر أغاني كوين (*Queen*) وأفكّر: كم كان فريدي ميركوري رائعاً، كم كان نقياً. كنت أغني معه. عبرت أندروسكوجين في هارلو – كانت المياه على جانبي جسر بيل رود ساطعة بما يكفي لإعماء عينيّ – ورأيت سمكة تقفز. لقد جعلتني أضحك بصوت عال. لم أضحك بتلك الطريقة منذ ذلك المساء في حقل أكرمان، وأن أفعل هذا مجدداً بدا أمراً حسناً.

ثم عبرت بوي هيل – أراهن أنك تعرف أين تقع – ومقبرة ميرينتي ريدج. التقطت بعض الصور الجيدة هناك، رغم أنني لم أضع أي واحدة منها في التقاويم. وصلت إلى الطريق الفرعي الترابي بعد أقل من خمس دقائق. بدأت الانعطاف نحوه، ثم دعست بسرعة على الكابح، وفي الوقت المناسب أيضاً. لو كنت أكثر بطئاً من ذلك، لكنت قد مزّقت شبكة نظام

البريد في سيارتي الـ 4 رانر إلى تصفين. كانت هناك سلسلة حديدية تقطع الطريق ولافتة جديدة معلَّقة عليها، تقول: "ممنوع التجاوز منعاً باتاً".

كان بوسعي القول لنفسي إنها مجرد صدفة، وإن الشخص الذي يملك تلك الغابة وذلك الحقل - ليس بالضرورة شخصاً يُدعى أكرمان، لكن ربما - كان يضع تلك السلسلة واللافتة كل خريف لمنع الصيادين. لكن موسم الأيائل لا يبدأ حتى أول تشرين الثاني. وحتى إنّ موسم الطيور لا يبدأ قبل تشرين الأول. أعتقد أن شخصاً ما كان يراقب ذلك الحقل؛ بعينين ربما، ولكن ربما بنوع أقل طبيعيةً من الرؤية. إنه شخص كان يعرف بأنني كنت هناك، وبأنني قد أعود مجدداً.

"اتركه وشأنه!". قلت لنفسي، "ما لم تكن تريد المجازفة بأن تُعتقَل بتهمة انتهاك أملاك خاصة، وربما تنشر صورتك في صحيفة كاسل روك. سيكون هذا مفيداً للعمل، أليس كذلك؟".

ولكن، لم يكن هناك أي مجال لإيقافي، ليس إذا كانت هناك فرصة للصعود إلى ذلك الحقل، وعدم رؤية أي شيء، ومن ثم الشعور بالتحسُّن. لأنني في الوقت الذي كنت أخبر نفسي فيه أنه إذا كان هناك شخص يريدني ألا أدخل ملكيته فإنه ينبغي علي أن أحترم رغبته، كنت أعدُّ الأحرف في اللافتة وخرجت بنتيجة ثلاثة وعشرين حرفاً، وهو رقم فظيع، أسوأ بكثير من ثلاثة عشر. كنت أدرك أنه من الجنون التفكير على هذا النحو، لكنني كنت أفكّر على هذا النحو فعلاً، وجزء مني كان يعتقد أن هذا التفكير لم تكن فيه ذرة جنون.

ركنت سيارتي في ساحة إيقاف السيارات التابعة لمقبرة ميريتي ريدج ثم عدت مشياً إلى الطريق الترابي معلّقاً الكاميرا المستعارة بمحفظتها الجلدية الصغيرة فوق كتفي. تجاوزت السلسلة الحديدية - كان ذلك سهلاً - وصعدت الطريق نحو الحقل. تبيّن لي أنني كنت سأضطر للمشي على أي حال حتى لو لم تكن السلسلة موجودة، بسبب

وجود ست أشجار مستلقية على الطريق هذه المرة، وليست أشجار بيرتش يابسة، إذ كانت خمس منها جذوع أشجار صنوبر متوسطة الحجم، والأخيرة جذع شجرة بلوط ناضجة. ولم تسقط من تلقاء ذاتها أيضاً، بل قُصَّت بواسطة منشار آلي. غير أنها لم تجعلني أبطئ سيري. مشيت فوق جذوع الصنوبر وحول جذع شجرة البلوط، وبعد ذلك صعدت التلة متجهاً نحو الحقل. بالكاد أعرت اللافتة الأخرى - حقل أكرمان، ممنوع الصيد، ممنوع الدخول - أي انتباه. كان بوسعي رؤية الأشجار تتراجع عند قمة التلة، وكان بوسعي رؤية أشعة شمس مغبَّرة تشع بين تلك الموجودة بالقرب من القمة، وكذلك رؤية هكتارات وهكتارات من السماء الزرقاء هناك، تبدو فرحة ومتفائلة. كان الوقت منتصف الظهيرة، ولن يكون هناك نهر أفعواني عملاق يتزف عند الأفق، وإنما فقط أندروسكوجين الذي نشأت معه وأحببته دائماً؛ نهر أزرق وجميل، كما تبدو الأشياء العادية عندما نراها في أبهى صورها. بدأت أركض. كنت أشعر بتفاؤل مجنون دام إلى أن وصلت إلى القمة، فما إن رأيت تلك الصخور تقف هناك مثل أنياب، حتى تلاشى شعوري المتفائل كله، وحلَّ محله الخوف والتردد.

كانت سبع صخور أيضاً، سبعاً فقط. وفي وسطها - لا أعرف كيف أشرح لك هذا كي تفهمه - كانت هناك بقعة باهتة. لم تكن تشبه ظلاً، تماماً، وإنما كانت تشبه أكثر... أتعرف كيف يبهت سروالك الجينز الأزرق المفضَّل مع الزمن؟ وخاصة عند نقاط الجهد، كالركبتين على سبيل المثال؛ كانت تشبه ذلك. كان لون العشب متحللاً، حيث أصبح يبدو مثل لون الليمون الحامض قبل أن يصفرَّ، وبدلاً من الأزرق، كان لون السماء فوق دائرة الصخور يبدو مائلاً للرمادي. أحسست بأنني إن مشيت إلى هناك - وجزء مني كان يريد ذلك - فإنني أستطيع أن أخرق بلكمة من قبضة يدي نسيج الواقع وأعبر خلاله. وإذا فعلتُ ذلك، فإن شيئاً ما سيمسكني، شيئاً من الطرف الآخر. كنت واثقاً من ذلك.

كنت أريد فعل ذلك، شيء في داخلي أرادني أن أفعل ذلك. كان يريدني أن... لا أعرف... أن أترك المداعبات وأبدأ مباشرة.

كان بمقدوري رؤية - أو اعتقدت ذلك، لست متأكداً حتى الآن من هذا الجزء - المكان حيث كانت الصخرة الثامنة موجودة، وكان بمقدوري رؤية... أن تلك البقعة الباهتة... كانت تمتد، محاولة الاختراق من حيث كانت حماية الصخور هشة. كنت مرعوباً؛ لأنها لو خرجت، فإن كل شيء لا اسم له سيولَد في عالمنا. ستصبح السماء سوداء، وستمتلئ بنجوم جديدة ومجموعات فلكية مجنونة.

نزعت الكاميرا عن كتفي، لكنني أوقعتها على الأرض عندما حاولت فتح سحّاب محفظتها. كانت يداي ترتعشان كما لو أنني كنت أعاني نوعاً من نوبة صرع. التقطت محفظة الكاميرا وفتحت سحّابها، وعندما نظرت إلى الحجارة مجدداً، رأيت أن المكان داخلها لم يكن باهتاً فقط، وإنما كان يتحول إلى اللون الأسود. ورأيت عينين من جديد. تحدّقان من داخل الظلمة. هذه المرة كانتا صفراوين، مع حدقتين سوداوين ضيّقتين. مثل عيني قطة. أو عيني أفعى.

حاولت رفع الكاميرا فأسقطتها على الأرض ثانيةً. وعندما مددت يدي نحوها، أطبق العشب عليها، فكان علي أن أشدّها شدّاً كي أحررها. لا، بل أن أنتزعها انتزاعاً. كنت جالساً على ركبتيَّ في ذلك الحين، وأنا أشدُّ على الحزام بكلتا يديَّ. بدأ نسيم بالهبوب من الفجوة حيث ينبغي أن تكون الصخرة الثامنة. طيَّر هذا النسيم شعري من على جبهتي. كانت رائحته نتنة، وتشبه رائحة حيوان ميت. رفعت الكاميرا إلى وجهي لكنني في البداية لم أتمكن من رؤية أي شيء. فقلت في نفسي: إنه يعمي الكاميرا، إنه يعمي الكاميرا بطريقة ما، ثم تذكَّرت أنها كاميرا رقمية، وأنه ينبغي تشغيلها أولاً. شغّلتها - سمعت نغمة التشغيل - لكنني مع ذلك لم أتمكّن من الرؤية.

تحوّل النسيم إلى ريح في ذلك الحين، ريح جعلت العشبَ يتأرجح على امتداد الحقل في أمواج كبيرة مظلّلة. أصبحت الرائحة بشعة أكثر، وكان النهار يعتم. لم تكن هناك أي سحابة في السماء، كانت زرقاء صافية، ومع ذلك كان النهار يعتم. كما لو أن كوكباً ضخماً غير مرئي كان يحجب الشمس.

نطقَ شيء ما؛ ليس باللغة الإنكليزية. قيل شيء بدا مثل "كثون، كثون، ديانا". ولكن بعد ذلك... يا الله، بعد ذلك نطق اسمي. قال "كثون، ن، ديانا، ن". أظن أنني صرخت، لكنني لست متأكداً، لأن الريح في ذلك الحين أصبحت عاصفة تزأر في أذنيّ. لا بد أنني صرخت. لدي كل الحق في أن أصرخ لأنه كان يعرف اسمي! ذلك الشيء القبيح المسمّى كان يعرف اسمي. وعندئذ... الكاميرا... هل تعرف ماذا أدركت؟

[أساله إن كان قد ترك غطاء العدسة مغلقاً، فيطلق ضحكة زاعقة تثير أعصابي وتجعلني أفكّر في جرذان تركض مسرعةً فوق زجاج مكسور.]

أجل! صحيح! غطاء العدسة! غطاء العدسة اللعين! نزعته بسرعة ورفعت الكاميرا إلى عيني. والعجيب أنني لم أسقطها ثانيةً، إذ كانت يداي ترتعشان بشدة، ولن يتركها العشب مجدداً، لأنه سيكون مستعداً في المرة الثانية. لكنني لم أسقطها، وكان بوسعي الرؤية من خلال العدسة، وكانت هناك ثماني صخور، ثماني صخور. الرقم ثمانية يُبقي الأشياء مستقرة، كانت تلك الظلمة لا تزال تدور في المنتصف، لكنها بدأت تتراجع وكانت الريح المزوبعة حولي تضعف.

أخفضت الكاميرا فرأيت أنها كانت سبعاً. شيء ما كان يبرز من الظلمة، شيء لا أستطيع أن أصفه لك. يمكنني رؤيته – أراه في كوابيسي – ولكن، لا توجد كلمات لوصفه. إنه خوذة متورّمة نابضة، هذا أقرب شيء يمكنني وصفه به؛ خوذة ذات عدستين صفراوين على كل جانب. لكن العدستين... أعتقد أنهما كانتا عينين، وأعرف أنهما كانتا

، طران إلي.

رفعت الكاميرا مجدداً، ورأيت ثماني صخور. التقطت ست صور ا، ثماني صور لتعليمها، لتثبيتها في المكان إلى الأبد لكن ذلك لم ينجح الطبع، فقد حرقت الكاميرا. كان بوسع العدسة رؤية تلك الصخور يا ،ضور. أنا واثق تماماً بأن أي شخص يستطيع رؤيتها بواسطة مرآة أيضاً، ، بما حتى عبر لوح زجاج عادي، لكنه لن يستطيع توثيق ذلك. الشيء الوحيد الذي يمكنه توثيقها وتثبيتها في المكان هو العقل البشري؛ الذاكرة البشرية. وحتى هذا لا يمكن الاعتماد عليه، كما اكتشفت. فالعدّ واللمس والترتيب تعمل لفترة مؤقتة – مما يدعو للسخرية الاعتقاد أن التصرفات التي نعتبرها هوسية هي في الحقيقة التي تثبّت العالم في مكانه – ولكن عاجلاً أم آجلاً ستزول الحماية التي تقدّمها.

ويتطلب ذلك الكثير والكثير من العمل.

أتساءل إن كان بوسعنا الاكتفاء بهذا الحد اليوم. أعرف أن الوقت مبكر، لكنني مرهق للغاية.

[أقول له إنني سأصف له دواء مهدئاً إن كان يرغب بذلك، دواء معتدلاً لكنه أشد فعالية من آتيفان أو لونيتا. سيفيد إن لم يبالغ في تناوله. يقابلني بابتسامة ممتنة].

سيكون ذلك جيداً، جيداً جداً. ولكن، هل يمكنني أن أطلب منك خدمة؟

[أقول له إنه يمكنه ذلك بالتأكيد].

صفْ لي إما عشرين أو أربعين أو ستين. فهذه كلها أرقام جيدة.

[الجلسة التالية]

[أقول له إنه يبدو أفضل حالاً، رغم أن هذا بعيد عن الحقيقة. في الواقع، إنه يبدو مثل رجل على وشك إدخاله إلى مصحة لمعالجته من

الإدمان، إن لم يجد طريقة ترجعه إلى طريقه الشخصي 117. سواء أفعل ذلك بالانعطاف أم بالرجوع خلفياً، لا يهم كيف، ولكن ينبغي عليه الخروج من ذلك الحقل. وكذلك أنا، في الحقيقة. لأنني أحلم بحقل ذلك الذي يمكنني إيجاده بالتأكيد إن أردت ذلك. هذا لا يعني بأنني أريد ذلك - يشبه ذلك كثيراً مشاركي مريضي في وهمه - لكنني متأكد من أنني أستطيع إيجاده. ذات ليلة خلال عطلة نهاية هذا الأسبوع (بينما كـ أعاني، أنا أيضاً، من صعوبة في النوم)، خطر لي أنني لا بد أن أكون قد مررت به بسيارتي، ليس مرة بل مئات المرات. لأنني عبرت جسر بيل رود مئات المرات، وعبرت مقبرة سيربنتين ريدج آلاف المرات. كان ذلك على طريق باص المدرسة إلى ابتدائية جيمس لويل التي كنت أقصدها أنا وشيلا. أنا واثق تماماً بأنني أستطيع إيجاده. إذا أردت ذلك. إن كان موجوداً.

[أسأله إن كان الدواء يساعده، وإن كان ينام. تخبرني الهالتان السوداوان حول عينيه بأنه لم يكن ينام، لكنني أشعر بالفضول لمعرفة كيف سيرد].

أفضل بكثير. شكراً. والهوس القهري أفضل بقليل أيضاً.

[بينما يقول ذلك، تقوم يداه - اللتان على الأرجح تقولان الحقيقة أكثر من كلماته - بوضع الزهرية وعلبة الكلينيكس على زاويتين متقابلتين من الطاولة القريبة من الأريكة. أسأله عما حدث بعد صعوده إلى حقل أكرمان مع الكاميرا المستعارة، فيرفع كتفيه ثم ينزلهما].

لا شيء. باستثناء أنني بالطبع دفعت ثمن كاميرا ذلك الشخص في محل التصوير. كان موسم الصيد سيحل بالتأكيد بعد وقت قصير، وبذلك ستصبح تلك الغابة خطرة، حتى لو كنتَ ترتدي زياً برتقالياً فاقعاً من رأسك إلى قدميك. رغم أنني أشك في وجود الكثير من الأيائل في تلك المنطقة. أراهن أنها أيائل مخصية.

خفَّ الهوس القهري اللعين، وبدأت أنام خلال الليل مجدداً.

في الحقيقة... في بعض الليالي. كنت أحلم بالطبع. وفي الكوابيس ..تُ دائماً موجوداً في ذلك الحقل، وأنا أحاول سحب الكاميرا من "عشب، لكن العشب لا يتركها. كان السواد يتدفق من الدائرة كالزيت، . عندما كنت أرفع عيني إلى الأعلى كنت أرى السماء وقد انشقَّت من الشرق إلى الغرب، ويتدفق من الشق ضوء أسود فظيع... ضوء حي ، جائع. هنا كنت أصحو مبللاً بالعرق. وأحياناً، وأنا أصرخ.

وبعد ذلك، في أوائل كانون الأول، وصلني مغلف إلى المكتب. ..انت قد كتبت عليه كلمة "خاص" بواسطة أداة صغيرة من الداخل. فتحته .سقط على طاولة مكتبي مفتاح صغير عليه بطاقة. كُتب على البطاقة ح ٨. عرفت ما هو هذا المفتاح، وما الذي يعنيه. لو كان ثمة رسالة مرفقة به ..انت ستقول: "حاولت منعك من الدخول. إنه ليس ذنبي، وربما ليس .سك. ولكن على أي حال، هذا المفتاح وكل ما يفتحه لك الآن. احرصْ عليه جيداً".

في عطلة نهاية الأسبوع تلك، عدت إلى موتون، لكنني لم أكبِّد .سي عناء ركن السيارة في مرآب مقبرة سيرينيتي ريدج. لم أكن بحاجة إلى ذلك كما تعلم. كانت زينة الكرسمس معلَّقة في بورتلاند وفي بلدات صغيرة أخرى مررت بها في طريقي. كان البرد قارساً، ولكن لم يكن الثلج .. نزل بعد. هل تعلم كيف يكون الطقس دوماً أشد برودة قبل هطول الثلج؟ هكذا كان الطقس في ذلك اليوم. لكن السماء كانت ملبّدة بالغيوم، .لقد هطل الثلج بالفعل. كانت عاصفة ثلجية كبيرة في تلك الليلة. هل .تذكر؟

[أخبره أنني أذكر ذلك فعلاً. لدي سبب للتذكر (لكنني لا أخبره بذلك). لقد حوصرت وشيلا في منزل العائلة بواسطة الثلج عندما ذهبنا إلى هناك لتفقّد بعض أعمال التصليح. احتسينا الشراب ورقصنا على أنغام

تسجيلات البيتلز القديمة والرولينغ ستونز. كان ذلك ممتعاً].

كانت السلسلة الحديدية لا تزال تغلق الطريق، لكن مفتاح ج ناسب القفل، فجرّت الأشجار الساقطة إلى أحد الجانبين. كنت أعرف ان هذا سيحدث. لم يعد من اللائق قطع الطريق، لأن الحقل أصبح حقلي وتلك الصخور أصبحت صخوري، وأياً يكن ما كانت تحافظ عليه فقد أصبح مسؤوليتي.

[أسأله إن كان خائفاً، وأنا واثق بأن الإجابة ستكون أجل. لكن د يفاجئني].

ليس كثيراً، لا. لأن المكان كان مختلفاً. عرفت ذلك منذ نهاية الطريق، حيث يتقاطع مع الطريق 117. كان يمكنني الإحساس بذلك وكان بوسعي سماع الغربان تنعق عندما فتحت القفل بمفتاحي الجديد في العادة، أشعر أنه صوت بشع، لكنه بدا عذباً جداً في ذلك اليوم. كي لا أكون مدّعياً، أقول إنه بدا محسّناً نوعاً ما.

عرفت أنني سأجد ثماني صخور في حقل أكرمان، وكنت مصيباً عرفت أنها لن تبدو مثل دائرة تماماً، وكنت مصيباً في ذلك أيضاً. كانت تبدو مثل صخور ناتئة من الأرض مرة أخرى؛ جزء من قاعدة صخرية تقع تحت الأرض، وظهرت إلى السطح بفعل تحرك القشرة الأرضية، أو تراجع كتلة جليدية قبل ثمانين ألف سنة، أو طوفان حدث في مرحلة أحدث من ذلك.

وفهمت أشياء أخرى أيضاً. منها أنني نشّطتُ المكان بمجرد النظر إليه. العين البشرية تزيل الصخرة الثامنة، فيما تعيدها عدسة كاميرا، لكنها لا تثبتها في مكانها؛ فتوجّب عليَّ الحفاظ على تجديد الحماية بواسطة تصرفات رمزية.

[يصمت قليلاً مفكّراً، وعندما يتحدث مجدداً، يبدو بأنه عن الموضوع].

هل تعرف أن نصب ستونهانج التاريخي ربما كان ساعة أو تقويماً؟

[أخبره أنني قرأت حول هذا في مكان ما].

لا بد أن الناس الذين بنوا ذلك المكان، وأمكنة أخرى مثله، كانوا يعرفون أن بإمكانهم معرفة الوقت بواسطة ساعة شمسية فقط. وأما بالنسبة إلى التقويم، فإننا نعرف أن الناس قديماً في أوروبا وآسيا كانوا يميزون الأيام ببساطة من خلال وضع علامات على جدران صخرية محمية من عوامل الطبيعة. إذاً، ماذا يجعل هذا الكلام من ستونهانج؛ إن كان ساعة/ تقويماً عملاقاً؟ إنه نصب لسلوك هوسي قهري؛ هذا ما أعتقده في سهل سولزبيري.

ما لم يكن يحمي شيئاً آخر إلى جانب متابعة الساعات والأشهر؛ يمنع كون مجنون - يصادف أنه يقع بمحاذاة كوننا - من الوصول إلينا.

مرّت عليّ أيام - أيام كثيرة، خاصةً في الشتاء الماضي عندما شعرت بأنني عدت إلى ذاتي القديمة - كنت واثقاً فيها بأن هذا هراء، وبأن كل شيء اعتقدت أنني رأيته في حقل أكرمان كان موجوداً في رأسي فقط، وبأن كل هذا الهراء الهوسي القهري مجرد اضطراب ذهني.

ولكن، مرّت علي أيام أخرى - بدأتْ مجدداً في هذا الربيع - كنت واثقاً فيها بأن كل هذا حقيقي، وبأنني فعلْتُ شيئاً ما. وبفعلي ذلك أصبحتُ حامل المسؤولية الأخير في سلسلة طويلة جداً ربما تعود إلى أزمنة ما قبل التاريخ. أعرف أن هذا يبدو جنوناً - وإلا لماذا أخبر طبيباً نفسياً بذلك؟ - ولقد عشت أياماً بأكملها كنت فيها متأكداً بأنه جنون... حتى وأنا أعدُّ الأشياء، وأتجول في أرجاء البيت في الليل لامساً مفاتيح الإضاءة وقضبان المدفأة، كنت واثقاً بأن الأمر كله مجرد... كما تعلم... مواد كيميائية سيئة في رأسي ستعالجها بضعة أقراص دواء صحيحة.

فكّرت في ذلك على نحو خاص في الشتاء الماضي، عندما كان الوضع جيداً، أو على الأقل، أفضل. وبعد ذلك، في نيسان من هذا العام،

بدأ الوضع يسوء مجدداً. أصبحت أعدُّ أكثر، والمس أكثر، وأرتّب تقريباً كل شيء لم يكن مثبّتاً في دوائر أو خطوط قطرية. أعربت ابنتي - تلك التي ستذهب إلى جامعة قريبة من هنا - مرة أخرى عن قلقها من مظهري ومن توتري، وسألتني إن كان الطلاق هو السبب، وعندما نفيت ذلك، بدت غير مصدّقة. سألتني إن كنت أفكّر في "رؤية شخص ما"، وها أنذا.

بدأت برؤية كوابيس من جديد. ذات ليلة، في أوائل أيار، استيقظت على أرض غرفة نومي وأنا أصرخ. رأيت في الكابوس شيئاً ضخماً بشعاً، لونه أسود - رمادي، كان شيئاً قبيحاً ومجنّحاً برأس صلب يشبه الخوذة. كان يقف على أنقاض بورتلاند، إنه شيء بارتفاع ميل على الأقل. كان بوسعي رؤية سحب رقيقة ومتفرقة تطوف حول ذراعيه المصفّحتين. كان هناك أناس يصرخون ويكافحون للإفلات من قبضتيه ذواتي المخالب، وعرفت - عرفت - أنه هرب من بين الصخور المنتصبة في حقل أكرمان، وأنه كان الشيء الأول والأقل شأناً من بين الأشياء الفظيعة التي ستتحرر، وكان هذا خطئي؛ لأنني أخفقت في القيام بمسؤولياتي.

طفتُ في أرجاء المنزل مترنحاً، وأنا أضع الأشياء في دوائر، ثم أعدُّها للتأكد من أن الدوائر تحوي أعداداً زوجية فقط، وخطر لي أن الوقت لم يفتْ بعد، وأنها بدأت بالاستيقاظ فقط.

[أسأله عما يعنيه بكلمة "أنها"].

القوة! أتذكر حروب النجوم؟ "استخدم القوة يا لوك"؟

[يضحك بشدة].

باستثناء أنك في هذه حالة لا يجب أن تستخدم القوة! أوقف القوة! احبس القوة؛ ذاك الشيء الفوضوي الذي يظل يحوم في ذلك المكان الهش، وكل الأمكنة الهشة في العالم بتصوُّري. أحياناً أعتقد بوجود سلسلة كاملة من الأكوان المدمَّرة خلف تلك القوة، تعود إلى أزمنة سحيقة مثل آثار أقدام وحشية...

[يقول شيئاً ما بصوت خافت فلا أتمكّن من سماعه. فأطلب أن
[يكر]ر ما قاله، فيكتفي بهز رأسه رافضاً].
أعطني كراستك يا دكتور. سأكتبه. إن كان ما سأخبرك به صحيحاً
[ف]ليس فقط في رأسي اللعين، فمن غير الآمن أن أقول الاسم بصوت
[مس]موع.
[يكتب كلمتين بأحرف كبيرة. يريني إياها، وعندما أهز رأسي،
[يمز]ق الورقة إلى أجزاء، ثم يعدُّ الأجزاء - للتأكد من أن الرقم زوجي،
[ب]اعتقادي - ثم يرميها في سلة المهملات بالقرب من الأريكة].
كان المفتاح، ذاك الذي وصلني بالبريد، موجوداً في الخزنة التي
[أ]حتفظ فيها بالأشياء الثمينة في منزلي. أخرجته وقدت سيارتي إلى
[ديـ]ـرون مجدداً، فوق الجسر، ومروراً بالمقبرة، ووصولاً إلى الطريق
[التر]ابي الملعون. لم أفكّر في الأمر، لأنه لم يكن من تلك القرارات التي
[تتـ]ـطلب منك التفكير فيها. إنه يشبه الجلوس والتفكير في ما إذا كان ينبغي
[ع]ليك أن تطفئ النار المشتعلة في ستائر غرفة معيشتك إن دخلت ورأيتها
[تحـ]ـترق. لا، لقد ذهبت وحسب.
لكنني أخذت كاميرتي. عليك أن تصدّق ذلك.
أيقظني كابوسي في الخامسة تقريباً، وعندما وصلت إلى حقل
[الر]ومان كان الوقت لا يزال مبكراً جداً. كان أندروسكوجين جميلاً جداً،
[بد]ا مثل مرآة فضية طويلة بدلاً من أفعى، مع ضفائر حلزونية رقيقة من
الضباب تتصاعد من سطحه ثم تنتشر فوقه مثل، لا أعرف، [ظاهرة]
[انع]كاس درجة الحرارة، أو شيء من هذا القبيل. كانت الغيمة المنتشرة
[فو]قه تحاكي تماماً انحناءات النهر وتعرجاته، حيث بدت مثل شبح نهر في
السماء.
كان العشب ينمو في الحقل مجدداً، ومعظم أجمات السمّاق كانت
[تخـ]ـضرّ، لكنني رأيت شيئاً مخيفاً. وبصرف النظر عن إمكانية أن يكون قدرٌ

كبيرٌ من هذا الشيء الآخر موجوداً في رأسي فقط (وأنا راغب تماماً في التسليم بأنه قد يكون كذلك)، إلا أنه كان حقيقياً حينها. لدي صور تظهر، صحيح أنها ضبابية، ولكن في اثنتين منها يمكنك رؤية التغيرات في أجمات السماق الأكثر قرباً من الصخور. فالأوراق سوداء بدلاً من كونها خضراء، والأغصان ملويةٌ... تبدو وكأنها تشكّل حروفاً، والحروف تبدو وكأنها تنطق... كما تعلم... باسمه.

[يشير إلى سلة المهملات حيث ترقد قصاصات الورقة].

عاد السواد إلى الجزء الذي تحيط به الصخور - كانت سبع صخور فقط، بالطبع، ولهذا السبب دُعيت إلى هناك - لكنني لم أرَ عينين. الحمد لله، لم يكن الوقت قد فات بعد. كان السواد فقط يتقلّب ويتقلّب، وبدا كما لو أنه يسخر من جمال ذلك الصباح الربيعي الصامت، كما لو أنه مغتبط لهشاشة عالمنا. كان بوسعي رؤية أندروسكوجين من خلاله، لكن السواد حوّل النهر إلى بقعة رمادية وسخة.

رفعت كاميرتي - كنت قد وضعت حزامها حول رقبتي، كي لا تسقط في قبضة العشب إن أوقعتها - ونظرت عبر العدسة. ثماني صخور. أخفضتها فأصبحت سبع صخور مجدداً. نظرت إليها عبر العدسة فصارت ثماني صخور، وعندما أخفضت الكاميرا للمرة الثانية، بقيت ثماني. بيد أن هذا لم يكن كافياً، وكنت أعرف ذلك. كنت أعرف ما كان ينبغي علي فعله.

إن إرغامي نفسي على الذهاب إلى داخل حلقة الصخور تلك كان أصعب شيء أفعله في حياتي. كان احتكاك العشب بأسفل ساقي سروالي أشبه بصوت منخفض، وأجش، ومحتجّ. كان يحذّرني بأن أبقى بعيداً. بدأ طعم الهواء يصبح سقيماً، ومليئاً بالسرطان، وربما بأشياء أشد سوءاً؛ جراثيم غير موجودة في عالمنا. بدأ جلدي يطقطق، ففكّرت - في الحقيقة، ما زلت معتقداً بهذه الفكرة - بأنني إذا خطوت بين اثنين من

تلك الصخور إلى داخل الدائرة فإن لحمي سيذوب ويسيل فوق عظامي. فان بمقدوري سماع الريح وهي تهب من هناك، وتدور بشكل إعصار ماص بها. وعرفت أنه آتٍ؛ أن ذلك الشيء ذا الرأس الشبيه بالخوذة آتٍ.

[يشير مرة ثانية إلى قصاصات الورق في سلة المهملات].

كان قادماً، وإذا رأيته من هذا القرْب، فإنه سيدفعني للجنون. سيُنهي حياتي داخل تلك الدائرة وأنا ألتقط صوراً لا تُظهر سوى غيوم من اللون الرمادي. لكن شيئاً ما دفعني قدماً. وعندما وصلت إلى هناك...

[يقف ن ويمشي متعمداً ببطء حول الأريكة بشكل دائرة. خطواته - الجدية والنشيطة معاً؛ مثل خطوات طفل يلعب لعبة غميضة - بدت مخيفة إلى حد ما. وبينما هو يدور ويمد يده ليلمس صخوراً لا يمكنني رؤيتها. واحدة... اثنان... ثلاث... أربع... خمس... ست... سبع... ثماني صخور. لأن الرقم ثمانية يبقي الأشياء مستقرة. ثم يقف وينظر إلي. لقد شاهدت مرضى في حالة متأزمة - الكثير - لكنني لم أرَ في حياتي مثل هذه النظرة المسكونة. إنني أرى رعباً وليس جنوناً. أرى وضوحاً أكثر من رؤيتي الاضطراب. لابد أن كل هذا وهم بالطبع، ولكن، ليس هناك شك في أنه يفهم ذلك تماماً].

[أقول له: "عندما وصلت إلى هناك، هل لمستها؟"].

أجل، لمستها؛ الواحدة تلو الأخرى. ولا يمكنني القول إنني شعرت بأن العالم كان يصبح أكثر أمناً - أكثر صلابة، أكثر وجوديةً - مع كل صخرة لمستها، لأن هذا ليس صحيحاً. ولكن، مع كل صخرتيْن. الأرقام الزوجية فقط، هل تفهمني؟ بدأ ذلك السواد المتقلّب يتراجع مع كل زوج، وعندما وصلت إلى الصخرة الثامنة، اختفى. كان العشب داخل الدائرة أصفر وميتاً، لكن السواد تلاشى. ومن مكان ما - بعيد - سمعت صوت طير يسقسق.

تراجعت. كانت الشمس قد أشرقت تماماً في ذلك الحين، واختفى

شبح النهر فوق النهر الحقيقي كلياً. بدت الصخور مثل صخور حقيقية ،
جديد. ثماني صخور غرانيتية ناتئة، ولم تكن حتى تشكل دائرة، إلا إذا
أرغمت نفسك على تخيُّل دائرة. وشعرت بأنني مقسوم. جزء من عقلي
كان يعرف أن الأمر كله ناتج عن مخيلتي، وأن مخيلتي مصابة بمرض ،
نوع ما. والجزء الآخر كان متأكداً بأن هذا حقيقي، وأن هذا الجزء ،
يفهم سبب تحسُّن الأشياء لبعض الوقت.

إنه الانقلاب الشمسي، هل تعرف ذلك؟ إنك ترى النموذج نفسه
يتكرر في شتى أنحاء الكرة الأرضية - ليس في ستونهانج فقط، وإنما في
أميركا الجنوبية وأفريقيا، وحتى في القطب المتجمد الشمالي! كما تراه في
الغرب الأوسط الأميركي - حتى ابنتي رأته، ولا تعرف إلا أن تقول دوائر
محاصيل! إنه تقويم. ستونهانج وكل المواقع الأخرى، لا تحدد الأيام
والأشهر فقط، وإنما الأوقات الأكثر عظمة والأقل خطورة.

كان الانقسام في عقلي يمزقني. وما زال يمزقني. لقد ذهبت إلى
هناك نحو عشر مرات منذ ذلك اليوم، وفي يوم الواحد والعشرين؛ اليوم
الذي صادف موعدي معك واضطررت لإلغائه، هل تذكر؟

[أقول له إنني أذكر، بالطبع].

أمضيت ذلك اليوم بأكمله في حقل أكرمان وأنا أراقب وأعدّ. لأن
الواحد والعشرين يصادف أنه موعد الانقلاب الصيفي؛ إنه يوم الخطر
الأعظم. تماماً كما يمثّل الانقلاب الشتوي في كانون الأول اليوم الذي
يكون فيه الخطر في حالته الدنيا. كان ذلك في العام الماضي، وهو
سيتكرر في هذا العام، وحدث في كل عام منذ بداية الزمن. وفي الأشهر
التالية - حتى الخريف، على الأقل - طلبت إيقاف عملي. في اليوم
الواحد والعشرين... لا يمكنني إخبارك كم كان الوضع فظيعاً هناك
الطريقة التي ظلت فيها الصخرة الثامنة تظهر وتختفي. كم كان التركيز
شاقاً من أجل إعادتها إلى العالم. الطريقة التي كان السواد فيها يتجمّع

.سحب... يتجمّع وينسحب... كانت مثل المد والجزر. وفي لحظة ما
حدوث، وعندما صحوت رأيت عيناً غير بشرية - عيناً بشعة مكونة من
ة لة لصوص - تنظر إلي. صرخت لكنني لم أهرب. لأن العالم كان
معتمد علي... يعتمد علي دون حتى أن يعرف بذلك. بدلاً من الهرب،
رفعت كاميرتي ونظرت عبر عدسة التصوير. ثماني صخور ولا وجود
العين. لكنني بعد ذلك بقيت صاحياً.

وأخيراً، استقرت الدائرة وعرفت أن بمقدوري المغادرة. على الأقل
في ذلك اليوم. حينئذ كانت الشمس تغرب من جديد؛ كما فعلت في ذلك
المساء الأول، وبدت ككرة نار تقبع فوق الأفق، محوّلة أندروسكوجين
الى أفعى نازفة.

دكتور، سواء أكان ذلك حقيقياً أم مجرد وهم، فإن العمل قاس
جداً. والمسؤولية، إنني منهك للغاية. أتحدث عن حمل ثقل العالم على
عاتقك...

[يعود إلى الأريكة مرة أخرى. إنه رجل ضخم لكنه يبدو الآن صغيراً
ومنقلصاً. ثم يبتسم].

على الأقل، سأحصل على راحة عندما يحل الشتاء. إذا نجحت في
بلوغ ذلك التاريخ. وهل تعرف؟ أعتقد أننا انتهينا، أنت وأنا. كما يقولون
عادةً في الراديو: "هذا يُنهي برنامج اليوم". رغم أنني... هل تعلم؟ ربما
ستراني ثانيةً، أو على الأقل ستسمع مني.

[أقول له: بالعكس، لدينا الكثير من العمل لنقوم به. أقول له إنه
يحمل ثقلاً؛ غوريلا غير مرئية تزن ثمانمائة باوند على ظهره، وإننا معاً
يمكننا أن نقنعها بالنزول. أقول له إننا نستطيع أن نفعل ذلك، لكن الأمر
يتطلب وقتاً. أقول كل هذه الأشياء، وأكتب له وصفتين، لكنني في أعماقي
أخشى أنه يعني ما يقوله؛ إنه انتهى. يأخذ الوصفتين وينتهي الأمر. ربما
معي فقط. وربما مع الحياة نفسها].

شكراً لك يا دكتور. على كل شيء. على الإصغاء. وبالنسبة إلى الأشياء؟

[يشير إلى الطاولة بجانب الأريكة، بترتيبها الحريص].

لن أحركها لو كنت مكانك.

[أعطيه بطاقة موعد، فيضعها في جيبه بعناية. وعندما يربت على الجيب بيده للتأكد من أنها بأمان، أفكّر في أنني ربما أكون مخطئاً، ... سأراه في الخامس من تموز. لقد أخطأت من قبل. لقد أصبحت أحب ... ولا أريده أن يدخل حلقة الصخور تلك إلى الأبد. إنها موجودة في ... فقط، لكن هذا لا يعني أنها غير حقيقية].

[تنتهي الجلسة الأخيرة]

4. كراسة الدكتور بونسينت (أجزاء غير منسّقة)

5 تموز 2007

اتصلت برقم هاتف منزله عندما رأيت إعلان النعي. ردّت ... ك، الابنة التي ترتاد الجامعة هنا في مين. كانت متماسكة بصورة ... للاستغراب وهي تقول لي إنها في صميم قلبها لم تندهش. أخبرتني ... كانت أول من يصل إلى منزل ن في بورتلاند (مكان عملها الصيفي ... كامدن ليس بعيداً جداً)، ولكن كان بوسعي سماع أصوات آخرين ... المنزل. هذا جيد. تجتمع العائلة لأسباب كثيرة، ولكن لعل إحدى ... وظائفها تكمن في اجتماعها عند موت أحد أفرادها، ويكون هذا الاجتماع هاماً على نحو خاص عندما يكون الموت عنيفاً أو غير متوقع، كجريمة قتل أو انتحار.

كانت تعرف من أكون. تحدثت بحرية. أجل، كان انتحاراً. سيارة ...

...راج. مناشف ممددة أسفل الأبواب، وأنا واثق بأن عددها زوجي. إنها ... مناشف أو عشرون. كلاهما رقمان جيدان بالنسبة لـ ن. الثلاثون ... جيداً كثيراً. ولكن، هل يملك الناس - وخاصة إذا كانوا رجالاً ... بمفردهم - ثلاثين منشفة في منازلهم؟ أنا متأكد بأنهم لا يملكون ... العدد من المناشف. أنا أعرف أنني لا أملك هذا العدد.

سيُجرى تحقيق، حسبما قالت لي. سيجدون أدوية في دمه - الأدوية ...سها التي وصفتُها، لا شك لدي في ذلك - ولكن، ربما ليس بكميات ... ليس هذا مهماً باعتقادي، إذ إن ن ميت بصرف النظر عن السبب.

سألتني إن كنت سآتي إلى الجنازة. تأثّرتُ إلى حد البكاء، في ... قلت إنني سأفعل إذا قبلت العائلة بي. بدت مستغربة وهي تقول: ...طبع ستقبل... لِمَ لا؟

"لأنني في النهاية لم أستطع مساعدته"، أجبتها.

فقالت: "لقد حاولتَ. هذا هو المهم". فأحسست بالدموع تلسع ...ي مجدداً. يا للطفها.

قبل أن ننهي المكالمة سألتها إذا كان قد ترك رسالة. فقالت: أجل. ...ث كلمات. أنا منهك جداً.

كان ينبغي عليه أن يضيف اسمه فيصبح عدد الكلمات أربعاً.

7 تموز 2007

في دار العبادة والمقبرة معاً، قبلني أفراد عائلة ن - وخصوصاً ك - ...سهم ورحّبوا بي. إنها أعجوبة العائلة التي يمكن أن تفتح دائرتها - حتى ... مثل هذه الأوقات الحساسة - لقبول شخص غريب. كان هناك ما ...ب من مائة شخص، الكثيرون من العائلة الممتدة لحياته المهنية. بكيت ... القبر. لست مندهشاً ولا خجلاً؛ لأن الرابط بين المحلل النفسي ... المريض قد يكون قوياً. أخذت ك بين ذراعي، فعانقتني، وشكرتني على

محاولتي مساعدة والدها. شعرت مثل منتحل شخصية ليست حقيقية، شعرت بأنني فاشل.

يوم صيفي جميل. يا للسخرية!

استمعت الليلة إلى أشرطة تسجيل جلساتنا. أظن أنني سأكتب، توجد على الأقل مقالة في قصة ن - إضافة صغيرة إلى أدب اضطراب الهوس القهري - وربما شيء أكبر. كتاب. لكنني متردد. ما يمنعني هو معرفتي أنه ينبغي عليّ زيارة ذلك الحقل ومقارنة وهم ن مع الواقع؛ مقارنة عالمه مع عالمي. بالنسبة إلى وجود الحقل، أنا متأكد من ذلك والصخور؟ أجل، ربما توجد هناك صخور. من دون أي معنى من المعاني التي أسبغها ن عليها.

غروب شمس جميل في هذا المساء.

17 تموز 2007

أخذت اليوم استراحة من العمل وذهبت إلى موتون. كان هذا يشغل تفكيري، وفي النهاية لم أجد سبباً يمنعني من الذهاب. كنت متردداً، كما كانت أمنا ستقول. إن كنت أنوي الكتابة عن حالة ن، فإن هذا التردد ينبغي أن يتوقف. لا أعذار. بوجود المؤشرات الباقية من طفولتي - جسر بيل رود (كنا أنا وشيلا ندعوه، لسبب لم أعد أذكره، جسر فيل رود) وبوي هيل، وبشكل خاص مقبرة سيرينيتي ريدج - اعتقدت أنني سأجد طريق ن بدون عناء كبير، وهذا ما حصل فعلاً. ولم يكن هناك مجال للشك، لأنه كان الطريق الترابي الوحيد الذي تقطعه سلسلة حديدية ولافتة تقول "ممنوع التجاوز".

ركنت سيارتي في ساحة إيقاف السيارات التابعة للمقبرة، كما فعل ن قبلي. رغم أنه كان يوماً صيفياً مشرقاً وحاراً، إلا أنني لم أستطع سماع إلا بضعة طيور تنقنق، وكانت بعيدة. لم أصادف أي سيارة على الطريق

!!!، وإنما شاحنة وحيدة محمّلة بإفراط بالأخشاب عبرت هادرةً بجانبي
بسرعة سبعين ميلاً في الساعة فطيّرت شعري من جبهتي إلى الخلف
بنفحة هواء ساخن وغاز عادم عابق بالوقود. وبعد ذلك كنت وحدي.
تذكرت في نزهات الطفولة التي قمت بها إلى جسر فيل رود حاملاً صنّارة
الصيد الصغيرة من نوع زيبكو على كتفي مثل بندقية جندي. لم أكن خائفاً
قط حينئذ، وقلت لنفسي اليوم إنني لست خائفاً.

بيد أنني كنت خائفاً. ولم أعتبر هذا الخوف غير عقلاني تماماً. إن
الرجوع إلى مصدر المرض الذهني لأحد المرضى لا يكون مريحاً على
الإطلاق.

وقفت بجانب السلسلة وأنا أسأل نفسي إن كنت حقاً أريد فعل
ذلك، وإن كنت أريد الدخول، ليس فقط إلى أرض ليست لي، وإنما
إلى وهم هوسي قهري تسبّب على الأرجح بقتل صاحبه (أو – ربما
هذا أقرب – قتل المسكون به). لم يبد لي الخيار واضحاً مثلما كان في
هذا الصباح عندما ارتديت سروالي الجينز وانتعلت جزمتي الحمراء
القديمة المخصصة لنزهات المشي الريفية. هذا الصباح بدا الأمر بسيطاً
للغاية: "اذهبْ وقارن الواقع مع وهم ن، أو تخلى عن فكرة المقالة (أو
الكتاب)". ولكن، ما هو الواقع؟ من أنا لأؤكد أن العالم المدرَك بواسطة
حواس الدكتور ب أكثر "واقعيةً" من ذاك المدرَك بحواس المحاسب
الراحل ن؟

إن الإجابة على هذا السؤال بدت واضحة بما يكفي: الدكتور ب
رجل لم يقدم على الانتحار، إنّه رجل لا يعدُّ أو يلمس أو يرتّب، إنّه رجل
يعلم بأن الأرقام – سواء أكانت فردية أم زوجية – مجرد أرقام. الدكتور ب
رجل قادر على التكيُّف مع العالم. وفي نهاية المطاف، لم يكن المحاسب
ن كذلك. وعلى هذا الأساس، فإن إدراك الدكتور للواقع أكثر موثوقية من
إدراك المحاسب ن.

ولكن، عندما أصبحت هناك، وأحسست بالقوة الهادئة للمد
(حتى من أسفل الطريق، وخارج السلسلة)، خطر لي أن الخيار أمـ
بكثير: إما أن أصعد هذا الطريق المهجور إلى حقل أكرمان، أو أعو
أدراجي إلى حيث ركنت سيارتي، وأبتعد من هناك، وأنسى الفك
المحتمل، وأنسى المقالة الأكثر احتمالاً. أنسى ن، وأتابع حياتي.

إلا إذا. إلا إذا.

إلا إذا (أقول إذا فقط) كان الابتعاد يعني أنني في مستوى ما، مستو
عميق داخل لاشعوري - حيث جميع الخرافات القديمة لا تزال نعيش
(جنباً إلى جنب مع جميع الدوافع الحمراء القديمة) - قبلتُ اعتقاد ن ما
حقل أكرمان يحوي مكاناً هشاً محمياً بواسطة صخور عجيبة، وبأنني إذا
ذهبت إلى هناك فإنني قد أعيد تنشيط عملية فظيعة معينة، أو صراع فظ
ما شعر ن بأن انتحاره يمكن أن يوقفه (مؤقتاً على الأقل). إلا إذا كان ذلك
يعني أنني قبلت (في ذلك الجزء العميق نفسه مني حيث نكون جميعا
متشابهين تقريباً لنمل يكدح في عش تحت الأرض) فكرة أنني سأكون
الحارس التالي، وبأنني دُعيت. وإذا استسلمت لمثل هذه الأفكار...

"فلن تعود حياتي إلى سابق عهدها أبداً. لن أستطيع النظر إلى العالم
بالطريقة نفسها أبداً". قلت هذه الكلمات بصوت عالٍ.

فجأة، أصبحت المسألة خطرة جداً. نحن ننجرف أحياناً، ألسنا
كذلك؟ إلى أماكن حيث لا تعود الخيارات بسيطة، وحيث تكون عواقب
اختيار الخيار الخطأ خطرة، وربما تهدد الحياة أو السلامة العقلية.

أو... ماذا لو لم تكن خيارات على الإطلاق؟ ماذا لو كانت تبدو
كخيارات؟

أبعدت الفكرة عن ذهني، وتجاوزت جانبياً إحدى العارضتين
الممسكتين بالسلسلة. لقد سبق لي أن لُقبت بالدكتور العجيب من
قبل بعض المرضى، وكذلك من بعض زملائي (على سبيل المزاح

...مادي)، لكنني لا أريد أن أفكّر في نفسي بهذه الطريقة. لا أريد أن أنظر ... ـي في مرآة الحلاقة وأفكّر: هناك رجل تأثّر في لحظة حماسة ليس ... طقه العقلاني الخاص وإنما بوهم مريض ميت.

لم تكن هناك أشجار على الطريق، لكنني رأيت بضع أشجار ...معظمها أشجار بيرتش وصنوبر) ملقاة في الخندق المحاذي للطريق ...ن جانب التلة. قد تكون سقطت هذا العام وجُرَّت جانباً، أو في العام الماضي، أو الذي قبله. يستحيل علي التميز فأنا لست خبير غابات.

وصلت إلى هضبة بارزة، ورأيت الأشجار تتراجع من كلا الجانبين، ...الـفةً بقعةً واسعة من سماء الصيف الحار. كان الأمر أشبه بالدخول ...إلى رأس ن. بدأت بصعود الهضبة، وفي منتصف الطريق توقفت، ليس ...لالتقاط أنفاسي، وإنما لأسأل نفسي للمرة الأخيرة عمّا إذا كنت أريد فعل ...ذلك، ثم تابعت طريقي.

ليتني لم أفعل.

كان الحقل موجوداً، والمنظر المفتوح على الغرب كان رائعاً؛ تماماً ...كما وصفه ن؛ فهو يحبس الأنفاس حقاً. حتى مع ارتفاع الشمس ولونها ...الأصفر بدلاً من أن تكون حمراء قابعة فوق الأفق. والصخور كانت هناك ...أيضاً، تبعد نحو أربعين ياردة على الأرض المائلة. وأجل، إنها توحي فعلاً ...بأنها دائرية، ولكن ليست بأي شكل من الأشكال مثل نوع الدائرة التي ...رآها المرء في ستونهانج. عددتها، كانت ثمانية؛ تماماً كما قال ن.

(مع أنه قال إنها سبعة أيضاً).

كان العشب داخل تلك الدائرة غير المنتظمة يبدو حقاً مبقّعاً قليلاً وأصفر بالمقارنة مع العشب الأخضر الطويل حتى مستوى الفخذ في بقية الحقل، لكنه لم يكن يابساً مطلقاً. ما لفت انتباهي عندما اقتربت أكثر هو ...أجمة صغيرة من نباتات السماق المتلاصقة. صحيح أنها لم تكن ميتة – ...باعتقادي الشخصي على الأقل – لكن أوراقها كانت سوداء بدلاً من أن

تكون خضراء مقلّمة بالأحمر، وكانت بلا شكل. كانت مشوّهة وبصعوبة النظر إليها إلى حد ما. كانت تفقد النظام الذي تتوقعه العين. لا يمكنني التعبير عن ذلك بصورة أفضل.

وبعد عشر ياردات تقريباً من المكان الذي كنت أقف فيه، رأيت شيئاً أبيض عالقاً في الأجمة. مشيت نحوه فوجدت أنه كان مظروفاً، وعرفت أن ن تركه لي. إن لم يكن قد فعل ذلك في اليوم الذي شهد انتحاره، فقبل ذلك بوقت ليس بطويل. شعرت بانقباض شديد في معدتي. كان لدي شعور واضح بأنني اتخذت خياراً خاطئاً عندما قررت المجيء إلى هنا (إذا كنت قد قررت حقاً). كنت متأكداً أنني اتخذت الخيار الخاطئ في الحقيقة، لأنني عُلّمت بأن أثق بعقلي وليس بأحاسيسي.

هراء. أعرف أنه لم يكن ينبغي علي التفكير على هذا النحو.

بالطبع (هنا يوجد مغزى!)، كان ن يعرف ذلك أيضاً، ومع ذلك استمر في التفكير على هذا النحو. لا شك أنه كانت يعدُّ المناشف حتى عندما كان يستعد لـ...

للتأكد من أن الرقم زوجي.

اللعنة. يقوم العقل بحيل مضحكة، أليس كذلك؟ الظلال تصبح وجوهاً.

كان المظروف موضوعاً بمحفظة بلاستيكية من نوع باغي للحفاظ عليه جافاً. كانت الكلمات المطبوعة على المقدمة واضحة تماماً: الدكتور جون بونيت.

أخرجته من المحفظة، ثم نظرت نحو الصخور مجدداً. لا تزال ثماني صخور. بالطبع، كانت ثمانيَ. ولكن، لم يكن هناك أي طير يزقزق، ولا حتى صرصور حقل. كان النهار يحبس أنفاسه. كان كل شيء محظوراً. الآن أصبحت أعرف ما كان ن يعنيه حول شعوره بالرجوع في الزمن.

كان يوجد شيء ما في المظروف. كنت أشعر به وهو ينزلق إلى الأمام والخلف، وعرفَتْهُ أصابعي حتى قبل أن أمزق المظروف وأضعه في راحة يدي. إنّه مفتاح.

وكانت هناك ملاحظة أيضاً؛ كلمتان فقط. شكراً دكتور. واسمه المطبوع. الاسم الأول فقط. وهذا يجعل مجموع الكلمات ثلاثاً. ليس رقماً جيداً بالنسبة إلى ن على الأقل.

وضعت المفتاح في جيبي، ووقفت بجانب أجمة سماق لم تكن تبدو مثل أجمة سماق؛ إذ كانت الأوراق سوداء، والأغصان ملويّة لدرجة أنها كانت تبدو مثل رموز، أو حروف...

ليس كونا!

... وقررت: حان الوقت للرحيل. هذا يكفي. إذا كان شيء ما قد يميز الأجمات، أو حالة بيئية معينة سمّمت الأرض، فليكن. الأجمات ليست الجزء الهام من هذا المنظر، بل الصخور. وهناك ثماني صخور. لقد اختبرتَ العالم ووجدته كما كنتَ تأملُ أن يكون، كما كنتَ تعرفُ أنه سيكون، كما كان دائماً. إذا كان هذا الحقل يبدو هادئاً جداً – متوتراً، نوعاً ما – فلا شك في أن هذا يرجع إلى الأثر الباقي لقصة ن على ذهنك. دون أن نذكر انتحاره. والآن، عُدْ إلى حياتك. لا تكترث للصمت، أو للإحساس – الموجود في ذهنك مثل غيمة رعدية – بأن شيئاً ما يكمن في ذلك الصمت. عُدْ إلى حياتك يا دكتور ب.

عُدْ ما دمت قادراً على فعل ذلك حتى الآن.

رجعت إلى بداية الطريق. كان العشب الأخضر المرتفع يحتك بسروالي الجينز مثل صوت خافت لاهث، وكانت الشمس تضرب رقبتي وكتفيّ.

شعرت بدافع للالتفات والنظر مجدداً؛ دافع قوي قاومته، وخسرت. وعندما التفتُّ إلى الوراء رأيت سبع صخور. ليست ثماني، بل إنها

سبع. عددتها مرتين للتأكد. وبالفعل بدت المنطقة داخل دائرة الصخو
أكثر سواداً، كما لو أن غيمة عبرت أمام الشمس، غيمة صغيرة جداً مر
خلّفت ظلاً في ذلك المكان فقط. بيد أنه لم يكن يبدو مثل ظل. كان ب
مثل سواد من نوع خاص، سواد يتحرّك فوق العشب المتشابك الأصم
ويدور حول نفسه، ثم يتأ مجدداً نحو الفجوة حيث كانت الصخرة الثا
عندما وصلت إلى هنا؛ أنا متأكد تقريباً من ذلك.

فكّرت: ليست لديّ كاميرا للنظر عبرها وجعلها تعود.

فكّرت، يجب أن أجعل هذا يتوقف ما دام باستطاعتي حتى الآ
القول لنفسي إنه ليس هناك شيء يحدث. فأنا أقل اكتراثاً بمصير العالم م
اكتراثي بفقداني سيطرتي على مداركي، وبفقداني فكرتي حول العالم. ام
أصدق وهم ن للحظة واحدة، لكن ذلك السواد...

لم أكن أريده أن يحصل على موطئ قدم. هل تفهمني؟ ولا حو
على موطئ إصبع.

كنت قد أعدت المفتاح إلى المظروف الممزق، ووضعت المظروف
في جيبي الخلفي، لكنني كنت لا أزال أمسك بالمحفظة البلاستيك
ومن دون تفكير رفعتها أمام عينيّ ونظرت إلى الحجارة من خلالها
كانت منحرفة قليلاً، ومغبشة قليلاً عندما شددت المحفظة بقوة، لكنها
كانت صافية بما يكفي. عادت الصخور لتصبح ثماني، وذلك السواد
المتصوَّر... ذلك القمع أو النفق... اختفى (بالطبع، إنه لم يكن موجودا
أساساً). أخفضت المحفظة البلاستيكية - ليس بدون شيء من الخوف،
أعترف بذلك - ونظرت إلى الصخور بدقة. إنها ثماني. وهي ثابتة كأساس
تاج محل.

عدت إلى الطريق مجدداً، مقاوماً بنجاح الدافع القوي الذي يحثني
على إلقاء نظرة أخرى. ولماذا النظر مجدداً؟ الرقم ثمانية يعني ثمانية
لنجعل هذا واضحاً. (طرفتي الصغيرة).

قررت صرف النظر عن فكرة المقالة. من الأفضل إلقاء مسألة ن
ء منها خلف ظهري. الشيء المهم هو ذهابي إلى هناك ومواجهتي - أنا
متأكد بأن هذا صحيح - الجنون الموجود فينا جميعاً؛ في أمثال الدكتور
.. وكذلك في أمثال ن. ماذا كانوا يسمونه في الحرب العالمية الأولى؟
"ذاهب لرؤية الفيل". لقد ذهبت لرؤية الفيل، لكن ذلك لا يعني بأنه
يتوجب عليّ جرّ الفيل، أو في حالتي أنا، كتابة وصف للفيل.

وماذا لو كنت أعتقد أنني رأيت أكثر؟ ولو لبضع ثوانٍ...

حسناً، أجل. ولكن، انتظر. هذا يُظهر فقط قوة الوهم الذي تملّك ن
المسكين، ويفسّر انتحاره بطريقة لا تتمكن أي رسالة انتحار من تفسيره.
مع ذلك، ثمة أشياء من الأفضل أن تُترَك وشأنها. وربما هذه الحالة هنا من
بينها. ذلك السواد...

ذلك القمع... النفق، ذلك المتصوَّر...

على أي حال، لقد انتهيت من مسألة ن. لا كتاب ولا مقال. "اقلب
الصفحة". لا شك أن المفتاح يفتح قفل السلسلة عند نهاية الطريق، لكنني
لن أستخدمه أبداً. لقد رميته.

"وإلى السرير"؛ كما اعتاد الراحل العظيم سامي بيبس أن يقول.

شمس حمراء هذا المساء، مصدر بهجة البحّارة تشع فوق ذلك
الحقل. الضباب يتصاعد من العشب؟ ربما. من العشب الأخضر. وليس
الأصفر.

ونهر أندروسكوجين سيكون أحمر هذا المساء، أفعى طويلة تنزف
في قناة ولادة ميتة (جميل!). أحب أن أرى هذا؛ بصرف النظر عن
السبب. أعترف بذلك.

هذا إرهاق فقط، وسيزول غداً صباحاً. غداً صباحاً قد أعيد التفكير
في مسألة المقال أو الكتاب. ولكن الليلة... إلى السرير.

18 تموز 1007

أخرجت المفتاح من سلة القمامة هذا الصباح ووضعته في د م طاولة مكتبي. يبدو رميه إلى حد كبير مثل الاعتراف بأن شيئاً ما قد يحدث. كما تعرف.

في الواقع. وعلى أي حال، إنه مجرد مفتاح.

27 تموز 1007

حسناً، أجل، أعترف بذلك. إنني أعدُّ بضعة أشياء وأتأكد من وجود أرقام زوجية حولي؛ مشابك ورق، أقلام الرصاص في العلبة... أشياء من هذا القبيل. فعل ذلك مريح على نحو غريب. لقد التقطت زكام بالتأكيد. (طرفتي الصغيرة، لكنها ليست طرفة).

مدرّبي ومرشدي في الطب النفسي هو الدكتور ج في أوغوستا، وهو الآن رئيس الأطباء في سيرينيتي هيل. اتصلت به، ودار بيننا حديث عام – صغته على أساس أنني أقوم ببحث من أجل مقال أكاديمي قد أقدّمه هذا الشتاء في مؤتمر شيكاغو؛ وهذه كذبة بالطبع، ولكن كما تعرف، هذا أسهل أحياناً – حول الطبيعة الانتقالية لأعراض اضطراب الهوس القهري من المريض إلى المحلل النفسي. أكّد ج أبحاثي. إن الظاهرة ليست شائعة، لكنها ليست نادرة في الوقت نفسه.

قال: "هذا لا يمثل أي قلق شخصي بالنسبة إليك يا جوني، أليس كذلك؟".

كان حاد الملاحظة وثاقب البصيرة كما كان دائماً. ويملك الكثير من المعلومات عني.

قلت له: "لا، لقد أثار هذا الموضوع اهتمامي بالصدفة. في الحقيقة، لقد أصبح نوعاً من الهاجس لديّ".

أنهينا الحديث ونحن نضحك، ثم ذهبت إلى طاولة القهوة وعددت الكتب هناك. ستة. هذا جيد. الستة ثابتة (وفقاً لتعير ن المسجّع). تفقّدت طاولة مكتبي لأتأكد من وجود المفتاح. بالطبع كان هناك، وأين سيكون؟ مفتاح واحد. هل الواحد جيد أم سيء؟ "الجبن يقف وحده"، كما تعلم. ربما ليس هذا وثيق الصلة بالموضوع، لكنه شيء للتفكير فيه!

هممت بالخروج من الغرفة فتذكرت وجود مجلات على طاولة القهوة إلى جانب الكتب فتوقفت وعددتها أيضاً. سبع! أخذت مجلة سول وعلى غلافها صورة براد بيت ورميتها في القمامة.

انظر، إذا كان هذا يجعلني أشعر على نحو أفضل، فما الضير من القيام به؟ إنه براد بيت فقط!

وإذا ساء الوضع أكثر، فسأصارح ج بكل ما يجري. هذا وعد أقطعه على نفسي.

أعتقد أن نيوروتين قد يساعد. رغم أنه علاج مضاد لنوبات الصرع إلا أنه في حالات كحالتي عُرف أنه يساعد. بالطبع...

3 آب 2007

من أخدع؟ لا توجد حالات كهذه الحالة، ونيوروتين لا يساعد.

لكن العدّ يساعد؛ فهو مريح بطريقة غريبة. وثمة شيء آخر. كان المفتاح في الجانب الخطأ من الدرج الذي وضعته فيه. كان هذا حدساً، لكن الحدس ليس شيئاً يُستخَفّ به. نقلته. هذا أفضل. ثم وضعت مفتاحاً آخر (مفتاح صندوق إيداع) في الجانب الآخر. يبدو أنه وازنَه. الرقم الستة ثابت لكن الرقم اثنين صحيح (نكتة). نوم جيد في الليلة الماضية.

في الحقيقة، لا. تخللت نومي كوابيس. نهر أندروسكوجين عند الغروب. جرح أحمر. قناة ولادة. ولكن ميتة.

10 آب 2007

ثمة خطب ما هناك. الصخرة الثامنة تضعف. لا معنى لإخبار نفسي أن هذا غير صحيح، لأن كل عصب في جسمي - كل خلية في جلدي!! - يؤكد أنّ هذا صحيح. عدُّ الكتب (والأحذية، أجل ...) صحيح، حدس ن، ولا ينبغي "الاستخفاف به") يساعد لكنه لا يصادم المشكلة الأساسية. ولا حتى الترتيب القُطري يساعد كثيراً، رغم ا... بالتأكيد...

فتات الخبز المحمَّص على طاولة المطبخ، على سبيل المثال. تر... بواسطة نصل السكين. صفٌّ من السكر على الطاولة، هنا!! ولكن، م... يعرف كم عدد الفتات؟ كم عدد حبّات السكر؟ أكثر من أن تُعَدّ!!

يجب أن ينتهي هذا. سأذهب إلى هناك.

سوف آخذ كاميرا.

11 آب 2007

السواد، يا الله الرحيم. كان تاماً تقريباً. وثمة شيء آخر، كا... للسواد عين.

12 آب 2007

هل رأيتُ شيئاً ما؟ حقاً؟

لا أعرف. أظن أنني رأيت، لكنني لا أعرف.

توجد 23 كلمة في هذا (حسب النص الإنكليزي).

26 أفضل.

19 آب

رفعت سماعة الهاتف لأتصل بالدكتور ج وأخبره بما يحدث معي، ثم أعدتها إلى مكانها. ماذا سأقول له؟ وإضافة إلى ذلك: 1-207-555-1863 = 11. رقم سيئ.

ساعدني الفاليوم أكثر من النيورونتين. أعتقد ذلك. طالما أنني لا
ا. ما لي تناوله.

16 أيلول

عدت من موتون. مغطّى بالعرَق ومرتعشاً. لكنها ثماني صخور
إصا. لقد ثبّتّها! لقد ثبّتّه! الحمد لله. ولكن...
ولكن!
لا يمكنني أن أعيش حياتي بهذه الطريقة.
لا، لكنني كنت هناك في الوقت المناسب تماماً. كان على وشك
الخروج. قد تدوم الإجراءات الوقائية طويلاً، ولكن بعد ذلك يصبح من
الضروري زيارة الطبيب (طرفتي الصغيرة).
رأيت العين ذات الفصوص الثلاثة التي تحدّث عنها ن. إنها لا
ـمي إلى هذا العالم أو هذا الكون.
إنها تحاول شق طريقها للولوج إلى عالمنا.
لكنني لا أقبل بهذا. لقد سمحت لهوس ن بدس إصبعه في ذهني
(إنه يدس إصبعاً نتنة فيَّ؛ إن لهمت طرفتي الصغيرة) ولقد وسَّع الفجوة،
حيث دسَّ إصبعاً ثانية وثالثة، ثم يداً كاملة. إنه يفتحني. يفتح مؤخرتي!
رأيته بأم عيني. يوجد عالم خلف هذا العالم، مليء بالوحوش...
ثمة شيء. ماذا سيحصل إن قتلت نفسي؟ إذا لم يكن هذا حقيقياً،
فإن العذاب سينتهي على أي حال. وإذا كان حقيقياً، فإن الصخرة الثامنة
هناك ستثبُت مجدداً. على الأقل إلى أن يذهب "المسؤول" التالي
مستكشفاً بلا مبالاة ذلك الطريق ويرى...
الانتحار يبدو جيداً إلى حد ما!

9 تشرين الأول 2007

اصبحت أفضل مؤخراً. تبدو أفكاري نابعة مني أكثر من قبل. وا م
مرة ذهبت فيها إلى حقل أكرمان (منذ يومين)، كانت مخاوفي كلها بدو،
داعٍ. كانت هناك ثماني صخور. نظرت إليها - ثابتة كالمنازل - وراء
غراباً في السماء. انحرف ليتجنب البقعة التي تقع فوق الصخور (ها،
حقيقة)، لكنه كان موجوداً هناك. وبينما كنت واقفاً عند نهاية الطر
والكاميرا معلقة حول رقبتي (لم تظهر أي صورة في موتون، تلك الصخ
لا تُصوَّر، ن محق بهذا. على أي حال، ربما كان العنصر المشع رادون)،
تساءلت كيف أمكنني أن أفكر في أنها كانت سبع صخور فقط. أعترف
أنني عددت خطواتي في طريق العودة إلى سيارتي (ثم خطوت بعض
خطوات إضافية في المكان عندما وجدت أن الرقم فردي)، لكن ها
الأشياء لا تزول فوراً. إنها مغص في العقل! ولكن ربما...

هل أجرؤ على الرجاء بأنني سأتحسَّن؟

10 تشرين الأول 2001

بالطبع، يوجد احتمال آخر، وأكره الاعتراف به، وهو أن ن كان
محقاً بخصوص الانقلاب الشمسي. نحن ننتقل من انقلاب إلى آخ
الآن. الانقلاب الصيفي انتهى، والشتوي آتٍ. وهذا يعني - إن كان
صحيحاً - أنه خبر جيد على المدى القصير فقط. إذا كنت سأعاني مثل
هذه التشنجات الذهنية المدمرة في الربيع القادم... الربيع الذي يليه...

لا يمكنني ذلك، هذا كل ما في الأمر.

كم تسكنني تلك العين! إنها تطوف في السواد المتجمِّع.

ثمة أشياء أخرى خلفها.

كثون!

16 تشرين الثاني 2007

إنها ثمانٍ، ثماني صخور دائماً. أنا متأكد الآن. اليوم كان الحقل صامتاً، والعشب يابساً، والأشجار أسفل المنحدر عارية، ونهر البروسكوجين فولاذياً رمادياً تحت سماء حديدية. العالم ينتظر نزول الثلج.

طيرا

أدركت فقط عندما كنت أقود سيارتي عائداً إلى ليوستون أنني لم أعدّ خطواتي عند رجوعي إلى السيارة.

إليك الحقيقة، ما يجب أن يكون الحقيقة. لقد التقطت زكاماً من أحد مرضاي، لكنني أتعافى. زال السعال، والرشح يجفُّ.

كانت الطرفة علي منذ البداية.

23 كانون الأول 2007

شاركت في غداء الكرسمس وفي تبادل الهدايا مع شيلا وعائلتها. عندما أخذ دون سيث إلى دار العبادة، شدَّت شيلا على يدي وقالت: "لقد عدتَ. هذا جيد. كنت قلقة".

في الواقع، لا يمكنك أن تخدع لحمك ودمك، يبدو أن الدكتور ج لم يشك فقط في وجود خطب ما، لكن شيلا عرفت؛ شيلا العزيزة.

قلت لها: "مررت بنوع من الأزمة هذا الصيف والخريف. بوسعك تسميتها أزمة روحية".

لكنها كانت أزمة عقلية. عندما يبدأ الإنسان بالتفكير بأن الغاية الوحيدة لتصوراته تتمثل في إخفاء المعرفة المرعبة، فهذه أزمة عقلية.

فقالت شيلا العملية على الدوام: "طالما أنه لم يكن سرطاناً يا جوني. هذا ما كنت أخشاه".

عزيزتي شيلا! ضحكتُ وعانقتها.

في ما بعد، بينما كنا نقوم بإجراء تحسينات أخيرة على الطعا
(ونحتسي الشراب)، سألتها إن كانت تتذكر سبب تسميتنا جسر بيل ر
جسر "فيل رود". فرفعت رأسها وضحكت.

"صديقك القديم هو الذي ابتكره. ذاك الذي كنتُ معجبةً به".

قلت: "تشارلي كين، لم أره منذ زمن طويل جداً. إلا في التلفا
المسكين سانجاي غوبتا".

ضربتني برقّة على ذراعي قائلةً: الغيرة ليست من طباعك يا عزيزي.
على أي حال، كنا نصطاد من الجسر ذات يوم - تعرف، بصنّاراتنا الصغ
التي كنا نملكها جميعاً - فنظر تشارلي من فوق الجسر وقال: هل تعرفان
إن أي شخص يقع من هذا الشيء لن يخفق في قتل نفسه. لقد وجدنا
كلماته مضحكة فضحكنا مثل المجانين. ألا تذكر ذلك؟".

تذكّرت حينئذ بالفعل. جسر بيل (Bail) رود أصبح جسر فيل (fail،
أي يخفق) رود. وما قاله تشارلي العزيز كان صحيحاً بما يكفي، فمجرى
بيل ضحل جداً في تلك النقطة. بالطبع، إنه يصب في أندروسكوجين
(بوسعك ربما رؤية نقطة الالتقاء من حقل أكرمان، رغم أنني لم ألاحظ
ذلك)، الأشد عمقاً بكثير، والذي بدوره يصب في البحر. العالم يُفضي
إلى العالم، أليس كذلك؟ وكل واحد أعمق من الذي قبله، إنه تصميم
مطبّق في شتى أنحاء الكرة الأرضية.

عاد دون وسيث إلى المنزل - إنه رجل شيلا الكبير ورجلها
الصغير - مغطّيَن بالثلج من رأسيهما إلى أقدامهما. تعانقنا جماعياً
وهذا سلوك "عصر جديد" أصيل(*) - ثم ركبت سيارتي وعدت إلى
المنزل وأنا أستمع إلى أناشيد الكرسمس. كنت سعيداً حقاً للمرة الأولى
منذ وقت طويل.

أعتقد أن هذه الملاحظات... هذه المفكرة... هذا السجل الزمني

(*) New Age، حركة بدأت في الثمانينيات تشدّد على الوعي الروحي. (المترجم)

..محور الذي تفاديته (ربما بسنتمترات قليلة جداً. أظن أنني كدت "أسقط .. الجسر")... يمكن أن ينتهي الآن...

الحمد لله.

1 نيسان 2008

إنها مناسبة أحمق نيسان (*April's Fool*)، وأنا الأحمق. استيقظت .. كابوس حول حقل أكرمان.

في الكابوس كانت السماء زرقاء، وكان النهر أزرق داكناً في واديه، .. كان الثلج يذوب، وكانت بدايات العشب الأخضر تنبت بين بقايا الأشرطة البيضاء، ومرة أخرى كانت هناك ثماني صخور فقط. مرة أخرى ..ان هناك سواد في الدائرة. لا يزال مجرد بقعة الآن، لكنه سيتعمّق أكثر إن .م أهتم به.

أحصيت الكتب بعد استيقاظي (إنها أربعة وستون كتاباً؛ رقم جيد، .. م زوجي ويمكن تقسيمه إلى أن يصبح الناتج 1. فكِّر فيه)، وعندما لم ..نفع ذلك، أرقت القهوة على طاولة المطبخ، وصنعت منها خطاً قُطْرياً. أصلحَ هذا السلوك الأمور - مؤقتاً - لكنني سأضطر إلى الذهاب إلى هناك .. القيام "بزيارة منزلية" أخرى. يجب ألا أتردد.

لأن ذلك الشيء بدأ من جديد.

كان الثلج قد أوشك على التلاشي، والانقلاب الصيفي يقترب (لا ..زال في الأفق، لكنه يقترب)، وهو يبدأ من جديد.

أشعر...

ليساعدني الله، أشعر مثل مريض بالسرطان كان مرضه في تراجع ..فإذا به يستيقظ ذات صباح ويكتشف كتلة دهنية كبيرة تحت إبطه.

لا يمكنني أن أفعل ذلك.

يجب أن أفعل ذلك.

كان لا يزال هناك ثلج على الطريق، لكنني مع ذلك صعدت إلى حقل أكرمان. تركت سيارتي في ساحة إيقاف السيارات التابعة للمقم ومشيت. كانت سبع صخور بالفعل، كما رأيت في كابوسي. نظرت عبر عدسة كاميرتي، فصارت ثمانيَ مجدداً. الصخور الثماني تبقي العالم صلباً. هذا جيد من أجل صالح العالم!

ولكنه ليس جيداً تماماً بالنسبة إلى الدكتور بونسينت.

مجرد حدوث هذا الأمر مجدداً... يئن عقلي من هذا الاحتمال.

يا الله، رجاءً، لا تدعه يحدث مجدداً.

6 نيسان 2008

تحويل 7 إلى 8 تطلَّب وقتاً أطول هذا اليوم، وأعرف أن أمامي "مسافة طويلة" من العمل؛ أي إحصاء الأشياء وصنع خطوط قطرية. ليس ترتيباً - كان ن مخططاً بشأن ذلك - بل ما يجب فعله هو الموازنة. إنه أمر رمزي، مثل الخبر(*).

لكنني منهك. والانكلاب بعيد جداً(**).

إنه لا يزال يجمّع قوته والانكلاب بعيد جداً.

ذلك الوعد الأناني(***).

2 أيار 2008

ظننت أنه سيقتلني هذه المرة، أو يحطم عقلي. هل عقلي محطم؟ يا الله، كيف أستطيع أن أعرف؟! ليس هناك من يمكنه الوقوف في وجه ذلك السواد، وتلك العين التي تحدّق من داخله. وثمة شيء آخر.

(*) يقصد الخبز، غير أنه بدأ يخطئ في الكتابة. (المترجم)

(**) يقصد الانقلاب الشمسي. (المترجم)

(***) يقصد الوغد. (المترجم)

الشيء ذو رأس الخوذة. المولود من سواد مجنون حي.

كان هناك إنشاد إنشـاد من مكان عميق داخل حلقة الصخور؛ عميقاً داخل السـواد. لكنني تمكنـت من تحويل 7 إلـى 8 مجدداً، رغـم أن ذلك استغرق وقتاً طويلاً جداً جداً جداً جراً جداً. نظرات كثـيرة عبر العتمة، وصنع دواير أيضاً، وإحصاء خطوات؛ موسـعاً الدائـرة إلى 64 خطوة، وقد نجح ذلـك، الحمد لله. ثـم رفعت رأسـي، ونظرت حولي، ورأيت اسمه محاكاً في كل أجمة سماق وكل شجرة وعند أسـفل الحقل اللعين: كثون، كثون، كثـون، كثون... نظرت إلى السـماء كي أرتاح فرأيـت الغيون تكتب حروفه بينما كانت تقطع السـماء الزرقـاء: كثون في السـماء. ونظرت إلى النهر فرأيت تعرجاته تصنع حرف ك عملاقاً. ك دلالة على كثون.

كيف يمكن أن أكون مسـؤولاً عن العالم؟ كيف يمكن ذلك؟

هذا ليس عدلاً!!!!

4 أيار 2008

ليتني أستطيع إغلاق الباب بقتلي نفسي...

والشعور بالسلام؛ حتى لو كان مجرد سلام النسيان.

سـأذهب إلى هناك مرة أخرى، ولكـن ليس كل المسـافة هذه المرة؛ إلى جسـر فيل رود فقط. المياه هناك ضحلة، وقعر النهر مليء بالصخور.

لا بد أن الارتفاع يبلغ 30 قدماً.

ليس الرقم الأفضل، ولكن مع ذلك،

أي شخص يسقط من ذلك الشيء

لا يمكن أن يخفق.

لا يمكنني التوقف عن التفكير في تلك العين البشعة ذات الفصوص الثلاثة، وفي

الشيء ذي الرأس الذي يشبه الخوذة، والوجوه الصارخة في الحجارة...

كثون!

[كراسة الدكتور بونسيلت تنتهي هنا].

5. الرسالة الثانية

8 حزيران 2008

عزيزي تشارلي،

لم يصلني ردّك في ما يتعلق بكراسة جوني، وهذا جيد. أرجوك، تجاهلْ رسالتي الأخيرة. وإن كنت لا تزال تملك الصفحات، فاحرقها ذلك كان طلب جوني، وكان ينبغي علي أن أحترمه أساساً.

قلت لنفسي لو أذهب فقط إلى جسر فيل رود، المكان الذي عشنا فيه ثلاثتنا أوقاتاً سعيدة كأطفال، المكان الذي أنهى منه حياته عندما نفدت الأوقات السعيدة فإنّ ذلك قد يضع خاتمةً (إنها الكلمة التي كان جوني سيستخدمها). ولكن، بالطبع، إن العقل الكامن تحت عقلي - حيث نكون جميعاً، أنا واثقة بأن جوني كان سيقول ذلك، متشابهين كثيراً - كان أكثر دراية مني. وإلا، لماذا أخذتُ المفتاح؟

لأنه كان موجوداً هناك، في درج طاولة مكتبه. ليس في الدرج نفسه حيث وجدت الكراسة، ولكن في الدرج العلوي، الدرج الذي يقع فوق الفراغ المخصص للساقين. مع مفتاح آخر "لموازنته"؛ كما قال تماماً.

هل كنت سأرسل لك المفتاح مع الكراسة لو أنني وجدتهما معاً في المكان نفسه؟ لا أعرف. لا أعرف حقاً. لكنني سعيدة في النهاية، لأن هذا ما حدث. لأنك ربما كنت ستشعر بالإغراء للذهاب إلى هناك بسبب فضول بسيط يمكن أن يجذبك، أو ربما شيء آخر، شيء أشد قوة.

أو ربما هنا كله هراء. لعلي أخذت المفتاح وذهبت إلى موتون
ووجدت الطريق فقط لأنني ابنة باندورا كما قلت لك في رسالتي الأولى.
كيف يمكنني أن أعرف على نحو أكيد؟ ن لم يستطع. وأخي كذلك، ولا
منى في النهاية، وكما اعتاد أن يقول لي: "أنا محترف، لا تجرّبي فعل هذا
في المنزل".

على أي حال، لا تقلق بشأني. أنا بخير. وحتى إن لم أكن بخير،
بوسعي إجراء الحساب. شيلا لاكلير لديها زوج وطفل واحد. أما
تشارلي كين - وفقاً لما قرأته في ويكيبيديا - فلديه زوجة وثلاثة أطفال.
وعليه فإن خسارتك أكبر. وإضافة إلى ذلك، لعلي لم أتخلص قطّ من
ذلك الحب الذي كنت أكنّه لك.

لا تعد إلى هناك تحت أي ظرف. داوم على إعداد تقاريرك حول
البدانة، وإساءة استخدام الأدوية، والنوبات القلبية عند الرجال تحت
الخمسين وأشياء من هذا القبيل؛ أشياء طبيعية كهذه.

وإذا لم تقرأ تلك الكراسة (أرجو ذلك، رغم أنني أشك في ذلك؛ أنا
واثقة بأن باندورا كان لديها أبناء ذكور أيضاً)، فتجاهلها. اعتبر أن كل هذه
المسألة تعود إلى امرأة اضطربت بسبب خسارتها غير المتوقعة لشقيقها.

لا يوجد شيء هناك.

مجرد بضع صخور.

رأيتها بأم عيني.

أقسم إنه لا يوجد أي شيء هناك، لذا ابقَ بعيداً.

6. مقالة الصحيفة

[من صحيفة ديموكرات في تشيسرز ميل: 1 حزيران 2008]

امرأة تقفز من جسر،
تقلد انتحار شقيقها

بقلم جوليا شانواي

موتون - بعد انتحار الطبيب النفسي البارز جون بونسينت بالقفز من جسر نهر بيل في بلدة صغيرة في مين منذ شهر تقريباً، قال أصدقاء إن شقيقته، شيلا لاكلير، أصيبت بالاضطراب والاكتئاب. قال زوجها، دونالد لاكلير، إنها كانت "محطمة كلياً". لكنه أضاف أنّ أحداً لم يكن يظن أنها كانت تفكّر في الانتحار.

"رغم عدم وجود رسالة"، قال محقق الوفيات في المقاطعة ريتشادر تشابمان، "إلا أن كل الدلائل موجودة. كانت سيارتها مركونة بعناية على جانب هارلو من الجسر. وكانت مقفولة، وكانت حقيبتها على مقعد الراكب، وقد ألقت عليها شهادة القيادة الخاصة بها". وقال أيضاً إن حذاء لاكلير وُجد على السور نفسه، حيث وُضعت الفردتان بعناية بجانب بعضهما. قال تشابمان إن الفحص وحده يمكن أن يُظهر إن كانت قد ماتت غرقاً أو بفعل الارتطام.

إضافة إلى زوجها، تترك شيلا لاكلير ابناً يبلغ من العمر سبع سنوات. لم يتحدَّد بعد موعد جنازتها.

7. الرسالة الإلكترونية

لين 1981

PM 3:44

، حزيران 08

رسي –

من فضلك ألغِ كل مواعيد الأسبوع القادم. أعرف أن هذه فترة قصيرة، لكن الأمر طارئ. هناك مسألة بحاجة لأن أهتم بها في بلدتي في مين. صديقان، أخ وأخت، انتحرا في ظروف غريبة... وفي المكان اللعين نفسه! استناداً إلى الكراسة فائقة الغرابة التي أرسلتها لي الشقيقة قبل أن تقوم بتقليد (كما يبدو) انتحار شقيقها، فإنني أعتقد أن هذا يحتاج إلى تحقيق. كان الشقيق، جون بونسينت، صديقي المفضل في طفولتي؛ لقد أنقذنا بعضنا بعضاً من أكثر من بضع عَلْقات مدرسية!

بوسع هايدن إنجاز قصة سكر الدم. أعرف أنه يظن العكس، لكنه يستطيع. وحتى إن لم يكن قادراً على فعل ذلك، فأنا مضطر للذهاب. جوني وشيلا كانا قريبين من عائلتي.

علاوة على ذلك، قد تكون هناك قصة حول هذا الأمر، حول اضطراب الهوس القهري. ليست نقطة كبيرة على الرادار مثل السرطان ربما، لكن من يعانون منه سيخبرونك أنه شيء مخيف جداً.

شكراً كريسي -

تشارلي

قط شيطاني

اعتقدَ هالستون أن الرجل الجالس على الكرسي المتحرك مريض ومرعوب وموشك على الموت. كان يملك خبرة في رؤية مثل هذه الأشياء؛ فالموت كان عمله. لقد جلب الموت لثمانية عشر رجلاً وست نساء في حياته المهنية كقاتل محترف. كان هالستون يعرف هيئة الموت.

كان المنزل – القصر، في الواقع – بارداً وهادئاً. لم يكن يُسمَع أي صوت باستثناء طقطقة النار الخافتة في الموقد الحجري الكبير وعنين منخفض لريح تشرين الثاني في الخارج.

"أريد أن تقوم بمهمة قتل"، قال الرجل العجوز. كان صوته عصبياً مرتعشاً وعالياً. "أعرف أن هذا ما تفعله".

سأله هالستون: "مع من تحدثتَ؟".

"مع رجل يُدعى سول لوجيا. يقول إنك تعرفه".

يومئ هالستون برأسه موافقاً. إذا كان لوجيا هو الواسطة، فالأمر على ما يرام. وإذا كانت هناك أداة تنصت في الغرفة، فإن كل ما قاله العجوز – دروغان – كان فخاً.

"من تريدني أن أقتل؟".

قال دروغان بنعومة: "ضحيتك موجودة خلفك مباشرةً".

تحرَّك هالستون بسرعة. كانت ردات فعله هي حياته، وكانت دائماً موضوعة فوق دبوس حاد الرأس. قفز عن الأريكة وسقط على ركبة واحدة، وهو يستدير، واضعاً يده داخل معطفه الرياضي المفصَّل خصيصاً

له، ممسكاً بمقبض مسدس هجين قصير السبطانة معلق أسفل إبطه في

قراب مزوّد بنابض وضعه في راحته في لمسة واحدة. وبعد لحظة فقط،

كان خارج الجسم مصوّباً نحو... قط.

لوهلة، حدّق هالستون والقط في بعضهما. كانت لحظة غريبة

بالنسبة إلى هالستون الذي لم يكن صاحب خيال ولا يعتقد بالخرافات.

في تلك اللحظة بالذات، بينما كان راكعاً على الأرض مصوّباً مسدسه،

أحسّ بأنه يعرف القط، رغم أنه لو شاهد يوماً قطاً بهذه العلامات غير

العادية، لكان قد تذكّره حتماً.

كان وجهه منقسماً إلى قسمين متساويين، نصف أسود ونصف

أبيض. وكان الخط الفاصل يمر من أعلى جمجمته المسطحة نزولاً إلى

أنفه ووصولاً إلى فمه، في سهم مستقيم. كانت عيناه كبيرتين جداً تحت

الإضاءة الخافتة، ووسط كل واحدة من حدقتيه السوداوين المستديرتين

تقريباً موشور من ضوء لهب؛ مثل قطعة فحم سوداء تشعّ بالكره.

عادت الفكرة لتخطر في ذهن هالستون مجدداً: نحن نعرف بعضنا،

أنت وأنا.

ثم تبدّدت. وضع المسدس في مكانه ووقف. "يجب أن أقتلك من

أجل هذا أيها الرجل العجوز. إنني لا أتقبل المزاح".

قال دروغان: "وأنا لا أمزح. اجلسْ. انظرْ هنا. كان قد أخرج مغلفاً

سميناً من تحت البطانية التي تغطي ساقيه".

جلس هالستون. أما القط الذي كان جالساً على ظهر الأريكة،

فقد قفز بخفّة إلى حضنه. نظر القط إلى هالستون لوهلة بتينك العينين

السوداوين الكبيرتين ذواتي الحدقتين المحاطتين بحلقتين رفيعتين

خضراوين ذهبيتين، ثم جلس وبدأ يقرقر.

نظر هالستون إلى دروغان بتساؤل.

قال دروغان: "إنه ودود جداً. في البداية، هذا القط اللطيف الودود

..ل ثلاثة أشخاص في هذا المنزل. أي لم يبقَ إلا أنا. وأنا عجوز،
..ريض... لكنني أفضّل الموت في ساعتي".

"لا يمكنني أن أصدّق ذلك. استأجرتني لأقتل قطة؟".

"انظرْ في المغلّف من فضلك".

نظر هالستون فرآه مليئاً بأوراق نقدية من فئة المائة وفئة الخمسين،
..اها قديمة، ثم قال: "كم هذا المبلغ؟".

"ستة آلاف دولار. ستكون هناك ستة أخرى عندما تجلب لي
..لاً على أن القط ميت. قال السيد لوجيا إن اثني عشر ألفاً هو أجرك
العادي؟".

هز هالستون رأسه موافقاً، بينما كانت يده تداعب بشكل تلقائي القط
..النائم في حضنه، والذي كان لا يزال يقرقر. كان هالستون يحب القطط.
..ل كانت القطط، في الحقيقة، الحيوانات الوحيدة التي يحبها. كانت
..مهن متعزلة. لقد خلقها الله كأدوات قتل متعزلة، ومثالية. القطط هي
القاتلة في عالم الحيوان، وكان هالستون يحترمها.

قال دروغان: "لست في حاجة لتفسير أي شيء، لكنني سأفعل.
إن حُذّرت مسبقاً فهذا يعني أنك مستعد كما يقولون. وأنا لا أريدك أن
..خوض في هذا الأمر بخفة. ويبدو أنني بحاجة لتبرير نفسي كي لا تظن
أنني مجنون".

هز هالستون رأسه مجدداً. لقد قرر مسبقاً تنفيذ هذه المهمة الغريبة،
ولم يكن هناك داعٍ لأي حديث إضافي. ولكن، إذا كان دروغان بحاجة
لأن يتحدث، فهو سيصغي.

"أولاً، هل تعرف من أنا؟ ومن أين تأتي النقود؟".

"دروغان فارماسوتيكالز".

"أجل. واحدة من أكبر شركات الأدوية في العالم. وحجر الزاوية
في نجاحنا المالي هو هذه". أخرج من جيب ردائه قارورة أقراص صغيرة

لا تحوي أي علامة وأعطاها لهالستون. "تراي - دورمال - فينوباربي
مركب ج. يوصَف بشكل حصري تقريباً للمرضى الذين يوشكون على
الموت. إنه يسبب الإدمان كما ترى. إنه توليفة مكونة من مسكّن للآلام
ومهدّئ ومسبِّب للهلوسة. إنه يساعد على نحو رائع المرضى الميؤوس
من شفائهم في مواجهة ظروفهم والتكيُّف معها".

سأله هالستون: "هل تناوله أنت؟".

تجاهل دروغان السؤال. "إنه يوصَف على نطاق واسع في شتى
أنحاء العالم. عملية صناعية كيماوية، طُوِّرت في الخمسينيات في
مختبراتنا في نيو جيرسي. اقتصرت تجاربنا بشكل حصري تقريباً على
القطط، بسبب النوعية الفريدة للجهاز العصبي عند القطط".

"كم أبَدْتُم منها؟".

"هذه طريقة تعبير غير منصفة ومجحفة".

رفع هالستون كتفيه غير مبالٍ.

"في مرحلة الاختبار التي دامت أربع سنوات، والتي انتهت بموافقة
وكالة الدواء الفدرالية على تراي - دورمال - ج، حوالى خمسة عشر ألف
قطة... نَفَقَتْ".

صفّر هالستون. نحو أربعة آلاف قطة في العام. "والآن، أنت تعتقد
أن هذا قد عاد لينال منك، أليس كذلك؟".

"لا أشعر بذرة ذنب". قال دروغان، لكن النبرة المرتعشة العصبية
عادت إلى صوته. "لقد قُتل خمسة عشر ألف حيوان تجربة كي يتمكن
مئات الآلاف من البشر -".

قاطعه هالستون: "لا عليك". كانت التبريرات تصيبه بالسأم.

"جاء هذا القط إلى هنا منذ سبعة أشهر. لم أحب القطط في حياتي
قطّ. إنها حيوانات مقرفة وحاملة للأمراض... دائماً خارج المنزل في
الحقول... تزحف في الحظائر... تلتقط ما لا يعلمه إلا الله من الجراثيم

في فروها... دائماً تحاول جلب شيء ما فتخرجه من أحشائها لتريك إياه... كانت أختي هي التي أرادته في المنزل. لقد اكتشفَتِ الحقيقة. دفعتِ الثمن". نظر إلى القط النائم في حضن هالستون بحقد لا حد له.

قال هالستون: "قلتَ إن القط قتل ثلاثة أشخاص".

بدأ دروغان يتحدث، والقط غافٍ يقرقر فوق ساقي هالستون تحت المسيدات الناعمة والحاكّة لأصابع هالستون القوية والخبيرة في القتل. بين الحين والآخر، كانت عقدة خشب صنوبر تنفجر في الموقد فيتوتّر القط مثل مجموعة نوابض فولاذية مغطاة بعضلات وفرو. وفي الخارج، كانت الريح تئن حول المنزل الحجري الكبير النائي في ريف كونيكتيكت.

قبل سبعة أشهر كان أربعة أشخاص موجودين هنا: دروغان، وشقيقته أماندا التي كانت في الرابعة والسبعين وتكبر دروغان بعامين، وصديقة عمرها كارولين برودمور ("من عائلة برودمور في ويستشيستر؛ وفقاً لدروغان) وكانت مصابة بحالة سيئة من النفاخ، وديك غيج؛ وهو رجل يعمل لدى عائلة دروغان منذ عشرين عاماً. كان غيج الذي تجاوز الستين أيضاً يقود سيارة لينكولن مارك آيفي الكبيرة، ويطهو، ويقدّم الشراب المسائي. عاش الأربعة على هذا النحو لمدة تقارب العامين؛ مجموعة مملة من العجائز مع خادم العائلة. كان برنامج ذي هوليود سكويرز هو متعتهم الوحيدة، إلى جانب الانتظار لمعرفة من سيعيش أكثر ممن.

ثم جاء القط.

"كان غيج أول من رآه، يموء ويدور حول المنزل. حاول إبعاده، رماه بالعيدان والحصى الصغيرة وأصابه عدة مرات، لكنه لم يرحل. كان يشمُّ رائحة الطعام، بالطبع. كان أكثر بقليل من كيس عظام يتركها الناس بجانب الطريق لتموت في نهاية فصل الصيف، كما تعلم. شيء فظيع وغير إنساني".

سأله هالستون: "هل حرق أعصابها أفضل؟".

تجاهل دروغان هذا أيضاً، وتابع حديثه. كان طوال حياته يه... القطط. عندما رفض القط الابتعاد، أمَرَ غيج بأن يضع له طعاماً مسموماً. أطباقاً كبيرة مغرية من طعام القطط كالو، ممزوجة مع تراي - دورمال - ج. تجاهل القط الطعام. هنا لاحظت أماندا دروغان القط وأصرّت على إدخاله إلى المنزل. احتجَّ دروغان بشدة، لكن أماندا حصلت على مرادها، كما كانت تفعل دائماً، في ما يبدو.

"لكنها اكتشفت. لقد أدخَلَتْهُ إلى المنزل بنفسها، بين ذراعيها... يقرقر، كما يفعل الآن تماماً. لكنه لم يقترب مني. لم يفعل ذلك قط حتى الآن. صبَّت له طبقاً من الحليب وهي تلاطفه: أوه، انظروا إلى هذا الشيء المسكين، إنه يتضور جوعاً. كانت وكارولين تلاطفانه دائماً. شيء مقرف. كانت هذه هي طريقتهما في الانتقام مني بالطبع. كانتا تعرفان شعوري نحو القطط منذ بدء برنامج اختبار تراي - دورمال - ج قبل عشرين عاماً. كانتا تستمتعان بمضايقتي به". نظر إلى هالستون بحزن، ثم أضاف: "لكنهما دفعتا الثمن".

في منتصف أيار، استيقظ غيج ليعدَّ الفطور فوجد أماندا دروغان ممددة عند أسفل درَجات السلَّم وسط شظايا طبق فخاري مكسور وبقايا طعام القطط "ليتل فريسكيز". كانت عيناها جاحظتين تنظران إلى السقف، وقد نزفت كمية كبيرة من الدم من فمها وأنفها. كان ظهرها مكسوراً، وساقاها مكسورتين، ورقبتها مكسَّرة؛ حرفياً كما يتكسَّر الزجاج.

قال دروغان: "كان ينام في غرفتها. وكانت تعامله كطفل... هل أنت جائع يا حبيبي؟ هل تحتاج للخروج كي تعمل بوبو؟ بذاءة تخرج من فم عجوز عنيدة مثل أختي. أعتقد أنه أيقظها بموائه. أخذت طبقه. كانت تقول دائماً إن سام لا يحب الفريسكيز ما لم تكن مغمَّسة بقليل من الحليب. ولهذا كانت تنوي النزول إلى الطابق السفلي. كان القط

ه لا نفسه بساقيها. وهي كانت عجوزاً، ولم تكن ثابتة تماماً على قدميها، ، اانت نصف نائمة. وصلا إلى قمة السلَّم ومشى القط أمامها... فتعثَّرت ...".

أجل، يمكن أن يكون الأمر قد حدث بهذه الطريقة؛ فكَّر هالستون. صوَّر المرأة العجوز وهي تسقط إلى الأمام، ومن هول الصدمة لم تتمكن من الصراخ. تتبعثر الفريسكيز بينما كانت تتدحرج على السلَّم وتحطّم الطبق. وأخيراً تستقر في الأسفل، العظام مكسَّرة، والعينان تحدقان، والأنف والأذن يقطران دماً. ثم ينزل القط المقرقر على السلَّم، ويبدأ التهام الفريسكيز برضىً وسرور...

قال هالستون: "ماذا قال محقق الوفيات؟".

"موت عن طريق حادث بالطبع. لكنني كنت أعرف".

"لماذا لم تتخلص من القط حينئذ؛ بعد رحيل أماندا؟".

لأن كارولين برودمور، في ما يبدو، هددت بالرحيل إذا رحل القط. كانت هستيرية ومهووسة بهذا الموضوع. وكانت امرأة مريضة، ومجنونة في ما يتعلق بالأمور الروحانية. لقد أخبرها وسيط روحاني من هاتفورد (مقابل عشرين دولاراً فقط) أن روح أماندا دخلت جسد سام. ولهذا السبب، قالت لدروغان إن سام هو أماندا، وإذا رحل، فهذا يعني أنها سترحل.

شكَّ هالستون الذي أصبح خبيراً في القراءة بين سطور الحياة الإنسانية، في أن دروغان والعجوز برودمور كانا عاشقين منذ أمد بعيد، وكان دروغان يكره السماح لها بالرحيل من أجل قطة.

قال دروغان: "كان هذا أشبه بانتحار. ففي ذهنها، كانت لا تزال تعتقد أنها امرأة ثرية قادرة على حمل ذلك القط والذهاب إلى نيويورك أو لندن أو حتى مونتي كارلو. لكنها في الحقيقة كانت الأخيرة من عائلة عظيمة، وتعيش على مبلغ زهيد بسبب عدد من الاستثمارات السيئة في

السـتينيات. كانت تعيش في الطابق الثاني هنا في غرفة مرطّبة بشدة ومراقبة بشكل جيد. كانت المرأة في السبعين يا سيد هالستون. ظلت تدخن بشراهة حتى آخر سنتين في حياتها، وكان النفاخ سيئاً جداً. أردتها أن تبقى هنا، وإذا كان لا بد من بقاء القط...".

هز هالستون رأسه وألقى نظرة ذات مغزى إلى ساعته.

"ماتت ليلاً في أواخر حزيران. اعتبر الطبيب الأمر طبيعياً... جاء وكتب شهادة وفاة وانتهى الأمر. لكن القط كان في الغرفة. أخبرني غمجي بذلك".

قال هالستون: "كلنا سنرحل ذات يوم يا رجل".

"بالتأكيد. هذا ما قاله الطبيب. لكنني كنت أعرف. تذكّرت. تحب القطط أن تقتل الأطفال الرضّع والعجائز عندما يكونون نائمين. وتسرق أرواحهم".

"إنها واحدة من قصص الزوجات العجائز".

"مستندة إلى واقعة، مثل معظم قصص الزوجات العجائز. تحب القطط أن تعجن أشياء ناعمة بكفّيها كما تعرف. وسادة، حصيرة سميكة.. أو بطانية؛ بطانية رضيع... أو بطانية شخص مسن. الثقل الإضافي على جسد شخص ضعيف أساساً...".

سكت دروغان، وراح هالستون يفكّر في ما قاله. كارولين برودمور نائمة في غرفتها، الأنفاس تدخل وتخرج من رئتيها المعمّرتين بصعوبة وبجلبة عالية، لكن الصوت يضيع تقريباً وسط صفير الأجهزة المرطّبة الخاصة والمكيّف الهوائي. يقفز القط ذو الفرو الغريب الأسود والأبيض إلى سرير العانس المسنّة ويحدّق في وجهها المجعّد والمغضّن بعينيه السوداوين الخضراوين اللامعتين. يثب فوق صدرها الضعيف ويجلس واضعاً ثقله هناك... يقرقر القط بينما تختنق المرأة العجوز ببطء تحت ثقله الجاثم فوق صدرها.

صحيح أن هالستون لم يكن رجلاً خيالياً لكنه ارتعش قليلاً.

"يا دروغان"، قال وهو لا يزال يمسّد القط المقرقر. "لماذا لم الجأ ببساطة إلى القتل الرحيم؟ أي طبيب بيطري سيقتله مقابل عشرين دولاراً".

قال دروغان: "جرت الجنازة في الأول من تموز. لقد دفنتها في مقبرتنا بالقرب من أختي. أعرف أنها كانت سترغب في ذلك. وفي الثالث من تموز استدعيت غيج إلى هذه الغرفة وأعطيته سلّة مصنوعة من الخيزران... مثل سلال النزهات. هل تعرف ما أعنيه؟".

أومأ هالستون برأسه دلالة على الإيجاب.

"أخبرته أن يضع القط في السلة ويأخذه إلى طبيب بيطري في ميلفورد كي ينوّمه. فقال حاضر يا سيدي وأخذ السلة وخرج، كما يفعل دائماً. ولم أره حياً بعد ذلك. وقعت حادثة على الجسر المأجور. اصطدمت سيارة الليكولن بإحدى دعامات الجسر بسرعة تزيد عن ستين ميلاً في الساعة. قُتل ديك غيج على الفور. وعندما وجدوه رأوا خدوشاً على وجهه".

كان هالستون صامتاً، بينما كانت الصورة تتشكل في ذهنه مجدداً حول كيفية حدوث الأمر. لم يكن أي صوت يُسمَع في الغرفة باستثناء الخشخشة الهادئة للنار في الموقد والقرقرة المسالمة للقط في حضنه. إن وجوده مع القط أمام النار يذكّر المرء بقصيدة إدغار جيست التي تقول: "القط في حضني، النار تشتعل في الموقد... رجل سعيد، إذا كنتم تتساءلون".

ديك غيج يقود الليكولن على الجسر المأجور باتجاه ميلفورد، متجاوزاً حد السرعة بخمسة أميال في الساعة تقريباً. سلة الخيزران بجانبه، مثل سلال النزهات. يراقب السائق حركة المرور، أو ربما يتجاوز شاحنة كبيرة ولا يلاحظ الرأس الغريب الأسود من جانب، والأبيض

من الجانب الآخر، وهو يبرز من السلة. لا يلاحظه لأنه يتجاوز القاطر
الكبيرة، وهنا يقفز القط إلى وجهه زاعقاً، ويخدشه بمخالبه؛ فينغر
مخلب في إحدى عينيه ويفقأها، ويعميها. السرعة ستون، ومحر
الليكولن الكبير يعنّ، والمخلب الآخر ينغرز عميقاً في جسر أنفه مت
بألم فظيع؛ لعل الليكولن تنحرف إلى اليمين، إلى مسار القاطرة، فتطل
الأخيرة بوقها الهوائي الذي يصمُّ الأذن، لكن غيج لا يستطيع سماعه لأن
القط يزعق، القط جاثم فوق وجهه مثل عنكبوت أسود فروي عملاق،
الأذنان راجعتان إلى الخلف، العينان الخضراوان تشعّان مثل ضوء
كاشفين من الجحيم، القائمتان الخلفيتان تغرزان مخالبهما بعصبية في
الجلد الرقيق لرقبة الرجل العجوز. تنعطف السيارة بشدة نحو الجه
الأخرى، وتقترب من دعامة الجسر. يقفز القط من السيارة وتصطدم
الليكولن، مثل طوربيد أسود لامع، في الإسمنت وتنفجر مثل قنبلة.

بلع هالستون ريقه بصعوبة، وسمع صوت بلع جافاً في حنجرته.

"وهل عاد القط؟".

هز دروغان رأسه وقال: "بعد أسبوع. في الحقيقة، في اليوم الذي
دُفن فيه غيج. كما تقول الأغنية القديمة. القط عاد".

"هل نجا من اصطدام سيارة بسرعة ستين ميلاً؟ يصعب تصديق
ذلك".

"يقولون إن كل قطة تملك تسع أرواح. عندما عاد، هنا بدأت أتساءل
إن كان يمكن أن يكون... يكون...".

"أتقصد قطاً شيطانياً؟". اقترح هالستون بنعومة.

"إذا كنت تريد كلمة أفضل، أجل. نوع من روح شريرة، أرسلت..."

"لمعاقبتك".

"لا أعرف، لكنني أخاف منه. أنا أطعمه، أو المرأة التي تأتي للعناية
بي تطعمه. إنها لا تحبه أيضاً. تقول إن وجهه لعنة من الله. بالطبع، إنها

محلية". حاول الرجل العجوز أن يجلس بشكل مستقيم لكنه لم يستطع. "أريدك أن تقتله. لقد عشت معه طوال الشهور الأربعة الماضية. إنه يختبئ في الظلال. إنه ينظر إليّ. يبدو أنه... ينتظر. أنا أقفل على نفسي في غرفتي كل ليلة ولا أزال أتساءل إن كنت سأستيقظ ذات صباح وأجده... جاثماً فوق صدري... ويقرقر".

عنَّت الريح بشكل موحش في الخارج، فأصدرت المدخنة الحجرية صوتاً غريباً.

"وأخيراً اتصلْتُ بسول لوجيا. نصحني بك. دعاك العصا، كما أظن".

"عصا وحيدة. هذا يعني أنني أعمل وحدي".

"أجل. قال إنه لم يُقبَض عليك قطّ، وحتى لم يُشتبَه بك. قال إنك في ما يبدو تسقط دائماً على قدميك... مثل قطة".

نظر هالستون إلى العجوز في كرسيه المتحرك. وفجأة، توقفت يداه القويتان ذواتا الأصابع الطويلة فوق رقبة القط.

قال بنعومة: "سأفعل ذلك الآن، إن شئت. سأكسر رقبته. حتى إنه لن يشعر بذلك -".

صاح دروغان: "لا!". أخذ نفَساً عميقاً مرتعشاً، واصطبغ خدّاه الهزيلان باللون الأحمر. "ليس... ليس هنا. أبعده".

ابتسم هالستون وبدأ يمسّد رأس القط النائم وكتفيه وظهره برقة من جديد. "حسناً. سأقبل العقد. هل تريد الجثة؟".

"لا. اقتله. ادفنه". انحنى إلى الأمام مقوّساً ظهره مثل نسر قديم. "اجلب لي الذيل كي أرميه في النار وأراه يحترق".

كان هالستون يملك سيارة بليموث 1973 مع محرك سايكلون سوبيلر معدَّل. كان غطاء المحرك مائلاً نحو الأرض بزاوية عشرين درجة.

لقد أعاد بناء الترس التفاضلي بنفسه. كان مغيِّر السرعة من نوع بينـر، وناقل الحركة من طراز هيرست. وكان هيكل السيارة يقبع فوق إطارات من نوع وايد أوفال كالتي كان بوبي أنير يستخدمها.

غادر منزل دروغان بعد التاسعة والنصف بقليل. كان هناك هلال رقيق يطوف في السماء بين غيوم تشرين الثاني الممزَّقة. وكان هالستون يقود السيارة تاركاً كل نوافذها مفتوحة؛ لأن الرائحة الكريهة للتقدم بالعمر والرعب كانت قد علقت في ثيابه في ما يبدو. صحيح أن البرد كان قاسيا وحاداً، ومخدِّراً في نهاية المطاف، ولكن لم تكن تلك مشكلة بالنسبة إليه، فهو كان يطرد الرائحة النتنة على الأقل.

خرج من الجسر المأجور عند بليـرز جلين، وسار عبر البلدة الصامتة - المحروسة بواسطة ضوء أصفر وامض وحيد عند تقاطع الطرق - بسرعة محترمة تماماً، هي خمسة وثلاثين ميلاً في الساعة. وبعد خروجه من البلدة، أثناء سيره على الطريق الدولي 35، راح يزيد سرعة البليموث بشكل تدريجي. كان محرك سبويلر المعدَّل يقرقر مثلما كان القط يقرقر في وقت سابق من ذلك المساء. ابتسم هالستون لهذا التشبيه بينما كان يسير في سرعة تزيد قليلاً عن سبعين ميلاً بين حقول الذرة العارية المتجمدة بفعل صقيع تشرين الثاني.

كان القط موجوداً في حقيبة تبضُّع مزدوجة الثخانة، مربوطة من الأعلى بسلك سميك. وكانت الحقيبة موضوعة على الكرسي القابل للطيِّ بجانب السائق. كان القط نعساناً ويقرقر عندما وضعه هالستون فيها، وظل يقرقر طوال الرحلة. لعله أحسَّ بأن هالستون أحبَّه فشعر في الحقيبة كما لو أنه كان في منزله. كان القط، مثل هالستون، عصا وحيدة.

مهمة غريبة - فكَّر هالستون - ودُهش لأنه كان ينظر للأمر على أنه مهمة حقيقية. ولعل الشيء الأكثر غرابة هو أنه أحبَّ القط فعلاً. كان يشعر أن ثمة رابطاً يجمعه مع القط، لكن هذا الرابط لم يكن ليجعله يتراجع عن

هذه المهمة. كان سيقتله بسرعة وبطريقة حسنة. سيتوقف بجانب واحد من تلك الحقول العارية ويخرجه من الحقيبة ويداعبه قليلاً ثم يكسر عنقه ويقص ذيله بواسطة سكين جيبه. سأدفنه باحترام – قال في نفسه – وأحميه من الحيوانات الآكلة للجيَف. لا يمكنني أن أحميه من الديدان، لكنني أستطيع حمايته من اليرقات التي تظهر عند التحلل.

كانت السيارة تسير في الليل مثل شبح أزرق داكن بينما كان يفكّر في هذه الأشياء، فإذا بالقط يسير أمامه عينيه، فوق لوحة العدادات، رافعاً ذيله بغطرسة، ولافتاً وجهه الأبيض والأسود نحوه. أما فمه، فكان يبدو كما لو أنه كان يبتسم له.

"اللعععععن –" صاح هالستون. التفت إلى يمينه فرأى فجوة في جانب حقيبة التسوق مزدوجة السماكة التي قُضمت أو ثقبت ربما بالمخالب. التفت إلى الأمام مجدداً... فرأى القط رافعاً قائمته الأمامية وهو يلوِّح بها على سبيل اللعب. انزلقت قائمة القط على جبهة هالستون فابتعد عنها بردة فعل سريعة فزعقت عجلات البليموث الكبيرة بينما كانت السيارة تمايل بشكل غير منتظم من جانب لآخر على الطريق الأسفلتي الضيق.

لوَّح هالستون بقبضة يده نحو القط الواقف على لوحة العدادات، لأنه كان يعيق مجال الرؤية أمامه، ففحَّ القط في وجهه مقوِّساً ظهره، لكنه لم يتحرك. لوَّح هالستون بقبضته مجدداً، وبدلاً من أن يهرب القط وثب عليه.

غيج – قال في داخله – مثل غيج.

داس هالستون بقوة على المكابح. كان القط فوق رأسه، يعيق نظره ببطنه الفروي، ويهاجمه بمخالبه. ودون أن يفلت المقود، ضرب هالستون القط مرة، ثم مرة ثانية، ثم ثالثة. وفجأة اختفى الطريق. نزلت البليموث إلى خندق الصرف الجانبي، ثم اهتزت إلى الأعلى والأسفل فوق ماصات

صدماتها. ثم أحس بارتطام قذفه إلى الأعلى بعكس حزام أمانه، وآخر شيء سمعه كان صوت القط. بدا صوته كصوت امرأة متألمة.

ضربه بقبضته فلم يشعر إلا بمرونة عضلاته النابضية.

ثم حصل ارتطام ثانٍ، وساد الظلام.

كان القمر قد أصبح منخفضاً، والفجر على بعد ساعة.

كانت البليموث مستلقية في وادٍ ضيق وسط ضباب أرضي. وكان هناك سلك شائك وعالق في شبكة مبرِّدها. وكان غطاء المحرك مفتوحاً، وجدائل من البخار تصاعد من فتحة المبرِّد المثقوب لتمتزج مع الضباب

لم يكن يشعر بساقيه.

نظر إلى الأسفل فوجد أن حاجز الحريق قد تحطّم بفعل الصدمة، وتراجع صندوق أسطوانات محرك سايكلون سوبلر الضخم ساحقاً ساقيه، ومثبّتاً إياهما.

في الخارج، من مكان بعيد، سمع صوت نعيب مفترس لبومة تنقض على حيوان صغير هارب.

وفي الداخل، قريباً منه، كان يسمع صوت قرقرة القط الثابتة.

بدا وكأنه كان يتبسم، كما كان يفعل قط أليس، تشيشر، في بلاد العجائب.

راقبه هالستون وهو يقف ويقوّس ظهره ثم يتمطط. وبعد ذلك، بحركة رشيقة خاطفة، وثب القط إلى كتفه. حاول رفع يديه كي يبعده عنه.

لم تتحرك يداه.

ضربةٌ في العمود الفقري – قال في نفسه – لقد شُللت. ربما مؤقتاً على الأرجح دائماً.

قرقر القط في أذنه مثل الرعد.

قال هالستون: "ابتعد عني". كان صوته خشناً وجافاً. توتّر القط

لوهلة، ثم سكن مجدداً. وفجأة ضربه على خده، لكن المخالب كانت بارزة هذه المرة. تفجّرت خطوط من الألم من الجروح نزولاً إلى حنجرته. وأحس بسيلان الدم الدافئ.

الم.

شعور.

أمر رأسه بالتحرك نحو اليمين فامتثل للأمر، وانغمر وجهه لوهلة بفروه الجاف الناعم. عض هالستون القط فأصدر هذا الأخير صوتاً جفلاً غاضباً ثم قفز إلى المقعد.

قال هالستون بصوت أجش: "لم يكن يُفترَض بي أن أفعل ذلك، صحيح؟".

فتح القط فمه وفحّ في وجهه. وبينما كان ينظر إلى ذلك الوجه النصفي الغريب، أدرك هالستون سبب اعتقاد دروغان أنه يمكن أن يكون قطاً شيطانياً. إنه -

انقطعت أفكاره لأنه شعر فجأة بشعور واخز خفيف في كلّ من يديه وساعديه.

إحساس. إنه يعود. إبر ودبابيس.

وثب القط إلى وجهه كاشفاً عن مخالبه وفاحًّا.

أغمض هالستون عينيه وفتح فمه. عضَّ بطن القط لكنه لم يحصل إلا على الفرو، في حين كانت مخالب القط تُطبق على أذنيه، وتنغرز فيهما. كان الألم مبرحاً. حاول رفع يديه، فانتفضتا لكنهما لم ترتفعا عن حضنه.

حنى رأسه إلى الأمام وبدأ يلوِّح به يمنة ويسرى، مثل رجل ينفض الماء والصابون عن عينيه. ظل القط متشبثاً به وهو يزعق ويفحّ. كان بوسع هالستون الشعور بالدم ينساب على خديه. وكان يصعب عليه التنفس لأن صدر القط مطبق على أنفه. كان يستنشق بعض الهواء عبر فمه، ولكن ليس

كثيراً. وما كان يستنشقه منه كان يأتي عبر الفرو. أما أذناه فكان يشعر كما
لو أنهما غُسلتا بسائل قدّاحة ثم أشعلت النار فيهما.

أرجَعَ رأسه إلى الخلف بقوة فصرخ من شدة الألم؛ لا بد أن رقبته تأذّت عند ارتطام السيارة. لكن القط لم يتوقّع الحركة العكسية فطار عنه
سمع هالتسون خبطةً تدل على سقوطه في المقعد الخلفي.

دخلت قطرات من الدم عينه. حاول مجدداً تحريك يديه، حاول رفع إحداهما كي يمسح الدم عن عينه، فارتعشتا مرة أخرى في حضنه، لكنه كان لا يزال غير قادر على تحريكهما. فكّر في مسدسه الخاص عيار 49 في قرابه تحت إبطه الإيسر.

لو أستطيع الوصول إلى سلاحي، فإن بقية أرواحك التسع ستموت دفعةً واحدة.

ازداد الوخز في ذلك الحين. شعر بنبضات خفيفة من الألم صادرة عن قدميه المدفونتين، والمهشمتين حتماً، تحت صندوق أسطوانات المحرك، كما شعر بوخز وتنميل صادرين عن ساقيه؛ تماماً مثلما تشعر عندما تنام طويلاً على إحدى ذراعيك. في تلك اللحظة، لم يكترث هالتسون لأمر قدميه، إذ كان كافياً بالنسبة إليه أن يعلم أن عموده الفقري لم يُكسَر، وأنه لن يكمل حياته بجسد ميت موصول برأس متكلم.

لعلي أملك، أنا أيضاً، بضع أرواح باقية.

اهتم بالقط الآن. هذا أول شيء يجدر بك القيام به، ثم اخرج من الحطام. قد يأتي شخص ما، ويحل كلتا المشكلتين في الحال. رغم أن هذا ليس مرجحاً في الساعة الرابعة والنصف صباحاً، وعلى طريق خلفي كهذا الطريق، لكنه يبقى احتمالاً وارداً. و -

وماذا كان القط يفعل في الخلف؟

صحيح أنه لم يكن يحب وجوده على رأسه، لكنه لم يحب وجوده خلفه بعيداً عن نظره أيضاً. حاول النظر إلى مرآة الرؤية الخلفية، لكنها

ام نفده في شيء؛ لأن الارتطام حَرَفَها، وكل ما كانت تعكسه هو الوادي المعشوشب الذي انتهى مقامه فيه.

سمع صوتاً آتياً من الخلف، يشبه صوتاً منخفضاً لثياب ترفرف في الهواء.

قرقرة.

اللعنة. لقد خلد للنوم في الخلف.

وحتى لو لم يكن نائماً، حتى لو كان يخطط بطريقة ما لقتله، فماذا بمكنه أن يفعل؟ لن يمر وقت طويل حتى يصبح قادراً على تحريك يديه... بما يكفي للوصول إلى مسدسه. كان واثقاً من ذلك.

بقي هالستون في مكانه ينتظر. واستمر الشعور بالتدفق إلى جسده في سلسلة من الهجمات الواخزة كالإبر والدبابيس. بصورة غير منطقية (أو ربما كرد فعل على احتكاكه القريب بالموت) حصلت عنده حالة انتصاب لمدة دقيقة أو نحو ذلك.

ظهر أول خيوط الفجر في السماء الشرقية. ومن مكان ما سمع صوت طير يسقسق.

حاول هالستون رفع يديه مرة أخرى، ونجح في رفعهما ثُمن إنش فقط قبل أن تقعا مجدداً.

ليس بعد. ولكن، بعد وقت قصير.

سمع صوت خبطة ناعمة على ظهر المقعد بجانبه. التفت فرأى الوجه الأبيض والأسود، والعينين المتوهجتين بحدقتيهما الكبيرتين.

تحدّث هالستون إليه.

"لم أخفق في مهمة قبلتها قطّ أيها القط الصغير. قد تكون هذه هي المرة الأولى. إنني أستعيد سيطرتي على يديّ. خمس دقائق، عشر كحد أقصى. أتريد نصيحتي؟ اخرج من النافذة. كلها مفتوحة. اخرج وخذ ذيلك معك".

حدَّق القط فيه.

حاول هالستون رفع يديه مجدداً. ارتفعتا نصف إنش، ثم إنشاً كاملاً. كانتا ترتجفان بشدة، ثم تركهما تهويان بارتخاء، فانزلقتا على فخذيه وسقطتا على المقعد.

كان القط يبتسم له.

هل ارتكبتُ خطأ؟ تساءل في نفسه بحيرة. كان رجلاً ذا حدس، وشعوره بأنه ارتكب خطأ أصبح غامراً على نحو مفاجئ. عندئذ تولَّد القط، وبينما كان يقفز، عرف هالستون ماذا سيفعل ففتح فمه ليصرخ.

نزل القط في حضنه وراح يضربه بمخالبه.

في تلك اللحظة، تمنّى هالستون لو كان مشلولاً، لأن الألم كان هائلاً وفظيعاً. لم يعتقد يوماً أنه يمكن أن يوجد مثل ذلك الألم في العالم كان القط كتلة هائجة وزاعقة من الفرو تمزق خصيتيه.

صرخ هالستون بالفعل؛ فاغراً فمه كما لو أنه كان يتثاءب. وهنا غيَّر القط اتجاهه ووثب نحو وجهه، نحو فمه. في تلك اللحظة، عرف هالستون أنه كان أكثر من مجرد قط. كانت تتملَّكه نية شيطانية قاتلة.

ألقى نظرة أخيرة على ذلك الوجه الأبيض والأسود أسفل الأذنين المسطحتين، وعلى عينيه الكبيرتين الملتهبتين حقداً مجنوناً. لقد تخلّص من ثلاثة أشخاص مسنّين، وكان على وشك التخلص من جون هالستون

دخل فمه مثل قذيفة من الفرو. وراحت مخالب قائمتيه الأماميتين تدور مثل مروحة، وتمزق لسانه كقطعة كبد. اضطربت أمعاؤه وتقيّأ، لكن قيأه رجع ونزل في قصبته الهوائية فسدَّها، وبدأ يختنق.

رغم ذلك، تغلّبت إرادته في البقاء على الشلل الذي تسببت به الصدمة، فرفع يديه ببطء ليمسك القط.

كان القط يشق طريقه داخل فمه، ممدداً جسده، ومتلوياً كي يدخل

اكثر فأكثر. شعر هالستون بأن فكَّيه يتسعان تدريجياً لقبوله.

مدّ يده ليمسك به، ويخرجه، ويقتله... لكنه لم يمسك إلا بذيله.

لقد تمكّن بطريقة ما من إدخال كامل جسده في فمه. لا بد أن وجهه الغريب الأبيض والأسود كان محشوراً في حنجرته آنذاك.

خرجتْ حشرجة اختناق مرعبة من حنجرة هالستون التي كانت تتورّم مثل خرطوم ريّ مرن.

ارتعش جسده، وسقطت يداه في حضنه ثانيةً، وارتطمت أصابعه بارتخاء بفخذيه. لمعت عيناه لوهلة ثم تسمّرتا. كانتا تنظران، بلا حياة، عبر زجاج البليموث الأمامي إلى الفجر البازغ.

كان جزء لا يتجاوز طوله بضعة سنتمترات من ذيله الكث لا يزال بارزاً من فمه... أبيض وأسود. وهو يتأرجح بكسل من جهة لأخرى.

ثم اختفى.

صاح طير من مكان ما مجدداً، وفي ذلك الحين انبلج الفجر في صمت مطبق فوق حقول كونيكتيكت الريفية المغطاة بالصقيع.

كان اسم المزارع ويل ريوس.

كان في طريقه إلى بليسرز جلين لتجديد لصاقة فحص شاحنته الزراعية عندما شاهد أشعة شمس الصباح تتلألأ على شيء ما في الوادي الضيق بجانب الطريق. توقف جانباً ورأى البليموث قابعة بشكل مائل في الخندق، وقد علق سلك شائك في شبكة مبرّدها.

نزل إلى الأسفل ثم شهق بحدة وصاح: "يا الله الرحيم". كان هناك رجل يجلس منتصباً خلف المقود، مفتوح العينين، ومحدّقاً في الأبدية. لن تشمله مؤسسة روبر في استفتائها الرئاسي مرة أخرى. كان وجهه ملطخاً بالدماء. وكان لا يزال يضع حزام الأمان.

كان باب السائق مغلقاً وعالقاً، لكن ريوس نجح في فتحه بالشد

بكلتا يديه. انحنى وفكَّ حزام الأمان بغية التحقق من بطاقة الر
الشخصية. كان يمد يده إلى المعطف عندما لاحظ أن قميص الر
الميت كان يرفرف، فوق عقدة الحزام مباشرة. كان يرفرف... وبعدها
حينئذ، بدأت بقع من الدم تُزهر هناك مثل ورود شريرة.

"ما هذا؟". مدّ يديه وأمسك بقميص الرجل الميت ثم رفعه

نظر ويل ريوس ثم صرخ.

فوق سرّة هالستون، رأى ريوس فجوة مسنّنة محفورة في لحمه،
وفي الداخل وجه قط أبيض وأسود مسربل بدماء متخثرة. كانت عيناه
كبيرتين تلمعان غضباً.

تراجع ريوس إلى الخلف بترنّح، وهو يزعق، واضعاً يديه على
وجهه. طارت مجموعة من الغربان وهي تنعق من حقل قريب.

شقّ القط طريقه خارجاً، وتمطّط في لامبالاة مقززة.

ثم قفز من النافذة المفتوحة. لمحه ريوس وهو يتحرك عبر العشب
اليابس الطويل قبل أن يختفي.

يبدو أنه كان مستعجلاً، هذا ما قاله لاحقاً لصحفي من الصحيفة
المحلية.

كما لو أن لديه عملاً لم يتمه.

نيويورك تايمز
بسعر تفاوضي خاص

تخرج لتوّها من الحمام فيبدأ الهاتف بالرنين، ولكن رغم أن المنزل لا يزال يعج بالأقرباء - يمكنها سماع أصواتهم من الطابق السفلي، يبدو لها أنهم لن يرحلوا، كما أنها لم تستقبل مثل هذا العدد في منزلها من قبل - إلا أن أحداً منهم لا يرفع السماعة. وحتى إن جهاز تسجيل المكالمات لا يرد، كما برمَجَهُ جيمس ليفعل بعد الرنة الخامسة.

تذهب آنا إلى الهاتف الموجود على طاولة السرير، وهي تلفّ منشفة حولها، وشعرها المبلول يصفع مؤخر رقبتها وكتفيها العاريتين بشكل مزعج. ترفع السماعة وتقول ألو فينطق المتكلم باسمها. إنه جيمس. لقد عاشا معاً لمدة ثلاثين عاماً، وهي لا تحتاج إلا إلى كلمة واحدة فقط لتعرفه. إنه يقول آني كما لا يقولها أي شخص آخر، كما كان يقولها دائماً.

لوهلة تفقد القدرة على التكلُّم أو حتى التنفس. لقد باغتها عند الزفير، وتبدو رئتاها مسطحتين مثل صفحتين من الورق. وعندما يلفظ اسمها ثانيةً (يبدو متردداً وغير واثق من نفسه، وعلى غير طبيعته)، تنساب القوة من ساقيها فتجلس على السرير، وتهوي المنشفة عنها فتبلّل مؤخرتها الرطبة الشرشف تحتها. لو لم يكن السرير هناك، لسقطت على الأرض حتماً.

تصطك أسنانها ببعضها فيعيد ذلك التنفس إليها.

"جيمس! أين أنت؟ ماذا حدث؟". لو قالت هذا بصوتها الطبيعي لربما بدا قولها توبيخيًا - أمّ توبّخ ابنها المشاكس البالغ من العمر أ... عشر عاماً لمجيئه المتأخّر مجدداً إلى مائدة العشاء - لكنه يبدو الآ... صراخاً مرعوباً. كيف لا ترتعب والأقرباء الموجودون في الطابق الـ... تحتها يخططون لجنازته.

يضحك جيمس بصوت حائر ثم يقول: "في الواقع، أتعلمين؟ لا أعرف بالضبط أين أنا".

أول فكرة مشوّشة تخطر لها هي أنه تأخّر على الطائرة في لند... ورغم أنه اتّصل بها من هيثرو قبل وقت قصير من إقلاعها، ورغم أ... صحيفة تايمز والأخبار التلفزيونية تقول إنه لم يكن هناك أي ناجين، ... بد أن هناك واحداً قد نجا على الأقل. لقد زحف زوجها من حطام الطا... المحترقة (والمبنى الشقّقي الذي اصطدمتْ الطائرة به، لا تنسَ ذلك، هناك أربعة وعشرون قتيلاً في موقع الحادث، والرقم مرجّح للازدياد ... أن ينتقل العالم إلى الكارثة التالية) وهو منذ ذلك الحين يهيم على و... في بروكلين، في حالة صدمة.

"جيمي، هل أنت بخير؟ هل أنت... هل أنت محروق؟". تتوضّ... في ذهنها حقيقةُ ما يمكن أن يعنيه هذا الكلام بعد السؤال، فيكون الو... عليها مثل سقوط كتاب ثقيل على قدم عارية، فتبدأ بالبكاء. "هل أنت ... المستشفى؟".

فيردُّ بلطفه المعتاد: "هششش" - وهذه الكلمة مجرد قطعة صغ... من أثاث زواجهما، فتبكي بقوة أكبر - "حبيبتي، هششش".

"لكنني لا أفهم!".

"أنا بخير. معظمنا كذلك".

"معظمكم! هناك آخرون؟".

"ليس الربّان. إنه ليس بحالة جيدة جداً، أو لعله مساعد الربّان. إنه ا ،توقف عن الصراخ قائلاً: نحن نسقط، ليست هناك طاقة، أوه يا الله. ،ايضاً هذا ليس خطئي، لا تدعوهم يحمّلونني مسؤولية ذلك. إنه يقول ،الال أيضاً".

تغمر القشعريرة كامل جسدها: "من معي حقاً؟ كيف يمكنك أن ،هون بهذه الفظاعة؟ لقد فقدتُ زوجي للتو أيها الوغد!".

"حبيبتي -".

"لا تناديني حبيبتي!". يوجد خيط واضح من المخاط يسيل من أحد ،،خريها. تمسحه بظهر يدها، ثم تنفض يدها في الهواء؛ وهذا شيء لم ،معله منذ أن كانت طفلة. "اسمعْ يا سيد، سوف أتصل بنجمة تسعة وستين ، سوف تأتي الشرطة وتركل مؤخرتك... أيها السافل الجاهل عديم الإحساس...".

لكنها لا تستطيع التمادي أكثر، فهذا صوته بالفعل. لا شك في ذلك. ،الطريقة التي رنّ فيها الهاتف إلى أن رفعت هي السماعة - لم يردّ أحد ي الأسفل، ولا جهاز تسجيل المكالمات - توحي بأن هذه المكالمة فانت موجَّهة لها بالذات. و... حبيبتي، هششش. مثل أغنية كارل بيكيتز القديمة.

يحافظ على هدوئه، كما لو أنه يُفسح لها المجال للتفكير في هذه الأشياء بنفسها. ولكن، قبل أن تتمكن من التكلّم مجدداً، تسمع نغمة بيب على الخط.

"جيمس؟ جيمي؟ هل ما زلت على الخط؟".

"أجل. لكنني لا أستطيع التحدث طويلاً. كنت أحاول الاتصال بك عندما كنا نسقط، وأعتقد أن هذا هو السبب الوحيد لتمكّني من الوصول إليك أساساً. الكثيرون غيري كانوا يحاولون. اتصلنا كثيراً عبر هواتفنا الخلوية ولكن لم يسعفنا الحظ". صوت ذلك البيب ثانيةً. "والآن يكاد

هاتفي يفرغ من الطاقة".

"جيمي، هل كنت تعلم؟". كانت هذه الفكرة هي الفكرة الأ.. قساوة والأشد إيلاماً بالنسبة إليها؛ بأنه ربما كان يعلم، ولو لدقيقة أو ا.. تعادلان دهراً كاملاً. لربما تصوَّر آخرون غيرها أجساداً محترقة أو ر.. مقطوعة مع أسنان مكشَّرة، أو أشخاصاً ذوي أصابع خفيفة من .. الإسعاف أو الطوارئ الأولى التي تصل إلى موقع الحادث يسرقون خا.. خواتم الزواج وأقراطاً ماسية، غير أن الصورة التي سرقت النوم من .. آني دريسكول كانت صورة جيمي وهو ينظر من نافذته بينما كانت شوا.. بروكلين وسياراتها وأبنيتها الشققية البنية تكبر مقتربةً. تسقط الأ.. الواقية عديمة الفائدة مثل جثث حيوانات صفراء، وتُفتَح مقصور.. الأمتعة العلوية بقوة وتبدأ محتوياتها بالطيران، وتتدحرج شفرة حلاقة .. نوع نوريلكو لشخص ما على الممر المائل.

"هل كنت تعرف أنكم كنتم تسقطون؟".

"ليس تماماً. كل شيء بدا على ما يرام حتى النهاية؛ وربما حتى .. ثلاثين ثانية. مع أنه يصعب تحديد الزمن في ظروف كتلك، أعتقد ذلك.. دائماً".

ظروف كتلك. وأيضاً – وهذه أكثر إيحاءً – أعتقد ذلك دائماً. و.. كان على متن خمس طائرات 767 متحطمة وليس واحدة فقط.

"على أي حال"، يتابع حديثه، "لقد اتصلت فقط لأقول إننا سنصـ.. باكراً، لذا تأكَّدي من إخراج رجل فيديكس من السرير قبل أن أصل إ.. هناك".

إن انجذابها الخالي من أي معنى لموظف فيديكس كان نكتة بينه.. لسنوات عديدة. تبدأ بالبكاء من جديد. يطلق هاتفه الخلوي صوت .. آخر، كما لو أنه يؤنِّبها على ذلك.

"أعتقد أنني متُّ قبل ثانية أو ثانيتين من أول رنة للهاتف. أظن ا..

ذلك هو سبب تمكّني من الوصول إليك. لكن هذا الشيء سيفقد روحه قريباً جداً".

يضحك كما لو أن هذا الكلام مضحك. وهي تفترض أنه مضحك فعلاً بطريقة ما. قد تتمكن بنفسها من رؤية الفكاهة فيه في نهاية المطاف. أعطني عشر سنوات، تقول في داخلها.

ثم، وبتأنيب ذاتي تعرفه جيداً، يقول: "لماذا لم أضع هذا اللعين العمل على الشحن ليلة البارحة؟ نسيت فقط، هذا كل ما في الأمر. نسيت فقط".

"جيمس... حبيبي... لقد تحطّمت الطائرة منذ يومين".

بضع لحظات صمت، بدون بيب والحمد لله. وبعد ذلك: "حقاً؟ قالت السيدة كوري إن الزمن غريب هنا. بعضنا أيّدها، والبعض الآخر خالفها. وأنا كنت من المخالفين، ولكن يبدو أنها كانت محقة".

تسأله آني: "بنت الكُبّة؟". تشعر الآن وكأنها تطوف خارج جسدها المبلّل متوسط العمر وفوقه، لكنها لم تنسَ عادات جيمي القديمة. إذا كانت الرحلة طويلة، فإنه دائماً يبحث عن لعبة. الكريبج أو كانستا تؤديان الغرض، لكن لعبة بنت الكُبّة كانت غرامه الحقيقي.

أجاب موافقاً: "بنت الكُبّة". يطلق الهاتف إشارة بيب مجدداً، وكأنه يؤكّد ذلك.

"جيمي..." تتردد طويلاً بما يكفي لتسأل نفسها إن كانت هذه هي المعلومة التي تريدها، ثم تطرح عليه السؤال الذي لا يزال بدون إجابة: "اين أنت بالضبط؟".

"يبدو المكان مثل المحطة المركزية الرئيسة. لكنها أكبر، وأقل اكتظاظاً، وكأنها ليست المحطة المركزية الرئيسة، هل تفهمين ما أقصده؟".

"أظن... أظن ذلك...".

"لا توجد بالتأكيد أي قطارات... ولا يمكننا سماع صوت أي منها من بعيد... ولكن هناك أبواباً تذهب إلى كل مكان. آه، ويوجد سلّم متحرك... لكنه معطّل. كله مغبّر، وبعض الدَرَجات مكسورة". يصمت قليلاً، ثم عندما يتكلم ثانية يفعل ذلك بصوت منخفض، كما لو أنه يخشى أن يسمعه أحد. "الناس يغادرون المكان. البعض صعد السلّم المتحرك أنا رأيتهم - لكن معظمهم يستخدمون الأبواب. أعتقد أنني سأضطر للمغادرة أيضاً. أولاً، لعدم وجود شيء يُؤكَل. توجد ماكينة حلويات، لكنها معطّلة أيضاً".

"هل أنت... حبيبي، هل أنت جائع؟".

"قليلاً. أكثر ما أرغب به هو الماء. سوف أقتل من أجل زجاجة شراب باردة".

تنظر آني بذنب إلى ساقيها اللتين لا تزالان مبللتين بقطرات من الماء.

"لكنني بخير"، ثم يضيف بعجلة، "في الوقت الحاضر على أي حال. ولكن، ليس هناك معنى في البقاء هنا. فقط...".

"ماذا؟ ماذا يا جيمي؟".

"لا أعرف أي باب أستخدم".

يبب أخرى.

"ليتني أعرف أي باب استخدمَتْه السيدة كوري. لقد أخذَتْ أوراق لعبي اللعينة".

"هل أنت..." تمسح وجهها بالمنشفة التي كانت تلتف بها بعد خروجها من الحمام، فتصبح الآن ملطخة بالدموع والمخاط، "هل أنت خائف؟".

"خائف؟!". يسأل نفسه بتفكُّر. "لا. وإنما أنا قَلِقٌ بعض الشيء، هذا كل ما في الأمر. وبشكل أساسي، بشأن أي الأبواب أستخدم".

كادت أن تقول له: جد الطريق المؤدي إلى المنزل. ابحث عن الباب الصحيح، وجدْ طريقك إلى المنزل. ولكن، إذا فعل ذلك، فهل ستود أن تراه؟ قد لا تمانع رؤية شبح، ولكن، ماذا لو فتحت الباب فوجدت جمرة مدخّنة بعينين حمراوين وبقايا سروال جينز (كان يسافر دائماً مرتدياً سروال جينز) ذائب على ساقيه؟ وماذا لو كانت السيدة كوري معه، ومجموعة أوراقه المشوية في يده الملتوية؟

بيب.

"لست بحاجة لإخبارك بأن تكوني حذرة من رجل فيديكس بعد الآن. إذا كنت تريدينه حقاً، فهو لك".

تصدم نفسها بالضحك.

"لكنني أردت فعلاً أن أقول لك إنني أحبك -".

"آه يا حبيبي، وأنا أحبك أيض -".

"- وأن لا تدعي فتى ماكورماك ينظف مجاري تصريف المياه على السطح في هذا الخريف. إنه يعمل بجد، لكنه مجازف. في السنة الماضية، كاد أن يكسر رقبته اللعينة. ولا تذهبي إلى المخبز أبداً في أيام الآحاد. سيحدث شيء ما هناك، وأنا أعرف أنه سيحدث في يوم أحد، لكنني لا أعرف أي أحد. الزمن فعلاً غريب هنا".

لا بد أن فتى ماكورماك الذي يتحدث عنه هو ابن الشخص الذي كان يخدمهما في فيرمونت... لكنهما باعا ذلك المنزل منذ عشر سنوات، ولا بد أن الفتى أصبح شاباً في منتصف العقد الثاني الآن. والمخبز؟ تعتقد أنه يتحدث عن مخبز زولتان، ولكن ما الذي -

بيب.

"بعض الأشخاص هنا كانوا على الأرض، باعتقادي. هذا صعب جداً، لأنهم لا يعرفون على الإطلاق كيف وصلوا إلى هنا. والربّان يصرخ باستمرار، أو لعله مساعد الربّان. أظن أنه سيبقى لفترة طويلة. إنه يتجوّل

في المكان فقط. إنه مضطرب جداً".

تصبح إشارات اليب متقاربة أكثر الآن.

"يجب أن أذهب يا آني. لا يمكنني البقاء هنا". مرة أخرى، بطريقة التأنيب الذاتي نفسها (لا يمكن أن تصدّق أنها لن تسمعها ثانيةً بعد اليوم وفي الوقت نفسه، لا يمكنها إلا أن تصدّق) يتمتم: "كان الأمر سيكون في غاية البساطة لو أنني فقط... حسناً، لا عليك. أحبك يا عزيزتي".

"انتظر! لا تذهب!".

"لا أستطيع -".

"أحبك أيضاً! لا تذهب!".

لكنه ذهب مسبقاً. لا تسمع في أذنها إلا الصمت التام.

تجلس على السرير مطبقةً السماعة على أذنها لدقيقة أو اثنتين، ثم تقطع الاتصال، أو عدم الاتصال. وعندما تفتح الخط ثانيةً وتسمع نغمة الاتصال الطبيعية تماماً، تضغط على زرّ النجمة ثم تسعة وستين. وفقاً للمجيب الآلي، آخر اتصال وارد كان في الساعة التاسعة صباحاً. وهي تعرف المتصل. إنها أختها نيل التي اتصلت من نيو مكسيكو لتخبر آني بأن رحلة طائرتها تأجلت، ولن تستطيع الوصول حتى المساء. وطلبت منها أن تكون قوية.

كل الأقارب البعيدين - أقرباء جيمس وأقرباء آني - وصلوا جواً إلى هنا. من الواضح أن جيمس استهلك جميع "نقاط تدمير" العائلة، في الوقت الحالي على الأقل.

ليس هناك أي اتصال وارد عند - تنظر إلى الساعة بجانب السرير وتجد أن الوقت 3:17 بعد الظهر - عند حوالى الساعة الثالثة وعشر دقائق، في اليوم الثالث لترمّلها.

ينقر شخص ما قليلاً على الباب، وتسمع صوت شقيقها يناديها "آني؟ آني؟".

فتجيبه: "ارتدي ثيابي!". يبدو من صوتها بأنها كانت تبكي، ولكن لسوء الحظ، لا أحد في هذا المنزل سيجد ذلك غريباً. "بعض الخصوصية من فضلك!".

"هل أنت بخير؟". يقول من وراء الباب. "ظننا أننا سمعناك متحدثين. واعتقدَ إيلي أنك كنت تنادين شخصاً ما".

"أنا بخير!". تمسح وجهها بالمنشفة مرة أخرى. "سأنزل خلال بضع دقائق".

"حسناً، خذي وقتك... نحن هنا من أجلك". ثم يذهب.

"بيب". تقول بهمس، ثم تغطي فمها لتكبح ضحكةً. شعورٌ أشد تعقيداً حتى من الحزن يجد السبيل الوحيد أمامه للخروج. "بيب، بيب، بيب، بيب، بيب". تستلقي على السرير ضاحكةً، لكن عينيها متورّمتان ومغرورقتان بدموع تنسكب على خدّيها، وتسيل إلى أن تصل إلى أذنيها، فيما يداها تطبقان على فمها. "بيب بيبي بيتي بيب".

تضحك لفترة ليست بقصيرة، ثم ترتدي ثيابها وتنزل لتكون مع أقربائها الذين جاءوا ليشاركوها حزنها. لكنهم يبدون بعيدين عنها؛ لأنه لم يتصل بأي منهم. لقد اتصل بها وحدها. سواء أكان ذلك جيداً أم سيئاً، فقد اتصل بها وحدها فقط.

خلال الشتاء من العام نفسه، مع بقاء البقايا المسودّة للمبنى الشققي الذي اصطدمت به الطائرة مغلقةً أمام بقية العالم بواسطة شريط شرطة أصفر (رغم أن رسامي الغرافيتي دخلوا إلى هناك، حيث ترك أحدهم رسالة بواسطة بخاخ طلاء، تقول: مخلوقات خفيفة تتوقف هنا)، تصل إلى آنا رسالة إلكترونية من النوع الذي يحب أن يرسله مدمنو الكمبيوتر إلى مجموعة واسعة من المعارف. تأتي هذه الرسالة من جيرت فيشر، أمينة المكتبة في تيلتون، في فيرمونت. عندما كان جيمس وآني يمضيان

الصيف هناك، اعتادت آني أن تعمل طوعياً في المكتبة، ورغم أن المرأتين لم تتوافقا تماماً، إلا أن جيرت شملت آني بين من تطلعهم على معلوماتها الشخصية المحدثة كل ثلاثة أشهر منذ ذلك الحين. لم تكن المعلومات ممتعة جداً، ولكن وسط حفلات الزفاف والجنازات والفائزين في المنظمة الوطنية للشباب في هذه الرسالة، تجد آني خبراً يحبس أنفاسها: قُتل جيسون ماكورماك، ابن هيوجي ماكورماك، في حادث في ذكرى العمال. لقد سقط من سطح منزل ريفي بينما كان ينظف مجاري تصريف المياه وكسر عنقه.

"كان يقوم بخدمة لوالده الذي ربما تتذكرين أنه أصيب بجلطة دماغية منذ عامين". هذا ما كتبته جيرت قبل أن تنتقل لتصف كيف أمطرت على المرج حيث كانت المكتبة تقيم سوق مبيعات في نهاية الصيف، وكم خاب أمل الجميع.

ورغم أن جيرت لا تصف في قائمة أخبارها الجديدة الموجزة المؤلفة من ثلاث صفحات ما حدث، إلا أن آني متأكدة تماماً بأن جيسون سقط من سطح الكوخ الصيفي الذي كان ملكاً لهم سابقاً.

بعد خمس سنوات من وفاة زوجها (ووفاة جيسون ماكورماك بعد ذلك بفترة ليست طويلة)، تتزوج آني مرة أخرى. ورغم أنها وزوجها انتقلا إلى بوكا راتون، إلا أنها غالباً ما تعود إلى الحي القديم. زوجها الجديد، كريغ، نصف متقاعد، وعمله يتطلب منه السفر إلى نيويورك كل ثلاثة أشهر أو أربعة. وآني ترافقه دائماً تقريباً، لأنها لا تزال تملك أقرباء لها في بروكلين ولونغ آيلاند، وهم كثر؛ حيث إنها لا تعرف ماذا تفعل معهم أحياناً يبدو لها أحياناً. لكنها تحبهم بتلك العاطفة قليلة الصبر التي تخص فقط باعتقادها – الأشخاص الذين يكونون في العقد الخامس أو السادس من عمرهم. إنها لا تنسى أبداً كيف اجتمعوا من أجلها بعد تحطم طائرة

ممس، وكيف أنهم فعلوا ما بوسعهم كي لا تتحطم هي أيضاً.

عندما ترافق كريغ في رحلته إلى نيويورك، فإنهما ينهبان جواً، لكن ذلك لا يسبب لها أي قلق. بيد أنها لا تذهب إلى مخبز عائلة زولتان أيام الآحاد حين تعود إلى مدينتها؛ رغم أنها واثقة بأن كعكهم المخبوز مع الزبيب رائع. إنها تقصد مخبز فروجر بدلاً منه. ولقد كانت هناك، في الواقع، تشتري كعك الدونات (المقبول على الأقل)، عندما سمعت صوت الانفجار. سمعته بوضوح رغم أن مخبز زولتان يبعد سبع كتل من الأبنية عن فروجر. انفجار غاز قليل الضغط. قُتل أربعة أشخاص، بينهم المرأة التي كانت دائماً تقدِّم الكعك لآنا في كيس مطوي من الأعلى، قائلةً: "أبقيه على هذا النحو إلى أن تصلي إلى المنزل، وإلا فإنه لن يكون طازجاً".

يقف الناس على الأرصفة، وينظرون شرقاً نحو صوت الانفجار والدخان المتصاعد، مظلِّلين عيونهم بأيديهم. تتجاوزهم آني مسرعةً، دون أن تنظر. فهي لا تريد أن تنظر إلى عمود دخان بعد انفجار كبير؛ لأنها تفكِّر في جيمس بما يكفي، وخصوصاً في الليالي التي لا تستطيع النوم خلالها. وعندما تصل إلى المنزل، يتناهى إلى سمعها رنين الهاتف في الداخل. يبدو أن الجميع ذهبوا إلى حيث تقيم مدرسة الحي مزاداً فنياً على الرصيف، أو لا أحد منهم يستطيع سماع رنين ذلك الهاتف؛ إلا هي بالطبع. وما إن تقلب مفتاحها في القفل، حتى يتوقف الرنين.

يتبين لها أن سارة - الشقيقة الوحيدة التي لم تتزوج - في الداخل، لكنها ليست بحاجة لأن تسألها عن سبب عدم إجابتها على الهاتف، لأن سارة بيرنيك التي كانت ذات مرة ملكة ديسكو موجودة في المطبخ، وترقص على أنغام أغنية لفريق فيليج بيبول وبيدها عصا ممسحة، وكانت تبدو مثل فتاة جميلة في دعاية تلفزيونية. لقد فاتها انفجار المخبز أيضاً، رغم أن مبناهم أقرب إلى مخبز زولتان من فروجر.

تتفقد آني جهاز تسجيل المكالمات، فتجد صفراً أحمر كبيراً على شاشة الرسائل الواردة. وهذا بحد ذاته لا يعني شيئاً، لأن الكثير من الناس يتصلون دون أن يتركوا رسائل، ولكن –

يفيد المجيب الآلي للنجمة والرقم تسعة وستين بأن الاتصال الأخير الوارد كان في الثامنة وأربعين دقيقة مساء أمس. ومع ذلك، تتصل آني بالرقم، راجيةً أن يكون قد وجد مكاناً لإعادة شحن هاتفه خارج ... الصالة الكبيرة التي تبدو مثل محطة مركزية رثة. بالنسبة إليه، ... سيبدو له أنه تحدّث معها البارحة، أو منذ دقائق فقط. الزمن غريب ... هذا ما قاله. لقد حلمت بذلك الاتصال مرات كثيرة؛ حيث إنه يبدو لها الآن هو نفسه مثل حلم، لكنها لم تخبر أحداً بذلك. لم تخبر كريج ... أمها التي تكاد تبلغ التسعين لكنها لا تزال حاضرة الذهن وذات إيمان راسخ بالآخرة.

في المطبخ، ينصح فريق فيليج بيبول بأنه لا حاجة للشعور بالإحباط. لا حاجة لذلك بالفعل. وهي لا تشعر بالإحباط. ومع ذلك، تمسك بسماعة الهاتف بشدة بينما يرن الرقم الذي أعطاها إياه المجيب الآلي مرةً، ثم مرتين. تقف آني في غرفة المعيشة واضعةً السماعة على أذنها ويدها الحرة تلمس البروش المثبت فوق ثديها الأيسر، كما لو أن البروش يستطيع تهدئة القلب الذي يخفق بقوة تحته. ثم يتوقف الرنين ويعرض عليها صوت مسجَّل أن يبيعها صحيفة نيويورك تايمز بسعر تفاوضي خاص لن يتكرر.

أبكم

-1-

كانت هناك ثلاث مقصورات اعتراف، مع مصباح مُنار فوق باب المقصورة الوسطى فقط. كانت دار العبادة فارغة، ويغمرها ضوء ملوَّن يدخل من النوافذ مشكّلاً مربعات على الممر المركزي. فكَّر مونيت في المغادرة لكنه لم يفعل ذلك، بل مشى نحو المقصورة المفتوحة لاستقبال المعترفين ودخلها. عندما أغلق الباب وجلس، فُتحت النافذة المنزلقة الصغيرة الموجودة على يمينه، ورأى أمامه ورقة ملف مثبتة بدبوس عريض الرأس طُبعت عليها عبارة: الجميع يرتكبون الخطايا. صحيح أنه كان قد مضى زمن طويل على آخر مرة اعترف فيها، لكن مونيت لم يجد أن ذلك كان من اللوازم المألوفة، بل لم يكن - حسب ظنه - جزءاً من التعليم الديني في بالتيمور.

من الجانب الآخر من الحاجز الشبكي، قال رجل الدين: "كيف حالك يا بني؟".

لم يجد مونيت هذا الأمر عادياً. ولكن، لا بأس في ذلك. وعلى أي حال، فهو لم يتمكَّن من الرد في البداية. ولا بكلمة واحدة. وكان ذلك غريباً نوعاً ما؛ نظراً لما كان سيقوله.

"بني، هل أكل القط لسانك؟".

لم يردّ أيضاً. كانت الكلمات موجودة، لكن شيئاً ما كان يعيقها.

سواء أكان ذلك سخيفاً أم لم يكن، فقد خطرت له صورة مفاجئة لمرحاض مسدود.

تململ الظل خلف الحاجز الشبكي، قبل أن يقول رجل الدين: "هل مضى زمن طويل؟".

أجاب مونيت أخيراً: "أجل".

"هل تريدني أن أساعدك؟".

"لا، لقد تذكَّرت. لقد أذنبت".

"آه، وكم مضى على آخر مرة اعترفتَ فيها؟".

"لا أذكر. مضى زمن طويل. منذ كنت طفلاً".

"حسناً، هوِّن عليك. إن الأمر يشبه قيادة الدراجة الهوائية".

لكنه مع ذلك لم يستطع قول أي شيء لوهلة. نظر إلى الورقة المث بالدبوس وبلع ريقه. كان يفرك يديه بقوة، إلى أن شكَّلتا قبضة واحدة كبي تتحرك يمنة ويسرى بين فخذيه.

"بني، اليوم يمضي، وعندي ضيوف سيأتون على الغداء. في الحقيقة، ضيوفي سيجلبون الغ –".

"لعلي ارتكبت ذنباً فظيعاً".

هنا صمت رجل الدين لبعض الوقت. فقال مونيت في نفسه: صمت.

عندما تكلَّم رجل الدين مجدداً، كان صوته لا يزال ودوداً لك أصبح أكثر جديةً. "ما هو ذنبك يا بني؟".

فأجاب مونيت: "لا أعلم. أنت ستخبرني".

-2-

كان المطر قد بدأ يهطل عندما وصل مونيت إلى تحويلة مدخل الطريق المأجور المتجهة شمالاً. كانت حقيبته موجودة في الصندو

الخلفي، فيما كانت حقيبتا عيّناته - حقيبتان كبيرتان شبيهتان بتلك الحقائب التي يحملها المحامون عندما يأخذون أدلتهم إلى المحكمة - مستلقيتين على المقعد الخلفي. إحداهما بنية والأخرى سوداء، وكلتاهما موشاتان بشعار شركة وولف آند سونز؛ ذئب رمادي مع كتاب في فمه.
كان مونيت مسؤول مبيعات، وكان يغطي منطقة شمال نيو إنجلاند بأكملها. كان ذلك في صباح يوم الاثنين، بعد عطلة نهاية أسبوع سيئة جداً. لقد انتقلت زوجته إلى موتيل، وربما لن تكون وحدها هناك. وقد تدخل السجن قريباً. ستكون هناك فضيحة بالتأكيد، والخيانة ستكون أقل جوانبها سوءاً.

كان يضع على ثنية سترته الأمامية زرًّا كُتِبَ عليه العبارة التالية: اسألوني عن أفضل قائمة خريفية على الإطلاق!!

كان هناك رجل يقف عند بداية الطريق الصاعد بينما كان مونيت يقترب، والمطر يشتدّ. كان يرتدي ثياباً قديمة، ويرفع لافتةً، ويضع بين قدميه المتعلتين حذاءً مطاطياً قذراً حقيبة كتف بنية مهترئة. كان لسان الفلكرو اللاصق لإحدى فردتي حذائه طليقاً وظاهراً مثل لسان رجل ثمل. لم يكن طالب التوصيلة يحمل مظلة، ولا حتى يعتمر قبعة.

في البداية، لم يستطع مونيت فهم اللافتة التي تُظهر رسماً غير بارع لشفتين حمراوين يقطعهما خط أسود مائل. وعندما اقترب أكثر بقليل، رأى العبارة المكتوبة فوق الفم: أنا أبكم! والعبارة المكتوبة أسفل الفم: هل ستمنحني توصيلة؟؟؟

عندما شغَّل مونيت مصباح التنبيه كي يصعد التحويلة، قَلَبَ طالب التوصيلة اللافتة، مُظهراً رسماً سيئاً أيضاً لأذن يقطعها خط آخر. وفوق الأذن عبارة: أنا أصم! وتحتها: من فضلك، هل يمكنك أن تقلّني معك؟؟؟

لقد قطع مونيت بالسيارة ملايين الأميال منذ أن كان بعمر السادسة

عشرة؛ معظمها قُطعت خلال السنوات الاثنتي عشرة التي عمل فيها كممثل مبيعات لشركة وولف آند سونز، وخلال ذلك الزمن كله لم يقلّ أي طالب توصيلة. لكنه في ذلك اليوم انحرف إلى جانب الطريق الصاعد بدون أي تردد ووقف. كانت ميدالية سانت كريستوفر المعلّقة بمرآة الرؤية الخلفية لا تزال تتأرجح عندما ضغط على زر بابه كي يفتح الأقفال. في ذلك اليوم، شعر أنه لم يكن يملك أي شيء ليخسره.

انزلق طالب التوصيلة داخل السيارة، ووضع حقيبته المهترئة بين فردتي حذائه المطاطي المبلل والوسخ. ظنَّ مونيت من منظر الرجل قبل أن يدخل السيارة أن رائحته ستكون بشعة، ولم يكن مخطئاً في ظنه. سأله "ما هي المسافة التي تريد أن تقطعها؟".

رفع الرجل كتفيه وأشار إلى التحويلة، ثم انحنى ووضع بعناية لافتة فوق حقيبته. كان شعره طويلاً وخفيفاً، وفيه بعض الشيب.

"أعرف أي طريق، ولكن..." انتبه مونيت إلى أن الرجل لا يسمعه، فانتظره كي يستقيم. تجاوزته سيارةٌ مسرعةٌ وهي تزمّر، رغم أن مونيت ترك مجالاً كافياً للمرور، فرفع إصبعه الوسطى في الهواء. لقد فعل هذا من قبل، لكنه لم يفعله من أجل إزعاجات ثانوية كهذه.

ثبّت طالب التوصيلة حزام أمانه ونظر إلى مونيت؛ كما لو أنه يسأل عن سبب الانتظار. كانت هناك خطوط على وجهه، وكان شعر ذقنه طويلاً قليلاً. لم يحاول مونيت حتى أن يخمّن عمره. كل ما لاحظه هو أنه كان متوسط العمر.

"ما هي المسافة التي تريد أن تقطعها؟". سأله مونيت، لكنه لفظ كل كلمة بوضوح هذه المرة. وعندما وجد أن الرجل ظل ينظر إليه فقط - متوسط الطول، ونحيل، لا يبلغ وزنه أكثر من 67 كغ - سأله: "هل يمكنك قراءة الشفاه؟". ولمس شفتيه.

هز طالب التوصيلة رأسه، وقام ببعض الإشارات بيديه.

كان مونيت يحتفظ بدفتر صغير بين المقعدين الأماميين. بينما كان يكتب سؤاله: ما هي المسافة؟ على ورقة فيه، تجاوزته سيارة أخرى، رافعةً معها هذه المرة ذيل ديك من رذاذ المياه. كان مونيت ذاهباً إلى ديري التي تبعد مائة وستين ميلاً، وكان في العادة يمقت القيادة في مثل هذه الظروف أكثر من أية ظروف مناخية أخرى، إلا عندما يكون الثلج يتساقط بكثافة. لكنه في ذلك اليوم وجدها مناسبة، لأن الطقس والقاطرات الكبيرة التي تمر معها عواصف إضافية من الماء الطائر أثناء مرورها الهادر ستبقيه مشغولاً.

طبعاً بدون ذكر ذلك الرجل؛ الراكب الجديد الذي نظر إلى الورقة ثم إلى مونيت. خطر لمونيت لاحقاً أنه ربما كان أمّياً أيضاً – لا بد أن تعلُّم القراءة عندما تكون أصمَّ وأبكمَ صعب جداً – لكنه فهم إشارة الاستفهام. أشار الرجل عبر الزجاج الأمامي إلى الطريق الصاعد ثم فتح يديه وأغلقهما ثماني مرات، أو ربما عشر مرات. ثمانون ميلاً، أو مائة.

قال مونيت مخمّناً: "أتقصد ووترفيل؟".

نظر طالب التوصيلة إليه نظرةً خالية من أي تعبير.

قال مونيت: "لا بأس، لا يهم. فقط ربِّتْ على كتفي عندما تصل إلى حيث تريد الذهاب".

النظرة الخالية من التعبير نفسها.

"حسناً، أعتقد أنك ستفعل، على فرض أنك تضع في ذهنك و جهةً ما". تفحَّص مرآة الرؤية الخلفية، ثم انطلق. "إنك مقطوع تماماً، أليس كذلك؟".

كان الرجل لا يزال ينظر إليه، ثم رفع كتفيه ووضع يديه على أذنيه.

"أعرف. أنت مقطوع تماماً. الخطوط الهاتفية مقطوعة. لكنني اليوم أكاد أتمنى لو أنني كنتُ أنت، وكنتَ أنت أنا". سكت لوهلة، ثم تابع:

"تقريباً. هل تمانع في بعض الموسيقا؟".

وعندما أدار طالب التوصيلة رأسه ونظر عبر النافذة، سخر مون... من نفسه. إن كلود ديوسي (مؤلف موسيقي فرنسي)، أو إيي سي/ دي سي (فريق روك)، أو راش ليمبو (مذيع أميركي شهير)، كلهم سيّان بالنسـ... إلى هذا الرجل.

كان قد اشترى القرص المضغوط الجديد لجوش ريتر هديةً لا... في ذكرى مولدها التي كانت بعد أسبوع واحد فقط، لكنه لم يتذكّر أن... يرسله لها بعد؛ لقد حدثت أشياء أخرى كثيرة في الأيام القليلة الأخير... ثبّت سرعة السيارة حال خروجه من بورتلاند، ثم شق غلاف السي دي... بإبهامه وأدخله في مشغّل الأقراص المضغوطة. فكّر في داخله أن القرص... المضغوط أصبح حينئذ – تقنياً – قرصاً مستعملاً، أي ليس من النوع الذ... تهدي ابنتك الوحيدة إيّاه. ولكن، كان بوسعه دوماً شراء قرص جديد لها... على فرض أنه كان لا يزال يملك نقوداً لشراء قرص جديد.

تبيّن له أن جوش ريتر جيد جداً. فهو يشبه تقريباً ديلان في بداياته، ولكن مع توجّه أفضل. بينما كان مونيت يستمع إلى الموسيقا، راح يفكّر في مسألة النقود. كان تأمين المبلغ اللازم لشراء قرص مضغوط جديد من أجل ذكرى مولد كيلسي أقل مشكلاته المادية إثارة لقلقه. وحتى الكمبيوتر المحمول الذي كانت تريده حقاً – وتحتاج إليه – لم يكن يحتل موقعاً عالياً في القائمة أيضاً. إذا كانت بارب قد فعلتْ ما قالت إنها فعلته – ما أكّد مكتب SAD بأنها فعلته – فإنه لم يكن يدري كيف سيؤمّن نفقات السنة الأخيرة لابنته في جامعة كيس ويسترن؛ حتى مع افتراض أنه بقي محافظاً على وظيفته. تلك كانت مشكلة حقاً.

رفع صوت الموسيقا أكثر كي يغطي على المشكلة، ونجح في ذلك جزئياً. ولكن، مع وصوله إلى جاردينر، كانت الأغنية الأخيرة قد وصلت إلى نهايتها. كان وجه طالب التوصيلة وجسده ملتفتين نحو النافذة بجانبه

،مكّن مونيت فقط مـن رؤية ظهر سـترته المبقّعـة وذابلة اللـون، مع تبعثر لـعره الخفيف للغاية فوق ياقتها. بدا له أن شـيـئاً ما كان مطبوعاً ذات يوم ملى ظهر السـترة، لكنه أصبح باهتاً جداً حيث لا يمكن تمييزه.

هذه هي قصة حياة هذا الشخص المسكين، قال مونيت في نفسه.

في البداية، لم يستطع مونيـت التأكُّد مما إذا كان الرجل غافياً أم ينظر الى الطبيعة، إلى أن لاحظ مَيَلان رأسه قليلاً نحو الأسفل، والغشاوة التي قانت أنفاسُـهُ تحدثها على النافذة، فقـرر أنه على الأرجـح كان نائماً. ولِمَ لا؟ فالشـيء الوحيد الأشـد إثارة للملل من طريـق مين المأجـور جنوب أوغوستا هو طريق مين المأجور جنوب أوغوستا في المطر الربيعي البارد.

كان مونيـت يملك أقراصـاً مضـغوطة أخرى في المقصـورة الصغيرة المركزية في كونسول السـيارة، غير أنه قرَّر إطفاء جهاز الصوت في السيارة بدلاً من التفتيش بينها. وبعد اجتيازه محطة دفع الأجرة في جارديـنر – دون التوقـف، وإنمـا بإبطاء السـرعة فقط (مـن أعاجيـب نظـام E-Zpass لدفع الرسوم آلياً) – بدأ التحدُّث.

-3-

توقَّف مونيت عن التحـدث، ونظر إلى سـاعته فوجد أنها تشـير إلى الثانية عشرة والربع، ورجل الدين قال إنه يـنتظر قدوم ضيوف على الغداء. أو في الحقيقة، كان أولئك الضيـوف سيجلبون الغداء معهم.

"أنا آسـف لأن هذا الأمر يأخذ وقتاً طويلاً. كنـت سـأسـرع أكثر لو كنت أعرف كيف، لكنني لا أعرف".

"لا عليك يا بني. فأنا أشعر بالاهتمام الآن".

"ضـيوفك –".

"سيـنتظرون بينما أقوم بعملي. يا بني، هل سرقك ذاك الرجل؟".

"لا. ما لم تحتـسـب راحة ذهني. هل يُحتَسَب ذلك؟".

"بالتأكيد. ماذا فعل؟".

"لا شيء. كان ينظر عبر النافذة. ظننت أنه كان غافياً، ولكن أصبح لديّ لاحقاً أسباب تجعلني أظن أنني كنت مخطئاً بهذا الخصوص".

"وماذا فعلتَ أنت؟".

"تحدثتُ حول زوجتي". صمت مونيت قليلاً ليفكر، ثم استطرد قائلاً: "لا، لم أفعل ذلك. لقد نفَّست عن مشاعري حيال زوجتي. تحدثت بغضب حول زوجتي. تحدثت بصراخ حول زوجتي. كان... كما تعلم... كان يبحث بصعوبة عن الكلمات المناسبة، زامًّا شفتيه بقوة، وناظراً إلى يديه المتشابكتين والمتلوّيتين بين فخذيه إلى أن انفجر أخيراً: "كان أصمّ وأبكمَ، أتفهمني؟ كان بوسعي قول أي شي دون أن أضطر إلى الاستماع إليه وهو يقدم لي تحليلاً، أو رأياً، أو يسديني نصيحة حكيمة. كان أصم وأخرس. اللعنة، ظننت أنه كان غافياً، وأنه كان باستطاعتي قول أي شيء داعر أريد قوله!".

انتبه مونيت إلى كلامه غير اللائق، فقال: "أنا آسف".

"ماذا قلتَ عنها بالضبط؟".

"أخبرته بأنها كانت في الرابعة والخمسين. هكذا بدأتُ، لأن ذلك هو الجزء... كما تعلم، ذلك هو الجزء الذي لم أتمكن من تقبُّله".

-4-

بعد كشك جاردينر لدفع الرسوم، يصبح طريق مين المأجور طريقاً مجانياً من جديد بطول ثلاثمائة ميل من الغابات والحقول، وتتخلله بين الحين والآخر مقطورة سكنية مع صحن قمر اصطناعي على سقفها وقاطرة متوقفة على جذوع أشجار في ساحة جانبية. إلا في الصيف، حيث يندر المسافرون على هذا الطريق، وتصبح كل سيارة عالماً صغيراً بحد ذاتها. لقد خطر لمونيت حتى في ذلك الحين بأن الأمر كان بشبه

الاعتراف في دار عبادة (لعل السبب يعود لميدالية سانت كريستوفر المتأرجحة من مرآة الرؤية الخلفية. كانت هدية من بارب، في زمن أفضل وأكثر تعقُّلاً). مع ذلك، كانت بدايته بطيئة، كما يفعل الكثير من المعترفين.

"أنا متزوج. أنا في الخامسة والخمسين وزوجتي في الرابعة والخمسين".

فكَّر في هذا الأمر وهو ينظر إلى مساحتي الزجاج الأمامي المتأرجحتين.

"أربعة وخمسون عاماً. باربرا في الرابعة والخمسين. نحن متزوجان منذ ستة وعشرين عاماً. ولدينا بنت واحدة؛ بنت رائعة. كيلي آن. إنها ترتاد جامعة في كليفلاند، ولا أعرف كيف سأبقيها هناك؛ لأن زوجتي تحوَّلت منذ أسبوعين، وبدون سابق إنذار، إلى بركان ماونت سينت هيلينز. تبيَّن أن لديها صديقاً. لديها صديق منذ ما يقرب من سنتين. إنه مدرِّس - لا شك أنه مدرِّس، وماذا سيكون غير ذلك؟- لكنها تدعوه راعي البقر بوب. يبدو أنها أمضت الكثير من تلك الليالي التي كنت أعتقد أنها كانت تقضيها في معهد تعليمي، وهي تشرب وترقص رقصة الصف مع راعي البقر القذر بوب".

كان الأمر مضحكاً. أي شخص كان بوسعه الشعور بذلك. كان نوعاً من الكوميديا الواقعية القذرة، إذا كان هناك شيء اسمه كوميديا واقعية قذرة. بيد أن عينيه كانتا تلمعانه (مع أنهما كانتا خاليتين من الدموع) كما لو أنهما كانتا مليئتين باللبلاب السام (نوع من اللبلاب يسبِّب لمسه حكاكاً شديداً). التفت إلى يمينه فوجد أن طالب التوصيلة كان لا يزال غافياً على الأغلب. هذه المرة كان جبينه مستنداً إلى زجاج النافذة. إنه نائم بكل التأكيد.

تقريباً بكل تأكيد.

لم يكن مونيت قد تحدَّث حول خيانتها له بصوت عالٍ قبل ذلك

الحين. حتى كيلسي لم تكن قد علمت بعد، رغم أن فقاعة جهلها كان
ستنفجر في وقت قريب. لقد أغلق الهاتف في وجه ثلاثة صحفيين قبل
مغادرته في هذه الرحلة، مع أنهم لم يكونوا يملكون شيئاً ليكتبوه أو
يذيعوه بعد. ورغم أن هذا كان يمكن أن يتغير في أي وقت، إلا أن موقفه
كان سيواصل العيش مع "لا تعليق" لأطول فترة ممكنة، تجنباً للإحراج
غالباً. لكنه في تلك الأثناء، كان يعلّق كثيراً. وفعْلُ ذلك كان يُشعره براحة
كبيرة. كان الأمر أشبه بالغناء في الحمام، أو التقيؤ فيه.

"إنها في الرابعة والخمسين. هذا ما لا يمكنني تخطيه. هذا يعني
أنها بدأت مع هذا الشخص، واسمه الحقيقي روبرت يانداوسكي - يا له
من اسم لراعي بقر - عندما كانت في الثانية والخمسين. اثنان وخمسون
عاماً! ألا تظن أن هذا العمر كبير بما يكفي ليكون المرء حكيماً يا
صديقي؟ أليس كبيراً بما يكفي ليكون قد تجاوز مرحلة إقامة علاقات
جنسية طائشة؟ يا الله، إنها تضع نظارة ثنائية البؤرة! ولقد استأصلت
مرارتها! وهي تمارس الجنس مع ذاك الشخص في غروف موتيل، حيث
يقومان بأعمال التدبير المنزلي هناك! لقد منحتها بيتاً جميلاً في باكستون
وكاراجاً يتسع لسيارتين، وسيارة أودي بعقد إيجار طويل، وهي رمت كل
هذا كي تثمل في ليالي الخميس في مشرب رينج رايدرز، وتقوم بعلاقات
حميمة مع ذاك الشخص حتى مطلع الفجر - أو أياً تكن المدة التي
يستطيعان فعل ذلك خلالها - وهي في الرابعة والخمسين! دون ذكر راعي
البقر بوب الذي يبلغ من العمر ستين سنة لعينة!

انتبه إلى أنه كان يصرخ، فطلب من نفسه التوقف عن الصراخ
وعندما رأى أن طالب التوصيلة لم يتحرك (إلا إذا كان قد زلق نفسه
أكثر داخل ياقة سترته؛ يمكن أن يكون هذا قد حدث)، أدرك أنه لم يكن
مضطراً للتوقف. فقد كان في سيارة، وعلى الطريق الدولي 95، في مكان
ما شرق الشمس وغرب أوغوستا. والراكب معه كان أصمّ وأبكم. كان

بوسعه الصراخ إذا كان يريد الصراخ.

وقد صرخ بالفعل.

"اعترفت باربرا بكل شيء. لم تدافع عن نفسها، ولم تكن تشعر بالخجل. بدت... هادئة، ومذهولة ربما. أو لعلها كانت لا تزال تعيش في عالم خيالي".

وقالت له إنه كان يتحمَّل المسؤولية جزئياً.

"أقضي وقتاً طويلاً على الطرقات، هذا صحيح إلى حد كبير. أكثر من ثلاثمائة يوم في السنة الماضية. وهي كانت وحدها؛ ليست لدينا سوى فتاة وحيدة، كما تعلم، وهذه الفتاة أنهت دراستها الثانوية وغادرت المنزل. ولهذا فالذنب ذنبي. راعي البقر بوب وبقية القصة".

كان صدغاه ينبضان، وكان أنفه يكاد يكون مسدوداً كلياً. استنشق من أنفه بقوة؛ حيث طارت نقاط سوداء أمام عينيه، لكنه لم يحصل على أي راحة. ليس في أنفه على أي حال. أما في رأسه فقد شعر أخيراً ببعض الارتياح. كان سعيداً جداً لأنه أقَلَّ طالب التوصيلة معه. صحيح أنه كان قادراً على الإفصاح عن هذه الأشياء بصوت عالٍ في السيارة الفارغة، ولكن...

-5-

"ولكن، لن يكون الوضع مشابهاً". قال لرجل الدين وهو ينظر أمامه. "هل تفهمني؟".

أجابه رجل الدين بابتهاج إلى حدٍّ ما: "بالطبع أفهمك. رغم أنك انقطعت عن دار العبادة، كما هو واضح – باستثناء بعض البقايا الخرافية مثل ميدالية سانت كريستوفر الخاصة بك – لكنك لم تكن بحاجة حتى للسؤال. الاعتراف مفيد للروح. نحن نعرف ذلك منذ ألفي عام".

أصبح مونيت يضع قلادة سانت كريستوفر التي كانت ذات يوم

تتدلّى من مرآة الرؤية الخلفية في سيارته. قد تكون خرافة، لكنه دا
السيارة ملايين الأميال في جميع أنواع الطقس السيئ مع هذه القلادة دون
أن يُصاب حتى مصده الأمامي بأي ضرر؛ حتى لو مجرد طعجة.

"بني، ماذا فعلتَ غير ذلك؟ أقصد زوجتك؛ إلى جانب ممارسة
الخطيئة مع راعي البقر بوب؟".

دُهش مونيت لأنه ضحك. وفي الجانب الآخر من الحاجز، ضحك
رجل الدين أيضاً. لكن الفرق كان يكمن في نوعية الضحكة. إذ إنّ رجل
الدين رأى الجانب المضحك. أما مونيت فقد كان يعتقد أنه كان لا يزال
يحاول تفادي الجنون.

قال مونيت: "في الواقع، هناك الألبسة الداخلية".

-6-

"اشترت ألبسة داخلية". قال لطالب التوصيلة الذي كان لا يزال
ملتفتاً نحو اليمين مرتخياً، وسانداً جبينه على النافذة، وأنفاسه تغشي
الزجاج. الحقيبة بين قدميه، واللافتة فوقها، ويظهر منها الجانب الذي
كُتب عليه عبارة أنا أبكم! "لقد أرتني إياها. كانت موجودة في خزانة
غرفة الضيوف. تكاد تملأ الخزانة كلها. كانت هناك قمصان داخلية
وحمّالات صدر وجوارب حريرية لا تزال في رزمها. وكانت بالعشرات
لكن السراويل الداخلية كانت تشكل الجزء الأكبر، سراويل داخلية كثيرة
الكثير منها. قالت إن راعي البقر بوب كان رجل السراويل الداخلية. أعتقد
أنها كانت ستواصل الحديث وتخبرني كيف كان تأثير ذلك، لكن الصورة
وصلتني. وصلتني بأفضل مما كنت أريد. فقلت لها: بالطبع، إنه رجل
السراويل الداخلية، إن القذر يبلغ الستين من العمر".

كانا حينئذ يجتازان لافتة فيرفيلد الخضراء، والملطخة كما كانت

ـبدو من خلال الزجـاج الأمامـي، والتي يجثـم فوقها غراب مبلل بشـكل مقوّس.

تابع مونيـت: "وكانت مـن النوع الجيـد أيضـاً. الكثير منهـا كان من ماركة فيكتورياز سـيكريت مـن المـول. ولكن، كانـت توجد أيضاً ألبسـة داخلية من بوتيك أسعاره باهظة يُدعى سويتـس. في بوسطن. لم أكن حتى أعلم بوجود بوتيكات للألبسـة الداخليـة، لكنني تثقّفت منـذ ذلك الحين. لا بـد أن ما قيمتـه آلاف الـدولارات كان مكدّسـاً هناك في تلـك الخزانة. وكانت هنـاك أحذية أيضـاً؛ معظمها ذات كعبيـن عاليـن. كمـا تعلم، تلك الكعوب المدببة. كانـت عارفةً بأمور الإغراء. رغم أنـني أتخيَّل أنها كانت تخلع نظارتهـا ثنائية البـؤرة عندمـا كانت ترتـدي حمّالة ثدييها وسـروالها التحتي القصـير الجديدين. ولكن -".

دوّى هديـر قاطـرة بجانبه. أشـعل مونيـت مصابيحه الأماميـة، ونقر بشـكل أتوماتيكي على أضوائه العالية عندمـا مرّت القاطرة، فأنار السـائق بمصابيحه الخلفية شاكراً. إنها لغة إشارة الطريق.

"لكن الكثير منها لـم يُلبَس. ذلك هو الأمر المحيّـر. كانت... كانت مخزَّنة فقط. سـألتها عن سـبب شـرائها كل تلك الكمية اللعينة فكان ردُّها يوحي بأنهـا إما لم تكن تعـرف أو إنها لم تكـن قادرة على التفسـير. قالت لي: لقـد اعتدنـا ذلك وحسـب. كان الأمـر أشبه بالمداعبات، كمـا أظن. بدون خجل، وبدون دفاع عن النفس، كما لـو أنها كانت تقول في داخلها: هذا كله حلم سـأصحو منـه قريباً. كنـا كلانا واقفيْـن هناك ننظـر إلى تلك المجموعة المنوَّعة من القمصان الداخلية والفانيلات، ويعلم الله ما الذي كان مكدّسـاً أيضاً في الخلف. ثم سـألتها: من أين حصلت على النقود؟- أعني، إنني أرى فواتير بطاقات الاعتماد عند نهاية كل شـهر، ولم يكن أيّ منها آتياً من سـويتـس في بوسـطن - وهنا وصلنـا إلى المشـكلة الحقيقية. أعني الاختلاس".

"اختلاس!". قال رجل الدين. تساءلَ مونيت عمّا إذا كانت ها،
الكلمة قد قيلت في مقصورة الاعتراف تلك من قبل، وقرر أن ذلك جائز
أما كلمة سرقة، فلا شك في ذلك.

قال مونيت: "كانت تعمل لصالح MSAD 19. وMSAD تعني
المنطقة الإدارية المدرسية في مين. وهي واحدة من المناطق الكبرى
جنوب بورتلاند مباشرةً. يوجد مقرها الرئيس في ديلاوير. في الحقيقة،
إنها موطن كل من رينج رايدرز وجروف موتيل التاريخي أنها تقوم بعلاقة
حميمة في الشارع نفسه. وهذا الأمر مناسب جداً. لست بحاجة حتى
لقيادة سيارتك إذا حدثَ وأفرطتَ في الشرب. وهذا ما كان يحدث لهما
في معظم الليالي. أقداح شراب لها وشراب أقوى له. هي أخبرتني بذلك،
أخبرتني بكل شيء".

"هل كانت معلّمة؟".

"أوه لا، المعلّمون لا يملكون القدرة للوصول إلى هذا النوع من
المال. لم يكن بوسعها اختلاس أكثر من مائة وعشرين ألف دولار لو
كانت معلّمة. لقد دعَونا مدير المنطقة الإدارية وزوجته إلى منزلنا من أجل
تناول الغداء، وبالطبع كنت أراه في جميع نزهات نهاية العام المدرسي،
عادةً في نادي داوري كَنتري. فيكتور ماكاريا. إنه متخرّج من جامعة مين،
وكان يلعب كرة القدم. فهو متخصص في التعليم الرياضي. قصة شعر
قصير. لعله كان يتجوّل حاملاً بطاقات هدية، لكنه رجل لطيف، من النوع
الذي يعرف خمسين نوعاً مختلفاً من نكتة رجل يدخل المشرب. وهو
مسؤول عن اثنتي عشرة مدرسة من المدارس الابتدائية الخمس إلى ثانوية
موسكي. ممّا يعني ميزانية سنوية ضخمة جداً، لعله كان قادراً على إضافة
مبالغ كبيرة إلى ميزانيته الخاصة إذا أراد ذلك. كانت باربرا سكرتيرته

التنفيذية لمدة اثنتي عشرة سنة".
صمت مونيت قليلاً.
"كانت بارب تملك دفتر الشيكات".

-8-

اشتدَّ هطول المطر أكثر. أبطأ مونيت السرعة إلى خمسين حتى بدون التفكير في الأمر، في حين كانت السيارات الأخرى تعبر بلامبالاة بجانبه على المسار الأيسر؛ وكل واحدة تثير غيمتها الخاصة بها من الماء. دعها تمر. بالنسبة إليه، كان يملك سيرةً مهنية طويلة وخالية من الحوادث في بيع أفضل قائمة خريفية على الإطلاق (دون أن نذكر أفضل قائمة ربيعية على الإطلاق، وبضع قوائم مفاجآت صيفية؛ والتي كانت تتألف غالباً من كتب طهي، وكتب حمية، ونسخ رخيصة من هاري بوتر)، وكان يريد البقاء على هذا الحال.

تحرَّك طالب التوصيلة قليلاً على يمينه.

"هل أنت صاحٍ يا صديقي؟". سؤال عبثي، لكنه طبيعي.

أطلق طالب التوصيلة تعليقاً من مؤخرته، لم يكن أبكم: فوييت. صغير، ومهذب - والأهم من ذلك - بلا رائحة.

"أعتبرُ هذا بأنه أجل". قال مونيت وهو يعود للتركيز على قيادته. "أين كنت؟".

عند الألبسة الداخلية. وصل إلى هذا الجزء. كان لا يزال قادراً على تخيُّلها مكوَّمة في الخزانة مثل حلم جنسي لمراهقة. ثم الاعتراف بالاختلاس؛ ذلك الرقم المذهل. بعد أن أخذ وقتاً للتفكير في احتمال أنها كانت تكذب لسبب مجنون ما (لكن الأمر كله كان جنوناً بالطبع)، سألها كم بقي من ذلك المبلغ فأجابته، بتلك الطريقة الهادئة والمذهولة نفسها، بأنه لم يبقَ أي شيء حقاً، لكنها أضافت قائلةً إنها تستطيع الحصول على

المزيد. لبعض الوقت، على الأقل.

"قالت: لكنهم سيكتشفون الأمر سريعاً الآن. لو كان الضحية مجرد شخص جاهل مسكين عجوز، لكان باستطاعتي ربما الاستمرار إلى الأبد ولكن، جاء مدققو حسابات حكوميون في الأسبوع الماضي. طرحوا أسئلة كثيرة جداً، وأخذوا نسخاً عن السجلات. أعتقد أن الأمر لن يطول الآن".

"وهكذا، سألتها كيف استطاعت أن تنفق ما يزيد بكثير عن مائة ألف دولار على الثياب الداخلية وأحزمة الجوارب النسائية"، قال مونيت لرفيقه الصامت، "لم أكن أشعر بالغضب – ليس حينئذ على الأقل، أعتقد أنني كنت مصدوماً جداً – لكنني كنت أحس بالفضول حقاً. فقالت بتلك الطريقة نفسها – بدون الشعور بالذنب، ومن دون دفاع عن النفس، كما لو أنها كانت تمشي في نومها: في الواقع، لقد بدأنا نهتم باليانصيب أظن أننا كنا نعتقد أننا نستطيع إعادة المبلغ بتلك الطريقة".

سكت مونيت. وبينما كان يراقب مساحتي الزجاج الأمامي المتأرجحتين يمنة ويسرى، فكّر للحظات في إدارة المقود إلى الجهة اليمنى وتوجيه السيارة نحو أحد أعمدة الجسر الخرسانية أمامه. لكنه نبذ الفكرة. سيخبر رجل الدين لاحقاً أن جزءاً من السبب كان يتعلق بتحريم الانتحار في أيام الطفولة الغابرة، لكنه في الغالب كان يفكّر في أنه يود الاستماع إلى ألبوم جوش ريتر مرة أخرى على الأقل قبل أن يموت.

وإضافة إلى ذلك، فهو لم يكن وحده.

بدلاً من الانتحار (وأخذ راكبه معه)، قاد السيارة تحت الجسر بتلك السرعة المعتدلة الثابتة – البالغة خمسين ميلاً في الساعة – (أصبح الزجاج الأمامي صافياً لمدة ثانيتين ربما، قبل أن تجد المساحتان عملاً تقومان به من جديد) واستأنف سرد قصته.

"لا بد أنهما اشتريا بطاقات يانصيب أكثر من أي شخص آخر

في التاريخ". فكَّر في ذلك، ثم هزَّ رأسه نافياً، قبل أن يتابع حديثه: "في الحقيقة... ربما لا. لكنهما اشتريا عشرة آلاف بالتأكيد. قالت إنهما اشتريا في تشرين الثاني الماضي - كنت في نيو هامبشر وماساتشوسيتس طوال ذلك الشهر تقريباً، إضافة إلى مؤتمر الصيمات في ديلاوير - أكثر من ألفي بطاقة. جرّبا كل شيء: بَوَربول، ميغابَكّس، بِيِّشيك، بيك 3، بيك 4، تريل بليِّ. في البداية، كانا يختاران الأرقام، لكن بارب قالت إن هذا أصبح يستغرق وقتاً طويلاً بعد فترة، فتحوّلا إلى خيار الاختيار السهل (*EZ* *Pick*)".

أشار مونيت إلى العلبة البلاستيكية البيضاء الملصقة على زجاجه الأمامي، أسفل ساق مرآة الرؤية الخلفية بقليل.

"كل هذه الأدوات تسرّع العالم. ربما كان هذا أمراً جيداً، لكنني أشك في ذلك نوعاً ما. قالت: اتجهنا إلى الاختيار السهل لأن الأشخاص الواقفين في الصف خلفك تضيق صدورهم إن استغرقت وقتاً طويلاً في اختيار أرقامك؛ وخاصة عندما تكون الجائزة فوق مائة مليون. قالت إنها ويانداوسكي كانا ينفصلان ويذهبان إلى مخازن مختلفة، يصل عددها إلى أكثر من عشرين مخزناً في أمسية واحدة. وبالطبع، كانا يبيعانها حيث كانا يذهبان للرقص".

"قالت: في أول مرة لعب فيها بوب، ربحنا خمسمائة دولار على بيك 3. كان الأمر رومانسياً للغاية" - هزَّ مونيت رأسه - "بعد ذلك، بقيت الرومانسية، لكن الربح توقف إلى حد كبير. هذا ما قالته. قالت إنهما ربحا ألف دولار ذات مرة، لكنهما في ذلك الحين كانا قد رميا ثلاثين ألفاً في المرحاض. في المرحاض، هكذا سمّته".

"ذات يوم - حصل ذلك في كانون الثاني، حينما كنت على الطريق أحاول تعويض ثمن معطف الكشمير الذي اشتريته لها بمناسبة الكرسمس - قالت إنهما ذهبا إلى ديري وأمضيا يومين هناك. لا أعرف إن

كانا قد حصلا على رقصة صف هناك أم لا، لم أتحقق من ذلك، لكني أعرف أنهما ذهبا إلى مكان يُدعى هوليود سلوتس، ومكثا في جناح، وأكلا طعاماً فاخراً - قالت: طعاماً فاخراً - وأنفقا سبعة آلاف وخمسمائة دولار على لعبة الفيديو. لكنهما لم يستمتعا بذلك كثيراً. بقيا ملتزمين غالباً باليانصيب، وآخذيْن المزيد والمزيد من أموال المنطقة الإدارية المدرسية، ومحاوليْن التعويض قبل مجيء المدققين الحكوميين وانهيار السقف. وبين الحين والآخر بالطبع، كانت تشتري بعض الألبسة الداخلية الجديدة".

"هل أنت بخير يا صديقي؟".

لم تبدر أية ردة فعل من رفيقه - بالطبع - فمدَّ مونيت يده وهز كتف الرجل. رفع طالب التوصيلة رأسه عن زجاج النافذة (خلَّف جبينه علامة دهنية على الزجاج) وتلفَّت حوله وهو يرمش بعينيه المحاطتين بدوائر حمراوين، كما لو أنه كان نائماً. غير أن مونيت لم يكن يعتقد أنه كان نائماً، ولم يكن هناك سبب يدعوه لذلك، وإنما مجرد شعور.

أشار بإبهامه وسبّابته إلى طالب التوصيلة ثم رفع حاجبيه.

لوهلة، نظر الرجل إلى مونيت نظرةً خاوية من أي معنى، مانحاً مونيت وقتاً للتفكير في أن الرجل كان أبله بالإضافة إلى كونه أصمّ وأبكم، ثم ابتسم وهز رأسه وعاد إلى وضعه السابق.

فقال مونيت: "حسناً، كنت أتأكد فقط".

أسند الرجل رأسه على النافذة من جديد. في تلك الأثناء، مرّت وجهة ذلك الشخص المفترضة، ووترفيلد، وأصبحت وراءهما تحت المطر. لم يلاحظ مونيت ذلك، لأنه كان لا يزال يعيش في الماضي.

"لو كان الأمر يتعلق فقط بملابس داخلية وتلك الأنواع من الماسح اليانصيب التي تختار فيها مجموعة من الأرقام، فلربما كان الضرر محدوداً. لأن لعب اليانصيب بتلك الطريقة يستغرق وقتاً. وهذا يمنحك

وقتاً للعودة إلى عقلك؛ على فرض أنك تملك عقلاً لتعود إليه. يتوجب عليك الوقوف في الصف وشراء البطاقات وتخزينها في محفظتك. ومن ثم يتوجب عليك مشاهدة التلفاز أو تصفُّح الصحيفة لمعرفة النتائج. وقد يكون الوضع لا يزال مقبولاً حينئذ. أقصد إذا كان بإمكانك أن تسمّي خيانة زوجتك لك مع أستاذ تاريخ أحمق وإهدار ثلاثين أو أربعين ألف دولار من أموال المنطقة المدرسية في المرحاض وضعاً مقبولاً. كان بوسعي ربما تغطية مبلغ ثلاثين ألفاً. كان بوسعي الحصول على رهن ثانٍ على المنزل. ليس لبارب، ولكن لكيلسي آن. فتاة شابة تبدأ طريقها في الحياة، وليست بحاجة إلى سمكة متعفنة حول رقبتها. تعويض، هكذا يسمّون هذه الحالة. كنت سأقوم بالتعويض حتى لو كان ذلك يعني أن أعيش في شقة مكوَّنة من غرفتي نوم. هل تعلم ذلك؟".

من الواضح أن طالب التوصيلة لم يكن يعلم. ليس حول شابة جميلة تبدأ طريقها في الحياة، أو حول الرهونات الثانية، أو التعويض. كان دائماً وجافاً في عالمه الصامت، ولعل هذا أفضل.

لكن مونيت تابع حديثه رغم ذلك.

"المهم أن هناك طرقاً أسرع لتبذير نقودك، وهي قانونية مثل... مثل شراء الألبسة الداخلية".

-9-

"انتقلا إلى بطاقات الحك، أليس كذلك؟". سأله رجل الدين. "ما تسمّيه هيئة اليانصيب: الرابحون الفوريّون".

قال مونيت: "تتكلم مثل رجل فعل ذلك".

"من حين لآخر"، قال رجل الدين بدون تردد، وأثار إعجابه. "أقول لنفسي دائماً إنني إذا حصلت يوماً على بطاقة ذهبية، فسأضع كل النقود في دار العبادة. لكنني لا أجازف أبداً بأكثر من خمسة دولارات في الأسبوع".

هنا كان يوجد تردد. "وأحياناً عشرة دولارات". سكوت آخر. "ومرة اشتريت بطاقة حك بعشرين دولاراً؛ عندما كانت حديثة العهد. لكن ذلك كان جنوناً مؤقتاً. لم أفعل ذلك مجدداً قط".

قال مونيت: "على الأقل ليس حتى الآن".

ضحك رجل الدين ثم قال: "إنها كلمات رجل أحرق أصابعه فعلاً يا بني". تنهّد ثم أردف قائلاً: "إنني مذهول من قصتك، لكنني أتساءل إن كان باستطاعتنا سردها بسرعة أكبر قليلاً. ضيوفي سينتظرونني، ولكن ليس إلى الأبد. وأعتقد أننا سنتناول سَلَطة دجاج، مع كمية وافرة من المايونيز. إنها مفضَّلة لديّ".

"لم يبقَ الكثير. بما أنك لعبتها، فإنك تعرف فحواها. يمكنك شراء بطاقات الحك في جميع الأمكنة التي يمكنك فيها شراء بطاقات بَوَربول وميغابكس، ولكن يمكنك أيضاً شراؤها في الكثير من الأمكنة الأخرى، بما فيها الاستراحات العامة على الطرق المأجورة. لست بحاجة حتى إلى التعامل مع أي موظف، إذ يمكنك الحصول عليها من ماكينة مخصصة. والماكينات خضراء دائماً، بلون النقود. عندما أخبرتني بارب بكل شيء -".

"عندما اعترفَتْ"، قال رجل الدين بما يمكن أن يكون لمسة مكر حقيقية.

"أجل، عندما اعترفَتْ، كانا قد استقرا إلى حد كبير على بطاقات حك العشرين دولاراً. قالت بارب إنها لم تكن تشتري أياً منها عندما تكون وحدها، لكنهما كانا يشتريان الكثير منها عندما يكونان معاً؛ أملاً بربح تلك الجائزة الكبيرة، كما تعلم. قالت مرةً إنهما اشتريا مائة من تلك البطاقات في ليلة واحدة. وهذه تساوي ألفي دولار. ربحا ثمانين ألفاً. وحصل كل منهما على أداة حك بلاستيكية خاصة به. كانت تبدو مثل مكشطة ثلج أقزام كُتبت عليها عبارة: يانصيب ولاية مين. وكانت خضراء

مثل الماكينات التي تبيع البطاقات. لقد أرتني أداتها. كانت تحت السرير في غرفة الضيوف. لم يكن بوسعك تمييز أي شيء عليها سوى صيب. لقد مسح عرق راحتها كل الأحرف المتبقية".

"بني، هل ضربتها؟ ألهذا أنت هنا؟".

"لا. كنت أريد أن أقتلها لما فعلته؛ من أجل المال، وليس الخيانة. لقد بدا جزء الخيانة غير حقيقي، حتى مع كل تلك الألبسة الداخلية... أمام عينيّ. لكنني لم ألمسها حتى بإصبعي. أعتقد أن ذلك يعود إلى أنني كنت أشعر بإرهاق شديد. كل تلك المعلومات أنهكتني تماماً. ما كنت أريده هو أخذ قيلولة، قيلولة طويلة. ربما بطول يومين. هل هذا غريب؟".

قال رجل الدين: "لا".

"سألتُها كيف أمكنها أن تفعل شيئاً كهذا بي. وإن كانت تكترث. سألتني -".

-10-

"سألتني كيف حدث أنني لم أكن أعرف"، قال مونيت لطالب التوصيلة. "وقبل أن أتمكن من قول أي شيء، أجابت نفسها قائلةً: أنت لم تعرف لأنك لم تكن تبالي. كنت مسافراً طوال الوقت تقريباً، وعندما لم تكن مسافراً، كنت تريد أن تسافر. مضت عشر سنوات منذ أن كنت تهتم للثياب الداخلية التي أرتديها. ولماذا تهتم إذا كنت لا تكترث للمرأة التي تلبسها؟ لكنك تهتم الآن، أليس كذلك؟ أنت تهتم الآن.

يا رجل، نظرت إليها وحسب. ومن شدة تعبي لم أستطع قتلها – أو حتى صفعها – لكنني كنت غاضباً جداً. حتى مع الصدمة، كنت غاضباً. كانت تحاول أن تضع الملامة عليّ. لاحظتَ هذا، أليس كذلك؟ كانت تحاول إلقاء الملامة في كل شيء على عملي اللعين، وكأنني قادر على

الحصول على عمل آخر حتى بنصف الأجر الذي أكسبه الآن. أعني، في عمري، ما هو العمل الذي أصلح له؟ أعتقد أنه يمكنني الحصول على عمل حارس يوقف السيارات من أجل عبور أطفال المدارس؛ إذ ليست في ماضيَّ اعتقالات أخلاقية".

سكت مونيت. لاحظ أمامه على الطريق لافتة زرقاء كانت لا تزال بعيدة ومخفية بقميصٍ مرفرفٍ من المطر.

فكَّر قليلاً ثم قال: "ولكن، حتى هذا لم يكن القصد الحقيقي. أتريد أن تعرف القصد، قصدها هي؟ كان يُفترَض بي أن أشعر بالذنب لأنني أحب عملي. ولأنني لا أقوم بعمل وضيع وشاق إلى أن أجد الشخص المناسب لأتعاطى المخدرات معه!".

تحرَّك طالب التوصيلة قليلاً، ربما لأن السيارة داست فوق عثرة ما (أو فوق حيوان ميت)، لكن ذلك جعل مونيت يدرك أنه كان يصرخ وبالمناسبة، قد لا يكون الرجل أصمّ كلياً. وحتى لو كان أصمّ، فإنه قد يشعر باهتزازات في عظام وجهه عندما تتجاوز الأصوات مستوى معيناً من الديسيبل. من يدري؟

أخفض مونيت صوته قليلاً: "لم أناقش الأمر معها. رفضتُ التطرق إليه معها. أعتقد أنني كنت أعرف بأنني إذا فعلت ذلك - بأننا إذا بدأنا بالجدال - فإن أي شيء يمكن أن يحدث. وأنا كنت أريد الخروج من هناك بينما كنت لا أزال واقعاً تحت أثر الصدمة... حمايةً لها. أتفهمني؟".

لم يقل طالب التوصيلة شيئاً، لكن مونيت كان يفهم عن كليهما.

"قلت لها: ماذا سيحدث الآن؟ فقالت: أعتقد أنني سأذهب إلى السجن. وأتعرف شيئاً؟ لو أنها بدأت بالبكاء حينئذ، لربما كنت قد عانقتها. لأن مثل هذه الأشياء تصبح تلقائية بعد الزواج لمدة ست وعشرين سنة. حتى عندما يكون الجزء الأكبر من المشاعر قد زال. لكنها

لم تبكِ، ولهذا خرجْتُ. استطرتُ ببساطة وخرجتُ. وعندما عدت، وجدت ملاحظة تقول إنها انتقلت. حدث هذا منذ أسبوعين تقريباً، ولم أرها منذ ذلك الحين. تحدثت معها هاتفياً بضع مرات، هنا كل شيء. وتحدثت مع محامٍ أيضاً. جمّدت كل الحسابات المصرفية، ولا يعني هذا أن الأمر سيفيدني في شيء عندما تدور العجلات القضائية؛ الأمر الذي لن يطول كثيراً. عندئذ، أعتقد بأنني سأراها مجدداً. في المحكمة. هي وراعي البقر السافل بوب".

في ذلك الحين، أصبح بوسعه رؤية اللافتة الزرقاء: استراحة بيتسفيلد، ميلان.

صاح مونيت: "آه، اللعنة! ووترفيلد أصبحت خلفنا بخمسة عشر ميلاً في ذلك الاتجاه أيها الشريك". عندما لم يتحرك الأصم الأبكم (بالطبع لن يتحرك)، أدرك مونيت أنه لم يكن يعرف إذا كان الرجل متوجهاً إلى ووترفيلد أساساً. ليس على نحو أكيد. على أي حال، كان الوقت قد حان لإنزال ذلك الغريب. والاستراحة مناسبة لهذا الغرض، لكنهما سيبقيان حبيسي حجرة الاعتراف تلك لدقيقة أو دقيقتين أخريين، وهو كان يشعر بأن لديه شيئاً أخيراً يريد قوله.

"صحيح أنني لم أعد أشعر نحوها بشيء قوي منذ فترة طويلة؛ أحياناً يزول الحب من دون سبب. وصحيح أيضاً أنني لم أكن مخلصاً بالكامل؛ كنت أنال بعض الراحة على الطريق بين الحين والآخر. ولكن، هل ذلك يبيح هذا التصرف؟ هل يبرر لامرأة أن تنسف حياة بأكملها كما ينسف طفل تفاحة متعفنة بمفرقعة نارية؟".

وصل مونيت إلى مكان الاستراحة. كانت هناك حوالى أربع سيارات في ساحة المرأب متجمّعة أمام المبنى البني الذي تتصدّره ماكينة بيع. بالنسبة إلى مونيت، كانت السيارات تبدو مثل أطفال يشعرون

بالبرد تُركوا خارجاً تحت المطر. ركن السيارة، فنظر طالب التوصيلة إل
بتساؤل.

قال مونيت رغم علمه أن سؤاله لا طائل منه: "إلى أين أ
ذاهب؟".

فكّر الأبكم والأصم قليلاً، ثم تلفّت حوله وعرف أين كانا. ثم نظ
ثانيةً إلى مونيت وكأنه كان يقول: ليس هنا.

أشار مونيت إلى الجنوب ورفع حاجبيه، فهزّ طالب التوصي
رأسه وأشار نحو الشمال، ثم فتح قبضتيه وأطبقهما؛ مظهراً أصابعه س
مرات... ثم ثماني مرات... ثم عشر مرات. مثل المرة السابقة. لم
مونيت فهم هذه المرة. قال في نفسه إن الحياة ستصبح أسهل بالنسبة إل
هذا الرجل إن علّمه شخص ما رمز الرقم ثمانية المكتوب أفقياً، الذ
يعني اللانهاية.

قال مونيت: "أنت تتجوّل فقط، أليس كذلك؟".

ظل الرجل ينظر إليه وحسب.

"أجل أنت تتجول. حسناً، سأقول لك شيئاً. لقد استمعت إل
قصتي - رغم أنك لم تكن تعرف أنك كنت تستمع إليها - وأنا سأوصلك
إلى ديري". خطرت له فكرة، فقال: "في الحقيقة، سأنزلك عند ملجأ
ديري. يمكنك المبيت هناك والحصول على الدفء؛ لليلة واحدة على
الأقل. أنا مضطر للتبوّل. هل أنت بحاجة للتبوّل؟".

نظر الرجل الأصم والأبكم إليه نظرة فارغة صبورة.

قال مونيت "تبوّل". همّ بالإشارة إلى منطقة أعضائه التناسلية، ثم
انتبه إلى مكان تواجده، فقال في نفسه إنه لو شاهده شخص ما فإنه قد يظن
به سوءاً. فأشار بدلاً من ذلك نحو الرسمين المظلّلين الموجودين على
جانب المبنى؛ رجل أسود وامرأة سوداء. الرجل مباعدٌ ساقيه، والمرأة
متلاصقة الساقين؛ تشبه كثيراً قصة الساق البشري في لغة الإشارة.

هذه فهمها رفيقُه، فهزَّ رأسه نافياً بشكل قاطع، ثم صوَّب إبهامه وسبّابته نحو مونيت زيادةً في التأكيد. وهنا وضع مونيت في مشكلة دقيقة: هل يترك هذا المشرد الصامت في السيارة بينما يقوم هو بعمله؟ أم يخرجه من السيارة لينتظر تحت المطر؟ وفي هذه الحالة، سيعرف الرجل حتماً لماذا أخرج من السيارة؟

لكنه قرر أنه ليست في الأمر مشكلة على الإطلاق، فالسيارة لم يكن فيها نقود، وأمتعته الشخصية مقفلٌ عليها في الصندوق الخلفي. ورغم أن حقيبتي عيّناته كانتا موجودتين على المقعد الخلفي، إلا أنه استبعدَ أن يقوم الرجل بسرقة حقيبتين زنة كل واحدة منهما ثلاثون كيلوغراماً، ويقطع طريق الخروج من الاستراحة حاملاً إياهما، لسبب واحد، وهو: كيف سيرفع لافتة أنا أصم!؟

قال مونيت: "سأعود على الفور". لكنه عندما رأى أن طالب التوصيلة ظل ينظر إليه فقط بعينيه ذواتي الأجفان المحمرّة، أشار إلى نفسه ثم إلى الرسغين المظللين، ثم إلى نفسه مجدداً. هذه المرة، هز الرجل رأسه دلالة على أنه فهم الإشارة، ثم قام بحركة الإبهام والسبّابة مرة أخرى.

ذهب مونيت إلى المرحاض، وتبوّل لمدة أحسَّ بأنها تقارب عشرين دقيقة. كان الارتياح غامراً. شعر بأنه أفضل حالاً مما كان عليه منذ أن ألقت بارب قنبلتها. وخطر له للمرة الأولى بأنه سوف يتجاوز تلك المحنة. وسوف يساعد كيلي على تجاوزها أيضاً. تذكّر اقتباساً عن شخص ألماني (أو ربما روسي. لا شك أن ذلك شبيه بالنظرة الروسية للحياة): كل ما لا يقتلك يقوّيك.

عاد إلى سيارته وهو يصفر. بل لقد صفع ماكينة بطاقات اليانصيب صفعةً رفاقيةً أثناء مروره بها أيضاً. ظنَّ في البداية أنه لم يستطع رؤية طالب التوصيلة لأنّ الرجل كان مستلقياً... وفي هذه الحالة، كان مونيت

سيضطر إلى إنهاضه ثانيةً كي يجلس خلف المقود. لكن طالب التوصيا
لم يكن مستلقياً. لقد رحل. أخذ حقيبته ولافته ورحل.

تحقق مونيت من المقعد الخلفي فوجد حقيبتي جيناته على حالهما
ونظر إلى مقصورة لوحة القيادة فوجد أن بطاقات التعريف التافهة - بطاقة
التسجيل، والتأمين، وبطاقة هيئة السيارات الأميركية - لا تزال موجودة
كل ما بقي من الرجل رائحة عالقة، ليست بشعة تماماً؛ رائحة عرق
وصنوبر خفيف، كما لو أن الرجل كان ينام في العراء.

اعتقدَ أنه سيرى طالب التوصيلة عند أسفل طريق الخروج الصاعد
حاملاً لافته، يقلّبها بصبر من جانب لآخر كي يحصل أحد المار
الصالحين المحتملين على المعلومات الكاملة حول إعاقتيه. إذا رآه
سيتوقف ويقلّه مجدداً، فهو لم يكن يشعر بأن المهمة أُنجزت. أما إيصال
الرجل إلى ملجأ ديري، فسيجعله يشعر بأن المهمة أُنجزت. ذلك كان
سينهي الصفقة ويغلق الكتاب. أياً تكن العيوب الأخرى التي كان يملكها
فإنه كان يحب أن ينهي أعماله.

غير أن الرجل لم يكن موجوداً عند أسفل طريق الخروج. لقد
اختفى كلياً. ولم يتنبه مونيت إلى اختفاء ميدالية سانت كريستوفر التي
كانت معلّقة على مرآة الرؤية الخلفية والتي رافقته في كل تلك الملايين
من الأميال، إلا أثناء مروره بجانب لافتة كُتب عليها ديري 10 أميال
لقد سرقها الأبكم الأصم. ولكن، حتى هذا الأمر لم يقطع عليه تفاؤله
الجديد. لعل الأبكم الأصم كان بحاجة إليها أكثر منه. أملَ مونيت أن
تجلب له حظاً جيداً.

بعد يومين - كان حينئذ يبيع أفضل قائمة خريفية على الإطلاق في
بريسك آيل - أتاه اتصال من شرطة ولاية مين. لقد ضُربت زوجته وبوب
باندلاوسكي حتى الموت في جروف موتيل، واستخدم القاتل قطعة أنبوب
ملفوفة بإحدى مناشف الموتيل.

شهق رجل الدين قائلاً: "يا... الله... الرحيم!".

"أجل. هذا ما قلتُه تماماً".

"ابنتك...؟".

"إنها مفجوعة بالتأكيد. وهي معي في المنزل. سوف نتخطى هذه المحنة. إنها أصلب مما كنت أعتقد. وبالطبع، إنها لا تعرف عن الموضوع الآخر، الاختلاس. وبشيء من الحظ، لن تعرف أبداً. سوف يدفعون مبلغ تأمين كبيراً جداً؛ ما يدعونه تعويضاً مضاعفاً. ونظراً لكل ما حدث من قبل، أعتقد أنني سأواجه مشكلة متوسطة إلى جدية مع الشرطة إن لم أكن أملك حجة غياب محكمة. وإذا لم تحدث... تطورات أخرى. لقد استُجوبت عدة مرات.

"بني، أنت لم تدفع نقوداً لشخص ما كي -".

"سُئلت هذا السؤال أيضاً. والجواب هو لا. لقد تركت حساباتي المصرفية مفتوحة لأي شخص يريد النظر إليها. كل بنس مفسَّر، في حصتي وحصة بارب من الشراكة الزوجية. كانت مسؤولة جداً من الناحية المادية؛ على الأقل في الجزء العاقل من حياتها. أرجوك، هلاّ تفتح النافذة من جانبك، أريد أن أريك شيئاً".

بدلاً من الإجابة، فتح رجل الدين النافذة. خلع مونيت قلادة سانت كريستوفر من رقبته ثم مدَّ يده من خلال الفتحة. تلامست أصابعهما لفترة وجيزة بينما كانت القلادة وسلسلتها الفولاذية الصغيرة تنتقل من يد إلى أخرى.

ساد الصمت لخمس ثوانٍ بينما كان رجل الدين يتفحصها. ثم قال: "هل أُعيدتْ إليك؟ هل كانت موجودة في الموتيل حيث -".

"لا، ليس في الموتيل، بل في منزلي في باكستون. على خزانة

المرآة في ما كانت في السابق غرفة نومنا. في الحقيقة، بجانب صو...
زفافنا".

قال رجل الدين: "يا الله الحبيب".

"كان بوسعه الحصول على العنوان من أوراق تسجيل سيارتي عند...
كنت في المرحاض".

"وبالطبع، أنت ذكرت اسم الموتيل... والبلدة...".

قال مونيت موافقاً: "داوري".

قال رجل الدين: "لم يكن الرجل أصمّ وأبكم على الإطلاق، ال...
كذلك؟".

"أكاد أكون واثقاً بأنه كان أبكم، لكنه بالتأكيد لم يكن أصمّ. كا...
هناك ملاحظة بجانب القلادة على قصاصة ورق مزّقها من دفتر أ...
الهواتف. ولا بد أن هذا حدث عندما كنت وابنتي في دار الجنائز، لنشتر...
كفناً. كان الباب الخلفي مفتوحاً، لكنه لم يُفتَح عنوةً. لعله كان ذكياً ...
يكفي ليفتح القفل، لكنني أعتقد أنني سهوت وتركته مفتوحاً عند...
خرجنا".

"ماذا تقول الملاحظة؟".

"شكراً على التوصيلة".

"يا للهول!".

ساد صمت متفكّر لفترة وجيزة، ثم نقرٌ ناعمٌ خارج نافذة المقص...
حيث كان مونيت جالساً يتأمل اللافتة المعلقة قبالته. أخذ مونيت قلادته

"هل أخبرت الشرطة؟".

"أجل، بالطبع. أخبرتهم القصة بأكملها. يعتقدون أنهم يعرفون ...
يكون ذلك الشخص. كانت اللافتة مألوفة لديهم. اسمه ستانلي دو...
لقد أمضى سنوات وهو يتنقّل في أرجاء نيو إنغلاند مع لافتته تلك. ...
نوعاً ما، عندما أفكّر في الأمر الآن".

"هل توجد جرائم عنف سابقة في سجله؟".

"قليلة. شجارات، غالباً. ذات مرة ضرب رجلاً بشدة بواسطة مضرب، ودخل مصحات عقلية وخرج منها؛ بما فيها سيرينيتي هيل في اوغوستا. لا أعتقد أن رجال الشرطة أخبروني بكل شيء".

"هل تريد أن تعرف كل شيء؟".

فكّر مونيت قليلاً ثم أجاب: "لا".

"لم يقبضوا على هذا الشخص".

"يقولون إنها مسألة وقت فقط. يقولون إنه ليس ذكياً، لكنه كان ذكياً بما يكفي ليخدعني".

"هل خدعك حقاً يا بني؟ أم عرفت أنك كنت تتحدث إلى أذن صاغية؟ يبدو لي أن هذا هو السؤال الجوهري".

صمت مونيت طويلاً. لم يكن واثقاً من أنه فكّر في ذلك من قبل، لكنه كان يفكر حينئذ، ويستخدم مصباح كشاف. لم يعجبه كل ما توصّل إليه، لكنه كان يبحث عن الحقيقة، حقاً.

وأخيراً، قال: "لا".

"وهل أنت سعيد لأن زوجتك وعشيقها ماتا؟".

في قلبه، أجاب مونيت على الفور، أجل. لكنه قال بصوت عالٍ: "أشعر بالارتياح. آسف لأنني أقول هنا، لكن بالنظر إلى الفوضى التي أحدَثْتها، وكيف سينتهي الأمر، بدون محاكمة وتعويض هادئ من أموال التأمين، فأنا أشعر بالارتياح. هل هذه خطيئة؟".

"أجل يا بني. آسف لأنني أنقل إليك هذا الخبر. لكنها كذلك".

"هل يمكنك أن تمنحني غفراناً؟".

قال رجل الدين بسرعة: "بالتأكيد".

"لديك موعد على الغداء. أفهم".

"في الحقيقة، لقد فقدت شهيتي للغداء، رغم أنه يجب علي بالتأكيد

أن أرحّب بضيوفي. في الحقيقة، أعتقد أنني متأثر جداً... جداً حيث إنه ا
يمكنني التطرق إلى ما أسميّه راحتك على الطريق الآن".

"أفهم".

"جيد. والآن يا بني -".

"ماذا؟".

"ليس بقصد تكرار النقطة نفسها، ولكن هل أنت واثق من أنك ا
تعطِ هذا الرجل إذناً أو تشجّعه بأية طريقة؟".

"لا، أنا متأكد. ولكن، هل تعتقد... أنه من المحتمل أن يكون الفا
قد وضع ذلك الرجل في سيارتي؟".

في قلبه، قال رجل الدين على الفور أجل، لكنه لم يجب واكتفى
بالصمت.

"لقد أنهينا".

"إذاً، اذهب واهتم بابنك يا بني. الأولاد لا يملكون غير أمّ واحدة
مهما كان سلوكها".

"حاضر".

خلف الحاجز، تحرّك الظل قليلاً. "هل يمكنني أن أطرح عليك
سؤالاً أخيراً؟".

ظل مونيت جالساً بتململ، لأنه كان يود الرحيل، ثم قال: "أجل".

"قلت إن الشرطة يعتقدون أنهم سيقبضون على هذا الرجل".

"يقولون إنها مسألة وقت فقط".

"سؤالي هو: هل تريد أن يقبض رجال الشرطة على هذا الرجل؟"
لأنه كان يريد المغادرة حقاً ويريد أن يصعد إلى سيارته ويغادر. قال
مونيت: "بالتأكيد أريد ذلك".

في طريق عودته إلى المنزل فكّر مونيت مليًّا في ما حصل معه.

أيانا

لم أكن أعتقد أنني سأروي هذه القصة يوماً. طلبت مني زوجتي الا افعل، قائلةً إنّ أحداً لن يصدقني وإنني لن أفعل شيئاً سوى إحراج نفسي. ما كانت تعنيه بالطبع هو إحراجها هي. فقلت لها: "ماذا عن رالف وترودي؟ لقد كانا هناك. وشاهداها أيضاً".

قالت روث: "ستقول له ترودي أن يُبقي فمه مطبقاً، وشقيقك لن يحتاج إلى الكثير من الإقناع".

ربما كان هذا صحيحاً. كان رالف في ذلك الحين مديراً للوحدة الإدارية المدرسية 43 في نيو هامبشر، وآخر شيء يريده بيروقراطي من قسم التعليم في ولاية صغيرة أن يظهر على أخبار قنوات الكابل في الجزء المخصص للأجسام الطائرة المجهولة فوق فينكس، وذئاب القيوط التي تستطيع العدّ إلى العشرة. وإضافة إلى ذلك، لا تكون قصة أعجوبة ما جيدة بدون صانع الأعجوبة. وأيانا رحل.

لكن زوجتي ماتت الآن، فقد أصيبت بنوبة قلبية خلال طيرانها إلى كولورادو للمساعدة في رعاية حفيدنا الأول، وتوفيت على الفور تقريباً (أو هذا ما قاله مسؤولو شركة الطيران؛ رغم أنك لا تستطيع الوثوق بهم حتى بشأن أمتعتك في هذه الأيام). وتوفي شقيقي رالف أيضاً - بسبب تعرضه لجلطة دماغية بينما كان يلعب في بطولة جولف لكبار السن - وترودي هرمة ومختلة العقل، وأبي توفي منذ زمن طويل. لو كان لا يزال حياً، لكان عمره قد تجاوز مائة عام. ولهذا سأروي القصة. إنها لا

تُصدّق بالفعل، كانت روث محقة في هذا الخصوص، وهي لا تعني ... على أي حال؛ الأعاجيب لا تعني شيئاً على الدوام، إلا لأولئك المحا... المحظوظين الذين يرونها في كل مكان. لكنها مشوّقة وحقيقية... شاهدناها.

كان أبي يحتضر بسبب سرطان البنكرياس. أعتقد أنك تستطيع معرفة الكثير حول الناس من خلال الاستماع إلى كيفية تحدثهم عن ذلك النوع من الأوضاع (ولعل وصفي للسرطان بقولي "ذلك النوع من الأوضاع" يخبرك بشيء ما حول محدّثك الذي أمضى حياته في تعليم اللغة الإنكليزية لصبيان وفتيات كانت معظم مشاكلهم الصحية تتمثل في حَبِّ الشباب والإصابات الرياضية).

قال رالف: "لقد أوشك على إنهاء رحلته".

وقالت زوجته ترودي: "إنه متفشٍّ فيه". في البداية، ظننت أنها قا... لقد نضج فيه، الأمر الذي بدا لي شعرياً على نحو مزعج. كنت أعرف أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً، ليس منها بالذات، لكنني أردته أن يكون صحيحاً.

قالت روث: "إنه في غيبوبة".

وأنا لم أقل: ليته يبقى في غيبوبة، لكنني فكّرت في هذا لأنه كان يعاني. حدث هذا منذ خمس وعشرين سنة - عام 1982- وكانت المعاناة لا تزال جزءاً مقبولاً من المرحلة النهائية من السرطان. أذكر أنني قرأت بعد ذلك بعشر سنوات أو اثنتي عشرة سنة أن معظم مرضى السرطان يموتون بصمت؛ فقط لأنهم أكثر وهناً من أن يصرخوا. أعاد لي ما قرأته ذكريات عن مرض والدي بقوة، لدرجة أنني ذهبت إلى الحمام وركعت أمام المرحاض معتقداً أنني سأتقيأ.

لكن والدي في الحقيقة مات بعد ذلك بأربع سنوات، عام 1986

ذاك آنذاك في دار لرعاية المسنّين، ولم يكن سرطان البنكرياس ما قتله في نهاية المطاف، بل اختنق حتى الموت بواسطة قطعة لحم.

تقاعَدَ دون "دوك" جينتري وزوجته بيرناديت (أمي وأبي) في منزل في إحدى ضواحي فورد سيتي؛ ليس بعيداً جداً عن بيتسبورغ. بعد موت زوجته، فكّر دوك في الانتقال إلى فلوريدا، ثم وجد أنه لا يستطيع تأمين تكاليف هذا الانتقال، فبقي في بنسلفانيا. عندما شُخِّصت إصابته بالسرطان، أمضى وقتاً قصيراً في المستشفى، حيث شرح مراراً وتكراراً أن لقبه "دوك" (وهو اختصار لكلمة دكتور) جاء من السنوات التي كان يعمل فيها كطبيب بيطري. وبعد أن شرح ذلك لكل من كان مهتماً، أرسلوه إلى المنزل ليموت، وهكذا جاءت العائلة التي بقيت لديه - رالف، ترودي، روث، وأنا - إلى فورد سيتي لتبقى معه في ما بقي له من أيام.

أذكر غرفة نومه الخلفية جيداً. على الجدار، كانت هناك صورة. وعلى الأرض بساطٌ صنعته أمي، وكان يتكوَّن من درجات مختلفة من اللون الأخضر على نحو يثير الغثيان؛ لم يكن من بين أفضل البسط التي صنعتها. وبجانب السرير كان يوجد عمود الحقن الوريدية الذي ألصق عليه شعار فريق بيتسبورغ بايرتس للبيسبول. كل يوم، كنت أقترب من تلك الغرفة بخوف متزايد، وفي كل يوم كانت الساعات التي أمضيها هناك تطول. أذكر دوك جالساً على الكرسي الهزاز في الشرفة عندما كنا صغاراً في ديربي، كونيكتيكت، حاملاً علبة شراب بإحدى يديه وسيجارة باليد الأخرى، وكُمّا قميصه شديد البياض مطويّان مرتين لإظهار التكويرة الناعمة لعضلات ذراعيه ووشم الوردة على ذراعه اليسرى فوق المرفق بقليل. كان من جيل لا يجد حرجاً في التجول مرتدياً سروال جينز أزرق غامقاً، وكان يسمّي الجينز "السروال الخشن". كان يمشط شعره مثل

إلفيس، وكان يملك مظهراً خطراً على نحو طفيف؛ مثل بحّار بقيت له كأسان من الشراب قبل النزول إلى البرّ في فترة استراحة ستنتهي بشكل سيئ. كان رجلاً طويل القامة ويمشي مثل قطة. وأذكر حفلة رقص صيف، في الشارع أنهاها أبي وأمي برقصة جاز سريعة على أنغام آيك تيرنر وفرقته كينغس أو ريدم. كان رالف في السادسة عشرة حينئذ، كما أظن، وأنا في الحادية عشرة. راقبنا والدينا مذهولين، وللمرة الأولى فهمت أنهما فعلاها في الليل، فعلاها عاريين تماماً، ولم يعيرا أي انتباه إلينا.

في الثمانين، وبعد عودته من المستشفى خائر القوى، كان أبي الجذاب ذو المظهر الخطر بطريقة ما – قد أصبح مجرد هيكل عظمي أعم في بيجاما (كانت بيجامته تحمل شعار بايرتس). كانت عيناه تكمنان تحت حاجبين بزَّيْن كثَّيْن، وكان يتعرَّق بشكل دائم بالرغم من وجود مروحتين، وكانت رائحة جلده الرطب تذكّرني بورق جدران قديم في منزل مهجور، أما رائحة فمه فكانت كريهة بفعل التحلُّل.

كنت ورالف بعيدين جداً عن الثراء، ولكن عندما وضعنا القليل من أموالنا مع ما بقي من مدخرات دوك الخاصة، أصبح لدينا ما يكفي لاستئجار ممرضة بدوام جزئي ومدبرة منزل كانتا تأتيان خمسة أيام في الأسبوع. لقد قامتا بعمل جيد في إبقائهما العجوز نظيفاً وتغيرهما ثيابه ولكن، بحلول الوقت الذي قالت فيه ترودي "لقد نضج فيه" (ما زلت أفضِّل الاعتقاد أن هذا ما قالته)، كان الصراع بين الروائح قد حُسم. لقد كانت رائحة القذارة تلك متقدمة بجولات على ذاك الوافد الجديد بودرة جونسون للأطفال، إذ قلت في نفسي: سرعان ما سيوقف الحكم النزال بما أن دوك فقد في ذلك الحين القدرة على الذهاب إلى المرحاض (الذي كان يدعوه دائماً "العلبة")، فقد كان يضع حفاضات ويرتدي سروالاً مناسباً. كان لا يزال واعياً بما يكفي لكي يعرف، ويشعر بالخجل. أحياناً، كانت الدموع تنهمر من زاويتي عينيه، وتخرج أصوات مازحة متذمرة

نصف واضحة من حنجرته التي كانت ذات يوم تطلق عبارة "مرحباً أيها الوسيم" إلى العالم.

استوطن الألم في البداية في الجزء الأوسط من جسده، ثم راح ينتشر في كل مكان، إلى أن بات يشتكي حتى من أجفانه ورؤوس أصابعه. ولم تعد المسكّنات تنفع. كان بوسع الممرضة إعطاؤه المزيد، لكن ذلك كان يمكن أن يقتله فرفضت. وأنا كنت أريد إعطاءه المزيد حتى لو أدى ذلك إلى قتله. وربما كنت سأفعل ذلك، لو ساعدتني روث. لكن زوجتي لم تكن من النوع الذي يقدم ذلك النوع من الدعم.

قالت روث: "سوف تعلم" - تقصد الممرضة - "وعندئذ ستكون في مشكلة".

"إنه أبي!".

"هذا لن يوقفها". كانت روث دائماً من الأشخاص الذين يرون نصف الكأس الفارغ. لم تُربَّ كذلك، لكنها وُلدت كذلك. "سوف تبلّغ عن ذلك، وقد تذهب إلى السجن".

وهكذا لم أقتله. لم يقتله أيٌّ منا. ما فعلناه هو أننا كنا نراقب الزمن. لقد قرأنا له، غير عارفين كم كان يفهم. وغيّرنا ثيابه وحفّاضاته، والتزمنا ببرنامج أدويته المعلّق على الجدار والمحدَّث دائماً. كانت أوقات النهار حارّة بشكل فظيع، ولهذا كنا نغيّر مواقع المروحتين بشكل دوري، آملين أن يحدث تيار متعاكس. كنا نشاهد مباريات البايرتس على تلفزيون ملوّن صغير كان يجعل العشب يبدو أرجوانياً. وكنا نتحادث فوق وجهه الذي يزداد حدّة، ونراقبه وهو يعاني، وننتظر موته. وذات يوم، بينما كان نائماً يشخر، رفعت عينيّ عن كتاب أفضل الشعراء الأميركيين في القرن العشرين، فرأيت امرأة سوداء طويلة وضخمة الجسم، وفتاة سوداء تضع نظارة سوداء، تقفان عند باب غرفة النوم.

ما زلت أذكر تلك الفتاة كما لو أنني رأيتها هذا الصباح. أعتقد أنها

كانت في السابعة من عمرها، رغم أنها كانت صغيرة الحجم بالنسبة إلى عمرها. كانت ضئيلة الحجم جداً في الواقع. كانت ترتدي ثوباً ... يصل إلى ركبتيها البارزتين. وكانت هناك لصاقة طبية مطبوعة عليها ... شخصيات كرتونية من أفلام وورنر بروذرز على إحدى عظمتي ساقيها البارزتين أيضاً. أذكر يوسيميتي سام بشاربه الأحمر الطويل حاملاً مسدساً في كل يد. كانت النظارة السوداء تبدو مثل جائزة ترضية حصلت عليها من حديقة منزل شخص ما يبيع فيها بعض ممتلكاته الشخصية. كانت كبيرة جداً، لدرجة أنها انزلقت حتى وصلت إلى نهاية أنف الفتاة الصغيرة كاشفةً عن عينين ثابتتين ونصف مغمضتين ومغطاتين بغشاء أبيض ... للزرقة. وكان شعرها مصفَّفاً على شكل صفوف ذرة، وتعلّق على ذراعها حقيبة أطفال بلاستيكية وردية ذات شق من الجانب، وتنتعل حذاء مطاطياً وسخاً. ولم تكن بشرتها سوداء على الإطلاق، بل رمادية صابونية. ورغم أنها كانت واقفة على قدميها، إلا أنها كانت تبدو مريضة تقريباً مثل أبي.

أما المرأة فلا أذكرها بذلك الوضوح، لأن الفتاة أسرت انتباهي إلى حد بعيد. ربما كانت المرأة في الأربعين أو الستين من عمرها. كان شعرها أجعدَ قصيراً، وتملك مظهراً هادئاً. وفي ما عدا ذلك، لا أذكر شيئاً، حتى لون ثوبها، إن كانت ترتدي ثوباً. أعتقد أنها كانت ترتدي ثوباً، أو ربما سروالاً فضفاضاً.

قلت لهما: "من أنتما؟". بدوت غبياً، وكأنني صحوت لتوي من غفوة وليس من القراءة؛ رغم وجود تشابه.

ظهرت ترودي من خلفهما وقالت الشيء ذاته، لكنها كانت تبدو صاحية تماماً. ومن ورائها، قالت روث في استغراب: "لقد انفتح الباب. إنه لا يبقى مغلقاً أبداً. لا بد أنهما دخلتا إلى هنا من تلقاء نفسيهما".

نظر رالف الذي كان واقفاً بجانب ترودي، من فوق كتفه وقال: "إنه مغلق الآن. لا بد أنهما أغلقتاه خلفهما". كما لو أن ذلك كان شيئاً يص...

في صالحهما.

قالت ترودي للمرأة: "لا يمكنك الدخول إلى هنا. نحن مشغولون. يوجد مريض هنا. لا أعرف ما تريدينه، ولكن يجب عليك أن ترحلي".

وأضاف رالف: "لا يحق لك الدخول ببساطة إلى أي مكان، كما تعلمين". كان الثلاثة متجمّعين معاً في مدخل غرفة النوم.

ربّتت روث على كتف المرأة - وليس بلطف - ثم قالت: "ما لم تريدي أن نتصل بالشرطة، ارحلي. هل تريدين أن نفعل ذلك؟".

لم تعلّق المرأة، بل دفعت الفتاة الصغيرة إلى الأمام وقالت: "أمامك بشكل مستقيم. أربع خطوات. يوجد شيء يشبه العمود. انتبهي كي لا تتعثري. دعيني أسمعك تعدّين".

عدّت الفتاة الصغيرة كما يلي: "واحد... اثنان... ثلاثة... أربعة"(*). مشت فوق ساق العمود عندما عدّت الرقم ثلاثة (*free*) دون أن تنظر إلى الأسفل؛ بالتأكيد لم تكن تنظر إلى أي شيء من خلال نظارتها الكبيرة المشوشة. ولا بتينك العينين البيضاوين كالحليب. مرّت قريباً مني لدرجة أن قماش ثوبها انزلق على ساعدي مثل فكرة. كانت تفوح منها رائحة قذارة وعرق و - مثل دوك - مرض. وكانت هناك بقع داكنة على كلتا ذراعيها، ليست جروحاً آخذة بالاندمال بل قروحاً.

قال شقيقي لي: "أوقفها!". لكنني لم أفعل. كل هذا حدث بسرعة شديدة. انحنت الفتاة فوق خدّ أبي المجوّف غير الحليق وقبّلته قبلة [illegible] وذات صوت.

تأرجحت حقيبتها البلاستيكية الصغيرة، واصطدمت برقة بجانب رأس أبي عندما كانت تقبّله ففتح عينيه. لاحقاً، قالت ترودي وروث إن اصطدام الحقيبة برأسه هو ما أيقظه. في حين كان رالف أقل ثقة في ذلك،

(*) لفظت الفتاة الرقم ثلاثة free بدلاً من three. (المترجم)

أما أنا فلم أصدّق ذلك قطّ. لم تصدر الحقيبة أي صوت عندما ضر... رأسه. كانت الحقيبة الصغيرة فارغة، إلا من منديل ورقي ربما.

قال أبي بصوت أجش، صوت رجل يوشك على الموت: "من أ... يا صغيرة؟".

أجابته الفتاة: "أيانا".

"أنا دوك". نظر إليها من كهفيه المظلمين، حيث كان يعيش حينا... ولكن بإدراك أكبر مما كنت قد رأيته خلال الأسبوعين اللذين أمضيناهما في فورد سيتي. لقد وصل إلى مرحلة لم يكن باستطاعة أي شيء حتى ضربة تنهي المباراة في الشوط التاسع من مباراة بيسبول - أن يث... اهتمامه.

اندفعت ترودي متجاوزةً المرأة، ثم كادت تتجاوزني لتمسك بالفتاة التي جعلت أبي يهتم فجأةً، فأمسكتُ بمعصمها وأوقفتها قائلاً: "انتظري".

"ماذا تعني بقولك: انتظري؟ لقد انتهكتا حرمة بيتنا!".

قالت الفتاة الصغيرة: "أنا مريضة، ويجب أن أذهب". ثم قبّلته ثانية وعادت أدراجها. هذه المرة، تعثّرت بساق حامل الحقن الوريدية، وكادت أن تقلبه وتسقط معه. أمسكت ترودي بالحامل، فيما أمسكت بالفتاة. كانت نحيلة جداً، مجرد لحم يغطي هيكلاً معقداً من العظام. سقطت نظارتها على حضني، ولوهلة نظرت تانك العينان اليضاوان إلى عينيّ.

"أنت بخير". قالت أيانا، ثم لمست فمي براحتها الصغيرة. لقد أحرقتني مثل جمرة، لكنني لم أبتعد عنها. "أنت بخير".

هنا قالت المرأة: "أيانا، تعالي. ينبغي علينا أن نترك هؤلاء الناس ... سيري خطوتين. دعيني أسمعك تعدّين".

"واحد... اثنان"، قالت أيانا وهي تضع نظارتها ثم ترفعها إلى أعلى أنفها، حيث لن تبقى طويلاً. ثم أمسكت المرأة بيدها.

"أتمنى لكم الآن يوماً سعيداً". ثم نظرت إلي وقالت: "أنا آسفة مر...

أجلك، لكن أحلام هذه الطفلة انتهت".

مشتا عبر غرفة المعيشة، والمرأة لا تزال ممسكة بيد الفتاة، ومشى رالف خلفهما مثل كلب ماشية؛ أظن كي يتأكد من أنهما لن تسرقا شيئاً. في حين كانت روث وترودي منحنيتين فوق دوك الذي كان لا يزال فاتحاً عينيه.

قال: "من كانت تلك الفتاة؟".

فأجابته ترودي: "لا أعرف يا بابا. لا تدع الأمر يقلقك".

"أريدها أن تعود. أريد قبلة أخرى".

التفتت روث نحوي بشفتين مزمومتين - في تعبير غير جميل أتقنته على مدار السنين - ثم قالت: "لقد نزعت نصف الإبرة الوريدية... إنه ينزف... وأنت بقيت جالساً في مكانك".

"سأعيدها". قلت ذلك، ولكن كما لو أن شخصاً آخر كان يتحدث. أما في داخلي، فقد كنت مذهولاً. كان بوسعي الشعور بضغطة راحة يدها الدافئة على فمي.

"أوه، لا تزعج نفسك! لقد فعلتُ ذلك مسبقاً".

عاد رالف حينئذ، وقال: "لقد ذهبتا. إنهما تمشيان الآن في الشارع باتجاه موقف الباص". التفتُّ إلى زوجتي قائلاً: "هل تريدينني حقاً أن أتصل بالشرطة يا روث؟".

"لا. لن نفعل شيئاً حينها سوى ملء الاستمارات طوال اليوم والإجابة على الأسئلة... وقد نضطر إلى الإدلاء بشهادتنا في المحكمة".

قال رالف: "علام سنشهد؟".

"لا أعرف. وما أدراني أنا؟ هل سيجلب أحد منكم الشريط اللاصق كي أبقي هذه الإبرة ثابتة؟ إنه على طاولة المطبخ حسب ظني".

قال والدي: "أريد قبلة أخرى".

قلت لها: "أنا سأذهب". لكنني ذهبت أولاً إلى الباب الأمامي -

الذي أغلقه رالف وأقفله – ونظرت إلى الخارج. كانت المظلة البلاستيكية الخضراء الخاصة بموقف الباص تبعد مسافة قصيرة عن المنزل، ولكن لم يكن هناك أحد يقف تحتها أو بجانب السارية. وكان الرصيف خالياً. لقد اختفت أيانا والمرأة؛ سواء أكانت أمها أم من ترعى شؤونها. وكل ما بقي هو لمسة الطفلة على فمي التي كانت لا تزال دافئة رغم أنها بدأت تخبو

هنا يأتي الجزء المتعلق بالأعجوبة. وأنا لن أبخسها حقها - إذا كنت سأروي هذه القصة، فسأحاول أن أرويها بشكل صحيح – لكنني لن أسهب فيها أيضاً. صحيح أن قصص الأعاجيب تبعث الرضى في النفس دائماً، لكنها نادراً ما تكون مشوِّقة؛ لأنها متشابهة كلها.

كنا نقيم في أحد الموتيلات الواقعة على الشارع الرئيس في فورد سيتي، وكان يُدعى فندق رامادا، وكان رالف يغيظ زوجتي بتسميته فندق راميت، فقالت له: "إذا استمررت في فعل ذلك، فقد تنسى في نهاية المطاف وتقوله أمام شخص غريب، وعندها سيحمَرُّ وجهك خجلاً".

كانت جدران الفندق رقيقة جداً، حيث كان بوسعنا سماع رالف وترودي يتجادلان في الغرفة المجاورة حول المدة التي يستطيعان تأمين نفقات مكوثهما فيها. قال رالف: "إنه أبي". فأجابت ترودي: "حاول أن تقول ذلك لشركة النور والطاقة في كونيكتيكيت عندما يستحق دفع الفاتورة، أو مفوِّض الولاية عندما تنتهي أيامك المَرَضية".

كان ذلك في مساء أحد أيام آب الحارة، وكانت الساعة قد تجاوزت السابعة بقليل. وكان رالف سيغادر بعد فترة قصيرة للاعتناء بأبي؛ لأن دوام الممرضة ينتهي في الثامنة مساء. وجدتُ مباراةً لفريق البايرتس على التلفزيون فرفعت الصوت لعلّي أنسى الإحباط، وكيلا أسمع الجدل المتوقع الذي سيحدث في الغرفة الملاصقة. كانت روث تطوي قطعاً من الثياب، وتقول لي إنها ستطلقني في المرة التالية التي أشتري فيها ألبسة داخلية من

محل رخيص يبيع بحسومات، أو ستستبدلني بشخص غريب. في تلك اللحظة، رنَّ الهاتف. وكانت الممرضة كلوي (هكذا كانت تسمّي نفسها).

لم تهدر أي وقت في المجاملات، بل قالت على الفور: "أعتقد أنه يجب عليكم أن تأتوا حالاً. ليس رالف فقط للنوبة الليلية، بل كلكم".

قلت لها: "هل هو يحتضر؟". توقفت روث عن طيّ الثياب، واقتربت مني، ووضعت يدها على كتفي. كنا نتوقَّع هذا - بل نتمناه في الحقيقة - لكنه جاء، فإذا به يكون مؤلماً بطريقة غير منطقية. لقد علّمني دوك كيف أستخدم لعبة بولو باونسر (*Bolo-Bouncer*) عندما كنت فتى، ليس أكبر من تلك الفتاة الصغيرة العمياء الغريبة. كما أمسك بي مرةً وأنا أدخّن تحت عريشة العنب فقال لي - ليس بغضب بل بلطف - إنها عادة غبية، وإنني سأفعل حسناً إن لم أسمح لها بالتحكُّم بي. إن فكرة أنه قد لا يكون حياً عندما تأتي صحيفة الغد، أمر سخيف.

قالت الممرضة كلوي: "لا أظن ذلك. إنه يبدو أفضل حالاً". سكتت قليلاً، ثم تابعت: "لم أرَ شيئاً كهذا في حياتي".

عندما وصلنا إلى المنزل بعد خمس عشرة دقيقة، وجدنا أبي جالساً على أريكة غرفة المعيشة يشاهد البايرتس على تلفزيون المنزل الأكبر - ليس أعجوبة تكنولوجية، لكنه الأقل ثابت الألوان - ويشرب مخفوقاً بروتينياً بواسطة قشة. كان لونه قد تحسَّن، وبدا خدّاه أكثر امتلاءً؛ ربما لأنه كان قد حلق ذقنه للتو. لقد استعاد نفسه. هذا ما فكّرت فيه حينئذ. وازداد ذلك الانطباع قوة بمرور الأيام. وهناك شيء آخر أجمعنا عليه كلنا، وهو أن الرائحة التي علقت به منذ أن أرسله الأطباء ليموت في المنزل كانت قد اختفت.

حيّانا جميعاً بأسمائنا، وأخبرنا أن ويلي ستارجيل سجّل نقطة منذ قليل لصالح بوكوس. نظرنا أنا ورالف إلى بعضنا، كما لو أننا نتأكد

من وجودنا هناك حقاً. جلست ترودي على الأريكة بجانب دوك، أو بالأحرى، سقطت على الأريكة بجانبه. في حين ذهبت روث إلى المطبخ وجلبت لنفسها علبة شراب.

قال أبي: "لن أمانع في الحصول على واحدة من هذه يا روثي دو". ثم أضاف (لعلّه أساء فهم الذهول الذي بدا على وجهي وفسّره على أنه استهجان): "أشعر بتحسن. بطني بالكاد يؤلمني".

قالت الممرضة كلوي: "لا شراب لك، كما أظن". كانت جالسة على كرسي وسط الغرفة على غير عادتها، فهي دوماً كانت تبدأ طقس جمع أغراضها قبل عشرين دقيقة من انتهاء نوبتها. بدا أن سلطتها الأمومية المزعجة قد ضعفت.

سألتها: "متى بدأ هذا؟". مع أنني لم أكن واثقاً مما عنيته بكلمة هذا، لأن التغييرات التي طرأت على والدي بدت شاملة إلى حد كبير. ولكن، إذا كان هناك شيء ما في ذهني، فأعتقد أنه كان زوال الرائحة.

قالت ترودي: "لقد تحسّن كثيراً منذ أن غادرنا عصر هذا اليوم. لا يمكنني أن أصدق ذلك".

قالت روث: "بولشيفسكي!". هذا أقرب تعبير إلى السباب سمحت لنفسها به.

قالت ترودي: "إنها تلك الفتاة الصغيرة".

صاحت روث: "بولشيفكي!".

قال أبي: "أية فتاة صغيرة؟". على التلفزيون - بين أشواط المباراة كان هناك شخص أصلع ذو أسنان كبيرة يخبرنا أن السجادات في معرض جوكر رخيصة جداً حيث تكاد تكون مجانية. وما يدهش أكثر هو أنهم لا يفرضون تكلفة إضافية على التقسيط، رغم أن السجادة المشتراة تبقى لديهم حتى دفع كامل ثمنها. قبل أن يتمكّن أي منا من الرد على روث، سأل دوك الممرضة كلوي إن كان باستطاعته الحصول على نصف علبة

من الشراب فرفضت. غير أن أيام سلطة الممرضة كلوي في ذلك المنزل كانت على وشك الانتهاء، وخلال السنوات الأربع التالية - قبل أن تعلق قطعةُ لحم نصف ممضوغة في حنجرته وتنهي حياته - شرب أبي عدداً كبيراً جداً من علب الشراب. واستمتع في كل يوم، كما آمل.

في تلك الليلة، بينما كنا مستلقيَيْن أرقَيْن على سرير فندق راميت القاسي نستمع إلى خشخشة مكيّف الهواء، طلبت مني روث ألا أتحدث عن الفتاة العمياء التي لم تسمِّها أبانا، وإنما "الطفلة السوداء"، وبنبرة ساخرة بعيدةٍ كل البعد عن طبيعتها.

وقالت أيضاً: "إضافة إلى ذلك، هذا لن يستمر. أحياناً يتوهَّج المصباح بشدة قبل أن ينطفئ إلى الأبد. أنا واثقة بأن هذا يحدث للبشر أيضاً".

ربما، لكن أعجوبة دوك استمرت. فبحلول نهاية الأسبوع، أصبح يمشي في حديقته الخلفية بمساعدتي أنا أو رالف. وبعد ذلك عدنا جميعاً إلى منزلينا. وفي الليلة الأولى التي وصلنا فيها إلى منزلنا، تلقيت اتصالاً من الممرضة كلوي.

قالت روث بطريقة شبه هيستيرية: "لن نعود مهما كانت درجة مرضه. قل لها ذلك".

لكن الممرضة كلوي أرادت فقط أن تقول إنها رأت بالصدفة دوك خارجاً من عيادة فورد سيتي البيطرية، حيث ذهب ليسأل الطبيب المسؤول الشاب حول حصان مصاب بمرض البط الغربي. قالت إنه كان يحمل عكازه، لكنه لم يكن يستخدمه. وأضافت أنها لم ترَ رجلاً "بمثل سنِّه" بمظهر أفضل من مظهره. "إنه مشرق العينين وأحمر الوجه. ما زلت غير مصدِّقة". وبعد شهر، أصبح دوك يمشي في الحي (بدون عكاز). وفي ذلك الشتاء، بات يسبح بشكل يومي في المركز الترفيهي المحلي. كان

يبدو - بنظر الجميع - في الخامسة والستين من عمره.

تحدثت مع فريق والدي الطبي بأكمله بعد شفائه. وقد فعلت ذلك لأن ما حدث له ذكّرني بما يُدعى مسرحيات الأعاجيب التي كانت رائجة في مدن في أوروبا في العصر الوسيط. قلت لنفسي إنني إن غيّرت اسم أبي (أو ربما إذا أسميته فقط السيد ج)، فإنها قد تكون مقالة مشوّقة بالنسبة إلى بعض المجلات أو غيرها. قد يكون ذلك صحيحاً - نوعاً ما - بيد أنني لم أكتب المقالة.

كان ستان سلون - طبيب دوك - أول من رفع العلم الأحمر. لقد أرسل دوك إلى جامعة معهد بيتسبورغ للسرطان، ولهذا كان بوسعه تحميل مسؤولية التشخيص الخاطئ اللاحق على الطبيبين ريتيف وزاماتشاوسكي؛ أخصائيّي الأورام السرطانية اللذين عالجا أبي هناك. وهذان الأخيران ألقيا الملامة بدورهما على أخصائيي الأشعة بسبب التصوير السيئ. قال ريتيف إن رئيس قسم الأشعة كان غير مؤهل، ولم يكن يعرف البنكرياس من الكبد. وطلب مني عدم نقل هذا الكلام، لكنني أعتقد أن حالة التقييد في هذا الجانب انتهت بمرور خمسة وعشرين عاماً.

قال الدكتور زاماتشاوسكي إنها كانت حالة تشوّه بسيطة. لقد تحدّثتُ مع ريتيف على الهاتف، لكنني قابلت زاماتشاوسكي شخصياً. كان يرتدي معطفاً مخبرياً أبيض فوق تي - شيرت حمراء كُتبت عليها كما بدا لي - أفضّل لو أني كنت ألعب الغولف. قال لي زاماتشاوسكي: "لم أرتحْ قطّ للتشخيص الأولي. لطالما اعتقدت أنه كان مرض فون هييل - ليندو".

فسألته: "ألم يكن هذا سيقتله أيضاً؟".

رسم زاماتشاوسكي تلك الابتسامة الغامضة التي يحتفظ بها الأطباء للمجهلة من السباكين وسيّدات البيوت، وأساتذة اللغة الإنكليزية. ثم قال إنه تأخر عن موعد.

وعندما تحدثت إلى رئيس قسم الأشعة، فتح ذراعيه وقال: "نحن هنا مسؤولون عن التصوير وليس عن التشخيص. بعد عشر سنوات، سوف نستخدم معدات تجعل مثل هذه التشخيصات الخاطئة مستحيلة. ولكن، في الوقت الحالي، لِمَ لا تبتهج لأن أباك على قيد الحياة؟ استمتع بذلك".

لقد فعلت ما بوسعي في هذا الخصوص. وخلال تحقيقي القصير، الذي أسميته بحثاً بالطبع، تعلّمت أمراً مثيراً للاهتمام، وهو أن التعريف الطبي للأعجوبة هو: تشخيص خاطئ.

كانت سنة 1983 سنة إجازتي البحثية، وفيها حصلت على عقد مع مطبوعة بحثية من أجل كتاب بعنوان "تعليم ما لا يمكن تعليمه: استراتيجياتٌ لكتابة مبدعة"، غير أنه لم يُكتَب، شأنه في ذلك شأن مقالتي حول الأعجوبة. وفي تموز، بينما كنت وروث نعدُّ خططنا لرحلة تخييم، تحوَّل بولي فجأة إلى اللون الوردي. وبعد ذلك جاء الألم، أولاً في مكان عميق داخل الجزء الأيسر من مؤخرتي، ثم راح يشتد مع هجرته إلى المنطقة التناسلية. وبحلول الوقت الذي بدأت فيه أتبوَّل دماً حقيقياً – أظن أن ذلك حدث بعد أربعة أيام من بدء وخزات الألم، وبينما كنت لا أزال ألعب اللعبة الشهيرة المعروفة في جميع أنحاء العالم، ألا وهي لعله سيزول من تلقاء نفسه – انتقل الألم من مرحلة الألم الجدي إلى مرحلة الألم المبرح.

قالت روث: "أنا متأكدة بأنه ليس سرطاناً". ولكن، بما أن هذا الكلام صدر عنها بالذات، فهذا يعني أنه سرطان حتماً. بل إن نظرة عينيها كانت أكثر مدعاة للقلق. صحيح أنها كانت ستنكر ذلك على فراش موتها، إذ إن عملانيتها كانت مصدر فخرها، إلا أنني واثق بأنه خطرَ لها في ذلك الحين بالتحديد أن السرطان الذي ترك أبي قد استوطن في جسدي.

غير أنه لم يكن سرطاناً، بل كان حصًى في الكلية. وكانت أعجوبتي تُدعى تقنية تفتيت الحصى بواسطة موجات صوتية من خارج الجسد، وبمساعدة أقراص مدرّة للبول. قلت لطبيبي إنني لم أختبر مثل ذلك الألم في حياتي.

فقال الطبيب: "أعتقد أنك لن تختبره مجدداً، حتى لو أصبت بنوبة قلبية. إن النساء اللواتي عانين من الحصى يقارنَّ الألم بألم الولادة. ولادة عسيرة".

كنت لا أزال أعاني من ألم لا بأس به، لكنني كنت قادراً على قراءة مجلة أثناء انتظاري حلول موعدي مع الطبيب في عيادته للمراجعة، وقد اعتبرت ذلك تحسُّناً كبيراً. جلس شخص ما بجانبي وقال: "تعال الآن، حان الوقت".

نظرت إليه فرأيت رجلاً يرتدي بذلة عمل بنية عادية. ومع ذلك، عرفت سبب مجيئه، بل حتى إنني لم أطرح على نفسي هذا السؤال. وشعرت أيضاً بأنني إذا لم أذهب معه، فإن كل تقنيات تفتيت الحصى في العالم لن تنفعني.

وهكذا خرجنا. لحسن الحظ، لم تكن موظفة الاستقبال وراء طاولتها، ولذلك لم أضطر إلى تبرير خروجي المفاجئ. على أي حال، لست متأكداً مما كنت سأقوله حينئذ. توقفت الحرقة فجأة في منطقتي التناسلية؟ كان هذا غير منطقي وغير حقيقي أيضاً.

كان الرجل المرتدي بذلة العمل يتمتع بجسد قوي، ويبدو في الخامسة والثلاثين من عمره. بدا كما لو أنه جندي مشاة بحرية سابق ربما، لم يكن قادراً على التخلي عن قصة شعره القصيرة. لم يتحدث، بل اكتفينا بالمشي حول المركز الطبي حيث كان طبيبي يمارس مهنته، ثم تابعنا سيرنا نحو مستشفى جروفز أوف هيلينغ القريب. كنت أمشي منحني القامة بشكل طفيف بسبب الألم الذي لم يعد حاداً جداً، لكنه كان لا يزال

مزعجاً.

عبرنا الباب الأمامي، وسرنا في رواق تغطي جدرانه رسوم لشخصيات من عالم ديزني، وتخرج من مكبرات الصوت المزروعة في سقفه أغنية "إنه عالم صغير". كان جندي المارينز السابق يمشي بسرعة ونشاط، مرفوع الرأس، كما لو أنه ينتمي لذلك المكان. أما أنا فلا، إذ لم اشعر يوماً بمثل ذلك البعد عن منزلي وعن الحياة التي كنت أفهمها. لو أنني طرت إلى السقف مثل بالون طفل، لما استغربت مطلقاً.

عندما وصلنا إلى قسم الممرّضين المركزي، ضغط جندي المارينز السابق على ذراعي كي أتوقف إلى أن ينشغل الممرضان الموجودان هناك؛ وهما رجل وامرأة. وبعد ذلك، عبرنا إلى رواق آخر تجلس فيه فتاة صلعاء على كرسي متحرك وتنظر إلينا بعينين هزيلتين. مدَّت الفتاة يدها.

فقال جندي المارينز السابق: "لا". ثم تابع المسير ببساطة، ولكن ليس قبل أن ألقي نظرة أخرى إلى تينك العينين الموشكتين على الموت.

أخذني إلى غرفة فيها طفل في الثالثة من عمره تقريباً يلعب بأحجار تركيب في خيمة شفافة صافية. حدَّق الطفل فينا باهتمام حيوي. كان يبدو أوفر صحة بكثير من الفتاة الجالسة على الكرسي المتحرك، وكان شعره الأحمر الأجعد يغطي كامل رأسه، غير أن لونه كان بلون الرصاص. ولكن، عندما دفعني رجل المارينز السابق إلى الأمام ثم تراجع إلى الوراء، واتخذ وضعية تشبه وضعية استراحة الجنود في عرض عسكري، أحسست بأن الطفل كان مريضاً حقاً. وعندما فتحت سحّاب الخيمة غير مكترث للافتة المثبتة على الجدار - والتي كُتب عليها: هذه بيئة معقمة - ظننت أن عمره الباقي يُقدَّر بالأيام وليس بالأسابيع.

مددت يديَّ نحوه فشممت رائحة مرض والدي. كانت أخفّ قليلاً لكنها نفسها. رفع الطفل ذراعيه بدون تحفُّظ. وعندما قبَّلته على زاوية فمه، قبَّلني أيضاً بشوق ولهفة أوحت لي بأنه لم يُلمَس منذ زمن طويل؛

على الأقل ليس بشيء غير مؤلم.

لم يدخل أحد ليسألنا عما كنا نفعله أو يهددنا بطلب الشرطة، كما فعلت روث في ذلك اليوم في غرفة والدي. رفعت سحّاب الخيمة مجدداً. وعند مدخل الباب التفتُّ ونظرت إليه فوجدته جالساً في خيمة، حاملاً بيديه قطعة تركيب صغيرة، فرماها ولوّح لي تلويحة طفل صغير، أصابع تُفتَح وتُغلَق مرتين. فلوّحت له بالطريقة نفسها. بدا أفضل حالاً منذ ذلك الحين.

ضغط جندي المارينز السابق على ذراعي مرة أخرى عند قسم الممرضين، لكن الممرض اتبه إلينا هذه المرة، وهو رجل ذو ابتسامة استهجان من النوع الذي رفعه رئيس قسم اللغة الإنكليزية في جامعتي إلى مستوى الفن، وسألنا عما كنا نفعله هناك.

فأجابه جندي المارينز السابق: "آسف يا رفيقي، أخطأنا في الطابق"

وبعد بضع دقائق، على درج المستشفى، قال لي: "يمكنك إيجاد طريق العودة، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد. لكنني سأضطر إلى أخذ موعد آخر مع طبيبي".

"أجل، أعتقد ذلك".

"هل سأراك ثانيةً؟".

فقال: "أجل". ومشى نحو ساحة مرأب المستشفى دون أن يلتفت إلى الخلف.

عاد مرة أخرى عام 1987، عندما كانت روث في السوق وكنت أنا أقص العشب راجياً ألاّ يكون النبض الرتيب في مؤخر رأسي بداية نوبة شقيقة، رغم علمي أنه كان كذلك. أصبحت عرضة لهذه النوبات منذ ذلك اليوم الذي رأيت الطفل فيه في مستشفى جروفز أورف هيلينغ. ومع ذلك، نادراً ما كنت أفكّر فيه عندما كنت أستلقي في الظلام واضعاً رقعة رطبة

طرف عينيّ، بل كنت أفكّر في الفتاة الصغيرة.

ذهبنا هذه المرة لرؤية امرأة في مستشفى سانت جود. عندما قبّلتها، وضعتُ يدي على ثديها الأيسر؛ لأنه الثدي الوحيد الذي كانت تملكه، لقد استأصل الأطباء ثديها الآخر في وقت سابق.

قالت وهي تبكي: "أنا أحبك يا سيدي". فلم أعرف ماذا أقول. أما جندي المارينز السابق، فقد كان واقفاً في مدخل الباب، مباعد الساقين، وواضعاً يديه خلف ظهره في وضعية الاستراحة في عرض عسكري.

وبعد عشر سنوات، في منتصف كانون الأول 1997 عاد مجدداً. لكنها كانت المرة الأخيرة. في ذلك الوقت، كان التهاب المفاصل هو المشكلة التي أعاني منها، وما زال. لقد غزا الشيب معظم الشعر القصير الناتئ على رأس جندي المارينز السابق، إضافة إلى وجود خطوط عميقة جداً في وجهه جعلته يبدو مثل دمية شُقّت من زاويتي فمها. أخذني إلى تحويلة الطريق الدولي 95 شمال البلدة، حيث وقع حادث اصطدام بين سيارة مغلقة لتوزيع البضائع وسيارة فورد إسكورت مهشّمة تماماً. كان المسعفون قد وضعوا السائق - وهو رجل متوسط العمر - على نقالة، في حين كان رجال الشرطة يتحدثون مع سائق سيارة التوزيع الذي يرتدي زيّ عمله الرسمي، والذي بدا مصدوماً لكنه لم يُصَب بأذى.

عندما أغلق المسعفون أبواب سيارة الإسعاف، قال لي جندي المارينز السابق: "الآن، حرّك مؤخرتك".

حرّكت مؤخرتي المسنّة باتجاه سيارة الإسعاف، في حين أسرع جندي المارينز السابق إلى الأمام، قائلاً: "مرحباً! مرحباً! هل تلك واحدة من تلك الأساور الطبية؟".

التفت المسعفون لينظروا، وذهب واحد منهم وأحد رجال الشرطة الذين كانوا يتحدثون مع سائق السيارة المغلقة إلى حيث كان جندي المارينز السابق يشير بيده. فتحت باب سيارة الإسعاف الخلفي ودخلت

وجلست بجانب رأس سائق الإسكورت. وفي الوقت نفسه، أمسك بساعة الجيب، التي أحملها منذ أن أهداني إياها أبي بمناسبة زفافي. كانت سلسلتها الذهبية الناعمة معلقة في إحدى حلقات حزامي. وبما أنه لم يكن هناك وقت للرقة، فقد قطعت السلسلة وحرّرت الساعة.

حدّق بي الرجل الممدد على النقالة وقال: "لا يمكنني أن أحرّك أصابع قدميّ". كانت رقبته المكسورة متورّمة على شكل مقبض باب لامع ومغطى بالجلد.

قبّلته على زاوية فمه (كانت منطقتي الخاصة، كما أظن)، وكنت أعود أدراجي عندما أمسك بي أحد المسعفين قائلاً: "ماذا تفعل هنا؟".

أشرت إلى الساعة التي كانت مستلقية بجانب النقالة في ذلك الحين ثم قلت: "كانت على العشب، واعتقدتُ أنه يريدها". بحلول الوقت الذي سيصبح فيه سائق الإسكورت قادراً على إخبار شخص ما بأنها لم تكن ساعته، وأن الأحرف الموجودة على غطائها من الداخل لم تكن تعني له شيئاً، سنكون قد رحلنا. ثم أضفت، قائلاً: "هل جلبتم سواره الطبي؟".

بدا المسعف مشمئزاً عندما أجابني قائلاً: "كانت مجرد قطعة من الكروم. اخرجْ من هنا". ثم، وبدون اشمئزاز هذه المرة قال: "شكراً، كان بوسعك الاحتفاظ بها".

هذا صحيح. وأنا كنت أحب تلك الساعة. ولكن هذا ما خطر في ذهني في تلك اللحظات. كانت كل ما أملكه.

قال جندي المارينز السابق في طريق عودتنا إلى منزلي: "هناك دم على يدك". كنا ذاهبين في سيارته، وهي من نوع شيفروليه سيدان عادية كان هناك طوق كلب على المقعد الخلفي وميدالية لسانت كريستوفر معلّقة بسلسلة فضية على مرآة الرؤية الخلفية. "ينبغي عليك أن تغسلها عندما تصل إلى المنزل".

"سأفعل".

"لن تراني مرة أخرى".

فكّرت في ما قالته المرأة السوداء حول أيانا آنذاك، رغم أنني لم أفكّر في ذلك منذ سنين. ثم قلت: "هل انتهت أحلامي".

ارتسمت علامات حيرة على وجهه، ثم رفع كتفيه وقال: "عملك هو الذي انتهى. أنا متأكد بأنني لا أعرف أي شيء عن أحلامك".

طرحت عليه ثلاثة أسئلة أخرى قبل أن ينزلني من سيارته للمرة الأخيرة ويختفي من حياتي. ولم أتوقع منه أن يجيبني، لكنه أجاب.

"أولئك الأشخاص الذين قبّلتهم، هل سيذهبون إلى أشخاص آخرين ويقبّلون جراحهم ويجعلونها تزول؟".

"بعضهم يفعلون ذلك. هكذا يجري الأمر. في حين أن آخرين لا يستطيعون". رفع كتفيه ثم أضاف: "أو لن يفعلوا"، رفع كتفيه مرة أخرى، "النتيجة ذاتها".

"هل تعرف فتاة صغيرة تُدعى أيانا؟ رغم أنني أعتقد أنها ستكون فتاة كبيرة الآن".

"لقد ماتت".

صُدمت، ولكن ليس كثيراً، لأنني كنت أعرف. فكّرت مجدداً في الفتاة الصغير على الكرسي المتحرك.

"لقد قبّلت والدي، لكنها لستتي فقط. فلماذا تمّ اختياري؟".

"لأنك كنت كذلك". ثم دخل الطريق الفرعي الخاص بمنزلي، وأضاف: "ها قد وصلنا".

خطرت لي فكرة بدت لي جيدة، لسبب لا يعلمه إلا الله، فقلت: "تعال في الكرسمس. تعال وتناول العشاء معنا. لدينا الكثير من الضيوف. سأخبر روث أنك ابن عمي من نيو مكسيكو". لأنني لم أخبرها قطّ عن جندي المارينز السابق، لعلمي أن أبي كان كافياً بالنسبة لها، أو كافياً جدًا.

ابتسم جندي المارينز السابق. قد لا تكون هذه هي الابتسامة الوحيدة التي رأيتها ترتسم على وجهه، لكنها الابتسامة الوحيدة التي أذكرها. ثم قال: "أعتقد أنني سأفوّت هذه الفرصة، يا شريكي. لكنني أشكرك".

هذه هي قصتي كما أظن؛ باستثناء تقيلي ترودي. أخبرتك أنها فقدت عقلها، أتذكرُ؟ الزهايمر. لقد قام رالف ببعض الاستثمارات الجيدة التي تركتها في حالة مادية ميسورة، ووجد الأولاد أنها ذهبت إلى مكان لطيف عندما لم يعد بقاؤها في المنزل مناسباً. كنا نذهب أنا وروث لزيارتها معاً، إلى أن أصيبت بالنوبة القلبية لدى اقترابها من مطار دينفر الدولي. وبعد ذلك بفترة ليست بطويلة، ذهبت لزيارة ترودي وحدي، لأنني كنت وحيداً وحزيناً وأريد صلة ما تذكّرني بالأيام القديمة. لكن رؤيتي الحالة التي وصلت إليها ترودي، وهي تنظر إلى النافذة بدلاً من النظر إلي، وتمضغ شفتها السفلى بينما البصاق ينساب من زاويتي فمها زادت شعوري سوءاً. كان ذلك يشبه الذهاب إلى مسقط رأسك لترى المنزل الذي نشأت فيه وتكتشف أنه أصبح ساحة فارغة.

قبّلت زاوية فمها قبل أن أغادر، ولكن لم يحدث شيء بالطبع. فالأعاجيب لا تحدث بدون صانع أعاجيب، وتلك الأيام أصبحت خلفي في ذلك الحين. إلا في وقت متأخر من الليل عندما أجد صعوبة في النوم عندئذ أنزل إلى الطابق السفلي وأشاهد تقريباً أي فيلم أريده. لديّ صحن لاقط كما تعلم، وشيء يُدعى أفلاماً عالمية. حتى إنّه باستطاعتي مشاهدة مباريات البايرتس لو أردت أن أطلب حزمة دوري البيسبول، لكنني أعيش على دخل ثابت هذه الأيام، ورغم أنني مرتاح، إلا أنه ينبغي علي الانتباه إلى مصروفي الاختياري. يمكنني القراءة حول البايرتس على الإنترنت. كل هذه الأفلام كافية بالنسبة إليّ.

وضع عصيب للغاية

كان كورتيس جونسون يقود دراجته الهوائية خمسة أميال كل صباح. لقد توقف لفترة بعد وفاة بيتسي ثم وجد أن حزنه أشدُّ بكثير بدون تمرينه الصباحي، فاستأنفه من جديد، ولكن مع اختلاف وحيد؛ وهو أنه توقَّف عن اعتمار خوذته الواقية. كان يقطع مسافة ميلين ونصف الميل على طريق جَلْف بوليفارد، ثم ينعطف ويقفل راجعاً؛ ملتزماً دائماً بالمسار المخصص للدراجات الهوائية. ولم تكن لذلك علاقة بحرصه على الحياة، فهو لم يكن يكترث سواء أبقي حياً أم مات، لكنه كان يحترم سلطة القانون.

كان جلف بوليفارد هو الطريق الوحيد على جزيرة تيرتل. وكان يمر بجانب الكثير من المنازل التي يقطنها أشخاص من أصحاب الملايين، لكنه لم يكن يكترث لذلك، وذلك لأنه هو نفسه كان مليونيراً - لقد جنى أمواله بالطريقة القديمة؛ سوق الأسهم المالية - فضلاً عن أنه لم يكن يعاني من أي مشكلة مع أي شخص يعيش في تلك المنازل. والشخص الوحيد الذي كان يواجه مشكلة معه - أي تيم جُرَنوولد الملقَّب بالوغد - يعيش في الاتجاه الآخر، ليس في قطعة الأرض الأخيرة قبل قناة دايلايت، بل ما قبل الأخيرة. وقطعة الأرض الأخيرة هي سبب المشكلة بينهما (أو إحدى المشاكل). كانت قطعة الأرض الأخيرة هي الكبرى على الجزيرة، وتملك الإطلالة الأكثر جمالاً على الخليج. وهي البقعة الوحيدة التي لم يكن فيها منزل. كانت أرضاً فارغة إلا من أجمات متفرقة، وشوفان بحري،

وأشجار نخيل قصيرة، وبضع أشجار صنوبر أسترالي.

كان أجمل ما في تلك الجولات الصباحية - أجمل شيء على الإطلاق - هو عدم وجود هاتف. كان كورتيس يصبح فيها رسمياً خارج الشبكة. لكنه حالما يعود، فإن الهاتف لا يفارق يده إلا نادراً؛ وبخاصة عندما تكون السوق مفتوحة. كان رياضياً، حيث كان يمشي حول المنزل بخطوات واسعة، مستخدماً الهاتف اللاسلكي. وبين الحين والآخر يعود إلى غرفة مكتبه ليتفقّد الأرقام المتحركة على حاسوبه. وفي بعض الأحيان، كان يغادر المنزل ليمشي على الطريق. وفي تلك الحالة، كان يأخذ هاتفه الخلوي معه. في العادة، كان ينعطف نحو اليمين، باتجاه النهاية الناتئة لطريق جلف بوليفارد، نحو منزل الوغد. لكنه لم يكن يذهب إلى الحد الذي يمكن عنده لجرنوولد أن يراه - لم يكن كورتيس ليمنحه هذه المتعة - بل كان يذهب بما يكفي للتأكد من أن جرنوولد لم يكن يحاول القيام بخدعة ما في أرض فيتون. بالتأكيد لم يكن باستطاعة الوغد أن يجلب آلات ثقيلة دون أن يتنبه لذلك، ولا حتى في الليل؛ إذ بات كورتيس ينام نوماً خفيفاً منذ أن لم تعد بيتسي تنام بجانبه. ومع ذلك، فقد استمر في التحقق؛ عادةً بالوقوف خلف آخر شجرة في صف ظليل من نحو عشرين شجرة نخيل، للتأكد فقط. لأن تخريب الأراضي الفارغة، من خلال دفنها تحت أطنان من الأسمنت، كان مجال عمل جرنوولد.

وكان الوغد ماكراً.

ولكن، حتى ذلك الحين، كان كل شيء على ما يرام. ولو حاول جرنوولد فعلاً القيام بخدعة ما، فإن كورتيس كان جاهزاً لإزالة الثغرات (من الناحية القانونية). وفي غضون ذلك، كان على جرنوولد أن يدافع عن نفسه في قضية بيتسي. ورغم أن كورتيس فَقَدَ الرغبة في الصراع (كان ينكر ذلك، لكنه كان يعرف أن ذلك صحيح)، إلا أنه كان سيعمل على جعل جرنوولد يدفع ثمن ما فعله لها. سوف يكتشف الوغد أن كورتيس

جونسون يملك فكَّين من الكروم، بل فكين من الكروم الفولاذي، وأنه إذا أمسك بشيء بين فكيه، فإنه لا يفلته أبداً.

عندما عاد إلى منزله في صباح يوم الثلاثاء الاستثنائي هذا، قبل عشر دقائق من قرع جرس الافتتاح في وول ستريت، تفقَّد كورتيس هاتفه الخلوي بحثاً عن أي رسائل واردة؛ كما كان يفعل دائماً. كانت هناك اثنتان. واحدة من شركة سيركيت سيتي؛ ربما من بائع يحاول بيع شيء ما تحت ستار التحقق من رضا كورتيس عن الشاشة المسطحة التي اشتراها في الشهر السابق.

وعندما نزل إلى الرسالة الثانية، وجد ما يلي: 3830910 الوغد.

الوغد. حتى هاتفه النوكيا كان يعرف من هو جرنوولد، لأن كورتيس لقَّنه كيف يتذكره. والسؤال هو: ما الذي كان الوغد يريده منه في صباح يوم الثلاثاء في حزيران؟

ربما يريد التسوية، ووفق شروط كورتيس.

سخر كورتيس من هذه الفكرة، ثم ضغط زر تشغيل الرسالة، فذُهل عندما سمع أن هذا بالضبط ما كان جرنوولد يريده، أو ما بدا أنه يريده. افترَض كورتيس أنها يمكن أن تكون مكيدة، لكنه لم يفهم ما الذي كان جرنوولد سيجنيه من مثل هذا الأمر. ثم هناك نبرة صوته، وكانت ثقيلة وبطيئة، بل تكاد تكون مُنهَكة. وكانت توحي بالحزن حقاً. هكذا كان يبدو كورتيس نفسه على الهاتف في تلك الأيام؛ عندما كان يحاول التركيز ثانيةً في اللعبة.

قال جرنوولد بذلك الصوت البطيء المرهَق: "جونسون... كورتيس". ثم صمت لفترة أطول، كما لو أنه كان يفكِّر في استخدام اسم كورتيس الولادي، ثم استأنف حديثه بالطريقة ذاتها. "لا أستطيع خوض حرب على جبهتين. دعنا ننهي هذا الأمر. لقد فقدت رغبتي فيه. هذا إن كانت لدي رغبة أصلاً. إنني في وضع عصيب للغاية يا جاري".

تنهّد.

"أنا مستعد للتخلي عن الأرض، وبدون أي اعتبارات مالية، وسأعوّض لك عن... عن بيتي. إن كنت مهتماً، يمكنك أن تجدني في قرية دوركين جروف. سأبقى هناك معظم هذا اليوم". فترة صمت طويلة. "إنني أقصد ذلك المكان كثيراً مؤخراً. ما زلت جزئياً غير قادر على تصديق أن التمويل انهار، وفي الوقت نفسه لست متفاجئاً أبداً". صمت طويل آخر. "لعلك تعرف ما أعنيه".

ظن كورتيس أنه يعرف بالفعل. كان يعتقد أنه فقَدَ قدرته على فهم السوق. بل أكثر من هذا، إذ لم يكن يكترث أيضاً. وجد نفسه يشعر بشيء من الإشفاق على الوغد؛ ذلك الصوت المرهق.

تابع جرنولد كلامه: "كنا صديقين في ما مضى... هل تذكر ذلك؟ أنا أذكر. لا أعتقد أننا نستطيع أن نكون صديقين مجدداً – لقد سلكت الأمور مسلكاً يجعل هذا الأمر صعباً جداً، كما أظن – ولكن يمكننا أن نكون جارين من جديد. أيها الجار". فترة صمت أخرى. "إن لم أرك فسأطلب من محاميَّ أن يباشر التسوية. وفق شروطك. ولكن...".

ساد الصمت؛ باستثناء صوت تنفس الوغد، فانتظر كورتيس الذي أصبح في المطبخ حينئذ. لم يستطع تمييز ما كان يشعر به. لعله سيفعل بعد فترة قصيرة، لكنه في تلك اللحظات لم يكن قادراً على ذلك.

"لكنني أودُّ أن أصافحك وأقول لك إنني آسف بشأن كلبتك اللعينة". سمع صوتاً مخنوقاً ربما يكون – وهذا أمر غير معقول!– صوت نشيج، ثم صوت طقّة، تبعها صوت الشخص الآلي يخبره بعدم وجود رسائل أخرى.

جلس كورتيس قليلاً حيث كان موجوداً تحت شعاع وضّاء من أشعة شمس فلوريدا التي لم يكن باستطاعة المكيِّف تبريدها تماماً؛ حتى في تلك الساعة من الصباح، ثم توجَّه إلى غرفة مكتبه. كانت السوق مفتوحة.

وعلى شاشة حاسوبه كانت الأرقام قد بدأت زحفها الأبدي. أدرك أنها لم تكن تعني شيئاً له، فتركها تدور لكنه ترك ملاحظة قصيرة للسيدة ويلسون - اضطررت للذهاب - قبل مغادرته المنزل.

كان يملك دراجة (سكووتر) آلية صغيرة مركونة في الكاراج بجانب سيارته التي كانت بي إم دبليو، فقرَّر ركوبها. سوف يضطر إلى عبور الطريق الرئيس على الجانب الآخر من الجسر، لكنها لن تكون المرة الأولى.

أحسَّ بوخزة ألم وحزن عندما أخذ مفتاح السكووتر من العلاّقة وخشخشت الوصلة الأخرى المعلَّقة بالحلقة. كان يظن أن ذلك الشعور سيتلاشى بمرور الزمن، لكنه في تلك اللحظة وجده مرحَّباً به إلى حد ما، مثل الترحيب بصديق.

بدأت المشاكل بين كورتيس وتيم جرنورلد مع ريكي فيتون الذي كان في السابق عجوزاً ثرياً ثم أصبح لاحقاً عجوزاً خَرِفاً. وقبل أن تتطور حالته ويموت، باع أرضه غير المبنية الواقعة عند نهاية جزيرة تيرتل لكورتيس جونسون مقابل مليون دولار ونصف المليون، حيث أخذ من كورتيس شيكاً بقيمة مائة وخمسين ألف دولار كعربون وكتَبَ بالمقابل وثيقة بيع على ظهر رسالة إعلانية.

أحسَّ كورتيس بأنه قذر بعض الشيء لاستغلاله رجلاً عجوزاً، مع أن هذا لم يكن سيجعل فيتون - مالك شركة الأسلاك والكابلات "فيتون واير آند كابل"- يموت جوعاً، فضلاً عن أن المليون ونصف المليون - رغم أنه قد يبدو ثمناً رخيصاً لمثل ذلك العقار المميز المطل على الخليج - لم يكن مبلغاً زهيداً على نحو غير معقول؛ نظراً لظروف السوق السائدة آنذاك.

في الحقيقة... أجل لقد كان كذلك، لكنه والعجوز كانا يحبّان

بعضهما. وكورتيس من أولئك الذين يعتقدون أن كل شيء مقبول في الحب والحرب، وأن التجارة جزء من هذه الأخيرة. شهدت مدبرة منزل فينتون - السيدة ويلسون نفسها التي كانت تدبر شؤون منزل كورتيس على توقيع الوثيقة والشيك. لقد أدرك كورتيس لاحقاً أنه كان يجب أن يكون أكثر حكمةً، غير أنه كان يشعر بالإثارة.

وبعد نحو شهر من بيع الأرض الفارغة لكورتيس جونسون، باعها فينتون لتيم جرنوولد، المعروف أيضاً باسم الوغد. لكن السعر هذه المرة كان معقولاً، فقد كان خمسة ملايين وستمائة ألف دولار، كما أخذ فينتون - الذي ربما لم يكن غبياً في نهاية المطاف، بل كان مخادعاً، رغم أنه كان على حافة الموت - نصف مليون دولار كعربون.

وشهد على وثيقة البيع جنائنيُّ الوغد (الذي تصادف أنه كان جنائني فينتون أيضاً). كان ذلك مثيراً للريبة إلى حد ما، لكن كورتيس كان يظن أن جرنوولد كان يشعر بالإثارة نفسها التي شعر بها هو نفسه، مع فارق وحيد، وهو أن إثارة كورتيس كانت ناجمة عن فكرة أنه سيكون قادراً على المحافظة على نهاية جزيرة تيرتل نظيفة وغير مفسدة وهادئة؛ كما كان يحبها تماماً.

أما جرنوولد فكان يعتبرها موقعاً مثالياً للبناء؛ حيث يستطيع إنشاء مبنى شققي أو ربما مبنيين (عندما كان كورتيس يفكّر في مبنيين فإنه كان يفكّر فيهما كبرجي الوغد التوأمين). لقد شاهد كورتيس مثل هذه الأبنية من قبل، فهي تنمو في فلوريدا كما تنمو نباتات الهندباء في مرج غير معتنى به، وكان يعرف أي نوع من الأشخاص سيجذبهم الوغد. أغبياء ينظرون إلى أموال تقاعدهم على أنها مفاتيح للسعادة الدائمة. سيستغرق البناء أربع سنوات، وبعد ذلك سيعجُّ المكان برجال مسنّين على دراجات هوائية مع أكياس بول معلّقة بأفخاذهم النحيلة؛ وسيدات عجائز يعتمرن قبعات تقيهنّ من الشمس، ويدخنّ البارلمانت، ولا يلتقطن

روث كلابهن الغالية الثمن التي توسخ الشاطئ؛ وإضافة إلى ذلك بالطبع، أحفاد يحملون أسماء مثل ليندسي وجيسون. وإذا سمح كورتيس لذلك بالحدوث، فإنه يعرف أنه سيموت وأذناه تطنّان بصراخهم: "قلتم إنكم ستأخذوننا إلى عالم ديزني اليوم!".

وهو لم يكن ليسمح بحدوث ذلك. وقد تبيَّن أن الأمر سهل، وإن لم يكن سارًا. فعلى الرغم من أن الأرض لم تكن ملكاً له، وقد لا تكون أبداً ملكاً له، إلا أنها على الأقل لم تكن ملكاً لجرنوولد أيضاً. ولم تكن حتى ملكاً لأقرباء فيتون الذين ظهروا فجأة (مثل صراصير في حاوية قمامة عند إضاءة نور ساطع بشكل مفاجئ) مشككين في صحة توقيعي الشاهدين في كلا الاتفاقين. لكنها كانت ملكاً للمحامين والمحاكم.

وهذا يعني أنها لم تكن ملكاً لأحد.

وهو كان يستطيع العمل مع لا أحد.

كانت قد مضت على النزاع سنتان تقريباً في ذلك الحين، وكانت مصاريف كورتيس القانونية تقترب من ربع مليون دولار. حاول اعتبار النقود مساهمة منه لجمعية بيئية لطيفة - جونسونيس بدلاً من جرينيس - ولكن لم يكن بمقدوره أن يقتطع تلك المساهمات من ضريبة دخله. لقد حوَّل جرنوولد هذا النزاع إلى مسألة شخصية؛ جزئياً لأنه كان يكره الخسارة (وكورتيس كان يكرهها أيضاً في تلك الأيام، ولكن ليس كثيراً الآن)، وجزئياً أيضاً لأنه كان يعاني من مشاكل شخصية.

المشكلة الشخصية الأولى هي تطليق زوجته له، أي لم تعد زوجة الوغد. والمشكلة الشخصية الثانية هي إجراؤه عملية جراحية معينة. لم يكن كورتيس يعرف على نحو أكيد ما إذا كان يعاني من السرطان، لكنه يعرف فقط أن الوغد خرج من ساراسوتا ميموريال أخفّ وزناً بعشرة كيلوغرامات إلى خمسة عشر كيلوغراماً، وعلى كرسي متحرك. لقد تمكّن من التخلص من الكرسي المتحرك في نهاية المطاف، لكنه لم يتمكن من

استعادة وزنه، حيث كان الجلد يتدلى من رقبته التي كانت مشدودة في السابق.

وكان يعاني أيضاً من مشاكل تتعلق بشركته التي كانت ذات يوم ناجحة على نحو مثير للرهبة. لقد شاهد كورتيس ذلك بنفسه في أحد... موقع حملة أرض محروقة يقوم بها الوغد، أي قرية دوركين جرو... الواقعة على البر الرئيس على بعد عشرين ميلاً من جزيرة تيرتل. كان المكان أشبه ببلدة أشباح نصف مشيَّدة. وركن كورتيس سيارته حينئذ على ربوة تطلُّ على الموقع الصامت المتوقف عن العمل، شاعراً مثل جنرال يستطلع بقايا معسكر عدو مهدَّم، وبأن الحياة - بمجملها - كانت تفاحة الحمراء اللامعة.

لكن بيتسي غيَّرت كل شيء. كانت من نوع لوتشين، ولكنها م... ولا تزال نشيطة. عندما كان كورتيس ينزِّهها على الشاطئ، كانت دائ... تحمل عظمتها المطاطية الصغيرة في فمها. وعندما كان يريد جهاز التحكم بالتلفزيون عن بعد فإن كل ما كان يحتاج إلى قوله هو: "اجلبي العصا الغبية يا بيتسي"، وهي كانت ستلتقطه من على طاولة القهوة بفمها وتجلبه إليه. كان هذا مصدر فخرها، وفخره بالطبع. لقد كانت صديقته المفضلة لمدة سبعة عشر عاماً، رغم أن هذا النوع من الكلاب الفرنسية لا يعيش في العادة أكثر من خمسة عشر عاماً.

إلى أن وضع جرنوولد سياجاً كهربائياً بين منزله ومنزل كورتيس. ذلك الوغد.

صحيح أن التيار الكهربائي لم يكن عالياً جداً - هذا ما قال جرنوولد إنه قادر على إثباته، وصدَّقه كورتيس - لكنه كان كافياً لقتل كلبة م... زائدة الوزن قليلاً وذات قلب ضعيف. ولماذا وضع سياجاً مكهرباً في المقام الأول؟ لقد تفوَّه الوغد بالكثير من الكلام التافه المتعلق بإحباط عزيمة لصوص المنازل - الذين يُفترَض أنهم كانوا سيتسللون من أرض

كورتيس إلى أرض الوغد حيث يقع منزل الوغد المرتفع بقمّته الجصية الأرجوانية – لكن كورتيس لم يصدق ذلك، فلصوص المنازل كانوا سيأتون عبر قارب من جهة الخليج؛ إذا كانوا يستهدفون منزله بالذات. ما كان يصدّقه هو أن جرنوولد، المغتاظ بسبب أرض فيتون، وضع السياج المكهرب بقصد إزعاج كورتيس، وربما بقصد إيذاء كلبته العزيزة على قلبه. أما بالنسبة إلى قتل كلبته العزيزة، فإن كورتيس كان يعتقد أن ذلك يمثّل ربحاً إضافياً بالنسبة إلى جرنوولد.

ورغم أنه لم يكن من الرجال الذين يبكون، إلا أنه بكى عندما أزال بطاقة تعريف بيتي من طوقها، قبل حرق جثتها.

قاضى كورتيس الوغدَ على ما حصل لبيتي؛ وطالب بألف ومائتي دولار كتعويض. ولو كان باستطاعته أن يقاضيه للحصول على عشرة ملايين لما تردد؛ كان ذلك بالكاد يعادل الألم الذي أصابه عندما نظر إلى العصا الغبية ملقاة على طاولة القهوة، ومتحررة من لعاب الكلبة إلى الأبد. لكن المحامي أخبره أن الألم والمعاناة لا يُقبلان في القضايا المدنية، فهما يصلحان لقضايا الطلاق، وليس الكلاب. وهكذا اضطرَّ للتسوية على ألف ومائتي دولار، لكنه كان مصمماً على أخذ المبلغ.

ردّ محامو الوغد بأن السياج المكهرب كان معلّقاً بطول عشر ياردات على جانب جرنوولد من حدود العقار، وبدأت المعركة – المعركة الثانية – التي كانت قد مضت على نشوبها ثمانية أشهر في ذلك الحين. كان كورتيس يعتقد أن تكتيكات التأجيل التي كان محامو الوغد يعتمدونها تشير إلى أنهم كانوا يعلمون متانة قضية كورتيس. وكان يعتقد أيضاً أن امتناعهم عن اقتراح تسوية، وامتناع جرنوولد عن دفع ألف ومائتي دولار ببساطة، يدلان على أنّ المسألة أصبحت شخصية بالنسبة إلى جرنوولد كما كانت بالنسبة إليه. صحيح أن أولئك المحامين كانوا يكلّفونهما الكثير، لكن المسألة لم تعد تتعلق بالمال.

بينما كان كورتيس يقود دراجته الآلية الصغيرة على الطريق 17، حو
ما كان ذات يوم مزرعةً وأصبح في ذلك الحين مجرد أرض محشوشة تفتقر إلى الرعاية (فكّر كورتيس: لا بد أن جرنوولد يتوق بشدة للبناء هنا)، تمنّى لو أنه يشعر بسعادة أكبر بخصوص هذا التحول في مجرى الأحداث. كان من المفترَض أن يجعل النصرُ قلبَه يقفز فرحاً، لكنه لم يكن يشعر بذلك. كل ما كان يريده هو أن يرى جرنوولد، ويسمع اقتراحه الحقيقي، ويضع كل هذا الهراء خلفهما؛ إن لم يكن اقتراحه سخيفاً بالطبع، ربما كان هذا سيعني أن الأقارب - الصراصير - سيحصلون على أرض فيتون، وقد يقررون تشييد بنائهم السكني الخاص بهم. ولكن، هل كان ذلك مهماً بالنسبة إليه؟ لا، لم يكن مهماً كما بدا له.

كانت لدى كورتيس مشاكله الخاصة التي تحتاج إلى معالجة، لكنها ذهنية وليست زواجية (والعياذ بالله) أو مالية أو جسدية. وقد بدأت تلك المشاكل بعد وقت ليس بطويل من إيجاده بيتي متصلبة وباردة في الحديقة الجانبية. قد يسمّيها غيره اضطرابات نفسية، لكنه كان يفضّل أن يدعوها قلقاً.

كان زوال ولعه بالسوق التي فتنته على الدوام منذ أن اكتشفها في سن السادسة عشرة، هو المكوّن الأشد وضوحاً لقلقه، غير أنه لم يكن الوحيد. فهو كان قد بدأ يراقب نبضه ويعدُّ حركات فرشاة أسنانه. ولم يعد بإمكانه ارتداء قمصان غامقة بسبب ابتلائه بالقشرة للمرة الأولى منذ أن كان في السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية. فضلات بيضاء ميتة كانت تغطّي فروة رأسه وتتساقط على كتفيه. وعندما كان يحك رأسه بأسنان المشط، كانت تنهمر مثل هطول ثلجي مريع. ومع أنه كان يكره هذا الأمر، إلا أنه كان يجد نفسه أحياناً يفعل ذلك أمام الكمبيوتر، أو أثناء تحدثه على الهاتف. ومرة أو مرتين حكّ فروة رأسه إلى أن نزف دماً.

إنها أزمة منتصف العمر، هذا ما قاله سامي (وهو مدلّكه الذي

يقصده مرة في الأسبوع). وقال له أيضاً إنه كان بحاجة لممارسة أمرٍ ما.

مع ذلك، كانت العبارة تبدو صحيحة بالنسبة إليه؛ صحيحة مثل أي عبارة مبطَّنة من القرن الحادي والعشرين، باعتقاده. لكنه لم يكن يعرف ما إذا كانت الفوضى التي نجمت عن أرض فيتون هي التي أثارت الأزمة، أم إن كانت الأزمة هي التي أدت إلى الفوضى المتعلقة بأرض فيتون. وما كان يعرفه حقاً هو أنه بات يفكّر في نوبة قلبية بدلاً من عسر هضم كلما احسَّ بألم قوي عابر في صدره، وأنه أصبح مهووساً بفكرة أن أسنانه سوف تتساقط (رغم أنها لم تسبب له أي مشكلة غير عادية)، وأنه عندما أصيب بالزكام في الصيف، شخَّص لنفسه أنّ نظامه المناعي كان على حافة الانهيار التام.

بالإضافة إلى تلك المشكلة الصغيرة، ذلك الدافع القسري الذي لم يخبر طبيبه بشأنه، ولا حتى سامي الذي يبوح له بكل شيء.

وهذا الدافع كان يضغط عليه في تلك اللحظات، على بعد خمسة عشر ميلاً داخل البر الرئيس، وعلى الطريق 17 نادر العبور الذي لم يكن في أي يوم مزدحماً على نحو غير عادي، ثم أصبح بلا فائدة تماماً مع بناء الوصلة 375. هناك بالضبط، بين الأجمات المائلة من كلا الجانبين (كان الرجل يتوق بشدة للبناء هناك)، وعلى وقع سقسقة الحشرات بين الأعشاب العالية التي لم ترعها الأبقار منذ عشر سنين أو أكثر، وأزيز خطوط التوتر العالي، وسقوط الشمس على رأسه العاري مثل ضربات مطرقة مغلفة بمادة طرية.

كان يعرف أن مجرد التفكير في الدافع القسري يستدعيه، ومع ذلك لم يكن إدراكه هذا يساعده مطلقاً.

توقّف عند لافتة موضوعة على زاوية طريق ترابي يتجه يساراً كُتب عليها طريق قرية دوركين جروف، ووضع دراجته الآلية على وضعية الحياد. ثم شكّل الحرف V من الإصبعين الأوليين في يده اليمنى

وأدخلهما في فمه وصولاً إلى حلقه، دون أن يترجّل عن الدراجة التي كانت تقرقر بين ساقيه. كان منعكس التقيؤ عنده قد تخدّر خلال الشهر أو الأشهر الثلاثة الماضية، فأقحم يده في فمه أكثر حتى كادت تصبح بأكملها داخل فمه إلى أن تقيّأ أخيراً.

مال كورتيس جانباً وتقيأ فطوره. لم يكن التخلص من الطعام هو ما يهمّه، فهو وإن كان يعاني من الكثير من المشاكل، إلا أن البوليميا لم تكن واحدةً منها. ولم يكن الجزء المتعلق بالتقيُّؤ هو الشيء الذي يهمه، بل تلك الحالة التي تسبقه. ذلك الانقباض الطارد الذي يحدث في منطقة البطن، إضافة إلى ذلك الميلان المصاحب للفم والبلعوم، وتفاعل الجسد بأكمله لطرد الدخيل.

فجأة، أصبحت الروائح - أجمات خضراء، نباتات زهر عسل برية - أقوى، والضوءُ أشد توهُّجاً، وحرارة الشمس أكثر ارتفاعاً؛ كما لو أن الغلاف الطري نُزع عن المطرقة، حيث بات بوسعه الشعور باحتراق الجلد على مؤخر رقبته (لعلّ الخلايا هناك كانت في تلك اللحظات بالذات تتحوّل إلى خلايا خارجة عن القانون وتتجه إلى منطقة الميلانوما المضطربة).

لم يبالِ بذلك. المهم أنه لا يزال على قيد الحياة. أدخل إصبعيه المتباعدتين إلى حلقه مرة أخرى، ثم حكّ حوافه، فخرجت العصارة الباقية من طعام الفطور. وفي المرة الثالثة، لم يُخرج سوى خيوط طويلة من البصاق ذي اللون الورديّ الخفيف من أثر الدم في بلعومه. عندئذٍ شعر بالرضا، وعندئذ أصبح بوسعه متابعة سيره نحو قرية دورك جروف؛ الموقع الرائع نصف المبني الذي يملكه الوغد في المنطقة الريفية الصامتة - إلا من أزيز الحشرات - في مقاطعة تشارلوت. خطر له في تلك اللحظات أن جرنوولد ربما لم يكن الشخص الوحيد الذي يعاني من وضع عصيب في تلك الأيام.

كانت هناك برك من المياه في الأخاديد التي حفرتها عجلات السيارات في الشوارع غير المعبَّدة، وكذلك في حفر المباني غير المنتهية (بعضها لم تكن هياكلها قد بُنيت بعد). إن ما شاهده كورتيس في الأسفل - محلات نصف مبنية، وبضع قطع من آليات بناء قذرة واقفة هنا وهناك، وشريط تحذير أصفر مرتخ - كان يدل حتماً على وجود مشكلة مالية عميقة، وربما انهيار مالي. لم يعرف كورتيس ما إذا كان انشغال تفكير الوغد بأرض فيتون - دون ذكر رحيل زوجته، ومرضه، ومشاكله المالية المتعلقة بكلبة كورتيس - هو السبب في إنفاقه المالي المجازف الذي كان يراه أمام عينيه، لكن ما عرفه على وجه اليقين هو وجود مشكلة إنفاق مالي زائد عن الحد. لقد عرف ذلك حتى قبل أن يتابع طريقه ويفتح البوابة ويرى اللافتة المنصوبة هناك.

أُغلق هذا الموقع من قبل نائب

مدير البناء والتخطيط في مقاطعة تشارلوت

المكتب الضريبي في مقاطعة تشارلوت

المكتب الضريبي في فلوريدا

الإيرادات الداخلية في الولايات المتحدة

للمزيد من المعلومات اتصل على الرقم 941-555-1800

انتهى القطران، وبدأت الحفر بعد الأبنية الثلاثة الوحيدة التي بدت مكتملة؛ كان هناك محلان تجاريان على أحد جانبي الطريق ومنزل مزخرف على الجانب الآخر، وهذا المنزل المزخرف المبني وفق الطراز الكولونيالي جعل دماء كورتيس تبرد في عروقه. وبما أنه لم يكن يثق في دراجته الفيبا على الطرق غير المعبَّدة، توقف بجانب عربة تحميل

بضائع بدت كما لو أنها كانت مركونة هناك منذ قرن أو يزيد - كان العشب ناميا في التربة أسفل أداة التحميل المرفوعة قليلاً - وأنزل السنّادة وأطفأ المحرك.

تدفّق الصمت مالئاً الفراغ الذي كانت قرقرة الفيسبا الثخينة تشغله ثم نعق غراب وردّ عليه آخر. رفع كورتيس رأسه لينظر فرأى ثلاثة غربان جاثمة على سقّالة قرب بناء غير مكتمل. ربما كان مصمّماً ليكون مصرفا، فقال كورتيس في داخله: لكنه الآن أصبح شاهدة قبر جرنوولد، غير أن هذه الفكرة لم تتمكن حتى من رسم ابتسامة على شفتيه. شعر بالحاجة لدفع نفسه للتقيؤ مجدداً، ولعله كان سيفعل ذلك، لكنه رأى عند نهاية الطريق الترابي المهجور رجلاً يقف بجانب سيارة سيدان بيضاء رُسمت عليها شجرة نخيل خضراء، وفوق الشجرة كُتبت كلمة: جرنوولد، وتحتها عبارة: كونتراكتورز آند بيلديرز. وكان الرجل يلوّح له. لا بد أن جرنوولد كان - لسبب ما - يقود إحدى سيارات الشركة في ذلك اليوم بدلاً من سيارته البورش. اعتقدَ كورتيس أن احتمال أن يكون جرنوولد قد باعها لم يكن بعيداً جداً. وكان من المحتمل أيضاً أن تكون مصلحة الضرائب قد حجزتها، إلى جانب منزله في جزيرة تيرتل. أما بالنسبة إلى أرض فينتون، فستكون أقل البواعث لإثارة قلقه حتماً.

آمل فقط أن يتركوا له ما يكفي لدفع ثمن كلبتي، قال كورتيس في نفسه. لوّح لجرنوولد بالمقابل، ثم نقر زرّ الإنذار الأحمر بعد إخراج المفتاح (كان تصرّفه ذاك غير إراديّ. فهو لم يكن يعتقد أن الفيسبا كانت مهددة بالسرقة - ليس في هذه المنطقة - لكنه تعلّم أن يهتم بممتلكاته) ووضع المفتاح في جيبه مع هاتفه الخلوي. ثم سار على الشارع الترابي لمقابلة جاره وتسوية المشكلة بينهما إلى الأبد، إذا كان ذلك ممكناً، متجنباً بحرص برك المياه التي بقيت من أمطار الليلة السابقة.

قال جرنوولد بينما كان كورتيس يقترب: "مرحباً أيها الجارا". كان

يرتدي سروالاً خاكياً وقميصاً مترهلاً يحمل شعار شركته؛ شجرة النخيل الخضراء. وكان وجهه شاحباً، باستثناء البقع الحمراء على أعلى خدّيه، والهالتين الداكنتين اللتين تكادان تكونان سوداوين حول عينيه. ورغم أنه بدا مبتهجاً، إلا أنه بدا أيضاً مريضاً جداً على نحو غير مسبوق. فقال كورتيس في نفسه: أياً يكن ما اقتطعوه منه، فقد أخفقوا!. كان جرنوولد يضع يداً خلف ظهره، فافترض كورتيس أنها كانت في جيبه الخلفي، ولكن سيتبين له لاحقاً أنه كان مخطئاً بخصوص ذلك.

على بعد مسافة قصيرة منهما على الطريق الترابي المحفّر والموحل، كانت هناك مقطورة مستندة على أحجار بناء، فافترض كورتيس أنها مكتب جرنوولد الخاص بموقع العمل. وكان هناك إعلان مغلّف بحافظة بلاستيكية متدلّية من قطعة بلاستيكية دائرية صغيرة ملتصقة بأحد جوانب المقطورة، وقد كُتب عليها الكثير. ولكن كل ما استطاع كورتيس - أو بالأحرى، كل ما كان يحتاج إلى - قراءته هو كلمتين فقط: الدخول ممنوع.

أجل، إن الوغد يمرُّ بظروف قاسية. ربما كان الروائي الإنكليزي إفيلين واف سيقول هنا: قطعة جبن قاسية على توني.

قال كورتيس: "جرنوولد". كان هذا كافياً كبداية؛ بالنظر إلى ما حدث ليتسي، فإن هذا كل ما كان جرنوولد يستحقه. توقف كورتيس على بعد ثلاثة أمتار منه مباعداً بين ساقيه قليلاً ليتجنب بركة مياه. وكانت ساقا جرنوولد أيضاً متباعدتين. خطر لكورتيس أنها كانت وضعية كلاسيكية: مقاتلان مسلّحان على وشك إنجاز صفقتهما في الشارع الوحيد في بلدة مهجورة.

قال جرنوولد مجدداً: "مرحباً أيها الجار!". لكنه ضحك هذه المرة. كان هناك شيء ما بخصوص ضحكته، ولكن ما الغريب في ذلك؟ من المؤكد أنه سمع الوغد يضحك من قبل. صحيح أنه لا يتذكر متى، ولكن

لا بد أنه سمعه يضحك من قبل.

خلف جرنوولد، مقابل المقطورة، وليس بعيداً عن سيارة الشركة التي قادها جرنوولد ليصل إلى المكان، كان يوجد صف من أربع حجرات مراحيض زرقاء نَبَتَ العشب حول قواعدها. وكانت الأمطار الناجمة عن عواصف حزيران الرعدية المتكررة (تلك الفورات الغاضبة التي كانت تحدث في فترة العصر كانت واحدة من خصائص ساحل الخليج) قد حفرت خندقاً أمام تلك المراحيض. وكان الخندق مليئاً بمياه راكدة يعكّر الغبار سطحَها، حيث أصبح يعكس نسخة مشوشة عن زرقة السماء. كانت المراحيض مائلة إلى الأمام قليلاً مثل شواهد قبور قديمة ومشققة. لا شك أن هذا الموقع كان يحوي طاقماً كبيراً من العمال ذات يوم، وذلك لوجود حجرة مرحاض خامسة، بيد أن تلك الأخيرة كانت مستلقية في الخندق مفتوحة الباب. كانت تلك هي الإشارة الأخيرة على حقيقة أن هذا المشروع، الذي كان الوغد متلهفاً للبدء به، قد أصبح عديم الفائدة الآن.

طار أحد الغربان عن السقّالة ورفرف في السماء غير الصافية ناعقاً فوق الرجلين الواقفين قبالة بعضهما. في تلك الأثناء، بلغت كورتيس رائحة المراحيض؛ لا بد أنها لم تُنظَّف منذ وقت طويل.

قال كورتيس مرة أخرى: "جرنوولد؟". ثم أضاف (لأنه كانت هناك حاجة لقول المزيد هذه المرة): "كيف يمكنني أن أساعدك؟ هل هناك شيء لنناقشه؟".

"في الواقع، أيها الجار، السؤال هو كيف يمكنني أن أساعدك أنت هذا هو السؤال بدقة". ثم بدأ بالضحك ثانيةً، لكنه خنق الضحكة. علم كورتيس حينئذ لماذا كان الصوت مألوفاً. لقد سمع تلك الضحكة على هاتفه الخلوي عند نهاية رسالة الوغد الصوتية. والرجل لم يكن يبدو مريضاً – أو لم يكن مريضاً وحسب – بل كان حانقاً.

بالطبع، إنه حانق. لقد فقدَ كل شيء. وسمحت له أن يحضرك إلى هنا وحدك. هذا ليس قراراً حكيماً يا صديقي. لم تفكّر فيه ملياً.

لا. منذ مقتل بيتسي، أهمل التفكير ملياً في الكثير من الأشياء التي لم تكن تبدو بأنها تستحق العناء. ولكن، كان ينبغي عليه التفكير بجدية هذه المرة.

كان جرنوولد يبتسم، أو يُظهر أسنانه على الأقل. "أرى أنك لم ترتدِ خوذتك أيها الجار". وهزَّ رأسه دون أن تفارق البسمة وجهه المريض. كان شعره – الذي بدا أنه لم يُغسَل منذ مدة – يرفرف على أذنيه. "لو كنتَ تملك زوجة، لما تركَتْكَ تفلت بمثل هذا التصرف المتهوِّر، أنا واثق من ذلك. ولكن، بالطبع، الأشخاص مثلك لا يملكون زوجات، صحيح؟ إنهم يملكون كلبات". لقد مطَّ الكلمة الأخيرة حيث بدت وكأنها مأخوذة من المسلسل التلفزيوني "دوقا هازارد": كلبااااات.

"دعك منها". كان قلب كورتيس يدق بعنف، لكنه ظن أن ذلك لم يظهر في صوته؛ أمِلَ ذلك. فجأةً، أصبح مهماً بالنسبة إليه ألا يعرف جرنوولد بأنه كان خائفاً. تلفَّت كورتيس حواليه، وخلفه من حيث أتى.

قال جرنوولد: "كنت أعتقد أن أرض فيتون قد تجلبك إلى هنا. لكنني كنت واثقاً من أنك ستأتي إن أضفت إليها كلبتك ذات المؤخرة البشعة. لقد سمعتها تعوي متألمة كما تعلم، أقصد عندما اصطدمت بالسياج. تلك الكلبة المتعدِّية".

التفت كورتيس إليه غير مصدِّق.

كان جرنوولد يهز رأسه مبتسماً. "أجل. لقد ذهبت إلى هناك ورأيتها مستلقية على جنبها. كيسُ خرَق بعينين. راقبتها وهي تموت".

قال كورتيس: "قلت إنك لم تكن في المنزل". بدا صوته ضعيفاً في أذنيه؛ مثل صوت طفل صغير.

"في الحقيقة أيها الجار، لا شك أنني كذبت في هذا الشأن. كنت

قد عدت باكراً من عيادة طبيبي، شاعراً بالحزن لأنني اضطررت لأن أخذله بعد أن فعل كل ما بوسعه لإقناعي بقبول العلاج الكيماوي، وعندئذ شاهدت كيس خرقك مستلقية في بركة من قيئها، لاهثة، والذباب يغطيها من كل جانب، فابتهجت. قلت لنفسي: توجد عدالة. توجد عدالة في نهاية المطاف. فقد كان مجرد سياج ماشية ضعيف التيار - كنت صادقاً تماماً في هذا الخصوص - لكنه بالتأكيد قام بعمله، أليس كذلك؟".

بعد لحظة من عدم إدراك مطلق، وربما متعمّد، أدرك كورتيس جونسون معنى كل هذا، وهمّ بالسير إلى الأمام، محوّلاً يديه إلى قبضتين صحيح أنه لم يضرب أحداً منذ أن كان في الصف الثالث الابتدائي أثناء مشاحنة في الملعب، لكنه في هذه اللحظة كان مصمماً على ضرب الوغد. كانت الحشرات لا تزال تئز بلا اكتراث بين الأعشاب، والشمس لا تزال تُسقط أشعتها كالمطرقة على الأرض؛ لم يتغير شيء في هذا العالم إلا هو. لقد اختفى ذلك البرود اللامبالي، وأصبح مهتماً بشيء واحد على الأقل، ألا وهو ضرب جرنوولد إلى أن يصرخ وينزف ويتراجع. وكان يعتقد أنه قادر على فعل ذلك، فالوغد كان أكبر منه بعشرين عاماً، وغير معافى. وعندما سيصبح الوغد على الأرض - مع الرجاء بأن يكون أنفه المكسور للتو منغمساً في واحدة من تلك البرك القذرة - سيقول له كورتيس، هذا من أجل كيس خرقي، أيها الجار.

تراجع جرنوولد خطوة إلى الوراء، ثم أخرج يده من خلف ظهره. لكنها لم تكن فارغة بل كانت تحمل مسدساً ضخماً، ثم قال: "توقف في مكانك أيها الجار، وإلا فسأصنع ثقباً إضافياً في رأسك".

لم يتوقف كورتيس تماماً، فقد بدا له المسدس غير حقيقي. هل سيأتيه الموت من تلك الفوهة السوداء؟ لا شك أن ذلك غير ممكن ولكن -

قال جرنوولد: "إنه هاردبولر عيار 45، وهو محشو برصاص من

نوع سوفتبوينت. حصلت عليه في آخر مرة ذهبت فيها إلى فيجاس، من معرض أسلحة. بعد رحيل جيني بفترة قصيرة. كنت أظن أنني سأقتلها، لكنني أجد أنني فقدت الاهتمام بجيني. إنها، بشكل أساسي، مجرد امرأة نحيلة أخرى بثديين بلاستيكيين. أما أنت، بالمقابل، فمختلف. أنت شرير، يا جونسون. أنت مشعوذ لعين".

هنا توقَّف كورتيس. لقد صدَّق هذه المرة.

"لكنك تحت سلطتي الآن، كما يقولون". ضحك الوغد، ثم خنق ضحكته مجدداً ما جعلها تبدو مثل نشيج غريب. "حتى إنني لست بحاجة لإصابتك في موقع قاتل، فهذا مسدس قوي، أو هكذا أُخبرت. ولهذا، تكفي إصابة في اليد لتقتلك في نهاية المطاف، لأنها ستقتلع يدك بأكملها. أما في البطن، فسوف تتناثر أحشاؤك على بعد أربعين قدماً. فهل تودُّ أن تجرِّبه؟ هل تشعر بأنك محظوظ أيها الأحمق؟".

لم يكن كورتيس يحب أن يجرِّبه، ولم يكن يشعر بأنه محظوظ أيضاً. كانت الحقيقة متأخرة لكنها واضحة تماماً: لقد خدعه معتوه مختل للمجيء إلى هنا.

قال كورتيس: "ماذا تريد؟ سوف أعطيك ما تريده. هل تريدني أن ألغي القضية حول بيتسي؟".

قال الوغد: "لا تسمِّها بيتسي". صوَّب المسدس - الهاردبولر، يا له من اسم بشع - إلى وجه كورتيس الذي رأى أن فوهته كبيرة جداً بالفعل. أدرك كورتيس أنه ربما سيموت قبل أن يسمع صوت المسدس؛ رغم أنه قد يرى لهباً - أو بداية لهب - ينبثق من السبطانة. وأدرك أيضاً أنه كان على وشك التبوُّل. "سمِّها كلبتي ذات الوجه الذي يشبه المؤخرة".

وبدون أدنى شعور بعدم الإخلاص لذكرى بيتسي، ردد كورتيس على الفور: "كلبتي ذات الوجه الذي يشبه المؤخرة".

"والآن قُل: وكم أحببت أن ألعق مؤخرتها كريهة الرائحة".

صمت كورتيس، وشعر بالارتياح لاكتشافه أنه كانت لا تزال هناك حدود. وإضافة إلى ذلك، إذا قال هذه الجملة، فإن الوغد سيطلب منه قول المزيد.

لم يبدُ على جرنوولد الاستياء كثيراً. لوّح بالمسدس قائلاً: "كنت أمزح. في هذه الأخيرة على أي حال".

ظل كورتيس صامتاً. كان هناك جزء من عقله يضج بالذعر والاضطراب. ولكن، كان هناك جزء آخر يبدو أشد صفاءً مما كان عليه منذ موت بيتسي، بل ربما أشد صفاءً مما كان عليه منذ سنوات. وذلك الجزء كان يفكّر في حقيقة أنه قد يموت حقاً.

قال في نفسه: ماذا لو لم أتمكّن من أكل شريحة خبز أخرى؟ ولوهلة، توحّد جزءا عقله – الجزء المضطرب والجزء الصافي معاً – في الرغبة في البقاء على قيد الحياة؛ رغبة قوية جداً لدرجة أنها كانت مريعة.

"ماذا تريد يا جرنوولد؟".

"أريدك أن تدخل إحدى حجيرات المراحيض تلك. تلك الموجودة في النهاية". لوّح بالمسدس ثانيةً، نحو البار هذه المرة.

التفت كورتيس لينظر، شاعراً بخيط رفيع من الأمل. إذا كان جرنوولد ينوي احتجازه، فهذا جيد، صحيح؟ ولعل جرنوولد – بعد أن أخاف كورتيس ونفّس عن غضبه قليلاً – كان ينوي وضعه في حُجيرة المرحاض ومن ثم المغادرة، أو لعله سيذهب إلى المنزل ويطلق النار على نفسه ويأخذ علاج السرطان هاردبولر 45. علاج شعبي معروف على نطاق واسع.

قال كورتيس: "حسناً. بوسعي فعل ذلك".

"ولكن، أولاً أريدك أن تفرغ جيوبك. أفرغها على الأرض".

أخرج كورتيس محفظته، ثم – بتردد – هاتفه الخلوي، بالإضافة إلى مجموعة من الأوراق النقدية الملفوفة بمشبك خاص بالنقود الورقية.

رمشطه المنقَّط بالقشرة.

"أهذا كل شيء؟".

"أجل".

"اقلب الجيوب نحو الخارج، يا عزيزي. أريد أن أرى بنفسي".

قلبَ كورتيس جيبه الأيمن، ثم الأيسر، فسقطت بضع قطع نقدية معدنية ومفتاح الفيبا على الأرض وتلألأت تحت الشمس السديمية.

"جيد. والآن، أرني الجيبين الخلفيين".

قلبَ كورتيس جيبيه الخلفيين، ولكن لم تكن فيهما سوى قائمة تبضُّع قديمة مكتوبة على قصاصة ورق.

"اركل هاتفك الخلوي إلى هنا".

حاول كورتيس لكنه أخفق في ذلك.

فقال جرنوولد: "أيها السافل". ثم أطلق الضحكة نفسها التي انتهت بذلك الصوت الباكي المختنق، وللمرة الأولى في حياته فهم كورتيس الجريمة فهماً كاملاً. وقد وجد الجزء الصافي من عقله أنها أمر رائع؛ لأنه تبيَّن له أن الجريمة – التي كانت غير مُدرَكة بالنسبة إليه في السابق – بسيطة جداً مثل تبسيط الكسور.

قال جرنوولد: "أسرع أيها القذر. أريد أن أذهب إلى المنزل وأنزل في حوضي الساخن. انسَ أمر المسكّنات، فذلك الحوض هو الشيء الوحيد الذي ينفع. كنت سأعيش فيه لو كان ذلك ممكناً". ولكن، لم يكن يبدو عليه أنه كان متلهفاً للرحيل، إذ كانت عيناه تلمعان.

ركل كورتيس الهاتف مجدداً لكنه نجح هذه المرة، حيث راح ينزلق إلى أن وصل إلى قدمي جرنوولد.

صاح الوغد: "إنه يسدِّد، ويسجِّل!". نزل على ركبة واحدة والتقط النوكيا (دون أن يبعد المسدس عن كورتيس)، ثم نهض مصدراً نخيرَ جهد صغيراً، ووضع الهاتف في جيب سرواله الأيمن. وبعد ذلك، أشار

إلى الأشياء الأخرى الملقاة على الطريق قائلاً: "والآن، التقط بقية أشيائك التافهة وضعها في جيوبك. التقط كل الفكّة. من يعرف؟ قد تجد ماكينة لبيع المأكولات الخفيفة في الداخل".

فعل كورتيس ذلك بصمت، ومرة أخرى أحسّ بوخزة ألم صغيرة عندما شاهد الوصلة المعلّقة بحلقة مفتاح الفيسبا. يبدو أن بعض الأشياء لا تتغير حتى في الأوقات العصيبة.

"لقد نسيتَ قائمة تبضّعك أيها الأحمق. يجب ألا تنساها. أعد كل شيء إلى جيوبك. أما بالنسبة إلى هاتفك الخلوي، فسوف أعيده إلى شاحنه الصغير في منزلك الصغير؛ بعد أن أمحو الرسالة التي تركتُها لك".

التقط كورتيس قصاصة الورق - كتب فيها: عصير برتقال، سمك، موفينات إنكليزية - ووضعها ثانية في جيبه الخلفي، ثم قال: "لا يمكنك فعل ذلك".

رفع الوغد حاجبيه الكثّين، وقال: "هل تريد أن تخبرني السبب؟".

"لأن جهاز الإنذار في المنزل مُشغَّل". رغم أنه لم يكن يتذكر إن كان قد شغّله أم لا، "كما أن السيدة ويلسون ستكون هناك بحلول وقت عودتك إلى جزيرة تيرتل".

رمقه جرنوولد بنظرة لطيفة، ولكن مجنونة، ما جعلها تبدو مرعبة، ثم قال: "إنه الخميس يا جار. مدبرة منزلك تأتي فقط خلال فترة العصر يومي الخميس والجمعة. هل تعتقد أنني لم أكن أراقبك؛ تماماً كما كنت تراقبني؟".

"إنني لا -".

"أوه، لقد رأيتك تسترق النظر من خلف شجرة النخيل المفضلة لديك على الطريق. هل تظن أنني لم أرك؟ لكنك لم تشاهدني قطّ، صحيح؟ لأنك كول. والكالى عميان. الكالى ينالون ما يستحقونه" ثم أخفض صوته كمن يريد أن يبوح بسر: "جميع المشعوذين كالى. هذا

مُثبَت علمياً. قد يحاول البعض التغطية على ذلك، لكنك تستطيع إيجاد الدراسات على الإنترنت".

ونتيجة لفزعه المتعاظم، لم ينتبه كورتيس تماماً للكلام الأخير. إذا كان يراقب السيدة ويلسون... يا الله، كم من الوقت استغرق في التفكير والتخطيط؟

على الأقل منذ أن قاضاه كورتيس بسبب بيتي، وربما قبل ذلك.

"بالنسبة إلى شيفرة جهاز إنذارك..." أطلق الوغد ضحكته المخنوقة مجدداً، "سأطلعك على سر صغير. لقد نُصّب نظامك من قبل هيرن سيكيوريتي، وأنا أعمل معهم منذ نحو ثلاثين عاماً. بوسعي الحصول على أي شيفرة أمنية لأي منزل يحصل على خدمات هيرن في الجزيرة؛ إذا أردتُ ذلك. ولكن، بالصدفة، كانت الشيفرة الوحيدة التي أردتها هي شيفرتك". تنشّق، ثم بصق على الأرض، ثم سعل سعالاً هادراً صادراً من أعماق صدره. بدا أنه كان مؤلماً (أمل كورتيس ذلك)، لكن المسدس لم يتحرك. "لا أعتقد أنك شغَلته على أي حال، فذهنك كان مركّزاً على أمور أخرى".

"جرنوولد، الا يمكننا أن -".

"لا. لا يمكننا. أنت تستحق هذا. أنت جنيتَه، أنت اشتريتَه، وأنت حصلتَ عليه. ادخلْ إلى حُجيرة المرحاض اللعين".

بدأ كورتيس المشي نحو حُجيرات المراحيض، لكنه اتجه نحو الحجرة الموجودة في أقصى اليمين بدلاً من تلك الموجودة في أقصى اليسار.

قال جرنوولد: "لا. هذه متينة مثل سوقك المالية الحبيبة. والسبب هو وجود جوانب خاصة. لكنني واثق بأنك ستستمتع بالرائحة. فالأشخاص مثلك يقضون وقتاً طويلاً في المراحيض، ولا بد أنك تحب الرائحة. فجأة، صوّب المسدس إلى مؤخرة كورتيس، فأطلق الأخير

صرخة ذعر قصيرة. ذلك الوغد. "والآن، ادخلْ إلى هناك قبل أن أقرر تحويل مستقيمك المسنّ إلى طريق عام جديد".

اضطرَّ كورتيس للانحناء وهو يمرّ فوق خندق المياه الراكدة المزبدة، والاستناد على حُجيرة المرحاض. وبما أنها كانت مائلة فقد انفتح الباب بسرعة، وكاد أن يلطمه على وجهه عندما انفلت من مزلاجه. وهذا أطلق ضحكة أخرى من جرنوولد. ولدى سماعه الصوت، خطرت في ذهن كورتيس أفكار الجريمة مجدداً. ومع ذلك، كان شعوره بالارتباط القوي بالحياة مدهشاً. وأحسَّ فجأة بأنه يعشق روائح النباتات الخضراء والمنظر السديمي لسماء فلوريدا الزرقاء، وأنّه يتوق لتناول قطعة خبز؛ فأي قطعة من الخبز كانت ستمثل وجبة فاخرة بالنسبة إليه، وكان سيأكلها بوضع منديل فوق ساقيه واختيار شراب ملائم لها من خزانته الصغيرة الخاصة بالشراب. لقد اكتسب نظرة جديدة كلياً للحياة. وكان يأمل فقط أن يعيش ليستمتع بها. ولعله سيفعل؛ إن كان الوغد ينوي احتجازه وحسب.

قال في نفسه: إذا خرجت من هذا الوضع، فسأبدأ بوهب المال إلى مؤسسة أنقذوا الأطفال (كانت فكرة عشوائية وعفوية مثل فكرة الخبز).

"ادخل يا جونسون".

"أقول لك إنها ستقع!".

"مَنْ خبير البناء هنا؟ لن تقع إن كنت حريصاً. ادخل".

"لا أفهم لماذا تفعل ذلك!".

ضحك جرنوولد كما لو أنه غير مصدِّق، ثم قال: "أدخل مؤخرتك إلى هناك وإلا سأفجّرها، وليكن الله في عوني".

اجتاز كورتيس الخندق، ودخل حُجيرة المرحاض فاهتزت بشكل مقلق تحت وطأة ثقله. صرخ وانحنى فوق مقعد المرحاض المغلق مستنداً بيديه المتباعدتين على الجدار الخلفي. وبينما كان يقف هناك

مثل مشتبه به على وشك أن يُفتَّش، أُغلق الباب خلفه بقوة، واختفى ضوء الشمس. فجأة، أصبح في مكان معتم وحار. نظر من فوق كتفه فاهتزت الحجرة مجدداً، على حافة التوازن.

سمع نقراً على الباب، فتخيَّل كورتيس الوغد منحنياً فوق الخندق، ومستنداً بإحدى يديه على الجانب الأزرق، وهو يطرق بقبضة يده الأخرى على الباب. "هل أنت مرتاح هناك؟ هل المكان مريح؟".

لم يُجبْه كورتيس. على الأقل، لقد ثبتت الحجرة اللعينة باستناد جرنوولد على الباب.

"لا شك أنك مرتاح؛ مثل حشرة في أي مكان".

سمع خبطة أخرى، ثم مالت الحُجيرة إلى الأمام من جديد. لقد أزال جرنوولد ثقله عنها. استعاد كورتيس الوضعية السابقة على الفور، حيث وقف على رؤوس أصابعه محاولاً بكل جهده الحفاظ على استقامة الحُجيرة المنتنة قدر الإمكان. انساب العرق على وجهه لاسعاً جرح حلاقة على خط فكِّه الأيسر. دفعه هذا للتفكير في الحمام - الذي يُنظَر إليه عادةً باستهتار - بحنين محب. كان مستعداً لمنح كل دولار في صندوق تقاعده مقابل أن يكون هناك، حاملاً شفرة الحلاقة بإحدى يديه، وهو يراقب انسياب الدم ببطء عبر رغوة كريم الحلاقة في الجهة اليسرى، ومستمعاً إلى أغنية رائجة غبية يبثها راديو الساعة بجانب سريره. أغنية لفريق كاربنترز أو دون هو.

سوف تنقلب هذه المرة، ستنقلب بالتأكيد، هذه هي خطته منذ البداية -

لكن الحُجيرة ثبتت بدلاً من أن تنقلب، مع أنها كانت على وشك الوقوع. كان كورتيس واقفاً على مقدمة قدميه، ومستنداً بيديه على الجدار، ومقوِّساً وسطه فوق مقعد المرحاض، ومدركاً كم كانت تلك الحُجيرة الصغيرة حارة وكريهة الرائحة؛ رغم أن غطاء المرحاض كان مغلقاً. كان

هناك عطر مادة مطهّرة – لا بد أنها مادة زرقاء – ممتزج مع رائحة تحلل الفضلات الإنسانية؛ ما جعلها تبدو كريهة أكثر.

عندما تحدَّث جرنوولد ثانيةً جاء صوته من وراء الجدار الخلفي لقد تخطى الخندق والتف حول الحُجيرة ووقف خلفها. تفاجأ كورتيس لدرجة أنه كاد أن يتراجع إلى الخلف خوفاً، لكنه نجح في عدم تحريك نفسه؛ رغم أنه لم يستطع كبح ارتجافة وجيزة. تركت يداه المتباعدتان الحائط قليلاً فاهتزت الحُجيرة، فأعادهما إلى موقعهما، حانياً جسده قدر الإمكان، فثبتت من جديد.

"كيف حالك أيها الجار؟".

"مرعوب حتى الموت". كان شعره منسدلاً فوق جبهته، وقد بدأ يلتصق بها بفعل العرق، لكنه كان يخشى أن ينفض شعره إلى الخلف، لأن هذه الحركة قد تسقط الحُجيرة. "أخرجني من هنا. لقد حصلتَ على متعتك".

قال الوغد بصوت متحذلق: "إذا كنت تظن أنني أمرح هنا فأنت مخطئ كثيراً. لقد فكَّرت في هذا طويلاً أيها الجار. وفي نهاية المطاف، قررت أنه ضروري؛ لأنني إذا انتظرت لفترة أطول فقد لا أكون قادراً على الاعتماد على جسدي للقيام بما أريد القيام به".

"جرنوولد بوسعنا حل هذا الأمر كرجلين. أقسم إننا نستطيع فعل ذلك".

قال جرنوولد بالصوت المتحذلق نفسه: "أقسم كما تشاء، فأنا لا أعتمد على كلمة يقولها رجل مثلك. أي رجل يعتمد على كلمة رجل مشعوذ يستحق ما يناله". ثم صرخ زاعقاً، "تظنون أنكم أذكياء جداً؟ إلى أي حد تشعر بأنك ذكي الآن؟".

لم يقل كورتيس شيئاً. كلما اعتقد أنه بدأ يسيطر على جنون الوغد، انفتحت أمامه آفاق جديدة.

تابع جرنوولد كلامه، ولكن بصوت أهدأ على الأقل: "أنتَ تريد تفسيراً. تعتقد أنك تستحق تفسيراً. لعلك تستحقه".

نعق غراب من مكان ما، فأحسّ كورتيس في صندوقه الصغير الحار بأن نعيقه يشبه ضحكاً.

"هل اعتقدتَ أنني كنت أمزح عندما أسميتك مشعوذاً شريراً؟ لم أكن أمزح. هل هذا يعني أنك تعرف أنك، لنقل، قوة غير أرضية أرسلت كي تجرّبني وتختبرني؟ لا أعرف. لا أعرف. منذ أن أخذت زوجتي مجوهراتها وغادرت، أمضيت الكثير من الليالي الأرقة وأنا أفكّر في هذا السؤال - من بين أسئلة أخرى - وما زلت لا أعرف. وربما أنت أيضاً لا تعرف".

"جرنوولد، أؤكد لك أنني لست -".

"اخرس. إنني أتحدث هنا. وبالطبع، هذا ما ستقوله، أليس كذلك؟ بصرف النظر عما إذا كنت تعرف أم لا، هذا ما ستقوله. انظرْ إلى شهادات المشعوذات المختلفة في مدينة سالم. اذهب وانظر. أنا فعلت ذلك. كلها موجودة على الإنترنت. لقد أقسمن وقلن إنهنّ لسن مشعوذات، وعندما ظننّ أن الاعتراف سينقذهن من الموت، أقسمن قائلات إنهن مشعوذات، لكن القليلات منهن كن يعرفن يقيناً أنهن كذلك. وهذا يصبح جلياً عندما تفكر فيه في عقلك المتنور أو شيء من هذا القبيل. أيها الجار، كيف يكون الوضع عندما أفعل هذا؟".

فجأة، بدأ الوغد - الذي كان مريضاً ولكن من الواضح أنه كان لا يزال قوياً - بهز حُجيرة المرحاض. كاد كورتيس يُقذَف نحو الباب؛ الأمر الذي كان من الممكن أن ينتهي بكارثة بالتأكيد.

صرخ كورتيس: "توقف! توقف عن فعل ذلك!".

ضحك جرنوولد بلطف، وتوقفت الحُجيرة عن الاهتزاز. لكن كورتيس اعتقد أن أرضيتها أصبحت مائلة أكثر من قبل. "يا لك من طفل!

إنها صلبة مثل السوق المالية، أؤكد لك!".

صمت.

"بالطبع... وهناك شيء آخر: جميع المشعوذين كذابون. ولكن، ليس جميع الكذابين مشعوذين. إنها ليست معادلة متكافئة؛ إذا كنت تفهم ما أعنيه. أما أنا، فمستقيم مثل سهم، كنت كذلك دائماً. لكنني كذبت كي أجلبك إلى هنا، أعترف بذلك بحرية، وقد أكون أكذب الآن".

سعل مرة ثانية سعالاً بلغميًا عميقاً ومؤلماً في الغالب.

"دعني أخرج يا جرنوولد. أتوسل إليك. إنني أتوسل إليك".

سكت الوغد طويلاً، كما لو أنه يفكّر في هذا الطلب، ثم استأنف بيانه السابق.

"وفي النهاية – في ما يتعلق بالمشعوذين – لا يمكننا الاعتماد على الاعترافات. عندما تتعامل مع مشعوذين، فإن الانطباع الذاتي يصبح... يصبح... كما تعرف. يمكننا الاعتماد فقط على الأدلة. وهكذا، فكّرت في الأدلة في قضيتي. دعنا ننظر إلى الوقائع. أولاً، لقد خدعتني بشأن أرض فيتون. هذا هو الأمر الأول".

"جرنوولد، أنا لم –".

"اخرسْ، أيها الجار. ما لم تكن تريدني أن أقلب منزلك الصغير السعيد. في هذه الحالة، يمكنك الحديث قدر ما تشاء. هل هذا ما تريده؟".

"لا".

"خيار جيد. لا أعرف بالضبط لماذا خدعتني، لكنني أعتقد أنك كنت تخشى أن أبني بعض الأبنية السكنية هناك على تيرتل بوينت. على أي حال، تشير الأدلة – وبالتحديد، ما يُسمّى وثيقة بيعك السخيفة – إلى أن الخداع كان موجوداً ببساطة ووضوح. لقد ادّعيتَ أن ريكي فيتون كان ينوي بيعك تلك الأرض مقابل مليون دولار ونصف المليون.

والآن، أيها الجار، أنا أسألك: هل سيصدق أي قاضٍ أو هيئة محلَّفين هذا الأمر؟".

لم يُجب كورتيس. كان يخشى أنه إذا نحنح حلقه فقط – وليس فقط لأن ذلك يمكن أن يثير غضب الوغد – فإن ذلك قد يقلب الحُجيرة الواقفة على حافة التوازن.

"ثم تدفَّق الأقرباء فزادوا الوضع تعقيداً؛ مع أنه كان في الأساس معقداً بما يكفي بتدخُّلك المزعج. وأنت الذي دعوتهم. أنت أو محاميك. هذا واضح بأنه نوع من – كما تعلم – الحالات المثبّتة؛ لأنك تحب الأشياء كما هي".

بقي كورتيس صامتاً، وسامحاً بمرور ذلك دون مناقشة.

"هنا، رميتَ لعنتك. لا بد أن هذا ما فعلته؛ لأن الأدلة تثبت ذلك. لست بحاجة لرؤية بلوتو كي تكتشف أن بلوتو موجود قال أحد العلماء هذا. لقد اكتشفَ وجود بلوتو من خلال ملاحظته حدوث أشياء شاذة في مدار كوكب آخر، هل كنت تعرف ذلك؟ واستنتاج الشعوذة شبيه بذلك يا جونسون. يجب عليك أن تتفحص الأدلة وتنظر إلى الأشياء الشاذة في مدار، مدار، كما تعلم، مدار شيء ما؛ كحياتك على سبيل المثال. وإضافة إلى ذلك، إن حياتك تَسْوَدُّ. إنها تَسْوَدّ. لقد شعرت بذلك يحدث. مثل كسوف. إنها –".

سعل مجدداً، في حين كان كورتيس لا يزال واقفاً في وضعية المستعد للتفتيش؛ المؤخرة بارزة إلى الخلف، والمعدة مقوَّسة فوق مقعد المرحاض؛ حيث كان نجّارو جرنوولد يجلسون ذات يوم بعد بدء سريان مفعول قهوتهم الصباحية.

"وبعد ذلك، تركتني جيني. إنها تعيش حالياً في كيب كود. تقول إنها هناك وحدها. بالطبع إنها وحدها، لأنها تريد تلك النفقة الزوجية – كلهن يردن ذلك – لكنني أعرف. إذا لم تحصل هذه الساقطة على مرادها

مرتين في اليوم، فإنها ستأكل كرات الشوكولاته أمام برنامج أمير كاد آيدول إلى أن تنفجر.

وبعد ذلك، جاء دور مصلحة الضرائب. أولئك السفلة جاءوا تالياً، مع حواسيبهم وأسئلتهم. هل فعلت هذا؟ هل فعلت ذلك؟ أين الأوراق الخاصة بتلك؟ هل كانت تلك شعوذة يا جونسون؟ أو ربما هي خداع من نوع - لا أعرف - عادي أكثر. كأن ترفع سماعة الهاتف وتقول: دققوا في حسابات هذا الشخص، إن كمية الكعك الموجودة في خزانته أكبر بكثير مما يفصح عنه".

"جرنوولد، أنا لم أتصل مطلقاً -".

اهتزت الحُجيرة فمال كورتيس إلى الوراء قليلاً. هذه المرة، من المؤكد أنها...

لكن الحُجيرة ثبتت في مكانها مرة أخرى. كان كورتيس قد بدأ يشعر بالضعف وبالغثيان. ولم تكن الرائحة فقط هي السبب، وإنما الإرهاق أيضاً، أو ربما الاثنان معاً. كان بوسعه الإحساس بقميصه يلتصق بصدره.

قال جرنوولد: "إنني أعرض الأدلة. اخرس بينما أقوم بعرض الأدلة. هذا هو النظام في المحكمة اللعينة".

لماذا كان المكان حاراً جداً في الداخل؟ نظر كورتيس إلى الأعلى فلم يجد فتحات تهوية في السقف. أو، ها هي هناك، لكنها مغطاة بما بدا مثل قطعة من صفيح معدني مثقوب في ثلاثة أمكنة أو أربعة تسمح بدخول بعض الضوء ولكن ليس بدخول أي نسيم. كانت الثقوب أكبر من ربع الدولار وأصغر من الدولار الفضي. نظر من فوق كتفه فرأى صفاً آخر من الثقوب، غير أن فتحتي التهوية الخاصتين بالباب كانتا مغطاتين بالكامل تقريباً.

قال جرنوولد بصوت شخص مظلوم: "لقد جمّدوا أصولي. قاموا

بالتدقيق أولاً، وقالوا إنّ كل هذا كان روتينياً، لكنني كنت أعرف ما يفعلونه، وأعرف ما سيأتي".

بالتأكيد فعلوا ذلك؛ لأنك مذنب من رأسك حتى أخمص قدميك.

"لكنني أصبت بهذا السعال حتى قبل التدقيق. وهذا كان من صنعك أيضاً بالطبع. ذهبت إلى الطبيب، فأخبرني أنني مصاب بسرطان الرئة، أيها الجار، وهو منتشر إلى كبدي ومعدتي، ويعلم الله إلى أين أيضاً. أنا مندهش لماذا لم يصل إلى في خصيتيّ ومؤخرتي أيضاً؛ مع أنني أظن أنه سيصل إلى هناك في وقت قريب. إذا سمحتُ له بذلك؛ لكنني لن أسمح له. فأنا سوف أضع رصاصة في رأسي قريباً جداً. ومن هذا المسدس نفسه، أيها الجار. أثناء وجودي في الحوض الساخن".

تنهّد برقة.

"ذاك هو المكان الوحيد الذي أشعر فيه بالسعادة، في حوضي الساخن".

أدرك كورتيس شيئاً. ولعل السبب في ذلك يعود إلى سماعه الوغد يقول: سأضع رصاصة في رأسي قريباً، ولكن من الأرجح أنه كان يعرف ذلك منذ بعض الوقت. كان الوغد ينوي قلب حُجيرة المرحاض. وكان سيفعل ذلك سواء أثرثر كورتيس واحتج أم حافظ على هدوئه. لم يكن ذلك ليؤثر في شيء، لكنه حافظ على هدوئه على أي حال.

قال جرنوولد مؤكداً لموقع البناء الفارغ: "سرطان رئة!". ثم بدأ يسعل مجدداً، فنعقت بعض الغربان احتجاجاً. "أقلعتُ عن التدخين منذ ثلاثين عاماً وأصبتُ بالسرطان الآن؟".

قال كورتيس: "أنت مجنون".

"بالتأكيد. العالم بأكمله سيقول ذلك. تلك هي الخطة، صحيح؟ تلك هي الخطة اللعينة. وبعد ذلك، وبالإضافة إلى كل شيء، أنت تقاضيني من أجل كلبتك القذرة ذات الوجه الذي يشبه المؤخرة! كلبتك

القذرة التي كانت على أرضي! وما الغاية من كل هذا بعد أن أخذت أرضي، وزوجتي، وعملي، وحياتي؟ ما هي الغاية المحتملة؟ الإذلال بالطبع! الإذلال إضافة إلى الجرح! شعوذة! كل ما حدث لي ذنبك. لذا، لا يجب أن... نعيش!".

دفع جرنوولد الحُجيرة. لا بد أنه وضع كتفه عليها؛ لأنه لم يكن هناك أي تأرجح هذه المرة، فطار كورتيس الذي فقد توازنه إلى الخلف. كان ينبغي أن يُكسَر المزلاج جراء اصطدام وزنه بالباب، لكنه لم يُكسَر. يبدو أن جرنوولد قد فعل شيئاً له أيضاً.

ثم هوى على ظهره عند اصطدام الحُجيرة النقالة بالأرض من جهة الباب، وأطبقت أسنانه على لسانه. انفتح غطاء مقعد المرحاض مثل فم، وتدفق منه سائل أسود بني وسميك مثل مغليّ السكر. وحطَّت قطعة براز متحللة فوق أعلى ساقيه فأطلق كورتيس صرخة اشمئزاز ودفعها جانباً، ثم مسح يده بقميصه، مخلّفاً بقعة بنية عليه. كان هناك جدول سائل مقرف ينسكب من جانب مقعد المرحاض فاغر الفم، ويتجمّع في بركة حول حذائه المطاطي، حيث راح غلاف علبة زبدة فستق يسبح فيها. وكانت هنالك أشرطة من أوراق المرحاض تتدلى من فم المرحاض مثل أشرطة تزيين. لا بد أن هذا لم يكن حقيقياً. كان الوضع أشبه بكابوس باقٍ من أيام الطفولة.

قال الوغد وهو يضحك ويسعل: "كيف تبدو الرائحة عندك الآن، أيها الجار؟ وكأنك في المنزل تماماً، صحيح؟ اعتبره كرسي تغطيس القرن الحادي والعشرين، لِمَ لا تعتبره كذلك؟ كل ما تحتاج إليه هو ذلك السيناتور، ومجموعة من الألبسة الداخلية من ماركة فيكتورياز سيكريت، ويمكنك أن تقيم حفلة لانجيري!".

تَبلَّل ظهر كورتيس أيضاً. لا بد أن الحُجيرة قد سقطت إما في

الخندق المليء بالمياه أو فوقه؛ إذ كان الماء يتسرب من خلال ثقوب الباب.

"معظم حُجيرات المراحيض النقالة هذه تُصنَع من البلاستيك المقولب الرقيق - كما تعلم، مثل حُجيرات المراحيض التي تراها عند مواقف الشاحنات ومواقف الاستراحة على الطرق المأجورة - حيث يمكنك اختراق جدرانها أو سقوفها بيديك العاريتين؛ إذا عزمت على ذلك. ولكن، في مواقع البناء، نحن نقوم بتصفيح الجوانب بالصفائح المعدنية. تُسمّى تغليفاً. وإلا فإن بعض الأشخاص قد يأتون ويحدثون ثقوباً فيها. بهدف التخريب، أو للتسلية فقط، أو للشعوذة مثلك. أجل، أنا أعلم بهذه الأشياء. لديّ كل المعلومات، أيها الجار. أو قد يأتي أطفال ويرمون حجارة عبر الأسقف فقط كي يسمعوا الصوت الذي تُحدثه؛ صوتها المفرقع، مثل فرقعة كيس ورقي كبير. ولهذا السبب نحن نصفّح الأسقف أيضاً. بالطبع، إن ذلك يجعلها أشد حرارة، لكنه أمر عملي وفعال، إذ لن يرغب أحد في قضاء خمس عشرة دقيقة في حُجيرة مرحاض حارة مثل زنزانة في سجن تركي".

كان كورتيس مستلقياً في بركة مياه آسنة وكريهة الرائحة. رأى ورقة "تواليت" ملفوفة حول معصمه فنزعها عنه. وعندما فعل ذلك، شاهد بقعة بنية كبيرة - فضلات عامل بناء قديمة - على الورقة فبدأ بالصراخ. كان مستلقياً في البراز وفوق ورق "التواليت"، وكان المزيد من المياه يتسرب عبر الباب، ولم يكن ذلك كابوساً سيستيقظ منه قريباً. في مكان ما ليس بعيداً جداً، كان حاسوبه الماكينتوش يعرض أرقاماً من وول ستريت، فيما هو مستلقٍ في بركة من الماء الممزوج بالبول، مع كتلة براز مفتولة وسوداء قديمة تتواجد في الزاوية، ومقعد مرحاض مفتوح الغطاء فوق قدميه وليس بعيداً عنهما. كان سيبيع روحه مقابل أن يصحو في سريره نظيفاً وهانئاً.

"دعني أخرج! جرنوولد، رجاءً!".

فأجابه الوغد ببرودة: "لا أستطيع. كل شيء مدبَّر. لقد جئتَ إلى هنا لتلقي نظرة على الموقع، ولتشمت بي قليلاً. فإذا بك تشعر بنداء الطبيعة، وها هي حُجيرات المراحيض أمامك. تدخل إلى واحدة موجودة على الطرف فتسقط الحُجيرة. نهاية القصة. وعندما سيجدونك - عندما سيجدونك أخيراً- سيرى رجال الشرطة أنها كلها مائلة لأن أمطار فترة العصر قد حفرت الأرض تحتها. لن يعرفوا أن منزلك الحالي كان مائلاً أكثر من البقية، أو أنني أخذت هاتفك الخلوي. سيفترضون ببساطة أنك تركته في المنزل، أيها المشعوذ التافه. سوف يبدو الوضع واضحاً لهم تماماً. الأدلة، كما تعلم. كل شيء يعود إلى الأدلة".

ضحك جرنوولد؛ دون سعال هذه المرة. تمنّى كورتيس لو أن الوغد يموت نتيجة سكتة دماغية مفاجئة أو نوبة قلبية. اللعنة على السرطان، فليمتْ هنا على الطريق غير المعبَّد لمشروعه الغبي المفلس. ويُفضَّل أن يسقط على ظهره كي تتمكن الطيور من اقتلاع عينيه.

لو حدث هذا، فسأموت هنا.

صحيح، ولكن هذا ما خطط له جرنوولد منذ البداية، فما الفرق إذاً؟

"سيجدون أنه لم تكن هناك سرقة، فنقودك لا تزال في جيك. وكذلك مفتاح دراجتك الآلية. بالمناسبة، تلك الأشياء ليست آمنة إلى حد بعيد، وتكاد تكون بسوء الدراجات الجبلية. وبدون خوذة! يجب أن تخجل من نفسك، أيها الجار. لكنني لاحظت أنك شغَّلت الإنذار، وهذا جيد. لمسة جميلة في الواقع. لا تملك قلماً لتكتب به ملاحظة على الجدار. لو كنت تملك قلماً لأخذته منك أيضاً، لكنك لا تملك واحداً. سوف يبدو الأمر كحادث مأساوي".

سكت قليلاً. كان بوسع كورتيس تخيُّله بوضوح شديد، واقفاً هناك بثيابه الواسعة جداً على جسده، وواضعاً يديه في جيبيه، وشعره غير المغسول متكتِّل فوق أذنيه، وهو يفكِّر. كان يتحدث مع كورتيس، لكنه

يتحدث مع نفسه أيضاً، باحثاً عن ثغرات في خطته، حتى بعد أن أمضى ليالي بدون نوم، ولأسابيع بلا شك، في التخطيط لهذا الأمر.

"بالطبع، لا يمكن التخطيط لكل شيء. فهناك دائماً أوراق حرّة في مجموعة أوراق اللعب؛ أوراق الرقم اثنين وأوراق الشباب، رجل مع الفأس... مثل هذا النوع من الأشياء. أما بالنسبة إلى احتمالات أن يأتي شخص ما ويجدك وأنت على قيد الحياة فهي ضئيلة. يمكنني قول ذلك. إنها ضئيلة جداً. وماذا لديّ لأخسره؟". ثم ضحك مثل شخص مسرور من نفسه، وقال: "هل أنت مستلقٍ في البراز يا جونسون؟ آمل ذلك".

نظر كورتيس إلى قطعة البراز الموجودة في الزاوية، لكنه لم يقل شيئاً. سمع صوت أزيز منخفض. ذباب. بضع ذبابات فقط، ولكن حتى هذا العدد القليل كان كثيراً جداً برأيه. كانت تخرج من مقعد المرحاض المفتوح غطاؤه. لا بد أنها كانت محتجزة في خزان التجميع الذي كان ينبغي أن يكون تحته بدلاً من أن يكون عند قدميه".

"أنا ذاهب الآن يا جار، ولكن فكِّرْ في هذا: إنك تعاني من مصير مشعوذ حقيقي، كما تعلم. وكما يقولون: في المرحاض لا يستطيع أحد أن يسمع صراخك".

بدأ جرنوولد يمشي مبتعداً. كان بوسع كورتيس معرفة ذلك من خلال تضاؤل صوت ضحكه المترافق مع السعال.

"جرنوولد! جرنوولد! عُدْ!".

صاح جرنوولد: "الآن أنت موجود في وضع عصيب؛ وضع عصيب للغاية بالفعل".

ثم - لا بد أنه توقَّع ذلك، بل توقَّع ذلك حقاً. ورغم ذلك، كان الأمر لا يُصدَّق - سمع صوت محرك سيارة الشركة التي رُسمت عليها شجرة النخيل وهو يقلع.

"ارجع أيها الوغد!".

ولكن، هذه المرة كان صوت محرك السيارة يختفي شيئاً فشيئاً بينما كان جرنولد يقودها على الطريق غير المعبَّد أولاً (كان بوسع كورتيس سماع تخبط العجلات في البرك)، ثم يصعد التلة متجاوزاً المكان الذي ركن فيه كورتيس آخر مختلف تمام الاختلاف عن كورتيس الحالي دراجته الفيسبا. نقر الوغد نقرة صغيرة على زموره - بقوة وابتهاج - وبعد ذلك اختلط صوت المحرك مع صوت النهار الذي لم يكن سوى همهمة الحشرات في العشب، وأزيز الذباب الذي تحرر من خزان الفضلات، وطنين طائرة بعيدة؛ حيث يُحتمَل أن يكون مسافرو الدرجة الأولى فيها يأكلون جبن بري الفرنسي مع الخبز المحمص.

حطَّت ذبابة على ذراع كورتيس فأبعدها بيده، فطارت وحطّت على قطعة البراز وبدأت تناول غداءها. فجأة، بدت الرائحة النتنة لخزان التجميع المقلوب مثل شيء حي؛ مثل يد سوداء - بنية تزحف داخل بلعوم كورتيس. لكن رائحة البراز المتحلل القديم لم تكن الأكثر سوءاً، فالأسوأ منها كانت رائحة المادة المطهِّرة الزرقاء. كان واثقاً بأنها مادة زرقاء.

أجلَسَ نفسه - كان يوجد حيِّز كاف - وتقيّأ بين ركبتيه المتباعدتين، في بركة المياه القذرة التي تطفو على سطحها أوراق التواليت. ولكن، بسبب مغامراته السابقة في التقيؤ، لم يبقَ شيء في أحشائه سوى مادة صفراء. ظل جالساً محني الظهر، ولاهثاً، ومستنداً بيديه على الباب الذي كان جالساً عليه حينئذ. كان جرح الحلاقة على خط فكّه ينبض ويلسع. تقيأ ثانيةً، لكنه لم يُخرج هذه المرة سوى صوت تجشُّؤ بدا مثل صوت حشرة سيكادا.

لم يكن الجلوس - على الأقل - يمثل مشكلة بالنسبة إليه. صحيح أن المكان كان حاراً على نحو لا يُحتمَل، والرائحة مريعة (لم يكن يريد التفكير في ما يمكن أن يكون قد تحرّك في خزان التجميع، لكنه في

الوقت نفسه لم يكن قادراً على إبعاد هذه الأفكار)، ولكن على الأقل كان هناك حيّز للرأس.

"يجب أن تحسب النعَمَ، يجب أن تحسبها بعناية".

أجل، وفكّرَ أيضاً. سيكون هذا جيداً. لم يرتفع مستوى المياه التي كان جالساً فيها، وربما كانت هذه نعمة أخرى. إلا إذا تحوّل مطر العصر الخفيف إلى هطول قوي. لقد رأى ذلك يحدث من قبل. ولم يكن من المفيد أن يقول لنفسه إنه سيكون خارج هذا المكان بحلول فترة العصر؛ لأن هذا النوع من التفكير ينسجم مع رغبات الوغد. وهو لم يكن ليكتفي بالجلوس هنا، حامداً الله على وجود مكان لرأسه على الأقل، وبانتظار مجيء المنقذ.

ربما سيأتي شخص من قسم البناء والتخطيط في مقاطعة تشارلوت، أو فريق مصلحة الضرائب.

من اللطيف تخيُّل ذلك، لكنه كان يعتقد أن هذا لن يحدث. لا بد أن الوغد أخذ كلّ الاحتمالات بعين الاعتبار أيضاً. بالطبع، قد يأتي إداري ما أو فريق من الإداريين بشكل مفاجئ، لكن الاعتماد على ذلك سيكون أمراً غبياً مثل الاعتماد على أن جرنوولد قد يغير رأيه. والسيدة ويلسون ستفترض أنه ذهب لمشاهدة فيلم سينمائي في ساراسوتا في فترة بعد الظهر؛ كما كان يفعل غالباً.

نقر بأصابعه على الجدار الأيسر أولاً ثم على الأيمن، فأحسَّ بوجود معدن قاسٍ خلف البلاستيك مباشرة؛ خلف كليهما. تغليف. انتصب على ركبتيه، فارتطم رأسه هذه المرة، لكنه بالكاد انتبه لذلك. وما شاهده لم يكن مشجعاً، إذ إن النهايات المسطحة للبراغي التي تجمع أجزاء الحُجيرة معاً كانت من الخارج وليست من الداخل. هذا ليس مرحاضاً، بل تابوتاً.

عند هذه الفكرة، تبددت لحظة الصفاء والهدوء، وحلَّ الذعر محلها. فبدأ يطرق بقوة على جدران الحُجيرة وهو يصرخ بأعلى صوته

طالباً إخراجه منها. رمى نفسه من جدار لآخر مثل طفل في نوبة غضب، محاولاً دحرجة الحُجيرة كي يتمكن على الأقل من تحرير الباب، لكن الحُجيرة اللعينة بالكاد تحركت. كانت ثقيلة، والتغليف الذي يغطيها هو الذي جعلها ثقيلة.

صرخ في داخله: ثقيلة مثل تابوت! وبسبب ذعره، اختفت كل الأفكار الأخرى. ثقيلة مثل تابوت! ثقيلة مثل تابوت! تابوت!

لم يعرف كم مضى من الوقت وهو على هذا الحال، لكنه في لحظة معينة حاول الوقوف كما لو أنه كان قادراً على اختراق الجدار الذي كان يواجه السماء حينئذ، مثل سوبرمان. صدم رأسه مرة أخرى، ولكن بقوة أكبر هذه المرة، وسقط على معدته. ضغطت يده على شيء طري ولزج - شيء يلطِّخ - فمسحها على مؤخر سرواله. فعل ذلك دون أن ينظر لأن عينيه كانتا مغمضتين، وكانت الدموع تقطر من زاويتيهما. وفي الظلمة وراء أجفانه، كانت النجوم تنبثق وتتفجَّر. لم يكن ينزف - وافترَض أن ذلك كان أمراً حسناً؛ نعمة لعينة أخرى ينبغي حسابها - لكنه كاد أن يفقد وعيه.

قال: "هدِّئ من روعك". انتصب على ركبتيه مرة أخرى، مطأطئ الرأس، ومغمض العينين. كان يبدو مثل رجل يتضرّع. حطّت ذبابة على مؤخر عنقه لوهلة، ثم طارت من جديد. "التصرف بجنون لن يفيد. سوف يحب كثيراً أن يسمعك تصرخ وتتصرف بحماقة، لذلك اهدأ، ولا تمنحه ما يحبّه. اهدأ فقط وفكِّر في الأمر".

وبماذا سيفكر؟ كان محتجزاً.

جلس كورتيس على الباب من جديد، ووضع رأسه بين يديه.

مرَّ الوقت وتابع سيره.

على الطريق 17، مرت بضع سيارات، وشاحنات زراعية ذاهبة إما

إلى ساراسوتا أو إلى مخزن الأطعمة غير المعالجة في نوكوميس، وجرار، وشاحنة ساعي البريد بأضوائها الصفراء السقفية. لم يسلك أي منها الطريق الفرعي المؤدي إلى قرية دوركين جروف.

وصلت السيدة ويلسون إلى منزل كورتيس، ودخلت، وقرأت الملاحظة التي تركها السيد جونسون على طاولة المطبخ، وبدأت التنظيف باستخدام المكنسة الكهربائية. ثم كَوَت الألبسة وهي تشاهد مسلسلات بعد الظهر. وبعد ذلك أعدَّت قدراً من المعكرونة ووضعتها في الثلاجة، ثم كتبت ملاحظات بسيطة تتعلق بتحضيرها – درجة الحرارة 350 (فهرنهايت)، 45 دقيقة – وتركت الورقة على الطاولة حيث كانت ملاحظة كورتيس. وعندما بدأ الرعد يدمدم فوق خليج المكسيك، غادرت المنزل باكراً؛ كما تفعل غالباً عندما تمطر. لا أحد هناك كان يعرف كيف يقود السيارة تحت المطر. كانوا يتعاملون مع كل زخة مطر مثل عاصفة نورايستر في فيرمونت.

وفي ميامي، تناول وكيل مصلحة الضرائب الموكلة إليه قضية جرنوولد شطيرة كوبية. لم يكن يرتدي بذة رسمية، بل قميصاً مدارياً عليه صور ببغاوات. كان جالساً تحت مظلة مطعم على أحد الأرصفة. لم يكن هناك مطر في ميامي، وهو كان في إجازة. ستكون قضية جرنوولد في انتظاره عندما يعود إلى العمل. صحيح أن عجلات الحكومة تدور ببطء، لكنها تدور بفعالية ممتازة.

أما جرنوولد فقد استرخى في حوضه الساخن الموجود في باحة منزله، وغفا؛ إلى أن أيقظه صوت الرعد المنذر باقتراب عاصفة فترة العصر. جرَّ نفسه خارج الحوض جرًّا، ودخل إلى المنزل. وما إن أغلق الباب الزجاجي المنزلق الفاصل بين الباحة وغرفة المعيشة حتى بدأ المطر بالهطول، فابتسم وقال: "هذا سيبرِّدك أيها الجار".

عادت الغربان لتتخذ من السقَّالة المحيطة بمبنى البنك، غير

المكتمل من ثلاثة جوانب، محطة توقف لها. ولكن، عندما دوّى الرعد فوقها تقريباً وبدأ المطر ينهمر، طارت مجدداً لتبحث عن ملجأ لها في الغابة، وهي تنعق استياءً من إقلاق راحتها.

وفي حُجيرة المرحاض، بدا أنه مضى على احتجاز جونسون هناك ما لا يقل عن ثلاث سنوات. استمع كورتيس لصوت المطر المنهمر على سقف سجنه؛ السقف الذي كان الجدار الخلفي للحُجيرة قبل أن يقلبها الوغد. نقر المطر نقراً في البداية، ثم تحول النقر إلى ضرب خفيف، ثمّ إلى ضرب شديد، وتفجَّرت الرعود فوق رأسه. تخيَّل كورتيس للحظات صاعقة تُصيب حُجيرة المرحاض وتشويه مثل ديك في ميكروويف، فلم ينزعج كثيراً؛ لأن الموت بهذه الطريقة سيكون سريعاً على الأقل، بدلاً من الموت البطيء الذي كان يعاني منه حينئذ.

بدأت المياه ترتفع، ولكن ليس بسرعة، فسُرَّ كورتيس لذلك في الواقع؛ لأنه وجد أن احتمال موته غرقاً مثل فأر تعثَّر وسقط في حوض المرحاض كان غير ممكن. وعلى الأقل، كان هناك ماء، وهو يشعر بعطش شديد. ولهذا حنى رأسه نحو أحد الثقوب المحفورة في الباب حيث كان ماء الخندق يفور منه، وشرب مثل حصان بجانب وعاء شربه. ورغم أن الماء كان يحتوي على حصًى إلا أنه شرب حتى امتلأت معدته؛ مذكراً نفسه باستمرار بأنه ماء، ماء.

قال كورتيس: "قد يحتوي على كمية معينة من البول، لكنني متأكد بأنها قليلة". وضحك، ثم تحولت الضحكة إلى نحيب، ثم إلى ضحكة من جديد.

توقف المطر حوالى الساعة السادسة مساء؛ كما يفعل عادة في هذا الوقت من السنة. وصَفَتِ السماء في الوقت المناسب لتقدم عرض غروب فلوريدي من الدرجة الأولى. تجمَّع السكان الصيفيون القلائل على جزيرة تيرتل على الشاطئ لمشاهدته، كما يفعلون عادةً. لم يعلِّق أحد على

غياب كورتيس جونسون، لأنه كان يتواجد معهم أحياناً ويغيب في أحيان أخرى. أما تيم جرنوولد فكان حاضراً هناك، وقد لاحظ عدة أشخاص أنه بدا فرحاً على نحو استثنائي في ذلك المساء. قالت السيدة بيلز لزوجها أثناء رجوعهما إلى المنزل سيراً على الشاطئ متشابكي الأيدي، إنها تعتقد أن جرنوولد تجاوز أخيراً صدمة فقدانه زوجته. فقال لها السيد بيلز إنها رومانسية. فردت الزوجة: "أجل يا عزيزي". ثم وضعت رأسها على كتفه للحظات، قائلة: "ولهذا السبب تزوجتك".

عندما رأى كورتيس أن الضوء المتسلل من الثقوب القليلة على أحد الجدران - غير تلك المحفورة في الباب الذي كان يواجه الخندق - بدأ يخفت متحولاً من اللون البرتقالي المصفر إلى الأبيض الشاحب، أدرك أنه سيمضي الليل في هذا التابوت المتن، جالساً في بركة مياه بعمق خمسة سنتمترات، قرب مقعد مرحاض نصف مغلق عند قدميه. من الممكن أن يموت هنا، لكن هذا بدا خيالياً. أما أن يمضي الليلة في هذا المكان - ساعات مكدسة فوق ساعات، مثل أكداس كتب سوداء كبيرة - فذلك كان حقيقياً ولا يمكن تفاديه.

دبَّ الذعر في روحه من جديد، ومرة أخرى راح يصرخ ويطرق على الجدران، لكنه هذه المرة كان يدور ويدور على ركبتيه، لاطماً أحد الجدران بكتفه اليمنى ثم آخر بكتفه اليسرى؛ مثل طير علق في برج دار عبادة. غير أنه لم يستطع أن يحمل نفسه على التوقف. وبينما كان يدور، أصابت إحدى قدميه قطعة البراز فاندفعت لترتطم بأسفل مقعد المرحاض، ومُزِّق سرواله، وجرح مفاصل يديه. وأخيراً، توقف وهو يبكي.

يجب أن أتوقف عن فعل هذا. يجب أن أوفّر قوتي.

وبعد ذلك، قال في نفسه: من أجل ماذا؟

بحلول الساعة الثامنة بدأ الهواء يبرد، وبحلول العاشرة، بردت أيضاً

مياه البركة التي كان مستلقياً فيها، وبدأ يرتجف. لفَّ ذراعيه حول نفسه ورفع ركبتيه إلى صدره.

ساكون على ما يرام طالما أن أسناني لا تصطك. لا يمكنني أن أتحمل اصطكاك أسناني.

في الحادية عشرة، ذهب جرنوولد إلى سريره في بيجامته، واستلقى عليه تحت المروحة الدوّارة، وهو ينظر مبتسماً إلى الظلام في الأعلى. ثم قال: "ليلة سعيدة أيها الجار". وأغمض عينيه، ونام طوال الليل دون أن يستيقظ، وذلك للمرة الأولى منذ ستة أشهر.

في منتصف الليل، ومن مكان ليس ببعيد عن زنزانة كورتيس، أطلق حيوان ما - ربما مجرد كلب بري، لكنه بدا مثل ضبع بالنسبة إلى كورتيس - عواءً زاعقاً طويلاً. وبدأت أسنان كورتيس تصطك. كان الصوت مريعاً كما كان يخشى بالضبط.

وبعد مدة لا يمكن تخيّلها، غطّ في النوم.

عندما استيقظ، كان جسده بأكمله يرتعش. حتى إنّ قدميه كانتا ترتجفان مثل قدمي مدمن على المخدرات أثناء فترة إقلاعه عن التعاطي.

سوف أمرض، سأضطر للذهاب إلى طبيبي اللعين، جسدي كله يؤلمني.

ثم فتح عينيه، ورأى المكان الذي يتواجد فيه، وتذكّر ما حصل له، فأطلق صرخة يائسة ومدوية: "أوووه... لا! لا!".

أو بالأحرى، أوه، أجل. ولكن، على الأقل لم تعد حُجيرة المرحاض مظلمة، فنور الصباح الوردي الشاحب كان يتسرّب من الثقوب الدائرية. وبعد فترة قصيرة، سيشتد الضوء أكثر مع ارتفاع الشمس. ولن يمضي وقت طويل حتى يُطهى على البخار من جديد.

سيعود جرنوولد. كانت لديه ليلة للتفكير في الأمر، وسوف يدرك كم هو جنوني هذا الوضع. وسيعود، وسوف يطلق سراحي.

لم يصدق كورتيس هذا الكلام. أراد تصديق ذلك، لكنه لم يستطع.

كان مضطراً للتبول في أسوأ وضعية، لكنه لم يكن ليتبول في الزاوية بأي حال من الأحوال؛ رغم وجود البراز والمناديل الورقية المستعملة في كل مكان نتيجة انقلاب اليوم السابق. كان يشعر أنه إذا فعل ذلك – إذا فعل شيئاً مقرفاً كذاك – فإن هذا سيكون مماثلاً لقوله لنفسه إنه فقَدَ الأمل.

لقد فقدتُ الأمل.

لكن هذا ليس صحيحاً، ليس تماماً. رغم تعبه وتألمه وخوفه ويأسه، إلا أن جزءاً منه لم يفقد الأمل بعد. وإضافة إلى ذلك، لقد كان هناك جانب مشرق: فهو لم يشعر بالرغبة في إرغام نفسه على التقيؤ. وخلال الليلة السابقة التي بدت أبدية بالنسبة إليه، لم يمضِ ولو دقيقة واحدة في هرش فروة رأسه بالمشط.

لم تكن هناك حاجة للتبول في الزاوية على أي حال. فقد كان بوسعه رفع غطاء مقعد المرحاض بإحدى يديه والتصويب باليد الأخرى، وإطلاق العنان للبول. وهذا يعني، نظراً لوضعية الحُجيرة الجديدة، أنه كان سيتبول بشكل أفقي بدلاً من التصويب من الأعلى إلى الأسفل. لكن الضغط النابض الذي كان يشعر به في مثانته كان يدل على أن ذلك لن يمثّل مشكلة بالنسبة إليه. بالطبع، سوف تنزل الدفقة الأخيرة أو الدّفقتان الأخيرتان على الأرض، ولكن –

"ولكن الأفكار هي ثروات الحروب". قال كورتيس وضحك. "وبالنسبة إلى مقعد المرحاض... اللعنة على رفعه. بوسعي فعل ما هو أفضل من ذلك".

صحيح أنه لم يكن السيد هرقل، لكن مقعد المرحاض والحواف التي تثبته على الحامل مصنوعة من البلاستيك. المقعد والحلقة أسودان، والحواف بيضاء. كان ذلك الصندوق اللعين منتجاً من البلاستيك مسبق الصنع. ولم يكن بحاجة لأن يكون مقاولاً عظيماً كي يلاحظ ذلك.

وبعكس الجدران والباب، لم يكن مقعد المرحاض ومثباته مغلّفة بالمعدن. كان يعتقد أن بوسعه خلعه من مكانه بسهولة ويسر. وإذا استطاع القيام بذلك فسيفعل؛ ولو من أجل التنفيس عن بعض الغضب والرعب اللذين كانا يعتملان في نفسه.

أمسك كورتيس بالمقعد ورفعه بغية الإمساك بالحلقة أسفل الغطاء وشدّها جانباً. ولكنه بدلاً من ذلك، توقف وهو يحدق في الفتحة الدائرية نحو خزان التجميع تحته، محاولاً فهم ما كان يراه.

بدا ما يراه مثل خط من ضوء النهار.

نظر إلى ذلك الخط بحيرة. وسرعان ما بدأت حيرته تمتزج بأمل راح يزحف إليه ببطء. في البداية، ظن أن ما يراه قطعة طلاء لامع أو وهم بصري مطلق. وقد تعززت الفكرة الأخيرة لديه عندما بدأ خط الضوء يخبو تدريجياً. قليلاً... ثم أقل... ثم أقل...

ولكن، قبل أن يختفي كلياً، بدأ يتوهج مجدداً. إنه خط ضوء متوهج، حيث كان باستطاعته رؤيته يطوف خلف أجفانه عندما أغمض عينيه.

هذا ضوء الشمس. إن أسفل المرحاض - ما كان أسفل المرحاض قبل أن يقلب جرنوولد الحُجيرة - يواجه الشرق، حيث أشرقت الشمس منذ قليل.

وعندما خبا قال: "اختفت الشمس خلف غيمة". ثم رفع شعره المتكتل بفعل العرق عن جبينه باليد غير الممسكة بمقعد المرحاض.

"والآن ظهرت من جديد".

تأمّل في هذه الفكرة مليّا، بحثاً عن أي أثر لتفكير حالم قاتل فلم يجد شيئاً. كان الدليل ماثلاً أمام عينيه. إنه ضوء الشمس الذي يشع عبر شق رفيع في قعر خزان التجميع. إذا تمكّن من الدخول إلى هناك وتوسيع الشق فسيحصل على فتحة متوهجة تؤدي إلى العالم الخارجي -

لا تعتمد على هذا.

وكي يصل إلى الداخل، يتوجب عليه أن -

هذا مستحيل. إذا كنتَ تفكر في الدخول إلى خزان التجميع من خلال التلوّي والدوران عبر مقعد المرحاض - مثل أليس في عالم عجائب مليء بالبراز - ففكِّرْ مرة أخرى. ربما لو كنت الصبي الذي كنته في ما مضى، لكن ذلك الصبي كبر ثلاثين عاماً الآن.

هذا صحيح، لكنه لا يزال نحيلاً، وكان يعتقد أن جولاته اليومية على الدراجة الهوائية مسؤولة إلى حد كبير عن هذا الأمر، بيد أن الأهم في الأمر هو اعتقاده أنه كان قادراً على المرور عبر الفتحة.

وماذا بشأن الخروج؟

في الواقع... إذا تمكّن من فعل شيء لخط الضوء ذاك، فلعله لن يضطر للمغادرة بالطريقة نفسها التي دخل فيها.

قال كورتيس: "على فرض أنني أستطيع الدخول أساساً". فجأة أحس بالغثيان، وللمرة الأولى منذ دخوله إلى الحُجيرة، أحس بالرغبة في دفع نفسه للتقيؤ. كان سيصبح قادراً على التفكير في هذا الأمر بوضوح أكبر لو أدخل فقط إصبعين في حلقه و -

"لا". قال ذلك، ثم شد مقعد المرحاض جانباً بيده اليسرى، فصرَّت الحواف لكنها لم تتحرر. نزل شعره مجدداً على جبينه فنفض رأسه بنفاد صبر وأبعده جانباً. استعان بيده الأخرى وشد من جديد. صمد المقعد والحلقة ثانية أخرى ثم تحررا. سقط أحد المسمارين البلاستيكيين في خزان التجميع، في حين سقط الآخر وهو يدور فوق الباب الذي كان كورتيس راكعاً عليه.

رمى المقعد والحلقة جانباً، ونظر إلى الخزان مستنداً بيديه على الحامل. أول نفحة وصلته من الجو المسموم في الأسفل جعلته يرتد إلى الوراء منكمشاً. كان يظن أنه اعتاد على الرائحة (أو خُدِّر بها)، غير أن ذلك لم يكن واقع الحال؛ على الأقل ليس من هذه المسافة القريبة من

المصدر. تساءل ثانيةً عن المرة الأخيرة التي نُظِّف فيها هذا الشيء اللعين

انظرْ إلى الجانب المشرق: لقد مضى وقت طويل أيضاً على المرة الأخيرة التي استُخدم فيها.

ربما، هذا محتمل. ولكن، كان لا يزال هناك الكثير من البراز يطوف في ما بقي من الماء المعقَّم. ثم هناك مسألة الخروج من الحُجيرة مجدداً. ربما كان باستطاعته فعل ذلك: إذا تمكَّن من النفاذ عبر فوهة المرحاض فإنه سيستطيع الخروج من الجهة الأخرى على نحو شبه مؤكد.

لكن السؤال هو: هل يملك خياراً آخر؟

في الحقيقة، أجل. كان بوسعه الجلوس محاولاً إقناع نفسه أن النجدة قد تأتيه في نهاية المطاف؛ الفرسان، كما في الجزء الأخير من فيلم رعاة بقر قديم. لكنه يعتقد أنه من المرجح أكثر أن يعود الوغد للتأكد من أنه لا يزال... ماذا قال؟ مرتاحاً في منزله الصغير. شيء من هذا القبيل.

هذه الفكرة الأخيرة جعلته يحزم أمره. نظر إلى فوهة المرحاض، إلى الثقب المظلم والرائحة الآسنة المنبثقة عنه، إلى خط الضوء؛ بارقة الأمل الوحيدة داخل الثقب المظلم. إنّه بصيص أمل رقيق مثل الخط نفسه. ثم فكَّر في الطريقة: أولاً ذراعه اليمنى، ثم رأسه. وتظل الذراع اليسرى ملتصقة بجسده إلى يتمكن من النفاذ بالدوران والتلوّي حتى مستوى الخصر. ثم، عندما تتحرر ذراعه اليسرى...

ولكن، ماذا لو لم يتمكن من تحريرها؟ تصوَّرَ نفسه عالقاً، الذراع اليمنى في الخزان، واليسرى مسمَّرة بجانب جسده، وخصره يسدّ الفوهة، يسد مجرى الهواء. عندها سيموت مثل كلب، وأثناء اختناقه ستخبط ذراعه في المياه الآسنة المليئة بالبراز، وآخر شيء سيراه هو الشق المضيء الساخر الذي أغراه للدخول.

تخيَّل شخصاً ما يجد جسده العالق من وسطه في فوهة المرحاض، بمؤخرته البارزة، وساقيه المنفرجتين، مع وجود آثار طبعات بنية لحذائه

على الجدران نتيجة رفساته الأخيرة قبل الموت. كان بوسعه سماع شخص ما – ربما وكيل مصلحة الضرائب الذي يكرهه الوغد – يقول: "يا الله، لا بد أنه أوقع شيئاً ثميناً حقاً هناك".

كان ذلك مضحكاً، لكن كورتيس لم يشعر بالرغبة في الضحك.

كم مضى عليه وهو راكع هناك ينظر في الخزان؟ لم يكن يعلم، فساعته موجودة في مكتبه بجانب وسادة فأرة حاسوبه، لكن الألم في فخذيه يدل على أنها كانت فترة طويلة بعض الشيء. كما أن ضوء النهار اشتدَّ إلى حد كبير. لا بد أن الشمس أصبحت فوق خط الأفق بالكامل في ذلك الحين، وسرعان ما سيتحول سجنه إلى غرفة بخار من جديد.

قال: "يجب أن أدخل". ثم مسح العرق عن خديه براحتي يديه. "إنه الحلّ الوحيد". لكنه توقف مرة أخرى؛ بسبب فكرة أخرى خطرت له.

ماذا لو كانت هناك أفعى؟

ماذا لو أن الوغد وضع له أفعى في الداخل، لأنه تصوّر مسبقاً أن عدوه المشعوذ سيحاول فعل هذا الشيء بالتحديد؟ كوبيرهيد، ربما، نائمة في الوقت الحالي. لدغة كوبيرهيد على ذراعه وسيموت ببطء وألم. ومع اشتداد الحرارة ستورّم ذراعه تدريجياً. وإذا كانت أفعى مرجانية، فإن الموت سيكون أسرع، لكنه سيكون أشد إيلاماً؛ حيث ستتسارع دقات قلبه، ثم تتوقف، ثم تتسارع، قبل أن يستسلم القلب أخيراً.

لا توجد أفاعٍ في الداخل. هناك حشرات ربما، ولكن لا توجد أفاعٍ. لقد رأيته، وسمعته. لم يكن يفكر جيّداً. كان مريضاً جداً، ومجنوناً جداً.

ربما، وربما لا. لا يمكنك أن تحسب تماماً ما يستطيع الأشخاص المجانين فعله، صحيح؟ إنهم كأوراق اللعب الحرة.

قال كورتيس: "إنهم كأوراق الرقم اثنين وأوراق الشباب، رجل مع الفأس". فلسفة الوغد. ما كان كورتيس واثقاً منه هو أنه إذا لم يحاول الدخول إلى الخزان، فإنه بالتأكيد سيموت حيث كان موجوداً. وفي

النهاية، قد تكون لدغة الأفعى أسرع وأكثر رحمةً.

"يجب فعل ذلك". مسح خديه مرة أخرى، "يجب فعل ذلك".

المهم ألا يعلق في منتصف طريق خروجه من الفوهة؛ لأنها ستكون طريقة فظيعة للموت.

"لن أعلق، فهي كبيرة. لقد صُنعت من أجل مؤخرات سائقي شاحنات المسافات الطويلة، آكلي كعك الدونَت".

جعلته هذه الفكرة يضحك، لكنها كانت ضحكة هستيرية أكثر منها ضحكة مرح. لم تكن فتحة المرحاض تبدو كبيرة في نظره، بل صغيرة؛ بل إنها صغيرة جداً في الواقع. ومع أنه كان يعرف أن ذلك يعود إلى إدراكه العصبي - إدراكه الخائف، إدراكه المذعور حتى الموت - إلا أن معرفة هذا الأمر لم تساعده كثيراً.

"يجب أن أفعل ذلك. لا يوجد حقاً حلّ آخر".

وفي النهاية، قد تكون هذه المحاولة بلا فائدة... لكنه شك في أن يكبّد أي شخص نفسه عناء إضافة طبقة خارجية فولاذية إلى خزان التجميع، وهذا جعله يتّخذ قراره.

"ساعدني يا الله". كان ذلك دعاءه الأوّل منذ ما يقرب من أربعين عاماً. "يا الله، ساعدني رجاءً كي لا أعلق".

دسَّ ذراعه اليمنى داخل الفوهة ثم رأسه (بعد أن استنشق نفَساً عميقاً جيداً آخر من هواء الحُجيرة الذي بدا له الآن أفضل بكثير). شدَّ ذراعه اليسرى على جسده وزلق نفسه إلى الداخل. علقت كتفه اليسرى. ولكن، قبل أن يتملّكه الذعر ويرجع - جزء منه كان يعرف أنها كانت اللحظة الحاسمة، نقطة اللاعودة - ضغط كتفه مثل شخص يؤدي حركة الواتوسي (*Watusi*) فدخل. أصبح داخل خزان التجميع كريه الرائحة حتى خصره. وكانت وركاه - النحيلتان، ولكن، اللتان لا يمكن القول إنهما غير موجودتين - تسدّان الفتحة تماماً، ما جعل الخزان يصبح أسود

كالقطران. بدا خط الضوء وكأنه يطوف بمنخريه أمام عينيه مباشرة، مثل سراب.

يا الله، رجاءً لا تجعله يكون سراباً.

كان الخزان بعمق متر وربع تقريباً؛ أكبر من صندوق السيارة الخلفي، ولكن - للأسف - ليس بحجم مؤخر سيارة بيك - أب. لم يكن بإمكانه التأكد، لكنه كان يظن أن شعره المتدلي كان يلمس الماء المعالج بالمادة المطهّرة، وأنّ قمة رأسه كانت بلا شك على بعد سنتمترات من الفضلات التي تملأ القاع. كانت ذراعه لا تزال ملتصقة بجسده عند الرسغ. لم يستطع تحريرها. دفع نفسه وهو يتلوّى، لكن ذراعه بقيت في مكانها. ذلك كابوسه الأسوأ؛ لقد علق. لقد علق في النهاية. علق ورأسه متدلٍ في ظلمة متنة.

انفجر الذعر في داخله. مد يده الحرة - دون أي تفكير - نحو خط الضوء الرفيع في قاع الخزان الذي كان يواجه الشرق حينئذ بدلاً من الأرض. كان الضوء أمامه مباشرة، فراح يتلمّسه. كانت أصابع يده الثلاث الأولى أكبر من أن تدخل عبر الشق الضيق، أما الإصبع الصغرى فدخلت. جذب بإصبعه فشعر أن الحافة المثلّمة - لم يكن يعرف إذا كانت معدنية أم بلاستيكية - تثقب جلد إصبعه أولاً ثم تشقه. لم يكترث كورتيس لذلك، وجذب جسده بقوة أكبر.

عَبَرَ جسده الفتحة مصدراً صوتاً يشبه صوت سدادة أثناء خروجها من الزجاجة. وتحرر رسغه، ولكن في وقت متأخر جداً لم يتح له الفرصة لرفع ذراعه والمساعدة في منع سقوطه في البراز؛ بدءاً من رأسه.

خرج كورتيس من البراز مختنقاً، وهو يلوِّح بذراعيه. وراح يسعل ويبصق مدركاً أنه كان حينئذ في وضع عصيب للغاية بكل تأكيد. مسح وجهه، ثم نفض يديه على الجانبين، فتطايرت أشرطة من مادة داكنة من رؤوس أصابعه. كان أنفه مسدوداً، فأدخل إصبعه الصغرى في منخريه،

ونظفهما قدر استطاعته. كان يشعر بالدم يسيل في المنخر الأيمن. وهكذا، تمكن من التنفس مجدداً. لكنه حين فعل ذلك، بدت رائحة الخزان النتنة كما لو أنها وثبت داخل حلقه وغرزت مخالبها عميقاً في معدته، فاضطربت أمعاؤه وكاد أن يتقيأ.

سيطر على نفسك. تماسك، وإلا فإن هذا كله سيذهب هباءً.

استند إلى الخلف على الجانب المقعّر من الخزان، وهو يستنشق بعمق جرعات كبيرة من الهواء عبر فمه، لكن ذلك كان إلى حد ما لا يقل سوءاً. تقيأ ثانيةً. بدا الصوت في أذنيه مثل صوت كلب نزق في يوم حار يحاول النباح بينما هو نصف مشنوق بطوق قوي جداً.

ماذا لو أنني لا أستطيع أن أتوقف؟ ماذا لو أنني لا أستطيع أن أفعل ذلك؟ سأصاب بنوبة قلبية.

ولشدّة ذعره واضطرابه لم يكن قادراً على التفكير، لذا فكّر جسده عنه. دار على ركبتيه، وكان ذلك صعباً – لأن الجدار الجانبي لخزان التجميع الذي أصبح حينئذ أرضيته كان زلقاً – لكنه ممكن. وضع فمه على الشق وتنفّس عبره. وبينما كان يفعل ذلك، عادت إلى ذهنه ذكرى قصة سمعها أو قرأها في المدرسة الابتدائية، تتحدث عن هنود يختبئون من أعدائهم بالاستلقاء في قعر بركة قليلة العمق متنفسين عبر قصبات مجوفة. يمكنك فعل ذلك. يمكنك فعل ذلك إذا بقيت هادئاً.

أغمض عينيه وتنفّس. كان الهواء الداخل عبر الشق عذباً بطريقة لا توصَف. وشيئاً فشيئاً، بدأ قلبه الذي كان يعدو بسرعة كبيرة كشخص هارب يهدأ.

بوسعك الصعود. إذا تمكنت من الدخول من تلك الجهة، فبإمكانك فعل ذلك من الجهة الأخرى. والصعود سيكون أسهل، لأنك الآن...

"لأنني الآن مُشحّم". ونجح في إخراج ضحكة مرتعشة... لكن صوت ضحكته المكتومة فاقدة الحماسة أخافه من جديد.

عندما شعر بأنه استعاد بعض السيطرة على نفسه، فتح عينيه. لقد تكيَّفتا مع عتمة الخزان. رأى ذراعيه المغطاتين بطبقة من البراز، مع منديل ورقي مجعد يتدلى من يده اليمنى. نزعه عن يده ورماه. اعتقدَ أنه بدأ يعتاد على هذه الأشياء، وأن باستطاعة الناس الاعتياد على أي شيء إذا اضطرّوا لذلك. ولم تكن هذه الفكرة مريحة جداً.

نظر إلى الشق لبعض الوقت؛ محاولاً فهم ما كان يراه. كان يبدو مثل شق في خط درز قطعة ثياب سيئة الحياكة. فما كان يراه أمامه هو خط درز. صحيح أن الحُجيرة كانت مصنوعة من البلاستيك، لكنها لم تكن قطعة واحدة، بل قطعتين. وكانتا مثبتتين معاً بواسطة صف من البراغي اللامعة في الظلمة. كانت تلمع لأنها بيضاء. حاول كورتيس أن يتذكر إذا كان قد شاهد براغي بيضاء من قبل، فلم يتذكر. وكان الشق ناجماً عن انكسار عدة براغي في قاع الخزان. لا بد أن الفضلات الجامدة والسائلة كانت تتسرب إلى الأرض منذ بعض الوقت.

إذا عرفت وكالة حماية البيئة بهذا، فستجدهم على ظهرك أيضاً أيها الوغد. لمس أحد البراغي التي كانت لا تزال مثبتة، البرغي الموجود على الجهة اليسرى من نهاية الشق. لم يكن متأكداً، لكنه اعتقد أنه كان مصنوعاً من البلاستيك القاسي وليس من المعدن. إنّه ربما نوع البلاستيك نفسه الذي صُنعت منه حواف المرحاض.

إذاً، كانت الحُجيرة مؤلفة من قطعتين. وكانت المسافة الفاصلة بين البرغي والآخر على خط الدرز حوالى خمسة سنتمترات، وكان طول الشق يبلغ حوالى خمسة عشر سنتمتراً، فاستنتج كورتيس أن عدد البراغي المكسورة كان ثلاثة.

كانت البراغي الموجودة على يمين الشق ويساره بارزة قليلاً، لكنه لم يستطع أن يحلّها أو ينزعها كما فعل مع مقعد المرحاض. لم يتمكن من الإمساك بها بما يكفي. وكان البرغي الموجود على الجهة اليمنى منحلاً

قليلاً، ففكَّر بأنه إذا حاول معه فإنه قد يتمكن من تحريكه ومن ثم حلّه وإخراجه. لكن هذا قد يستغرق ساعات، وقد تُدمَى أظافره بعد الانتهاء منه. وماذا سيجني من ذلك؟ خمسة سنتمترات أخرى للتنفس عبرها على طول خط الدرز، وليس أكثر من ذلك.

لم يعد باستطاعة كورتيس البقاء على ركبتيه أكثر من ذلك، لأن عضلات فخذيه كانت تؤلمه بشدة. جلس وأسند ظهره على الجانب المقعر من الخزان، واضعاً ساعديه على ركبتيه، ومدلياً يديه القذرتين. نظر إلى فوهة المرحاض البيضاوية المتوهجة. كان ذلك هو العالم العلوي باعتقاده، رغم أن حصته فيه قد تضاءلت كثيراً. لكن رائحته كانت أفضل، وكان يعتقد أنه سيعود مجدداً عبر الفوهة. لم يكن ليبقى هنا جالساً في البراز إذا لم تكن ثمة فائدة من بقائه؛ وهذا ما كان يبدو له.

سار صرصور كبير – تجرَّأ بفعل جمود كورتيس الجديد – على ساق سرواله الوسخ، فنفضه بيده، وقال: "هذا صحيح. اهربْ. لِمَ لا تخرج عبر الشق؟ قد يتسع لك". أبعد شعره عن عينيه، عارفاً أنه كان يلطخ جبينه، لكنه لم يكترث. "لا، أنت تحب المكان هنا".

كان سيرتاح قليلاً، ويدع ساقيه المتألمتين تهدآن، ثم سيخرج من عالم العجائب ويعود إلى مكانه في العالم العلوي؛ المكان الذي يعادل في الحجم كشك هاتف. استراحة قصيرة فقط، فهو لم يكن ليبقى في هذا المكان لمدة أطول. كان متأكداً من ذلك.

أغمض كورتيس عينيه وحاول التركيز.

رأى أرقاماً تتحرك صعوداً على شاشة كمبيوتر. بما أن السوق المالية لم تكن قد فُتحت بعد في نيويورك، فلا بد أن هذه الأرقام كانت من وراء البحار. ربما نيكي. معظم الأرقام كانت خضراء. هذا جيد.

"شركات تصنيع، وتاكيدا للصناعات الدوائية؛ هذا شراء. أي شخص يمكنه أن يرى...".

بينما كان كورتيس مكوّراً على الجدار في ما كان يشبه تقريباً وضعية التبرُّز – وجهه المتعب مخطّط بعلامات حرب بنية، ومؤخرته غارقة حتى الوركين في البراز، ويداه المخطاتان بالبراز لا تزالان متدليتين من ركبتيه المرفوعتين – غطّ في النوم، وحلم.

كانت بيتي حية، وكان كورتيس في غرفة المعيشة. كانت مستلقية على جانبها في مكانها المعتاد بين طاولة القهوة والتلفزيون. وكانت نائمة وبجانب يدها آخر كرة تنس نصف معلوكة.

قال: "بيتس! استيقظي واجلبي العصا الغبية!".

نهضت بصعوبة – بالطبع، فهي كانت مسنة – وجلبت العصا الغبية، بينما كانت بطاقتا التعريف المعلقتان بطوقها تخشخشان.

بطاقتا التعريف تخشخشان.

بطاقتا التعريف.

استيقظ وهو يلهث، مائلاً نحو الجهة اليسرى، وماداً إحدى يديه؛ إما لالتقاط جهاز التحكم أو لمداعبة كلبته الميتة.

ثم أنزل يده إلى ركبته. لم يندهش لأنه وجد نفسه يبكي. ولعله بدأ بالبكاء حتى قبل أن يتبيّن له أنه كان يحلم. كانت بيتي ميتة، وكان هو جالساً وسط البراز. إذا لم يكن هذا سبباً كافياً للبكاء، فلم يكن يعرف ما هو السبب الكافي.

نظر ثانيةً إلى فوهة الضوء البيضاوية مقابله، ورأى أنها كانت أشد توهجاً. كان من الصعب عليه أن يصدّق أنه نام ولو لمدة قصيرة، لكنه نام بالفعل؛ ساعة على الأقل. يعلم الله كم استنشق من السموم، ولكن –

"لا يجب أن أقلق. يمكنني التعامل مع الهواء السام. ففي النهاية، أنا مشعوذ".

هواء سيئ أم جيد، المهم أن الحلم كان جميلاً وينبض بالحياة

بفضل خشخشة بطاقتي التعريف -

"اللعنة". قال بصوت هامس، واتجهت يده بسرعة إلى جيبه. انتابه شعور أكيد بأنه أضاع مفتاح الفيبا أثناء سقوطه، وأنه سيضطر للبحث عنه بين البراز بمساعدة الضوء الضئيل الآتي من الشق ومن فوهة المرحاض، بيد أن المفتاح كان لا يزال موجوداً، وكذلك نقوده، لكن النقود لن تفيده في شيء، وكذلك المشبك أيضاً. كان من الذهب وثميناً، لكنه كان ثخيناً جداً ولا يمكنه مساعدته على الهرب. وكذلك الأمر بالنسبة إلى مفتاح الفيبا. ولكن، كان هناك شيء آخر في حلقة المفتاح، شيء كان يجعله يشعر بالحزن والحنين في آن واحد كلما شاهده أو سمعه يخشخش. إنه بطاقة تعريف بيتسي.

كانت تحمل اثنتين، لكن هذه البطاقة هي التي نزعها من طوقها قبل أن يعانقها عناق الوداع الأخير ويسلّم جثها للطبيب البيطري. أما البطاقة الأخرى، المطلوبة رسمياً، فكانت تثبت أنها أخذت جميع الحقن اللازمة. هذه كانت شخصية أكثر، ومستطيلة، وطُبع عليها:

بيتسي

إذا ضاعت وتمّ العثور عليها،

يرجى الاتصال بالرقم: 941-555-1954

كورتيس جونسون

19 شارع جَلف بوليفارد

جزيرة تيرتل، فلوريدا 34274

صحيح أنها لم تكن مفك براغي، لكنها كانت رقيقة ومصنوعة من الفولاذ غير القابل للصدأ، وكان كورتيس يظن أنها قد تفيده. تضرّع كورتيس طالباً النجاة، ثم أدخل طرف البطاقة في شق البرغي الموجود

فوق خط الضوء بقليل من الجهة اليمنى؛ البرغي المنحل بعض الشيء.

توقّع مقاومة لكن البرغي دار على الفور تقريباً. كان مندهشاً لدرجة أنه أسقط حلقة مفاتيحه فاضطُرّ لتلمُّس الأرض بحثاً عنها حتى وجدها. أدخل طرف البطاقة في شق البرغي مجدداً وأداره مرتين، ثم حلّ ما بقي منه بيده. لقد فعل ذلك مع ابتسامة كبيرة غير مصدّقة.

قبل البدء بحلّ البرغي الموجود على يسار شق الضوء - الشق الذي زاد طوله خمسة سنتيمترات - مسح البطاقة المعدنية البيضاء بقميصه إلى أن أصبحت نظيفة (أو نظيفة قدر الإمكان، لأن القميص كان قذراً مثله وملتصقاً بجسده) ثم قبّلها برقة.

"إذا نجح هذا الأمر، فسأضعك في إطار". تردد قليلاً ثم أضاف: "أرجوك، افعلي ذلك، اتفقنا؟".

أدخل طرف البطاقة في شق البرغي وفتله. كان هذا أقسى من الأول، ولكنه ليس قاسياً جدًّا؛ فما إن بدأ يدور حتى خرج بسرعة.

قال بصوت هامس، وهو يبكي من جديد: "يا الله، هل سأخرج من هنا يا بيتس؟ هل سأخرج حقاً؟".

انتقل إلى الجهة اليمنى وبدأ العمل على البرغي التالي. واستمر على هذا النحو، يمين - يسار، يمين - يسار، يمين - يسار، وعندما كانت يده تتعب كان يأخذ قسطاً من الراحة؛ يستغلها في مطّ يده وهزها إلى أن يصبح بإمكانها العمل من جديد. لقد أمضى أربعاً وعشرين ساعة في هذا المكان، ولم يكن ليستعجل الآن. ولم يكن يريد بشكل خاص أن يسقط حلقة مفاتيحه ثانيةً. صحيح أنه كان يعتقد أنه يستطيع إيجادها بسهولة لأن المكان صغير، لكنه لم يكن يريد المجازفة.

يمين - يسار، يمين - يسار، يمين - يسار.

وبينما كان الصباح يمرُّ وخزان التجميع يسخن - ما كان يجعل الرائحة أثقل وكريهة أكثر - كان الشق في قاع الخزان يتسع رويداً رويداً.

كان يقـوم بذلك ويقترب مـن التحرر، لكنـه مع ذلك كان يرفـض العجلة. كان مـن المهم بالنسـبة إليـه ألا يسـتعجل، وألا يندفع سـريعاً مثل حصان خائف لأنه قـد يخفـق. أجل، ولكـن أيضـاً لأن كبريـاءه وتقديـره لذاته - المعنى الجوهري لذاته - قد جُرحا.

دع مسـألة التقدير الذاتي جانبـاً، وتابع ببطء وثبات، وستفوز في السباق.

يمين - يسـار، يمين - يسار، يمين - يسـار.

بعـد منتصـف الظهيـرة بقليـل، انفتـح خـط الـدرز فـي قـاع حُجيرة المرحاض المغطى بالبـراز، ثم انغلق، ثـم انفتح وانغلق مـن جديد. وبعد فترة توقـف قصيـرة، انفتـح على امتداد متـر تقريباً من طولـه، وظهرت قمة رأس كورتيـس جونسـون، ثم اختفت بعد أن عاد للعمل من جديد مخرجاً مجموعة جديدة من البراغي، ثلاثة على اليمين وثلاثة على اليسـار.

وفي المـرة الثانية التي انفتح فيها خط الدرز، اسـتمرت قمة رأسـه - المتكتلـة والمخططة باللـون البني - فـي اندفاعهـا إلى الأمـام. كان خداه مشـدودين نحو الأسـفل وكذلك فمـه؛ وكأن ذلـك كان بفعل قـوة جاذبية مريعة، وإحـدى أذنيه مجروحـة وتنزف. صـرخ ودفع بقدميـه، مرعوباً من احتمـال أن يعلـق هـذه المرة فعـلاً. رغـم ذلك، وحتـى في خضـم ذعره، استشـعر حلاوة الهواء الحار والرطب. كان أعذب هواء اسـتنشقه في حياته كلها.

عندما أصبح خارجاً حتى كتفيه، اسـتراح لاهثاً، وهـو ينظر إلى علبة شـراب مجعدة تلمع على العشـب على بعد أقل من ثلاثة أمتار عن رأسـه المتعرّق والدامي. بدت مثل أعجوبة. ثـم دفع مجدداً؛ الرأس مرفوع، الفم مكشـر، أوردة رقبته ناتئة. تمزّق قميصه من الظهر، لكنه لـم يكترث. كانت هناك شـجرة نخيل صغيرة أمامه مباشـرة لا يتعدّى طولها متراً وربع المتر.

مد إحدى يديه وأمسك بقاعدة جذعها النحيل والرطب، ثم أتبعها باليد الأخرى. استراح للحظة أخرى، مدركاً أن لوحيْ كتفيه مقشوطان وينزفان، ثم جذب نفسه بواسطة الشجرة ودفع دفعة أخيرة بقدميه.

ظن أنه سيقتلع الشجرة من جذورها، لكنها ظلت ثابتة. شعر بألم حارق في مؤخرته بينما كانت حافة الثغرة التي فتحها في خط الدرز تمزق سرواله وتجمِّعه حول حذائه. لكي يخرج بأكمله من الخزان، كان بحاجة لمواصلة الشد والتلوّي إلى أن يتحرر حذاؤه. وعندما حصل ذلك، وأفلت الخزان قدمه اليسرى أخيراً، وجد صعوبة في تصديق أنه تحرر حقاً.

تدحرج على ظهره، عارياً إلا من سرواله الداخلي القصير (الذي كان مائلاً، ومتهدلاً، وممزقاً من الخلف، وكاشفاً عن مؤخرة نازفة بشدة) وجورب أبيض وحيد. حدَّق في السماء الزرقاء بعينين واسعتين، ثم بدأ يصرخ، لكنه لم يتنبه إلا بعد قليل بأنه كان يصرخ قائلاً: أنا حي! أنا حي! أنا حي! أنا حي!

بعد عشرين دقيقة، وقف على قدميه وعَرَجَ نحو مقطورة البناء المتوقفة عن العمل والقابعة على بعض أحجار البناء. كانت هناك بركة كبيرة من أمطار اليوم السابق مختبئة في ظلها. كان الباب مقفلاً، ولكن كان هناك المزيد من أحجار البناء الملقاة بجانب السلَّم الخشبي البسيط. وكان أحدها مقسوماً إلى جزأين. التقط الجزء الأصغر وضرب به القفل إلى أن انفتح الباب، محرِّراً هبة هواء حارة وفاسدة.

التفت قبل أن يدخل، ولوهلة مسح بناظريه حُجيرات المراحيض على الجانب الآخر من الطريق، حيث كانت البرك المتجمعة في حفر الطريق تعكس السماء الزرقاء اللامعة مثل شظايا مرآة قذرة. خمس حُجيرات مراحيض، ثلاث واقفة واثنتان ساقطتان في الخندق. كاد أن يموت في تلك الموجودة عند الطرف الأيسر. لكن هذه الفكرة بدت –

حتى في ذلك الحين – غير حقيقية؛ رغم أنه كان واقفاً هناك أمام باب المقطورة، مرتدياً سروالاً تحتياً قصيراً ممزقاً وجورباً وحيداً، وملطخاً بالبراز، ونازفاً مما بدا له بأنه مائة مكان. إنه مجرد كابوس سيء.

كان المكتب فارغاً جزئياً، أو مصادَراً جزئياً، ربما قبل يوم أو يومين من إغلاق المشروع نهائياً. لم تكن فيه تقسيمات، وإنما مجرد غرفة طويلة مع طاولة مكتب وكرسيين وأريكة رخيصة في النصف الأمامي. وفي النصف الخلفي، كانت هناك كدسة صناديق كرتونية مليئة بالأوراق، وآلة جمع (آلة حاسبة قديمة) مغبرّة قابعة على الأرض، وبرّاد صغير مفصول عن القابس، وكرسي هزاز أُلصقت على ظهره ملاحظة تقول: "يُحفَظ من أجل جيمي".

وكانت هناك خزانة بابها مفتوح، ولكن قبل أن يتفحصها، فتح كورتيس البراد الصغير فوجد في داخله أربع زجاجات ماء من ماركة زيفير، واحدة منها مفتوحة وليس فيها إلا ربعها. أمسك كورتيس بواحدة من الزجاجات الممتلئة وشربها كلها دفعة واحدة. كانت دافئة، لكن مذاقها كان يشبه ذلك النوع من الماء الذي حلم به حين كان حياً. عندما فرغت الزجاجة انقبضت معدته، فهرع إلى الباب وأمسك بالعضادة وتقيأ الماء على أحد جانبي السلّم.

صاح والدموع تنساب على وجهه القذر: "انتبهْ يا رجل، لا ضرورة للتقيؤ". كان بوسعه تقيؤ الماء على أرض المقطورة المهجورة، لكنه لم يشأ أن يكون في الغرفة نفسها مع فضلاته بالذات. ليس بعد ما حصل معه.

في الواقع، أنا أنوي عدم التقيؤ مرة أخرى. من الآن فصاعداً سوف أفرغ نفسي على الطريقة المألوفة: إفراغ نظيف.

شرب الزجاجة الثانية ببطء أكبر، فبقيت في جوفه. وبينما كان يشرب، نظر إلى الخزانة فوجد سروالين قذرين وبعض القمصان التي لا تقل قذارة عنهما مكدسة في إحدى الزوايا. ربما كانت هناك غسالة وآلة

تجفيف الملابس في الخلف ذات يوم، حيث تتكدس الصناديق الكرتونية، أو لربما كانت توجد مقطورة أخرى، عُلِّقت وجُرَّت بعيداً، لكن كورتيس لم يكترث لذلك. ما اكترث له هو وجود بذتيْ عمل؛ واحدة معلّقة على علاّقة، والثانية متدلية من علاّقة جدار. بدت البذة المعلقة على الجدار كبيرة جداً، أما الثانية فبدت مناسبة. وقد ناسبته بالفعل، رغم أنه اضطرَّ لطيّ نهايات أطرافها مرتين، ورغم اعتقاده أنه كان يبدو فيها أكثر شبهاً بالمزارع جون من بائع أسهم ناجح، لكنها كانت مفيدة.

كان بوسعه الاتصال بالشرطة، لكنه شعر بأنه كان يملك الحق في أن يفعل أكثر من ذلك بعد ما مرَّ به؛ أكثر من ذلك بكثير.

"المشعوذون لا يتصلون بالشرطة".

كان سكوونره الآلي لا يزال موجوداً هناك، لكنه لم يكن ينوي المغادرة بعد لعدة أسباب؛ منها أن الكثير من الأشخاص سيرون رجل الطين راكباً على الفيسبا. صحيح أنه لم يكن يعتقد أن أحداً منهم سيتصل بالشرطة، لكنهم سيضحكون. وكورتيس لم يشأ أن يلاحظه أحد، ولا أن يضحك عليه أحد. ليس خلف ظهره.

وإضافة إلى ذلك، كان منهكاً إلى درجة لم يختبرها في حياته كلها.

استلقى على الأريكة الرخيصة ووضع واحدة من الوسائد خلف رأسه. دخل نسيم لعوب عبر الباب المفتوح وراح يداعب جلده القذر بأصابعه الناعمة. لم يكن يرتدي شيئاً حينئذ سوى بذة العمل، فقد خلع سرواله الداخلي القصير وجوربه الباقي قبل أن يرتديها.

إنني لا أشم رائحة نفسي مطلقاً. أليس هذا مذهلاً؟

ثم غط في نوم عميق. حلم بأن بيتسي تجلب له العصا الغبية، فيما بطاقتا التعريف تخشخشان. أخذ جهاز التحكم منها، وعندما صوَّب على التلفزيون، رأى الوغد يحدق فيه من النافذة.

استيقظ كورتيس بعد أربع ساعات متمزّقاً ومتصلباً وخدراً. وفي الخارج، كان الرعد يدمدم مع اقتراب عاصفة العصر؛ في الوقت المحدد. خرج من المقطورة، ونزل على السلّم المؤقت مثل رجل عجوز يعاني من التهاب المفاصل. كان يشعر بالفعل كأنه رجل عجوز مصاب بالتهاب المفاصل. ثم جلس على الأرض وراح ينظر تارة إلى السماء الآخذة بالاسوداد، وتارة أخرى إلى حُجيرة المرحاض التي تحرر منها.

عندما بدأ المطر بالنزول خلع بذة العمل ورماها داخل المقطورة لتبقى جافة، ثم وقف في الخارج عارياً تحت المطر، رافعاً وجهه نحو السماء، ومبتسماً. ولم تترنح تلك الابتسامة حتى عندما لمع البرق فوق الجانب البعيد من قرية دوركين جروف؛ رغم أنه كان قريباً بما يكفي ليملأ الهواء برنين الأوزون. كان يشعر بأمان تام وممتع.

نظّفه المطر البارد نسبياً، وعندما بدأ ينحسر، صعد ببطء سلّم المقطورة مجدداً. انتظر حتى جفّ كلياً ثم لبس البذة ثانيةً. وعندما بدأت شمس آخر النهار تبرز عبر الغيوم المتكشّفة، صعد التلة ببطء إلى حيث ركن دراجته الفيسبا. كان يمسك المفتاح بيده اليمنى ويضع بطاقة بيتي، المتضررة، بين إصبعيه الأولى والثانية.

رغم أن الفيسبا لم تكن معتادة على البقاء خارجاً تحت المطر، إلا أنها كانت دراجة جيدة؛ إذ أقلع محركها بعد محاولتي تشغيل فقط، واستقر في الحال على قرقرته الطبيعية المعتادة. ركب كورتيس عليها، حافي القدمين وبلا خوذة، ويغمره شعور بالفرح. وبهذا الإحساس عاد إلى جزيرة تيرتل بينما كانت الريح تطيِّر شعره القذر وتنفخ بذته حول ساقيه. رأى بضع سيارات، وعبرَ الشارع الرئيس بدون أي مشاكل.

فكَّر في تناول قرصيْ أسبيرين قبل الذهاب لرؤية جرنولد، وفي ما عدا ذلك، فإنه لم يشعر في حياته كلها بشعور أفضل مما كان يشعر به في تلك اللحظات.

في الساعة السابعة من ذلك المساء، أصبحت زخات أمطار العصر مجرد ذكرى. كان سكان جزيرة تيرتل سيجتمعون على الشاطئ بعد ساعة أو نحو ذلك لمشاهدة عرض نهاية اليوم الاعتيادي، وكان جرنوولد يتوقع أنه سيكون بينهم. لكنه في ذلك الحين، كان مستلقياً في حوضه الساخن في باحة المنزل، مغمض العينين، وبجانب يده كأس من الشراب الخفيف. لقد تناول قرص بيركوسيت قبل الدخول في الحوض، عالماً أنه سيساعده عند سيره تلك المسافة القصيرة إلى الشاطئ، لكن شعوره بالرضا – الغامض إلى حد ما – ظل على حاله. لم يكن يتناول أقراصاً مسكِّنة إلا نادراً. صحيح أن هذا قد يتغير، لكنه في ذلك الحين كان يشعر بأنه في حالة ممتازة لم يشعر بها منذ سنوات. ورغم أنه كان يواجه انهياراً مالياً، إلا أنه كان يحتفظ بما يكفي من النقود لإبقائه مرتاحاً في ما بقي له من وقت. والأهم من ذلك كله أنه اهتم بأمر المشعوذ الذي كان السبب في محنته. دينغ – دونغ، المشعوذ الشرير ما –

"مرحباً يا جرنوولد. مرحباً أيها الوغد".

فتح جرنوولد عينيه بسرعة، فرأى شكلاً داكناً يقف بينه وبين الشمس الغاربة، ويبدو كما لو أنه مقصوص من ورقة سوداء. بدا مثل جونسون، ولكن من المؤكد أنه لم يكن هو؛ لأن جونسون كان محتجزاً في حُجيرة المرحاض المقلوبة، جونسون كان فأر مراحيض ميتاً أو يوشك على الموت. هذا حلم، لا بد أنه حلم. ولكن –

"هل أنت مستيقظ؟ جيد. أريدك أن تكون مستيقظاً من أجل هذا".

"جونسون؟!". قال بصوت هامس لم يتمكّن من إخراج صوت أقوى منه. "هذا ليس أنت، صحيح؟". بيد أن الشكل تحرَّك قليلاً في تلك اللحظة – بما يكفي ليسمح لشمس آخر النهار بالانعكاس على وجهه المخرمَش – فرأى جرنوولد أنه كان جونسون بالفعل. وما الذي كان يحمله في يده؟

لاحظ كورتيس ما كان الوغد ينظر إليه فالتفت أكثر عمداً كي تصيبه أشعة الشمس أيضاً. أدرك جرنوولد أنه مجفف شعر؛ مجفف شعر وهو جالس في حوض ساخن حتى مستوى الصدر.

أمسك بحافة الحوض يريد سحب نفسه نحو الخارج فداس كورتيس على يده. صرخ جرنوولد ثم جذب يده. صحيح أن قدم كورتيس كانت حافية، لكنه داس على يد جرنوولد من جهة الكعب، وبقوة.

قال كورتيس مبتسماً: "أفضّل أن تكون حيث أنت الآن. أنا واثق بأنك شعرت بالشيء ذاته حيالي، لكنني خرجت، صحيح؟ بل وجلبت لك هدية أيضاً. عرّجت على منزلي كي أجلبها. لا ترفضها لهذا السبب. إنها مستعملة قليلاً فقط، كما أنني نفخت عنها كل الغبار في طريقي إلى هنا. عبر الباحة الخلفية، في الحقيقة. ولحسن الحظ، كانت الكهرباء مفصولة عن سياج الماشية الغبي الذي استخدمتَه لقتل كلبتي. خذْ".

ورمى مجفف الشعر في الحوض الساخن.

صرخ جرنوولد وحاول الإمساك به، لكنه أخفق. اصطدم مجفف الشعر بالماء أولاً ثم غرق. وعندما وصل إلى القاع راحت إحدى الحنفيات النفّاثة تقلّبه وتقلّبه إلى أن اصطدم بساق جرنوولد الهزيلة فانتفض مبتعداً عنه، وكان لا يزال يصرخ، معتقداً أن المجفف كان مكهرباً.

قال كورتيس دون أن تفارق البسمة شفتيه: "هدِّئ من روعك". فكّ أحد حزامي الكتف الحاملين لبذة العمل التي كان يرتديها، ثم الآخر، ووقف عارياً. كان جسده لا يزال ملطخاً بآثار باهتة من خزان التجميع على ذراعيه وفخذيه من الداخل. وكانت هناك كتلة بنية مقرفة في سرّته.

"لم يكن موصولاً بالكهرباء. ولا أعلم حتى إذا كان وضع مجفف الشعر في الحوض الساخن ينجح أم لا. ولكن، علي أن أعترف بأنني لو كنت أملك وصلة كهربائية، فلربما أجريت التجربة".

قال جرنوولد بصوت أجش: "ابتعد عني".

"لا. لا تفكّر في ذلك". كانت الابتسامة لا تزال على وجهه. تساءل جرنوولد إن كان كورتيس قد فَقَدَ عقله. كان سيفقد عقله لو أنه وُضع في ظروف مشابهة لتلك التي تُرك فيها جونسون. كيف تمكّن من الخروج؟! كيف بحق الله؟!

"لقد ضلت أمطار بعد الظهر معظم البراز، لكنني ما زلت قذراً جداً كما ترى". شاهد كورتيس الكتلة المقرفة في سرّته، فأخرجها بإصبعه، ثم نفضها في الحوض الساخن مثل كتلة مخاط.

حطّت الكتلة البنّية النتنة على خد جرنوولد. يا الله، إنها براز! صرخ جرنوولد مجدداً، ولكن من الاشمئزاز هذه المرة.

قال جونسون مبتسماً: "إنه يسدد، إنه يسجّل. ليست لطيفة جداً، أليس كذلك؟ رغم أنني لم أعد أشم رائحتها تماماً، إلا أنني سئمت من النظر إليها. لذا، كنْ جاراً من فضلك، ودعني أشاركك حوضك الساخن".

"لا! لا، لا يمكنك أن –".

قال جونسون وهو يتبسم: "شكراً". ثم قفز في الحوض، محدثاً طرطشة كبيرة. تمكّن جرنوولد حينئذ من شم رائحته الآسنة، فابتعد بسرعة نحو الجانب الآخر من الحوض؛ ذراعاه البيضاوان الهزيلتان تلمعان فوق الماء الفوّارة، وساقاه، الهزيلتان أيضاً مغلّفتان بغلاف أسمر يبدو مثل جوربين بنّيين فاتحين. وضع يداً فوق حافة الحوض، قبل أن يلفّ كورتيس ذراعاً – مخرمشة بشدة، ولكن قوية إلى حد رهيب – حول رقبته ويعيده إلى الماء.

قال جونسون، مبتسماً: "لا، لا، لا، لا!". ثم جذب جرنوولد نحوه. "المشعوذون نادراً ما يستحمون وحدهم. من المؤكد أنك وقعت على هذه الحقيقة في أبحاثك على الإنترنت".

"اتركني!".

"ربما". لكن جونسون التصق به أكثر؛ بصورة حميمية مرعبة، ولا تزال رائحة حجرة المرحاض تفوح منه. "ولكن، أولاً، أعتقد أنك بحاجة لزيارة كرسي تغطيس المشعوذين". تحوَّلت الابتسامة إلى تكشيرة، ومن ثم إلى تجهُّم مخيف. أدرك جرنوولد أنه سيموت، وأنّ جونسون سيغرقه في حوضه الساخن بالذات، وأن آخر شيء سيراه هو ذرات صغيرة من البراز تطوف في الماء الذي كان نظيفاً سابقاً.

أمسك كورتيس بكتفي جرنوولد العاريتين النحيلتين ودفعه إلى الأسفل. قاوم جرنوولد رافساً بساقيه، وشعره الخفيف يطوف، مع فقاعات فضية تتصاعد من أنفه العجوز الكبير. كان الدافع لإبقائه في الأسفل قوياً جداً، وكان باستطاعة كورتيس فعل ذلك لأنه كان قوياً. ذات يوم، كان جرنوولد قادراً على التغلب عليه مع تقييد إحدى يديه خلف ظهره، مع فرق العمر أو بدونه، لكن تلك الأيام ولَّت، وأصبح جرنوولد وغداً عجوزاً مريضاً. ولهذا السبب أفلته كورتيس.

اندفع جرنوولد فوق السطح وهو يسعل مختنقاً.

صاح كورتيس: "أنت على حق! هذا الشيء جيد للآلام والأوجاع! ولكن، لا تبالِ بي، ماذا عنك أنت؟ هل تريد النزول ثانيةً؟ الغطس مفيد للروح".

هز جرنوولد رأسه بغضب، فتطايرت قطرات الماء من شعره الخفيف وحاجبيه الكثّين.

"إذاً، اجلسْ هناك وحسب. اجلس هناك واستمع. وأنا لا أعتقد أننا بحاجة إلى هذا، أليس كذلك؟". مد يده تحت ساق جرنوولد - الذي انتفض مطلقاً صرخة صغيرة - والتقط مجفف الشعر، ثم رماه من فوق كتفه فانزلق تحت كرسي جرنوولد.

قال كورتيس: "سأتركك قريباً. سأعود إلى منزلي. يمكنك الذهاب ومشاهدة الغروب إذا كنت لا تزال تريد ذلك. هل ما زلت تريد ذلك؟".

هز جرنوولد رأسه نافياً.

"لا؟ لم أكن أظن ذلك. أعتقد أنك شهدت غروبك الجميل الأخير، أيها الجار. في الحقيقة، أعتقد أنك عشت آخر يوم جيد لك، ولهذا السبب سأتركك تعيش. وهل تريد أن تعرف المفارقة؟ لو أنك تركتني وشأني، لكنتَ قد حصلتَ على ما كنت تريده تماماً؛ لأنني كنت محتجزاً في حُجيرة المرحاض مسبقاً دون أن أدري. أليس هذا مضحكاً؟".

لم ينطق جرنوولد بأي كلمة، واكتفى بالنظر إليه بعينين مرعوبتين؛ بعينيه المريضتين والمرعوبتين. كان كورتيس سيشعر بالأسى نحوه لو لم تكن ذكرى حُجيرة المرحاض لا تزال حية جداً في مخيلته.

"أجبْ وإلا فإنك ستحصل على غطسة أخرى".

قال جرنوولد بصوت أجش: "إنه مضحك". ثم بدأ يسعل.

انتظر كورتيس إلى أن توقف، ثم قال بدون ابتسامة هذه المرة: "أجل، إنه مضحك. الأمر برمته مضحك، إذا نظرت إليه من الزاوية الصحيحة. وأنا أعتقد أنني أنظر إليه من الزاوية الصحيحة".

رفع نفسه وخرج من الحوض، مدركاً أنه كان يتحرك بخفة لن يكون الوغد قادراً على مضاهاتها أبداً. كانت هناك خزانة تحت حافة الشرفة، وكانت فيها مناشف. أخذ كورتيس واحدة وراح يجفف نفسه.

"اسمع. يمكنك الاتصال بالشرطة وإخبارهم أنني حاولت إغراقك في حوضك الساخن. ولكن، إذا فعلتَ ذلك، فإن كل الأشياء الأخرى ستنكشف. ستقضي بقية حياتك في مواجهة قضية جرمية بالإضافة إلى مصائبك الأخرى. ولكن، إذا تغاضيت عن الأمر، فسنصبح متعادلين. يعود عداد المسافة إلى الصفر. لكنني - وهنا الجوهر - سأراقبك. سيأتي يوم ستصبح فيه رائحتك مثل رائحة حُجيرة المرحاض التي احتجزتني فيها. وسيشم الآخرون رائحتك بهذه الطريقة، وستشم أنت نفسك بهذه الطريقة".

قال جرنوولد بالصوت الأجش نفسه: "سأقتل نفسي أولاً".

كان كورتيس حينئذ يرتدي بذة العمل من جديد. لقد وجد أنها أعجبته حقاً. قد تكون اللباس المثالي لارتدائه أثناء مشاهدة المرء للتقديرات المالية على الكمبيوتر في غرفة مكتب المرء الصغيرة المريحة. وربما سيذهب إلى متجر تارغيت ويشتري نصف دستة منها. إنه كورتيس جونسون الجديد المعافى من الهوس القهري؛ إنه من الرجال الذين يفضلون ارتداء بذّات العمل.

توقف بينما كان يشبك حزام الكتف الثاني، وقال: "يمكنك فعل ذلك. لديك ذلك المسدس الـ - ماذا سمّيته؟ - الهاردبولر". أكمل شبك الزر ثم انحنى نحو جرنوولد الذي كان لا يزال منقوعاً في الحوض الساخن وينظر إليه بخوف. "سيكون هذا مقبولاً أيضاً. قد تملك الشجاعة عندما تصل إلى تلك اللحظة... وقد لا تملكها. على أي حال، سوف أصغي بانتباه كبير لصوت الطلقة".

ترك جرنوولد حينئذ، ولكنه لم يعد من المكان الذي جاء منه، بل اتجه نحو الطريق. كان الانعطاف نحو اليسار سيأخذه إلى منزله، لكنه انعطف إلى اليمين؛ نحو الشاطئ. للمرة الأولى منذ موت بيتسي، شعر بالرغبة في رؤية الغروب.

بعد يومين، وبينما كان جالساً أمام حاسوبه يراقب جنرال إلكتريك باهتمام خاص، سمع كورتيس صوت طلقة نارية مدوّية من المنزل المجاور. لم يكن يستمع إلى الموسيقا، ولهذا السبب انتقل الصوت عبر هواء نهاية حزيران الرطب بوضوح شديد. رفع رأسه وأصغى السمع، رغم أنه كان يعلم أنه لن تكون هناك طلقة أخرى.

نحن - المشعوذون - نعرف هذه الأشياء.

جاءت السيدة ويلسون مسرعةً، وهي تحمل منشفة أطباق بيدها، ثم

قالت: "بدا ذلك مثل صوت طلقة مسدس!".

قال مبتسماً: "ربما مجرد فرقعة أنبوب عادم". بات يبتسم كثيراً منذ تلك المغامرة في قرية دوركين جروف. صحيح أنه كان يعتقد أنها لم تكن من نوع الابتسامة نفسها التي كان يرسمها في حقبة بيتسي، ولكن أي ابتسامة أفضل من لا شيء. لا شك أن هذا كان صحيحاً.

قالت السيدة ويلسون وهي لا تزال تنظر إليه بشك: "حسناً... أعتقد ذلك". ثم التفتت كي تذهب.

فقال كورتيس: "سيدة ويلسون؟".

التفتت نحوه مجدداً.

"هل ستركينني إذا جلبت كلباً آخر؟".

"أنا! أتركك من أجل جرو؟! سوف يتطلب الأمر أكثر من جرو لدفعي للخروج".

"إنها تميل إلى عَلْك الأشياء، كما تعلمين. وهي لا تستخدم دائماً -"

صمت لوهلة، متخيلاً منظر خزان التجميع المظلم والمقرف.

في تلك الأثناء، كانت السيدة ويلسون لا تزال تنظر إليه بفضول.

ثم أكمل كلامه: "إنها لا تستخدم الحمام دائماً".

"عندما تُعلِّمها فإنها تذهب عادةً إلى حيث يُفترَض بها الذهاب؛ وخاصة في مناخ دافئ كهذا. كما أنك بحاجة إلى صحبة يا سيد جونسون. كنت... لأكون صادقة معك، كنت قلقة عليك بعض الشيء".

هز رأسه موافقاً، وقال: "أجل، لقد كنت نوعاً ما في البراز". ثم ضحك، لكنه أوقف نفسه عندما رأى أن السيدة ويلسون تنظر إليه باستغراب، وأضاف معتذراً: "عفواً".

لوّحت بمنشفة الأطباق نحوه لتريه أن لا حاجة به للاعتذار.

"ليس من السلالات النقية هذه المرة. كنت أفكر في ملجأ فينيس للحيوانات، وفي كلب صغير هجره شخص ما. ماذا يسمّون كلب

الإنقاذ؟".

"هذا سيكون لطيفاً جداً. أنا متشوقة لتربيتات القوائم الصغيرة".

"جيد".

"هل تظن حقاً أنها كانت فرقعة أنبوب عادم؟".

أسند كورتيس ظهره على كرسيه وتظاهر أنه يفكر، ثم قال: "ربما... ولكن، كما تعلمين يا سيدة ويلسون، إن جارنا مريض جداً". ثم أخفض صوته إلى درجة الهمس، تعاطفاً. "سرطان".

فقالت السيدة ويلسون: "أوه، يا الله".

هز كورتيس رأسه مؤكداً.

"أنت لا تظن أنه سي...؟".

اندمجت الأرقام المتحركة على شاشة حاسوبه. وقف كورتيس ومشى نحو السيدة ويلسون، وأخذ المنشفة من يدها، ثم قال: "لا، ليس تماماً. ولكن، يمكننا الذهاب إلى المنزل المجاور والتحقق. ففي النهاية، لماذا نحن جيران؟".

ملاحظات حول الكتاب

وفقاً لإحدى المدارس الفكرية، مثل هـذه الملاحظات غير ضرورية فـي أحسـن الأحـوال، ومريبة فـي أسـوئها. وتقـول الحجـة المعارضة إن القصـص التي تحتـاج إلـى إيضاح ربمـا ليسـت قصصاً جيـدة جـداً. وأنا أؤيـد هذه الفكـرة إلى حـد ما، وهـذا أحـد الأسـباب التي دفعتني لوضع هذا الملحـق الصغير في نهايـة الكتاب (كمـا أن وضعه هنا يتحاشى تلك الصيحات المملة -"مُفِيـد" - التي في الغالـب الأعم تصدر عن أشخاص فاسدين). إن الـسـبب الحقيقي وراء تضمـين هذه الملاحظات يعود ببساطة إلى أن الكثيرين مـن القراء يحبونها. إنهم يودّون معرفة الشـيء الذي حثَّ المؤلف على كتابة القصة، أو ما كان المؤلف يفكر فيه عندما كتب القصة. والمؤلف هنا لا يعرف بالضرورة أياً من هذين الأمرين لكنه يستطيع تقديم بعض الأفكار العشوائية التي قد تكون - أو لا تكون - مفيدة.

"ويلا": قد لا تكون هذه القصة هي الفضلى في هـذا الكتاب لكنني أحبها كثيراً؛ لأنها كانت باكورة حقبة جديدة من الإبداع بالنسبة إليّ، على الأقل في ما يتعلـق بالقصة القصيـرة. معظم القصص فـي "بُعيد الغروب" كُتِبت بعد "ويلا"، وبتتابع سـريع إلى حـد ما (خلال أقل من سنتين). أما في ما يتعلق بالقصة نفسـها، فإن من الخصائص العظيمة للمخيال أنه يمنح الكاتب فرصة تخيل ما يمكن أن يحدث (أو لا يحدث) بعد الحياة. توجد قصتان من هـذا النوع في "بُعيـد الغروب" (القصة الأخـرى هي "نيويورك

تايمز بسحر تفاوضي خاص"). لقد تربَّيت على الطريقة الميثودية التقليدية الصرفة؛ ولكن، رغم أنني رفضت معظم تأكيداتها الحازمة والثابتة منذ وقت طويل، إلا أنني متمسك بالفكرة الأساسية، وهي أننا جميعاً نبقى بعد الموت. من المحزن أن مثل هذه الكائنات المعقدة والرائعة في بعض الأحيان تُبدَّد ببساطة في نهاية المطاف، وتُلقى كالقمامة على جانب الطريق (لعلي لا أريد التصديق وحسب). أما بالنسبة إلى ماهيَّة البقاء، فليس بيدي إلا أن أنتظر وأكتشف. أفضل تخمين لدي يقول إننا قد نكون مضطربين، وغير متقبِّلين لوضعنا الجديد. وأفضل رجاء عندي هو أن يبقى الحب حتى بعد الموت (أنا رومانسي، فلتقاضوني). وإذا كان الوضع كذلك، فإنه قد يكون حباً حائراً وحزيناً بعض الشيء. عندما يخطر في ذهني الحب والحزن في وقت واحد، فإنني ألجأ إلى الموسيقا الريفية: إلى أشخاص مثل جورج ستريت، BR549، مارتي ستيوارت... وديريليرز (الخارجون عن السكة)، الفرقة التي تعزف الموسيقا في القصة، وأعتقد أنها ستبقى تعزف لفترة طويلة جداً.

"الفتاة الهاربة": أصبحنا – أنا وزوجتي – نعيش في فلوريدا جزءاً من السنة مؤخراً، بالقرب من الجزر الحامية (barrier islands) مقابل خليج المكسيك. وتوجد هناك الكثير من المنازل الضخمة، بعضها قديم ومترف، والبعض الآخر من النوع الحديث المتفخ. منذ بضع سنوات، كنت أمشي مع صديق لي على واحدة من تلك الجزر، فأشار إلى صف من تلك القصور وقال: "معظم هذه القصور تبقى فارغة ستة أشهر أو ثمانية في السنة، هل يمكنك أن تصدق ذلك؟!". في الواقع، كان يمكنني تصديق ذلك... إضافة إلى أنني اعتقدت أنها يمكن أن تشكِّل قصة رائعة. تطورت القصة من أساس بسيط جداً: رجل شرير يلاحق فتاة على امتداد شاطئ فارغ. لكنني فكَّرت بأنها يجب أن تكون هاربة من شيء ما أولاً.

ومن هنا جاء العنوان، الفتاة الهاربة. ولكن، حتى أسرع العدّائين سوف يضطرون عاجلاً أم آجلاً إلى التوقف والقتال. وعلاوة على ذلك، إنني أحب القصص المشوقة التي تحوي تفاصيل صغيرة حاسمة. وهذه القصة تحوي الكثير من هذه التفاصيل.

"حلم هارفي": يمكنني أن أخبرك شيئاً واحداً حول هذه القصة، لأنه الشيء الوحيد الذي أعرفه (ولعله الشيء الوحيد المهم): لقد جاءتني في حلم. وكتبتها في جلسة واحدة، حيث قمت بأكثر بقليل من نسخ القصة التي أخبرها عقلي اللاواعي. وهناك قصة - حلم أخرى في هذا الكتاب، لكنني أعرف أكثر بقليل حولها.

"استراحة طريق": ذات مساء، منذ نحو ست سنوات، قمت بقراءة مختارات من أعمالي في جامعة في سانت بيتيرسبورغ. وبقيت هناك لوقت متأخر فانتهى بي المطاف عائداً إلى منزلي بسيارتي على طريق فلوريدا المأجور، بعد منتصف الليل. توقفت عند إحدى الاستراحات لإفراغ مثانتي. ستعرف شكل الاستراحة إذا قرأت هذه القصة: وحدة زنزانات منفصلة في سجن متوسط الإجراءات الأمنية. على أي حال، توقفت خارج قسم الرجال لأنني سمعت رجلاً وامرأة في قسم السيدات يخوضان في جدال حاد. وكلاهما كانا يبدوان متصلّبين وعلى حافة استخدام العنف الجسدي. فتساءلت بيني وبين نفسي عمّا سأفعله إن حدث ذلك، وقلت: سوف أستدعي ريتشارد باكمان، شخصيتي الداخلية، لأنه أقسى مني. لكنهما خرجا دون أن يصل بهما الحال إلى تبادل اللكمات - رغم أن المرأة كانت تبكي - وأنا عدت إلى المنزل بدون أي مشاكل. وفي ذلك الأسبوع نفسه، كتبت القصة.

"دراجة ثابتة": إذا كنتَ قد ركبتَ مرةً على واحدة من هذه الأشياء، فإنك تعرف بالتأكيد كم هي مملة. وإذا كنتَ قد حاولتَ إلزام نفسك بنظام تمرين يومي، فإنك تعرف بالتأكيد مدى صعوبة الالتزام بذلك (شعاري هو "الأكل أسهل"؛ مع أنني أتمرَّن بالفعل). لقد وُلدتْ هذه القصة من علاقة الكره المتبادل التي كانت تربطني ليس فقط مع الدراجات الثابتة، وإنما مع كل جهاز مشي جرَّبته وكل جهاز ستيرماستر تسلَّقته.

"الأشياء التي تركوها خلفهم": مثل أي شخص آخر تقريباً في أميركا، تأثرت بعمق بهجمات الحادي عشر من أيلول. ومثل عدد كبير جداً من كتّاب الروايات، الأدبية والشعبية، شعرت بعدم الرغبة في قول أي شيء حول حادثة أصبحت محكّ اختبار أميركي مثل بيرل هاربور أو اغتيال جون كينيدي. لكن كتابة القصص هي عملي، وقد راودتني هذه القصة بعد شهر من سقوط البرجين التوأمين. ومع ذلك، ربما ما كنت لأكتبها، لو لم أتذكر حواراً أجريته مع محرر يهودي منذ أكثر من خمس وعشرين سنة. كان ذاك الرجل مستاءً مني بسبب قصة بعنوان "تلميذٌ نَبيه"، حيث قال إنني أخطأت عندما كتبت حول معسكرات الاعتقال لأنني لست يهودياً. أجبته بأن هذا الأمر جعل كتابة القصة أشد أهمية؛ لأن الكتابة فعل فهم إرادي. وأنا، مثل أي أميركي آخر شاهد خط سماء نيويورك يحترق، كنت أريد أن أفهم الحادثة والندوب التي تخلّفها حتماً مثل هذه الحوادث. كانت هذه القصة محاولتي لفعل ذلك.

"عصر يوم تخرُّج": بعد أربع سنوات على حادثة وقعت لي في 1999، تناولت دواء مضاداً للاكتئاب يُدعى دوكسيبين؛ ليس لأنني كنت مكتئباً، ولكن لأنه كان يُفتَرَض أن يكون للدوكسيبين تأثير فعّال على الألم المزمن. وكان لديه هذا التأثير بالفعل، لكنني بحلول العام 2006 - عندما سافرت إلى لندن

للترويج لكتابي قصة ليزي - شعرت بأن الوقت قد حان للتخلي عن هذه المادة. لم أستشر الطبيب الذي وصفه لي، بل أقلعت عنه على الفور. وكانت الآثار الجانبية للإيقاف المفاجئ... مثيرة (هل أعرف أن إيقاف الدوكسيبين كان أمراً مسؤولاً؟ لا. بيني وبينك، لعل السبب هو الماء الإنكليزي). فعلى مدار أسبوع، عندما كنت أغمض عينيّ في الليل، كنت أرى لقطات متحركة نابضة بالحياة كما في الأفلام؛ كنت أرى غابات، حقولاً، قمماً جبلية، أنهاراً، أسيجة، سككاً حديدية، رجالاً يلوّحون بالفؤوس والمجارف على وصلة طريق يجري منّها... وبعد ذلك، يبدأ كل ذلك من جديد إلى أن يغلبني النوم. لم تكن هناك أي قصة فيها، وإنما ببساطة مجرد لقطات متحركة تفصيلية على نحو نابض بالحياة. لقد شعرت بشيء من الأسف نوعاً ما عندما تبددت. كما شهدتُ سلسلة من الأحلام. أصبح أحدها - غيمة هائلة فطّرية الشكل تبرز فوق نيويورك - موضوع هذه القصة. وقد كتبتها رغم علمي بأن الصورة قد استُخدمت في عدد لا يُحصى من الأفلام (بدون ذكر المسلسل التلفزيوني "جيريكو")، لأن الحلم كان يحوي وقائع توثيقية مفصلة، لدرجة أنني استيقظت وقلبي يدق بعنف وفكّرت: هذا يمكن أن يحدث. من المؤكد إلى حد بعيد أن هذا سوف يحدث عاجلاً أم آجلاً. هذه القصة، مثل "حلم هارفي"، كانت عملاً إملائياً أكثر من كونه تخيُّلياً.

"ن": هذه هي القصة الأكثر حداثة في الكتاب، وهي تُنشَر للمرة الأولى هنا. لقد تأثرت بقوة بقصة آرثر ماتشن، وهي قصة تتجاوز (مثل قصة "دراكيولا" لبرام ستروكر) لغتها الركيكة إلى حد ما لتخترق بلا رحمة منطقة رعب القارئ. كم عدد الليالي الأرقة التي تسبّبتْ بها؟ الله وحده هو الذي يعلم ذلك، لكن بضع ليلات منها كانت من نصيبي. أعتقد أن "بان"، بالنسبة إلى قصص الرعب، يشبه حوتاً أبيض ضخماً، وأن كل كاتب يأخذ هذا النوع من الأدب بجدية لا بد أنه سيتناول موضوعه عاجلاً

أم آجلاً: وهي أن الحقيقة هشة، وأن الحقيقة الحقيقية الواقعة خلفها عبارة عن هاوية ملأى بالوحوش. تكمن فكرتي في محاولة المزج بين موضوع ماتشن وفكرة اضطراب الهوس القهري... جزئياً لأنني أعتقد أن الجميع يعانون من هذا الاضطراب بدرجة أو بأخرى (ألا نلتفت جميعنا مرة واحدة على الأقل للتأكد من أننا أطفأنا الموقد؟) وجزئياً لأن الهوس والإكراه - على نحو دائم تقريباً - متآمران غير متَّهمَيْن في حكاية الرعب. هل يمكنك التفكير في حكاية مرعبة ناجحة واحدة لا تحوي العودة إلى ما نكرهه ونمقته؟ وخير مثال على ذلك يمكن أن يكون "ورق الجدران الأصفر" لشارلوت بيركينز جيلمان. إذا سبق لك أن قرأتها في الجامعة، فلعلك عُلِّمت أنها قصة تؤيد المساواة بين الجنسين. هذا صحيح، لكنها أيضاً قصة ذهن ينهار تحت ثقل فكره الهوسي. هذا العنصر موجود أيضاً في "ن".

"قط شيطاني": إذا كانت "بُعَيْد الغروب" تحوي ما يشبه مساراً خفياً على قرص مدمج، فأعتقد أن هذه القصة هي هذا المسار. ويجب علي هنا أن أشكر مساعدتي القديمة، مارشا ديفيليو. عندما أخبرتها أنني سوف أقوم بإعداد مجموعة أخرى من أعمالي، سألتني إذا كنت سأضع فيها أخيراً "قط شيطاني"؛ قصة من أيام عملي مع مجلة الرجال. فأجبتها بأنني واثق من أنني شملتها في واحدة من مجموعاتي الأربع السابقة؛ لقد صُوِّرت، في الحقيقة، كجزء من فيلم "حكايا من الجانب المظلم" عام 1990. فقدَّمت لي مارشا جداول المحتويات لتثبت لي أنني لم أفعل ذلك. وها هي هنا الآن، بعد ما يزيد عن ثلاثين عاماً من نشرها للمرة الأولى في مجلة كافالير. وقد وُلدت القصة بطريقة مسلية. أرسل لي المحرر الروائي في كافالير في ذلك الحين، وهو شخص لطيف يُدعى ناي ويلدين، صورة فرية لقط يفحُّ. وما جعل الأمر غير عادي - إضافة إلى غضب القط - هو طريقة انقسام وجهه من المنتصف، حيث

كان الفرو على أحد الجانبين أبيض، فيما كان أسود لامعاً على الجانب الآخر. كان ناي يريدني أن أدير مسابقة للقصة القصيرة، واقترحَ أن أكتب أول خمسمائة كلمة من قصة حول القط، وبعد ذلك سيطلبون من الطلاب إكمالها، على أن تُنشَر التكملة الفضلى. فوافقت، لكنني وجدت نفسي مهتماً بما يكفي لكتابة القصة بأكملها. لا أذكر إن كانت قصتي قد نُشرت في الطبعة نفسها مع قصة الفائز في المسابقة أو في وقت لاحق، لكنها شُملت عدة مرات في كتب تحوي مختارات أدبية متوعة.

"نيويورك تايمز بسعر تفاوضي خاص": في صيف العام 2007، ذهبت إلى أستراليا واستأجرت دراجة نارية من نوع هارلي - دافيدسون وقدتها من بريزبن إلى بيرث (في الواقع، لقد وضعت الدراجة في مؤخر سيارة تويوتا لاند كروزر خلال اجتيازي جزءاً من الصحراء الأسترالية الكبرى). كانت رحلة جيدة خضت فيها الكثير من المغامرات، وأكلت الكثير من الغبار. لكن تجاوز إرهاق السفر وفرق المناطق الزمنية بعد إحدى وعشرين ساعة في الهواء أمر صعب. وأنا لا أنام في الطائرات. لا أستطيع ببساطة. عندما تأتي مضيفة إلى مقعدي حاملة واحدة من تلك البيجامات الغريبة، فإنني أطلب منها الذهاب. عندما وصلت إلى أستراليا بعد رحلة من سان فرانسيسكو إلى بريزبن، أنزلت الستائر ونمت عشر ساعات، ثم استيقظت نشطاً ومستعداً للانطلاق. لكن المشكلة الوحيدة كانت تكمن في أن الساعة كانت تقارب الثانية صباحاً حسب التوقيت المحلي، ولم يكن هناك شيء في التلفزيون، كما أنني أنهيت جميع قراءاتي على متن الطائرة. ولكن، لحسن الحظ، كان معي دفتر ملاحظات، فكتبت هذه القصة على منضدة الفندق الصغيرة. ومع شروق الشمس، انتهت القصة، وأصبح بوسعي النوم لبضع ساعات أخرى. القصص ينبغي أن تسلّي الكتّاب أيضاً؛ هذا رأيي، ونحن نرحّب بآرائكم.

"أبكم": قرأت قصة في صحيفتي المحلية حول سكرتيرة في مدرسة ثانوية اختلست أكثر من خمسة وستين ألف دولار كي تلعب اليانصيب. وأول سؤال خطر في ذهني هو عن شعور زوجها حيال هذا الأمر، فكتبت هذه القصة لأعرف ذلك. إنها تذكّرني بالبونبونات (سكاكر) السامة التي كنت آخذها أسبوعياً كعيّنات أثناء مشاهدتي برنامج "ألفرد هيتشكوك يقدّم".

"أيانا": لطالما شكّل موضوع ما بعد الحياة – كما ذكرت سابقاً في هذه الملاحظات – تربة خصبة للكتّاب الذين يحبّون الخيال. ومن بين الأسئلة المطروحة: لماذا يقدر بعض الناس أن يكونوا أصحّاء فيما يمرض آخرون؟ سألت نفسي هذا السؤال بعد الإصابات التي عانيت منها في 1999، نتيجة حادث كان يمكن أن يقتلني بسهولة لو كان موقعي مختلفاً بفارق ستمترات فقط (وفي المقابل، لو كان موقعي مختلفاً بفارق ستمترات أخرى، لربما كنت قد نجوت كلياً). إذا نجا المرء، فإننا نقول "هذه أعجوبة". وإذا مات فنحن نقول "هذه مشيئة الله". لا يوجد فهم منطقي للأعاجيب، ولا إمكانية لتفسيرها بطريقة منطقية. لكن الأعاجيب تحدث، في ما يبدو لي؛ كل نَفَس أعجوبةٌ أخرى. صحيح أن الحقيقة هشة، لكنها ليست مظلمة دوماً. وأنا لم أشأ الكتابة حول الإجابات، لكنني أردت الكتابة حول الأسئلة، والإيحاء بأن الأعاجيب قد تكون عبثاً إضافة إلى كونها نعمة. ولعلها تكون هراء فارغاً. لكنني أحب القصة.

"وضع عصيب للغاية": الجميع يستخدمون واحدة من حُجيرات المراحيض تلك الموجودة بجانب الطرقات من وقت لآخر؛ وإن كان ذلك فقط في ساحات الاستراحات على الطرق المأجورة خلال الصيف، عندما تضطر أقسام الطرق العامة الحكومية إلى وضع مراحيض إضافية من أجل مواكبة التدفق المتزايد للمسافرين (إنني أبتسم أثناء كتابتي هذه

الكلمات، قائلاً في نفسي: كم تبدو قذرة على نحو مدهش). يا الله، هل يوجد شيء يشبه الدخول إلى واحدة من تلك الحُجيرات الصغيرة المعتمة في عصر يوم حار في آب؟ هل يوجد؟ في الحقيقة، أنا لم أستخدم قطّ أي واحدة منها دون التفكير في قصة إدغار بو "الدفن قبل الأوان"، والتساؤل عمّا سيحدث لي إذا سقطت حُجيرة المرحاض على بابها. وخاصة إذا لم يكن هناك أحد في الجوار لمساعدتي على الخروج. وفي النهاية، كتبت هذه القصة للسبب نفسه الذي كتبت من أجله الكثير من الحكايات البشعة، أيها القارئ الدائم؛ لأنقل ما يخيفني إليك. ولا يسعني أن أختم دون أخبرك كم أحسست بمتعة طفولية أثناء كتابة هذه القصة. حتى إنني شعرت بالقرف.

في الحقيقة،

قليلاً.

وبهذا أودّعك بكل محبة، على الأقل في الوقت الحالي. إذا ظلت الأعاجيب تحدث، فإننا سنلتقي مجدداً. وفي غضون ذلك، أشكرك على قراءتك قصصي، وأتمنى أن تبقيك واحدة منها على الأقل صاحياً لبعض الوقت بعد انطفاء الأنوار.

اعتنِ بنفسك... وقُلْ: هل يمكن أن أكون قد تركت الفرن مشتعلاً؟ أو هل نسيتُ إغلاق أسطوانة الغاز تحت المشواة في باحة المنزل؟ وماذا بشأن قفل الباب الخلفي؟ هل نسيتُ أن أقفله؟ مثل هذه أشياء يسهل نسيانها، وقد يكون هناك شخص يتسلل خلسة الآن. معتوه، ربما. معتوه مع سكين. لذا، سواء أكان سلوكك هذا تصرفاً هوسياً قهرياً أم لا...

من الأفضل أن تتحقق، ألا تظن ذلك؟

ستيفين كينغ

8 آذار 2008

م ستيفن كينغ في كتابه هذا بُعيدَ الغروبِ مجموعة مدهشة من القصص
صيرة. هي الأولى بعد مجموعته الأخيرة كل شيء أخير التي صدرت منذ ستة أعوام.
اكتسبت قصّة ن – وهي إحدى القصص الأطول في هذا الكتاب - بُعداً هاماً جديداً
ما حُوّلت مؤخراً إلى عرض غرافيكي رقمي نابض بالحياة مكوّن من خمس وعشرين
ة مصوّرة.

غير ستيفن كينغ يمكن أن يحوّل حجرة مرحاض متنقلة إلى قناة ولادة لزجة. أو
ى بجانب الطريق إلى مكان لحبّ أبدي؟

ر للمؤلف أيضاً: «كريستين»، «اللحظة الأخيرة»، «فصول متنوعة»، «بؤس»، و
رب». يعيش ستيفن كينغ في بانغور التابعة لولاية ماين مع زوجته الروائية
ا كينغ.

